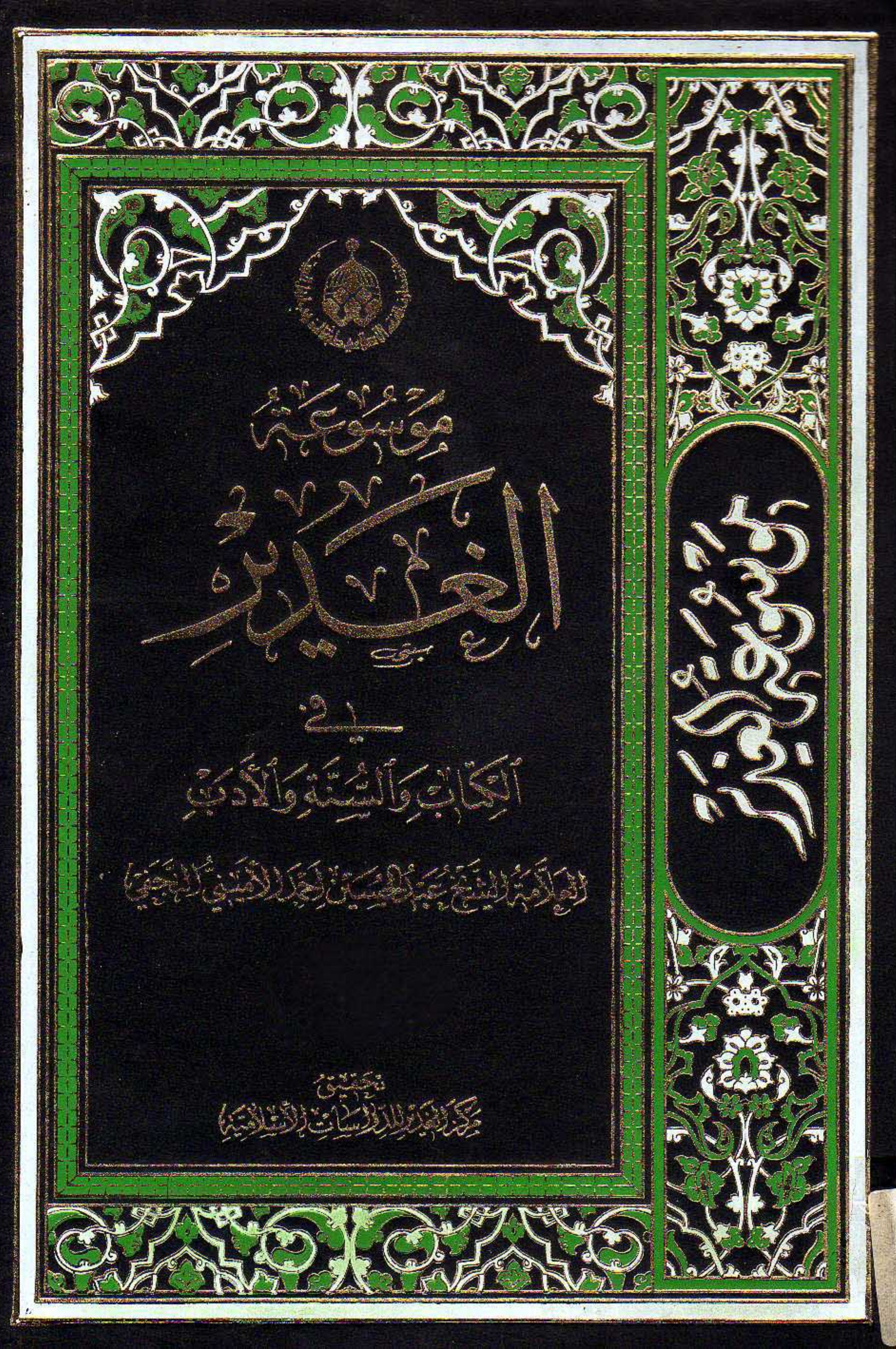

موسوعة
الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب
العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
تحقيق
مركز الغدير للدراسات الإسلامية



الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني . علمي . فني . تاريخي . أدبي . أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الثالث

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب. : ٧١٢٠

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٣

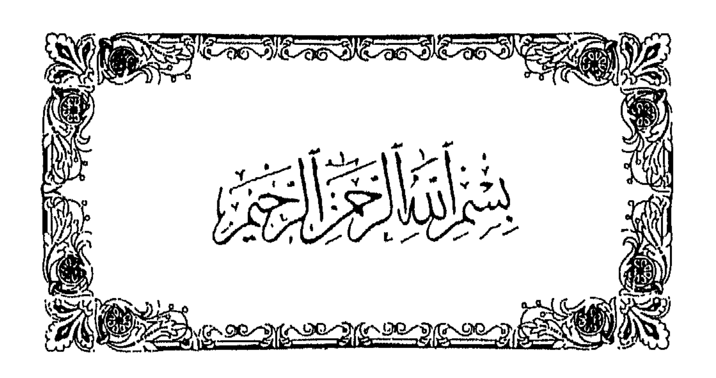


الطبعة الأُولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

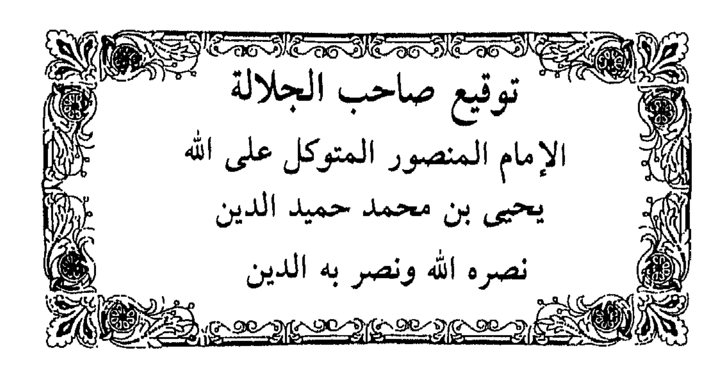
مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات :
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الاعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



كلمة المؤلف

تشرّفنا بتوقيعين كريمين من صاحبي الجلالة الهاشميَّة : إمام اليمن ، وملك شرقي الأردن ، أعزّ الله بهما الإسلام ، ورفع بهما راية الحقِّ . وفيهما حياةٌ لروح المجتمع الإسلامي ، وتقديرٌ للعلم والأدب وروّادهما ، ونحن شكراً لهما على هذه العاطفة الملوكيَّة نبدأ بهما هذا الجزء من كتابنا ، وندعو لصاحبي الجلالة بكلِّ خير ، فلتكن الناس على دين ملوكهم .



توقيع صاحب الجلالة

الإمام المنصور المتوكل على الله

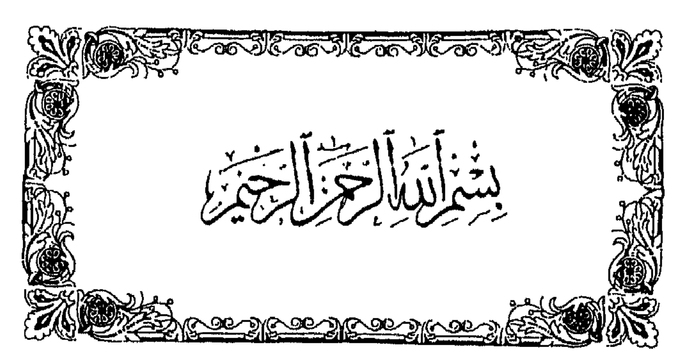
يحيى بن محمد حميد الدين

نصره الله ونصر به الدين

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة العلامة الالمعي والهمام النجابة اللوذعي عبد الحسين احمد الاميني فسح الله مده وبارك فيه وله فيما خلده ووجه اليه همته وقصده وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد سرنا ايما سرور ما ادركناه بكل الحواس من سعيكم المشكور المودع في مؤلفكم الغدير وعرفنا من جزئيه الاول والثاني مدى الاهتمام المبذول وكنه ما تحضره المؤلف من طول الباع وسعة الاطلاع وفقاهة النفس وبلاغة النفس وشكرناكم اتم الشكران على الاتحاف بالجزئين والعدة ببقية الاجزاء . والحق كما قلتم انه لم يؤلف في موضوعه مثله وكفى . وقد راينا ان من المستحسن تأجيل توفية الكتاب النفيس حقه الاوفى من التقريض الى ان يتم لنا الوقوف على ما بقي منه فالنفس اليه مشتاقة والى الوفاء بحقه تواقة ونسأل الله تعالى ان يجزيكم الجزاء الاوفى ويوردكم من معين المثوبة موردها الاصفى والسلام عليكم ورحمة الله حرر في [illegible]



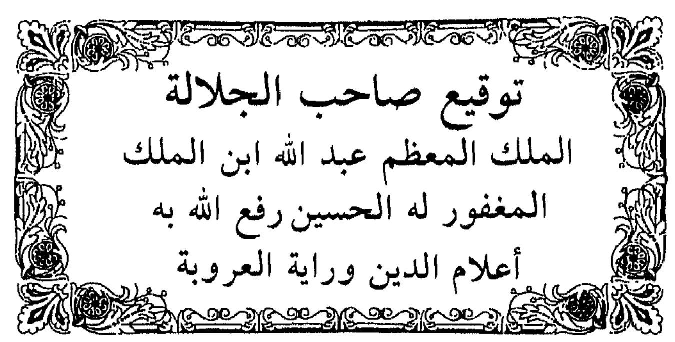
من أمير المؤمنين المتوكل على الله رب العالمين الامام يحيى

ردّ العلامة الألمعي، والهمام البحاثة اللوذعي، عبد الحسين احمد الأميني فتح الله امده، وبارك فيه وله فيما خلّده، ووجّه اليه همته وقصده وشريف السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

لقد سرنا أيّما سرور، ما ادركناه بكل الحواس من سعيكم المشكور، المودع في مؤلفكم الغدير، وعرفنا من جزئيه الاول والثاني مدى الاهتمام المبذول، وكنه ما لحضرة المؤلف من طول الباع وسعة الإطلاع، وفقاهة النَّفْس وبلاغة النَّفَس، وشكرناكم أتم الشكران على الاتحاف بالجزئين، والعدة ببقية الاجزاء، والحق كما قلتم انه لم يؤلف في موضوعه مثله وكفى.

وقد رأينا أن من المستحسن تأجيل توفية الكتاب النفيس حقه الأوفى من التقريظ الى أن يتم لنا الوقوف على ما بقي منه، فالانفس اليه مشتاقة، والى الوفاء بحقه توّاقة، ونسأل الله تعالى أن يجزيكم الجزاء الأوفى، ويوردكم من معين المثوبة موردها الأصفى.

والسلام عليكم ورحمة الله حرّر في ٢٥ رجب ١٣٦٥ هـ.





عبد اللّه بن الحسين

ايها الحبر زر مقاما كريما ... وابتهل لي مستغفرا عن ذنوبي
وارو عني دعاء عبد فقير ... يشتكي ما يمسه من لغوب
فدعاء المحب للآل ينفي ... كل خطب وكل هم مريب
واقر عني الأمام اسنى سلام ... والثم الأرض في المقام الرهيب

حضرة الحبر الجليل

اما بعد ، فأنني احمد الله اليك الذى لا اله الاّ هو وأصلي واسلم على محمد وآله وصحبه واقول : انني تلقيت رسالتكم وبها تهدون اليّ كتابكم القيم (الغدير) الذى تعبتم في تأليفه وجمع ما يعود اليه من اخبار صحيحة في كثير من البلدان وشتى دور الكتب فأخرجتم به سفرا دينيا وادبيا وتاريخيا . واحببتم ان أقرظه ليصدر الجزء الثالث من الكتاب وبه الكلمة التي طلبتموها . فشكرا لكم والثناء لله . وماذا عساى ان اقول في اثر تصدى لتأليفه عالم نحرير في حديث نبوى يتعلق بالوصي عليه السلام ، غير تكرير الشكر والرغبة الصحيحة في ان يروج هذا الكتاب وتكثر الأستفادة منه لدى الخاص والعام .

والتقريظ لغة تبادل المدح بين اثنين في امر من الأمور ، وهذا مالا اميل اليه . بل يروقني ان اقرأ فأنتقد فأحث او انهى ، ولعلّي من الآن احث الناس على الأقبال على هذه الرسالة السامية في معناها ، الغالية في غايتها . فكتابكم يسر آل البيت وشيعتهم ويسر كل مؤمن بالله ورسوله حيث تناول فضائل حيدرة الكرار ابي السبطين ، المنافح عن رسول الله في المشاهد كلها والخارج من الدنيا في غير رغبة اليها والذى قاتل اهل العناد كما قاتل اهل الكفر والشرك في ايامهم والجهاد . فالكتاب في كل فقرة من فقره وصفحة من صفحاته وفي مقدمته وفي نهايته هو لله ولرسوله وللآل وشيعتهم ومحبيهم ولذا فالمختم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [توقيع]

عمان في ١٢ ذى القعدة ١٣٦٥
الموافق ٧ تشرين الأول ١٩٤٦

أيهـا الحبـر زرمقـامـاً كـريمـاً وابتهـل لي مستغفـراً عن ذنـوبي
واروعـني دعـاء عبـد فقـيـر يشتكي مـا يمسـه من لغـوب
فـدعـاء المحـب لـلآل ينفي كـل خـطب وكـل هم مـريب
واقـرعني الإمـام أسنى سـلام والثم الأرض في المقـام الرهيب

حضرة الحبر الجليل :

أما بعد : فإنني أحمد الله إليك الذي لا إلـه إلّا هو وأُصلّي وأُسلم على محمد وآله وصحبه وأقول : إنني تلقيت رسالتكم وبها تهدون إليّ كتابكم القيم (الغدير) الذي تعبتم في تأليفه وجمع ما يعود إليه من أخبار صحيحة في كثير من البلدان وشتى دور الكتب فأخرجتم به سفراً دينياً وأدبياً وتاريخياً . وأحببتم أن أُقرظه ليصدر الجزء الثالث من الكتاب وبه الكلمة التي طلبتموها . فشكراً لكم والثناء لله . وماذا عساي أن أقول في أثر تصدى لتأليفه عالم نحرير في حديث نبوي يتعلق بالوصي ﷺ ، غير تكرير الشكر والرغبة الصحيحة في أن يروج هذا الكتاب وتكثر الاستفادة منه لدى الخاص والعام .

والتقريظ لغة تبادل المدح بين اثنين في أمر من الأُمور ، وهذا مالا أميل إليه . بل يروقني أن أقرأ فأنتقد فأحث أو أنهى ، ولعلّي من الآن أحث الناس على الإقبال على هذه الرسالة السامية في معناها ، الغالية في غايتها . فكتابكم يسر آل البيت وشيعتهم ويسر كل مؤمن بالله ورسوله ، حيث تناول فضائل حيدرة الكرار أبي السبطين ، المنافح من رسول الله في المشاهد كلها والخارج من الدنيا في غير رغبة إليها والذي قاتل أهل العناد كما قاتل أهل الكفر والشرك في أيامهم والجهاد . فالكتاب في كل فقرة من فقره وصفحة من صفحاته وفي مقدمته وفي نهايته هو لله ولرسوله وللآل وشيعتهم ومحبيهم وهذا ما طلبتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عمان في ١٢ ذي القعدة ١٣٦٥
الموافق ٧ تشرين الأول ١٩٤٦

الغدير
في صحيفة بيضاء عالمية

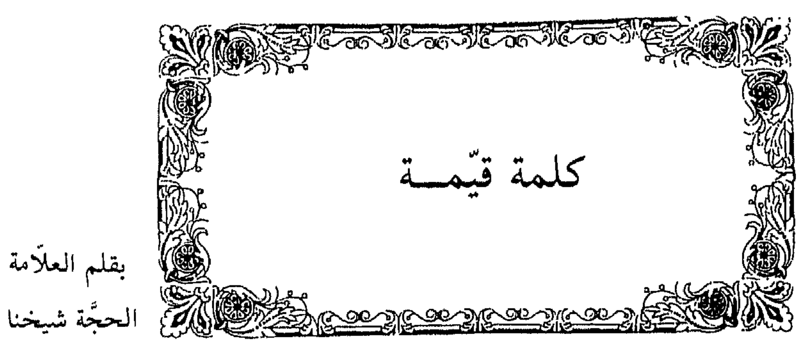
قرأنا في أعداد مجلة «الكتاب» الغراء المصرية الصادرة بالقاهرة تقريظاً بعد تقريظ لأجزاء كتابنا هذا، وهي آية محكمة تشف صاحبها الأستاذ الكبير عادل غضبان، وتشهد له بما حازه من الفضائل من عقل نضيج، ورأي منضد، وثقافة ونباهة، وبخوع بالتاريخ الصحيح، وسعي وراء الصالح العام، وصدق في توحيد الكلمة، كلمة الصدق والعدل. فنحن نقدم إلى الأستاذ شكرنا المتواصل، ونوقف الملأ على كلمته الأخيرة المنشورة في شعبان سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢م.

الغدير
في الكتاب والسنة والأدب الجزء الثامن

لا يزال مؤلف هذا الكتاب - الحجَّة الثبت - ماضياً في إتمام بحثه عن موضوع الغدير - غدير خُم - وما يتَّصل به من مباحث في الكتاب الكريم، والسنَّة المطهَّرة، والأدب العربيّ، على مختلف العصور، وقد بلغ المؤلِّف في شعراء الغدير إلى القرن التاسع الهجري في الجزء السابع من الكتاب، وأمَّا ثامن الأجزاء فلم يتَّسع لشعراء الغدير في القرون التالية، فقد ملأه المؤلّف ببحوث ضافية في مسائل كثيرة من الشريعة والتاريخ؛ وهي تبين وجهة النظر الشيعيّ التي يجب على أهل السنّة أن يعرفوها على وجهها الصحيح، وأن يأخذوها من منابع سليمة غير مشوَّهة لا محرَّفة، فقد يعين هذا الفهم الصحيح لوجهات النظر المتباينة على تقريب الشقَّة بين المسلمين تقريباً تقوى به كتلتهم، وتتوحَّد صفوفهم.

والمؤلِّف في هذا الجزء الثامن هو بعينه في الأجزاء السابقة تمكّناً من الموضوع، وإحاطةً به من جميع نواحيه، وسعة إطلاع على ما صغُر وكبر من المصادر، ومتابعةً للمؤلَّفات العربيّة في القديم والحديث، ويقظةً بالغةً بكلِّ ما يُنشر في الصّحف والمجلّات والرّسائل والكتب.

الكتاب. السنة السابعة. العدد الخامس



بقلم العلّامة
الحجّة شيخنا
ميرزا محمد علي الأوردبادي حيّاه الله

بسم اللّه الرّحمٰن الرّحيم

بين الحقائق والأوهام

اللّهم لك العظمة والكبرياء، ولك الجلال والجمال والبهاء، والصَّلاة على صفوة أنبيائك وخلفائه أئمّة الهدى من أصفيائك.

لقد طال الحوار محتدماً بين هذين الفريقين، لا بمعنى أنَّ للوهم مثولاً أمام الحقيقة، أو أنَّ للزبرجة كياناً يقابل الواقع، لكنّها جلبةٌ وصخبٌ من أنصار الأوهام تناطح دعوة الحقّ، وقحَّةٌ وصلفٌ من سماسرة الأهواء تطاول هتاف الصَّلاح، فلم يبرح الحجاج قائماً على ساق في قرون متطاولة، غير أنَّ المستشفَّ لنفس الأمر يجد نصب عينه أنَّ للحقِّ دولةً، وللباطل جولةً، وأنَّ عقيرة الجهل وإن علت أحياناً فإنَّ نور المعرفة لا يفتأُ متبلّجاً، وعَرف الحقائق الراهنة لا يزال متأرِّجاً، فهي بين ألق وعبق تكتسح ظلمات الغيّ، وفتن الرعونة، وإن طال لصاحب الهلجة تركاضه.

نعم: حسب أبناء حزم وتيميّة والقيّم وكثير وحجر ونظرائهم أنَّ ما سقوا إليه من القذائف والطامّات ستنطلي بين الرجرجة الدهماء، وسوف تكتسي في الأجيال المقبلة رونقاً يضعضع أركان المذهب، ذهب على الأغرار أنَّ نوابغ القرون سيقفون لهم بالمرصاد، وأنَّ المستقبل الكشّاف بفضل التنقيب من رجالاته لا محالة يكشف عن سوءتهم، فيتجلّى للملأ الباحث أنَّهم لم يردّوا برهنة الهدى إلّا [كما ردَّها يوماً بسوءته عمرو].

وشتّان بين علالٍ أُقيمت على أُسس رصينة وبين ما علّي على شفا جُرفٍ

هار، وهل الفرية تدحر شيئاً من الصِّدق؟ وبالفتاوى المجرَّدة يُحاول الحجاج؟.

عبثاً حاولوا تشويه سمعة الشيعة بنسب مختلقة، وردّ حججهم بشبهٍ تافهةٍ، وفي الامَّة بحّاثةٌ تميِّز الشعرة من الشعرة، وتضمّ الذرَّة إلى الذرَّة، وفي القرن الرابع عشر صاعقة عاد أو عذابٌ واصب، أو أنَّ في عصر النور إعصارٌ فيه نار تذر وما أنبتوه رمادا.

قيَّض المولى سبحانه للعصر الذهبيِّ بطل النهضة العلميَّة، بطل الجهاد والحفاظ، بطل التحقيق والتنقيب، والمثل الأعلى من كلِّ فضيلة، وعلَم العلم الخفَّاق، ومنار الهدى العلّامة الحجّة [الأمينيّ] الأمين، فيمَّم امَّته وفي يمناه كتابه الضخم الفخم، ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه هدى للمتقين، قائلاً بملء فمه: هاؤم أقرءوا كتابيه، ففيه البرهنة الصادقة، والحجَّة الدامغة، وفيه الطريق المهيع، والسبيل الجدد، وفيه حياة الحقائق، وبوار الأوهام، فإنَّ سحب الشّبه وإن أطلّت على الامَّة ردحاً من الزَّمن فها أنا قُيِّضت لأقشعها.

أراها وإن طالت علينا فإنها سحابة صيف عن قليل تقشَّع

وإنَّ معاثر التمويه وإن تكدَّست فإنَّ ذمَّتي رهينة باكتساحها، وكتابي هذا هو العلَم الهادي، وضياء النادي، يوقفكم على مركز الخلافة، ومرتكز لوائها، ومصبِّ نصوصها، ومنبثق أنوارها، ويلمسكم الحقّ الصراح، مسفراً عن محيّاه الوضّاء، بعد أن جللته ظلم التمويه.

وها أنا ذا أُعرِّف القالة من أين يؤكل الكتف، وكيف يفشل التدجيل، إنّ الواقف على مجلّدات كتاب [الغدير] من كثب يعلم أنَّ هذا الوصف دون ما فيه، وأنَّ السامع به يحسب لأوَّل وهلة أنّه مقصورٌ على موضوعه، لكنّه عند ورود منهله العذب يجد فيه البحث والتنقيب حول كثير من براهين الإمامة، والاكتساح لطوائف من الأشواك المتكدّسة أمام سير السالكين، ودحض ما هنالك من قوارص تشق العصا، وتفرِّق الكلمة، والكشف عمّا وراء الأكمة من نوايا سيئة، ومعاول هدّامة، والتنزيه لأُمَّته عمّا ألصقت بها أقلامٌ مستأجرة من شية العار، وشوّهت سمعتها سماسرة الأهواء بأساطيرهم المائنة، وهنالك مسائل جمَّة من

فقه وكلام وتفسير وحديث وتاريخ كشف عنها الغطاء بعد تمويهٍ متطاول، وإصفاقٍ عليه متواصل، بعد ما تصادمت عليه نزعاتٌ وأهواءٌ، واحتدمت إحنٌ وشحناء.

ما أسفت كأسفي على عصر الثقافة والتنقيب، عصر النور والتّفاهم، هذا العصر الذي تمخّضت فيه الحقائق، وظهرت البواطن، وعرفت المغازي، وتمرّنت الأحلام، بتحرّي كلِّ صحيح، وتحكيم الاصول الثابتة، أن يحصل فيه دجّالون يقتصّون أثر اولئك الماضين الذين نمتهم العصور المظلمة، فطفقوا يعشون في حلك العمى، ويتخبطون في طخيات جهلٍ دامسة، فيعثرون بكلِّ ربوة، ويسفون إلى كلِّ هوّة، ولهم قلوبٌ لا يفقهون بها، وعيونٌ لا تبصر ضوء الحق، وأسماعٌ لا تصيخ إلى هتافه.

وشتّان بين هؤلاء واولئك فإنَّ قضاء الطبيعة كان يلزم من عاصرناه بالتكهرب بمقتضيات الوقت من علمٍ وهُدى، لكن الحقد المتضرّم أبى للقوم إلّا أن يخلدوا إلى حمأة التعصّب الشائن، وحسبوا أن لا رقيب ولا محاسب، ولا أنَّ الحفظة الكرام يكتبون ما يتقوّلون، والله من ورائهم محيط.

أو يحسبون أنَّ من يقعون فيه ويتهجّمون عليه إحدى الأُمم البائدة قد أكل عليها الدهر وشرب؟ فلم يبق مَن يدافع عن كيانها، أو يناضل عن معتقداتها ويبرزها بجمالها المبهج، وجلالها المرهب، ومحيّاها الوضّاح، وكأنَّهم في سِنةٍ عن العلماء والمؤلِّفين والبحّاثة والمنقِّبين طيلة الحقب والأعوام، وما لهم من أقلامٍ نزهةٍ حرَّة، ونسيج من كَلِمِ الحقِّ، موشّى بسنا الحقيقة.

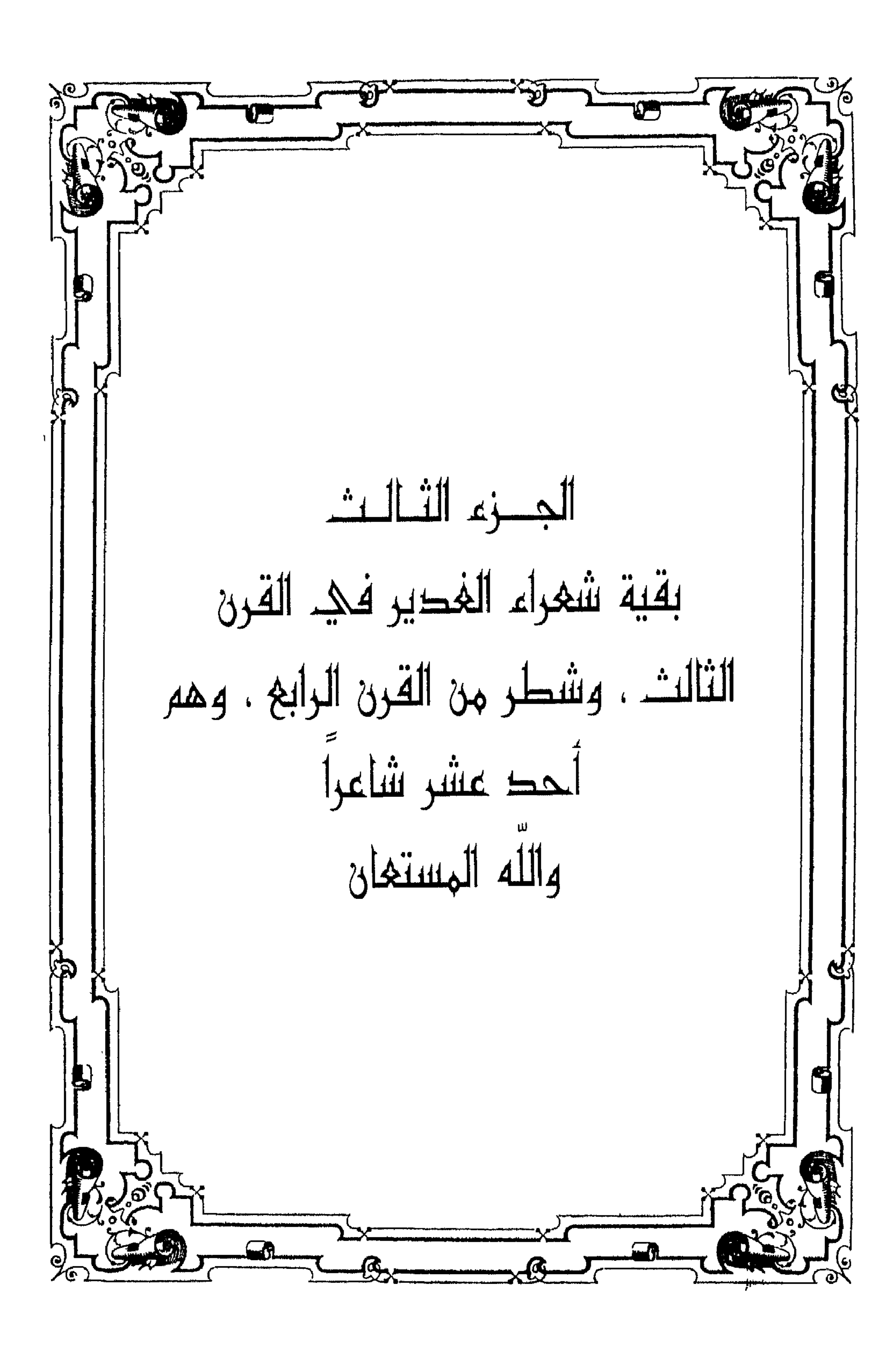
نعم: لم يزل القوم في غلوائهم تائهين حتّى جاءهم سيل [الكتاب الغدير] الأتيُّ وتيّار علمه الجارف، فذهب ما لفّقوه جفاءً، فليحي مؤلِّفنا المجاهد الناهض [الأميني] وبيّاه الله، والحمدلله على إحقاق الحقِّ، وإدحاض معرَّة الباطل، وصلّى الله على سيدنا محمَّد وآله الطاهرين.

محمد علي الغروي الأوردبادي



حَمْدكَ اللّٰهُمَّ يَا ذَا المِنَن السَّابِغَةِ عَلىٰ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ وِلايَتِك وَوِلاَيةِ سَيِدِ رُسُلِك ، وَعِتْرتِهِ الأَطْهَار وَلاَةُ أمْرِكَ ، وَأَسْئَلُكَ اللّٰهُمَّ أنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ ، وَتَصْلح لَنَا خَبِيئَةَ أَسْرَارنا وَتَسْتَعْمِلُنا بِحُسْنِ الإيمَانِ ، وَأَنْ تَأْخُذَ بِيَدي فِي خِدْمتي لِلْمُجْتَمَع ، وَالدَّعْوَة إلىٰ الْحَقِّ ، وَالسَّيْرِ وَرَاء الصَّالِح العَامّ ؛ وَإعْلاء كَلِمَةِ التّوحيْدِ ، وَبَثّ مآثرِ رِجَالاتِ الأُمَّةِ وَسَادَاتِهِمْ ، وَمَا تُوفِيقِي إلَّا بِكَ ، عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ ، وَإلَيْكَ أَنْتَ .

عبد الحسين أحمد الأميني

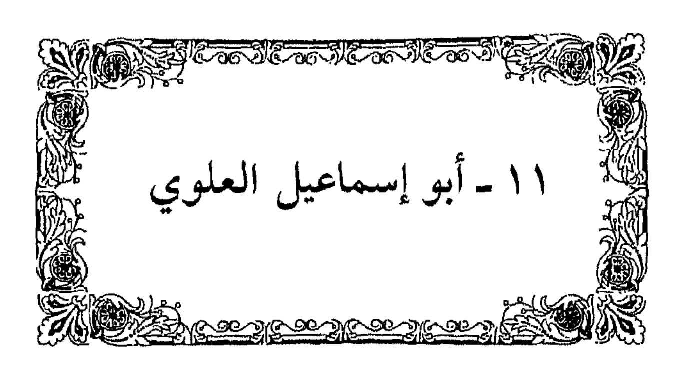


الجزء الثالث

بقية شعراء الغدير في القرن الثالث، وشطر من القرن الرابع، وهم أحد عشر شاعراً

والله المستعان





١١ ـ أبو إسماعيل العلوي

وجدّي وزير المصطفى وابن عمِّه ... عليّ شهاب الحرب في كلِّ ملحمِ
أليس ببدر كان أوّل قاحم ... يطير بحدّ السيف هام المقحَّمِ ؟!
وأوَّل من صلّى ووحَّد ربَّه ... وأفضل زوّار الحطيم وزمزمِ
وصاحب يوم الدوح إذ قام أحمد ... فنادى برفع الصوت لا بتهمهمِ
: جعلتك منّي يا علي؟ لِمنزل ... كهارون من موسى النجيب المكلّمِ
فصلّى عليه اللّه ما ذرَّ شارقٌ ... وأوفت حجور البيت أركب محرمِ (١)

الشاعر

أبو إسماعيل محمَّد بن عليّ بن عبدالله بن العبّاس بن الحسن بن عبيد الله بن العباس ابن الإمام أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

هو من فروع دوح الخلافة، ومن مفاخر العترة الطاهرة، كان يرفل في حلّة المجد الضافية، طافحاً عليه الشرف الظاهر، والسؤدد المعلوم، بين حسبٍ زاكٍ، ونسبٍ وضيءٍ، أحمديُّ المأثرة، علويُّ المنقبة، عبّاسيُّ الشهامة، إلى فضائل كثيرة ينحسر عنها البيان.

---

(١) معجم الشعراء للحافظ المرزباني ص ٤٣٥.

قال المرزباني في (معجم الشعراء) ص ٤٣٥ : شاعرٌ يكثر الإفتخار بآبائه رضوان الله عليهم، وكان في أيّام المتوكّل وبعده دهراً، وهو القائل:

وإنّي كريمٌ من أكارم سادةٍ أكفّهمُ تندى بجزل المواهبِ
همُ خير من يحفى وأفضل ناعلٍ وذروة هضب العرب من آل غالبِ
همُ المنُّ والسلوى لدانٍ بودّهم وكالسمِّ في حلق العدوِّ المجانبِ

وله:

بعثت إليهم ناظري بتحيَّةٍ فأبدت لي الإعراض بالنظر الشزرِ
فلمّا رأيت النفس أوفت على الرَّدى فزعت إلى صبري فأسلمني صبري

أمّا إذا افتخر أبو إسماعيل بآبائه فأيُّ أحد يولده اولئك الأكارم من آل هاشم فلا يكون حقّاً له أن يطأ السماء برجله؟ وأيّ شريف يكون المحتبي بفناء بيته قمر بني هاشم أبو الفضل ثمّ لا تخضع له قمَّة الفلك مجداً وخطراً؟ فإن افتخر المترجم بهؤلاء فقد تبجَّح بنجوم الأرض وأعلام الهدى، ومنار الفضل وسُوى الإيمان.

مَن تلق منهم تلق كهلاً أو فتىً علم الهدى بحر الندى الموردوا

وهذا جدُّه أبو الفضل العبّاس الثاني كان كما قال الخطيب في تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٣٦ : عالماً شاعراً فصيحاً من رجال بني هاشم لساناً وبياناً وشعراً، ويزعم أكثر العلويَّة أنَّه أشعر ولد أبي طالب؛ وكان في صحابة هارون ومن شعره يذكر إخاء أبي طالب (عم النبيِّ) لعبدالله (أبي النبيِّ لأبيه وامِّه) من بين اخوته:

إنّا وإنَّ رسول الله يجمعنا أبٌ وامٌّ وجدٌّ غير موصومِ
جاءت بنا ربَّة من بين اسرته غرّاء من نسل عمران بن مخزومِ
حزنا بها دون من يسعى ليدركها قرابة من حواها غير مسهومِ
رزقاً من الله أعطانا فضيلته والناس من بين مرزوق ومحرومِ

جاء إلى باب المأمون فنظر إليه الحاجب ثمَّ أطرق فقال له: لو أذن لنا

لدخلنا، ولو اعتذر إلينا لقبلنا، ولو صرَّفنا لانصرفنا، فأمّا اللفتة بعد النظرة لا أعرفها[١] ثمَّ أنشد:

وما عن رضاً كان الحمار مطيَّتي ولكنَّ من يمشي سيرضى بما ركب

ومن درر كلمه الحكميَّة قوله:

إعلم أنَّ رأيك لا يتَّسع لكلِّ شيء، ففرِّغه للمهمِّ.

وأنَّ مالك لا يغني الناس كلّهم، فخصَّ به أهل الحقِّ.

وأنَّ كرامتك لا تطيق العامَّة، فتوخَّ بها أهل الفضل.

وأنَّ ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك من ذلك.

فإنَّ ما شغلك من رأيك في غير المهمِّ إزراءٌ بالمهمِّ.

وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحقِّ.

وما عمدت من كرامتك إلى أهل النقص أضرّك في العجز عن أهل الفضل.

وما شغلك من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة.

وأخو العبّاس هذا: الفضل بن الحسن الذي يُؤَبِّن جدَّه أبا الفضل شهيد الطفِّ سلام الله عليه بقوله:

أحقّ الناس أن يُبكى عليه فتىً أبكى الحسين بكربلاءِ
أخوه وابن والده عليٍّ أبو الفضل المضرَّج بالدِّماءِ
ومن واساه، لا يثنيه شيءٌ وجاد له على عطشٍ بماءِ

ذكرها له المؤرِّخ الهندي أشرف علي في كتابه المطبوع [روض الجنان في نيل مشتهى الجنان] وشطَّرها زميلنا العلاّمة المتضلّع الشيخ محمّد علي

---

(١) هذه الجملة حكيت عن تاريخ الخطيب في تذكرة السبط ص ٣٢ بغير هذه الصورة.

الأوردبادي حيَّاه الله فقال:

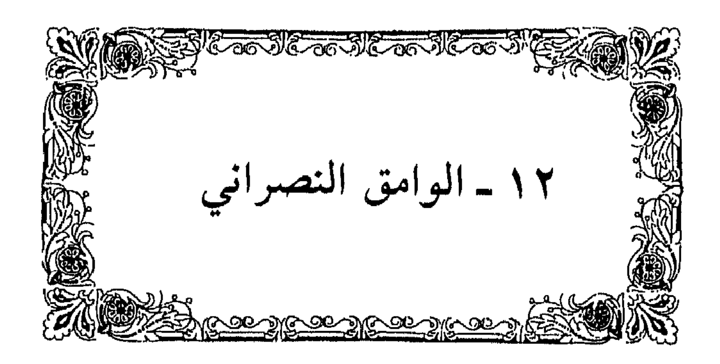
أحقُّ النـــاس أن يُبكى عليــه	بـدمـع شـــابـه علق الـــدمـاءِ
بجنب العلقميِّ سـريّ فهـر	فتىً أبكى الحسين بكـربـلاءِ
أخــوه وابــن والــده عـليٍّ	هــزبــر الملتـقى ربُّ الـلواءِ
صريعاً تحت مشتبك المواضي	أبو الفضل المضـرَّج بالـدماءِ
ومن واســاه لا يثـنيــه شـيءٌ	عن ابن المصطفى عند البلاءِ
وقـد ملك الفرات فلم يـذقـه	وجـاد لـه على عـطشٍ بمـاءِ

وكان شاعرنا المترجم من رجاحة العقل، ورصافة العارضة، في جانب عظيم مثيل جدِّه تجري كلماته مجرى الحكم والأمثال منها قوله في رجل من أهله:

إنّي لأكره أن يكون لعلمه فضلٌ على عقله، كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه[1].

---

(١) كامل المبرد ج ١ ص ٥٦.



١٢ ـ الوامق النصراني

أليس بخمٍّ قد أقام « محمَّدٌ » « عليّاً » بإحضار الملا في المواسمِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكُمُ فمولاكُمُ بعدي « عليّ بن فاطمِ »
فقـال: إلَهي كن وليَّ وليِّـه وعاد أعاديـه على رغـم راغـمِ

ويقول فيها:

أمـا ردّ عمراً يـوم سلع بباتـرٍ كأنَّ على جنبيه لطخ العنادمِ [(١)]
وعاد ابن معدي نحو أحمد خاضـعـاً كشـارب أثـل في خـطام الـغـمائـمِ [(٢)]
وعاديت في الله القبائل كلّها ولم تخش في الرَّحمن لومة لائمِ
وكنت أحقّ الناس بعد محمَّد وليس جهول القوم في حكم عالمِ [(٣)]

ما يتبع الشعر

ربما يستغرب القارىء ما يجده من مدائح النصارى لأمير المؤمنين عليه السلام وهم لا يعتنقون الإسلام فضلاً عن الاعتقاد بالخلافة الإسلاميَّة، ولا

---

(١) السلع: جبل بالمدينة. العندم: الدم والبقم.
(٢) أثل: شجر عظيم لا ثمر له ج أثلة. الخطام: كل ما وضع في فم البعير ليقتاد به. الغمائم جمع الغمامة: خريطة فم البعير. كنايه عن نهاية الذلة والخضوع.
(٣) مناقب ابن شهرآشوب ج ١ ص ٢٨٦، ٥٣٢.

غرابة في ذلك فإنَّه جريٌّ منهم مع الحقائق الراهنة، وسيرٌ مع التاريخ الصحيح، فإنّ المنصف مهما اعتنق مبدءاً غير الإسلام فإنَّه لا يسعه إنكار ما اكتنف مولانا من الفضائل: من نفسيّات كريمة، وعلوم جمّة، وخوارق لا تحصى؛ وبطولة وبسالة، وما قال فيه نبيُّ الإسلام، الذي لا يعدو عند غير المسلم أن يكون عظيماً من عظماء العالم، وحكيماً من حكمائه، بل أعظم رجالات الدهر كلّهم، لا يرمي القول على عواهنه، فلا بدَّ أن يكون من يثبت له هو صلّى الله عليه وآله وسلم تلك الفضائل عظيماً كمثله أو دونه بمرقاة.

كما أنّك تجد الثناء المتواصل على النبيِّ الأعظم أو وصيِّه في كتب لفيف من النصارى واليهود ككتاب:

١ - أقوال محمَّد	تأليف المستر ستنلي لين بول
٢ - محمَّد والقرآن	تأليف المستر جون وانتبورت
٣ - محمَّد والقرآن	تأليف الأستاذ مونته
٤ - عقيدة الإسلام	تأليف غولديسهر
٥ - العالم الإسلامي	تأليف ماكس مايرهوف
٦ - تاريخ العرب	تأليف الأستاذ هوار
٧ - مفكّري الإسلام	تأليف كاداود وفو الافرنسي
٨ - مهد الإسلام	تأليف الأب لامنس
٩ - خلاصة تاريخ العرب	تأليف سديو الافرنسي
١٠ - حياة محمَّد	تأليف السير ويليام ميور الانكليزي
١١ - سيرة محمَّد	تأليف السير وليم موير
١٢ - مدنيّات الشرق	تأليف المسيو غروسه
١٣ - الكياسة الإجماعيَّة	تأليف الدكتور وغسطون كرسطا الإيطالي
١٤ - محمَّد والإسلام	تأليف حنادا قنبرت
١٥ - حياة محمَّد	تأليف المستر دكالون سل
١٦ - محمَّد والإسلام	تأليف المستر بوسرت اسمث

١٧ ـ عرب اسبانيا	تأليف المسيو دوزي
١٨ ـ عن الشرع الدولي	تأليف الدكتور نجيب أرمنازي
١٩ ـ المعلّم الأكبر	تأليف المستر هربرت وايل
٢٠ ـ الأبطال	تأليف توماس كارليل الإنكليزي
٢١ ـ الإسلام خواطر وسوانح	تأليف هنري دي كاستري الفرنسي
٢٢ ـ حاضر العالم الإسلامي	تأليف لوتروب ستودارد الاميركي
٢٣ ـ حكم النبيِّ محمَّد	تأليف تولستوي الروسي
٢٤ ـ مصير المدنيَّة الإسلاميَّة	تأليف هو كنيك الفيلسوف الأميركي
٢٥ ـ سرّ تطوّر الإسلام	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٦ ـ الآراء والمعتقدات	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٧ ـ الحضارات	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٨ ـ التمدّن الإسلامي[١]	تأليف غوستاف لوبون الفرنسي
٢٩ ـ الإسلام ومحمَّد	تأليف والافتنرت
٣٠ ـ محمَّد والحضارة[٢]	تأليف عبد المسيح أفندي وزير

وغير ذلك مئات من كتبهم حول الإسلام أو نبيّه. وما ذلك إلّا أنّ ما وصفوه من صفات الفضيلة حقائق ناصعة لا يسترها التمويه، ولا يأتي على ذكرها الحدثان، وذكريات خالدة يحدّث بها الملوان، ما قام للدهر كيان، وبما أنَّ حديث « الغدير » من هاتيك الحقائق تجد الناس إلباً واحداً في روايته، يهتف به الموالي، ويعترف به الناصب، وينشده المسلم، ويشدو به الكتابيّ.

(الشاعر)

بُقراط بن أشوط الوامق الأرميني النصراني. بطريق[٣] بطارقة أرمينيَّة،

---

(١) طبعت ترجمته بالفارسية بطهران فى ٨٠٤ صحائف.

(٢) مقال نشر في جريدة الاستقلال سنة ١٩٢٧ م.

(٣) البطريق: القائد الحاذق بالحرب وشئونها. معرب.

وقائدهم الأكبر، وأميرهم المقدَّم في القرن الثالث، عدَّه ابن شهر آشوب في « معالم العلماء » من مقتصدي المادحين لأهل البيت عليهم السَّلام.

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٢١٣، وابن الأثير في الكامل ج ٧ ص ٢٠ : إنَّه وثب في سنة ٢٣٧ أهل آرمينية بعاملهم يوسف بن محمَّد فقتلوه، وكان سبب ذلك أنَّ يوسف لمّا سار إلى أرمينية خرج إليه بطريقٌ يقال له: بقراط بن أشوط. ويقال له: بطريق البطارقة يطلب الأمان فأخذه يوسف وابنه نعمة فسيَّرهما إلى باب الخليفة « المتوكّل » فاجتمع بطارقة أرمينية مع ابن أخي بقراط بن أشوط وتحالفوا على قتل يوسف ووافقهم على ذلك موسى بن زرارة وهو صهر بقراط على ابنته فأتى الخبر يوسف ونهاه أصحابه عن المقام بمكانه فلم يقبل فلمّا جاء الشتاء ونزل الثلج مكثوا حتّى سكن الثلج ثمَّ أتوه وهو بمدينة « طرون »[١] فحصروه بها فخرج إليهم من المدينة فقاتلهم فقتلوه وكلَّ من قاتل معه، وأمّا من لم يقاتل معه فقالوا له : انزع ثيابك وانج بنفسك عرياناً ففعلوا ومشوا حفاةً عراةً فهلك أكثرهم من البرد وسقطت أصابع كثير منهم ونجوا، وكان ذلك في رمضان، وكان يوسف قبل ذلك قد فرَّق أصحابه في رساتيق عمّاله فوجَّه إلى كلِّ طائفة منهم طائفة من البطارقة فقتلوهم في يوم واحد، فلمّا بلغ المتوكّل خبره وجَّه بغا الكبير إليهم طالباً بدم يوسف فسار إليهم على الموصل والجزيرة فبدأ بأرزن[٢] وبها موسى بن زرارة وله إخوته إسماعيل وسليمان وحمد وعيسى ومحمَّد وهارون فحمل بغا موسى بن زرارة إلى المتوكّل وأباح على قتله يوسف فقتل منهم زهاء ثلاثين ألفاً وسبى منهم خلقاً كثيراً فباعهم.

وهناك جمعٌ آخرون من النصارى مدح أمير المؤمنين عليه السلام منهم: شاعرهم زينبا بن إسحق الرسعني الموصلي النصراني.

ذكر له البيهقي في [المحاسن والمساوىء] ج ١ ص ٥٠، والزمخشري في [ربيع الأبرار]، وأبو حيّان في تفسيره [البحر المحيط] ج ٦ ص ٢٢١،

---

(١) موضع بارمينية.

(٢) أرزن: مدينة من أرباض أرمينية.

وأبو العبّاس القسطلاني في [المواهب اللدنيّة]، وأبو عبد الله الزرقاني المالكي في [شرح المواهب] ج ٧ ص ١٤، والمقري المالكي في [نفح الطيب] ج ١ ص ٥٠٥. والشيخ محمّد الصبّان في [إسعاف الراغبين] ص ١١٧ نقلاً عن إمامهم أبي عبد الله محمّد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي[1] قوله[2]:

عديٌّ وتيمٌ لا أُحاول ذكرها ... بسوءٍ ولكنّي محبٌّ لهاشمِ
وما تعتريني في عليّ ورهطه ... إذا ذكروا في اللّه لومة لائمِ
يقولون: ما بال النصارى تحبّهم ... وأهل النهى من أعرب وأعاجمِ ؟!
فقلت لهم: إنّي لأحسب حبَّهم ... سرى في قلوب الخلق حتى البهائمِ

وذكر الخطيب الخوارزمي في المناقب ص ٢٨، وابن شهرآشوب في مناقبه ج ١ ص ٣٦١، والأربلي في كشف الغمّة ص ٢٠ لبعض النصارى قوله:

عليٌّ أمير المؤمنين صريمة ... وما لسواه في الخلافة مطمعُ
له النسب الأعلى وإسلامه الذي ... تقدَّم فيه والفضائل أجمعوا
بأنَّ علياً أفضل الناس كلّهم ... وأورعهم بعد النبيّ وأشجعُ
فلو كنت أهوى ملّة غير ملّتي ... لما كنت إلّا مسلماً أتشيَّعُ

وذكر شيخنا عماد الدين الطبري في الجزء الثاني من كتابه « بشارة المصطفى » لأبي يعقوب النصراني قوله:

يا حبَّذا دوحة في الخلد نابتةٌ ... ما في الجنان لها شبه من الشجرِ
المصطفى أصلها والفرع فاطمةٌ ... ثمَّ اللقاح عليٌّ سيِّد البشرِ
والهاشميّان سبطاها لها ثمرٌ ... والشيعة الورق الملتفّ بالثمرِ
هذا مقال رسول اللّه جاء به ... أهل الروايات في العالي من الخبرِ
إنّي بحبِّهمُ أرجو النجاة غداً ... والفوز مع زمرة من أحسن الزمرِ

---

(١) رضي الدين المولود سنة ٦٠١ والمتوفّى سنة ٦٨٤ والمترجم في نفع الطيب ج ١ ص ١٥٠٥ .
(٢) وذكره له شيخنا الفتال في «روضة الواعظين» ص ١٤٣، وابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ص ٢٣٧.

أشار بها إلى ما أخرجه الحفّاظ[1] عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: أنا الشجرة، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنّة عدن وسائر ذلك في سائر الجنّة.

هذا لفظه عند العامّة وأمّا عند مشايخنا فهو: خُلق الناس من أشجار شتّى وخُلقتُ أنا وعليٌّ بن أبي طالب من شجرة واحدة، فما قولكُم في شجرة أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وعليٌّ لقاحها، والحسن والحسين ثمارها، وشيعتنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها ساقته إلى الجنّة، ومن تركها هوى في النار.

وممّن مدحه عليه السلام من متأخّري النصارى عبد المسيح الأنطاكي المصري بقصيدته العلويّة المباركة ذات ٥٥٩٥ بيتاً ومنها قوله ص ٥٤٧ فيما نحن فيه:

للمرتضى رتبةٌ بعد الرّسول لدى	أهل اليقين تناهت في تعاليها
ذو العلم يعرفها ذو العدل ينصفها	ذو الجهل يسرفها ذو الكفر يكميها
وإنَّ في ذاك إجماعاً بغير خلا	فٍ في المذهب مع شتّى مناحيها
وإن أقرَّ بها الإسلام لا عجب	فإنّه منذ بدء الوحي داريها
وإن تنادى جموع المسلمين بها	فقد وعت قدرها من هدي هاديها
بل جاوزتهم إلى الأغيار فانصرفت	نفوسهم نحوها بالحمد تطريها
وذي فلاسفة الجحّاد معجبة	بها وقد أكبرت عجباً تساميها
وردَّدت بين أهل الأرض مدحتها	فيه وقد صدقت وصفاً وتشبيها
كذا النصارى بحبِّ المرتضى شغفت ألبابُها	وشدت فيه أغانيها
فلست تسمع منها غير مدحته الغـ	ـراء ما ذكرته في نواديها
ـارجع لقسّانها بين الكنائس مع	رهبانها وهي في الأديار تأويها

(١) الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ص ١٦٠، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٨، ومحب الدين في «الرياض» ج ٢ ص ٢٥٣، وابن الصباغ «في الفصول» ص ١١، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٢٢.

تجـد محبَّتـه بـالاحتـرام أتت نفـوسهـا ولـه أبـدت تصبّيهـا
وانظر إلى الديلم الشجعان خائضة الحـروب والترك في شتّى مغازيها
تلف استعاذتها بالمرتضى ولقد زانت بصورته الحسنا مواضيها
وآمنت أنّ ترصيع السيوف بصو رة الوصيِّ ينيل النصر منضيها

وفي الآونة الأخيرة نظم الأستاذ بولس سلامة قاضي امّة المسيح ببيروت، بعدما قرأ كتابنا هذا « الغدير » قصيدته العصماء تحت عنوان « عيد الغديـر » في ٣٠٨٥ بيتاً، وفيها تحليلٌ وتدقيق، وإعرابٌ عن حقائق ناصعة. وجريٌ مع التاريخ الصحيح، طبعت في ٣١٧ صفحة.



نعرات الجاهلية الأُولى

﴿إنَّ الذين ارتدّوا عَلى أدبارهم من بَعدِ ما تبيَّن لَهم الهُدى الشَّيطانُ سوَّل لَهم وأملى لَهم﴾

سورة محمد: الآية ٢٥

ربما يجد الباحث في بعض تآليف المستشرقين في التاريخ الإسلامي رمزاً من النزاهة في الكتابة والأمانة في النقل وخلوَّ كلِّ محكيٍّ عن أيِّ مصدر (هبه غير وثيق) من التحريف والتصرُّف فيه، وتجرُّده عن سوء صنيع الكتبة، وبعده من الإستهتار، وهذا جمال كلّ تأليف وشأن كلّ مؤلِّف مهما كان شريف النفس، وهو حقُّ كلِّ رائد، والرائد لا يكذب أهله.

غير أنَّ في القوم من ألّف وسخف فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانـوا يجحدون بـآيات الله وحـاق بهم ما كـانوا بـه يستهزئون. فكأنَّ الجهل لم يمت بعدُ وقد مات أبو جهل، ولهب الضلال لم يخمد بعدُ وقد اتّقد أبو لهب في درك الجحيم، وكأنَّ الدنيا ترجع إلى ورائها القهقرى، وعاد الإسلام كشمس كادت تكون صلاءً[١].

جاء من القوم بعد لأيٍ مِن الدهر مَن يدعو الناس إلى الجاهليَّة الاولى وإلى حميَّتها البائدة، ولا بُقيا للحميَّة بعد الحرائم[٢] نهض يبشِّر عن مسيح مركَّب من طبيعتين: (إلّهيَّة وبشريَّة) ويحسب نفسه قد أبهر في تأليفه وأتى بأمر جديد، فأخذ كالمتفلسف يتتعتع ويتلعثم، ويحرِّف الكلم عن مواضعه، ويُؤوِّل الكتاب الكريم برأيه الضئيل، ويتحكَّم في الحديث بفكرته الخائرة، ويرى النبيَّ

(١) مثل يضرب في قلة الانتفاع بالشيء.

(٢) الحريمة ما فات من كل مطموع فيه.

الأعظم من المبشِّرين بنصرانيَّته الصحيحة التي ليست هي إلاّ الضَّلال المحض، وهو مع ذلك مائنٌ في نقله، خائنٌ في حكايته، غاشٌّ في نصحه، مدنِّسٌ في كتابته، مهاجمٌ على قدس صاحب الرِّسالة مجانبٌ عن الحقِّ والحقيقة، كلّ ذلك باسم كتاب « حياة محمَّد ».

ألا وهو الأستاذ إميل در منغم.

إنَّ الرجل لمّا شاهد أنَّ الإسلام علا هتافه اليوم، ودوَّخ أرجاء العالم صيته، وأطلَّت سماؤه على الأرض كلّها شرقاً وغرباً، وشعَّ نوره في كلِّ طللٍ ووهَد، وعمَّت أشعَّته كلّ طارفٍ وتليد، وملأ الكون صراخ قومه بالثناء البالغ على الإسلام المقدَّس ونبيِّه الأقدس، وكثر إعجابهم بكتابه السماويِّ، وقانونه الاجتماعيِّ، وشرعه السويِّ، وحكمه السياسيِّ، ودستوره الإصلاحيِّ، ومشعبه الحقِّ المشعب:

عزَّ عليه كما عزَّ على سلفه الغوغاء أن يشاهد هذا السلطان العالميَّ العظيم، وهذه السيطرة الباهرة، وهذه الشرعة العادلة الجبّارة القاهرة للأكاسرة والتابعة والقياصرة والفراعنة، الحاكمة على آراء الأقباط والأقسَّة وآباء الكنائس وزعماء البيع ومعتقداتهم.

عزَّ عليه أن يرى في بيئته الغربيَّة بزوغ الإسلام الشرقيِّ، وتنوُّر أفكار المثقّفين من قومه بلمعات القرآن العربيِّ المجيد، وانتشار معارف الإسلام الخالدة في عواصم أوروبا كالسيل الجارف لأُصول الضَّلال، وأهواء الغرب، وما هناك من فساد الخلائق، ومضلاّت البدع.

عزَّ عليه أن يسمع بأُذنيه من قلب العالم الأوروبيِّ بألسنة فلاسفتها نداء أنَّ محمَّداً قاوم الوثنيَّة بعزم واحد طول الحياة ولم يتردَّد لحظة واحدة بينها وبين عبادة الواحد الأحد[1].

---

(١) كلمة الكونت هنري دي كاستري.

أو أن يسمع عن آخر منهم وهو ينادي: إنَّ القرآن هو القانون العامّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو صالحٌ لكلِّ مكان وزمان[١].

أو أن يسمع عن ثالث من قومه وقد ملأ الدنيا صوته وهو يقول: استقرَّت قواعد الإسلام على أساس مكين من الآيات البيِّنات التي أُنزلت تباعاً وكان ختامها: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا[٢]﴾**.

أو أن يسمع بأُذنيه القرآن العزيز وهو يُتلى في الإذاعات كلّ يوم بكرةً وعشيّاً، وتقرع آيه مسامع خلق الدنيا دون كتاب قومه وكتاب أيِّ ملّة.

ونادى لسان الكون في الأرض رافعاً عقيرته في الخافقين ومنشدا
: أعبّاد عيسى إنَّ عيسى وحزبه وموسى جميعاً يخدمون محمّدا[٣]

فهناك تعصَّب الرجل وتشزَّر، وشزر إلى الإسلام وكتابه ونبيِّه، ونظر إليها بصدر عينه[٤] وتشذَّر للدفاع عن نحلته والذبِّ عن مبدئه الباطل، فعلى نحيمه بصدرٍ واغر على الحقِّ، وهو يشوب ولا يروب[٥] وشرع يدعو إلى النصرانيَّة باسم الإسلام وحياة محمَّد، ويرى النبيَّ محمَّداً جاء بكتاب عربيٍّ كما لو كان نصرانيّاً ذاكراً أنَّه واحدٌ من الأنبياء ص ١٠٠ .

ويرى للنصرانيَّة أثراً في محمَّد ويزعم أنَّ النصارى قد أيقظت شعور النبيِّ الدينيِّ قبل بعثه ص ١٠٠ . ويجد في القرآن اصول النصرانيَّة ص ١٠٦ .

ويرى تأييد روح القدس لعيسى ذاتيّاً دون موسى ومحمَّد.

ويعتقد لعيسى من عصمة ما لم تكن لمحمَّد ويراه قد جاء في القرآن[٦]

---

(١) كلمة مسيو سنايس.

(٢) كلمة الدكتور نجيب الأرمنازي.

(٣) من أبيات للشاعر المفلق أبي الوفاء راجح الحلّي المتوفّى ٢٦٧ .

(٤) مثل مشهور يضرب.

(٥) الشوب: الخلط. والروب: الإصلاح. مثل يضرب.

(٦) ليته دلنا على الآية الدالة عليه.

ويرى النصرانيَّة تشمل الإسلام وتضيف إليه بعض الشيء ١١٨ .

ويرى المسيح ابن الله الوحيد بمعنىً عرفانيٍّ يُلائم الذوق الخرافيَّ ١١٠ .

ويرى القرآن يدعو إلى النصرانيَّة الصحيحة وهو القول بأُلوهيَّته وبشريَّته وكون الطبيعتين فـي شخص واحد ١٠٧ ؛ ١١٢ .

ويعزو آراءه السخيفة جلّها إلى القرآن المقدّس، ويرى القرآن لم يُحِطْ بكلِّ ما هو حقٌّ في الأمر ١٠٩ .

ويرى آخر مصحف اعتمد عليه صنع الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وإمكان تلاوة المصحف الشريف على غير ما هو عليه .

ويرى علماء التوحيد قائلين بأُلوهيَّة المسيح ١٠٩ .

ويرى الهوَّة بين المسلمين والنصارى نتيجة سوء التفاهم .

ويرى التباعد بين الملّتين من فكرة مفسِّري القرآن وعلماء الإسلام .

ويرى العقل والتاريخ يستغربان عدم صلب المسيح .

ويرى اعتقاد المسلمين بعدم صلب المسيح بـاطلاً والآيـة الدالّـة عليه غامضة ١١١ .

ويؤوِّل قوله تعالى : ﴿وما قَتلوه وما صَلبوه ولكن شُبِّه لهم﴾ . بما يلائم تعاليم النصرانيَّة ١١٢ .

ويعدّ من ضلال جـزيرة العـرب إنكار أُلـوهيَّة المسيـح والقول ببشـريَّته فحسب ١١٣ .

ويرى النبيَّ قد وضع نفسه فوق جميع المعتقدات ما دام على غير علم بالنصرانيَّة الصحيحة ١١٤ .

ويعبِّر عن النبيِّ الأعظم بـ(البدويِّ الحمس) ١١٥ .

فهذه جملة من خرافاته الراجعة إلى التبشير والدعوة إلى النصرانيَّة ، وبها

يقف البـاحث على غاية الكاتب وقيمـة كتابـه، ويعرف أنّـه يحطُّ في هواه، ويحطب في حبله[١] جاهلاً بأنّ حماة الدين (دين البدويِّ الحمس) نابهـون يحومون حول الحمى، ويعرفون حول الصلبان الزمزمة[٢] ويدافعون عن بيضة الإسلام المقدَّسة كلَّ سخبٍ وصخبٍ ولغطٍ وكذب وإفكٍ وقول زور؛ وينزِّهون ساحته عن أرجاس الجاهليَّة وأنجاسها، ﴿**إنَّما يفتري الكذب الَّذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون**[٣]﴾.

ولو أردت الوقوف على الحقيقة في كلِّ ما لفَّقه الرجل من إفكٍ شـائنٍ فعليك بكتاب الهدى إلى دين المصطفى، وكتاب الرحلة المدرسيَّة وغيرهما من تآليف شيخنا العلم المجاهد الحجَّة الشيخ محمَّد جواد البلاغي النجفي وما ألَّفه غيره من أعلام الامَّة.

تسافل الشرق أو انحطاط العرب

لا أحسب أنَّ بسطاء الامَّة الإسلاميَّة فضلاً عن أعلامهـا تخفى عليهم الغايات المتوخّاة في أمثال هذه الكتب المزوَّرة، ولا تأمرهم أحلامهم قطُّ بنشر ما خطَّته تلكم الأقلام المستأجرة لـزعانفـة الجاهليَّـة، ولا يحسب أيُّ حامـل حساسات الحيابين جنبيه أنَّ في تلكم التآليف فائدة طائلة قصرت عنها يد الشرق التي هي عاصمة علم الدنيا، ومرتكز لواء كلِّ فضيلة ومحمدة اجتماعيَّة.

ولا يهجس في خلد أيِّ محنَّك أنَّ في طيِّ تلكم الكلم مقيلاً من ظـلِّ الحقيقة، أو أنَّ أحداً من اولئك الأساتذة المستشرقين قد أتى بفكرةٍ صـالحةٍ جديدةٍ في إصلاح المجتمع من شؤون اجتماعيَّة، أخلاقيَّة، سياسيَّة، أدبيَّـة. روحيَّة لم يأت بها نبيُّ الإسلام في كتابه وسنّته، حاشا نبيّ الإصلاح المبعوث لتتميم مكارم الأخلاق.

---

(١) مثل سائر.

(٢) مثل يضرب لمن يروم الشي ولا يظهر مرامه.

(٣) سورة النحل: آية ١٠٥.

فما حاجة الامَّة العربيَّة الآخذة بناصية الشرق إلى ترجمة هـذه التآليف الفارغة عن أدب الدين، أدب العلم، أدب النزاهة، أدب العفَّة، أدب الصدق والأمانة، أدب الحقِّ والحقيقة؟!.

وما هذا الانحطاط والتسافل البالغ في العروبة، وقد أصبحت « العياذ بالله » في مسيس الحاجة إلى هذه الكتب المخزية تأليف كلِّ خائرٍ بائرٍ، تأليف من صفرت يداه عن كلِّ خير، والضلال سجيّته وقرواه؟!.

كيف تفتقر الامَّة الإسلاميَّة (ولا تفتقر ولن تفتقر) إلى تلك الكتب؟! ولها كتابها العربيُّ المقدَّس، كتابها الاجتماعيُّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كتابها الذي لا ريب فيه، هدىً للمتَّقين، كتابها الباحث عن الآداب الاجتماعيَّة وشؤون الصالح العام التي قوامها الحكمة، وأساسها العدل والإحسان، وجامعها العفَّة والقداسة والحنان.

وكيف تفتقر وهي حاملة السنَّة النبويَّة؟! تلك السنَّة الطافحة بغرر الحكم الاجتماعيَّة، والأحكام الحقوقيَّة، والجزائيَّة، والمدنيَّة، والدفاعيَّة، وما به انتظام الكون في قمع المظالم، وصيانة الحقوق، ودستور المعاش والمعاد، وحفظ الصحَّة، والمصالح العامَّة، ومباني الترقّي، ومنقذات البشر من مخالب الجهل والضلال، ودروس التقدُّم في عالم الرشد والصلاح.

تلك السنَّة المؤسَّسة للحياة السياسيَّة، وروح الوحدة الاجتماعيَّة، والجوامع الأخلاقيَّة، والفضائل النفسيَّة، والحقوق النوعيَّة والشخصيَّة التي عليها مدار نظام حياة النوع الإنساني، وتدبير شؤون المجتمع البشريِّ في جميع أدوار الدنيا، وقرونها المتكثِّرة.

وكيف تفتقر؟! وبين يديها برنامج الإصلاح الحيويِّ المشتمل لموجبات الأمن والدعة والسلام والوئام والنزوع إلى كلِّ صالح، والانحياز عن كلِّ ما يفكّك عُرى المدنيَّة الصحيحة، والحضارة الراقية، والدين المبين، ألا وهو كتاب نهج البلاغة (للإمام أمير المؤمنين تأليف الشريف الرضي) الذي تراه

فلاسفة الدنيا دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق.

يا امه اثكليه

هلمَّ معي أيّها الشرقيُّ الإسلاميُّ نسائل أستاذ فلسطين محمَّد عادل زعيتر [وهو يدبُّ مع القراد[1] وقد أساء القول وأساء العمل] عن ترجمة هذا الكتاب [حياة محمَّد] الطافح بالضَّلال.

نسائله عن جنايته الكبيرة على الامَّة العربيَّة بقوله في مقدِّمة ترجمته: قد تجنّى المستشرقون على الحقائق في سيرة الرسول الأعظم لا ريب، وقد كان تجنّيهم هذا عاملاً في زهد كتّاب العرب عن نقل ما ألفوه إلى العربيَّة على ما يحتمل، ولكن عطل اللغة العربيّة من ذلك يُعدُّ نقصاً في حركتنا العلميَّة على كلِّ حال.

كيف عطل اللغة العربيَّة ممّا جنته يد الجاهليَّة وقد تجنَّت على الحقائق يُعدُّ نقصاً في حركتنا العلميَّة التي تدور مع الكتاب والسنَّة؟! وهما مدار علم العالم، وبصيرة كلّ متنوِّر، ومرمى كلّ مثقَّف، وضالة كلّ حكيم، ومقصد كلّ فيلسوف شرقيّ أو غربيّ. وهذا نفس المؤلِّف يقول في مقدِّمة الكتاب: وأهم المصادر لتبيان حياة محمَّد هو القرآن وكتب الحديث والسيرة، والقرآن أصحّ هذه المصادر وإن كان أوجزها.

ليته كان يتبع كتّاب العرب في زهدهم عن نقل ما ألفته يد الضلال إلى العربيّة، ويتوقّى قلمه عن نشر كلم الفساد في المجتمع الإسلاميِّ من دون أيّ تعليق عليها، وأيّ تنبيه للقارىء بفسادها وهو يقول: لا يظنّ القارىء أنّني أُشاطر المؤلِّف جميع ما ذهب إليه من الامور التي أرى الحقيقة غابت عنه في كثير منها.

اثكليه يا امَّه؟ بأيّ ثمن بخس أو خطير باع شرف أمّته، وعزَّ نحلته، وعظمة قومه، وقداسة كتابه وسنَّته؟!.

---

(١) مثل يضرب للرجل الشرير.

ولأيٍّ مرمىً بعيد جعل نفسه مع [اميل در منغم] في بردة أخماس[١]؟!
وجاء يعاند الإسلام بنشر تلكم الأباطيل والأضاليل المضادَّة مع نحلته، ويشوِّه سمعة مصره العزيزة، وجامعها الأزهر، وأساتذتها النزهاء، وكتّابها القادرين بنشر تلك التافهات المضلّة في مطابعها المأسوف عليها وهو يقـول في المقدِّمـة: المؤلِّف مع ما ساده من حسن النيّة لم تخل سوانحه وآراؤه من زلّات.

ليتني أدري وقومي: ما حاجتنا إلى حسنُ نيّة مؤلّه المسيح عيسى بن مريم وجاعله ابن الله الوحيد؟! وما الّذي يُعرب عن حسن نيّته؟! وكلّ صحيفة من كتابه أهلك من ترَّهات البسابس[٢] وقلّت صحيفة ليست فيها هنات تنمّ عن سوء طويَّته، وفساد نيَّته، وخبث رأيه.

نعم: والّـذي أراه « والمؤمن ينظر بنـور الله » أَنَّ المترجم راقـه ما في الكتاب من الأكاذيب والمخاريق المعربة عن النزعات والأهواء الأمويّة فبذلك غدا الذئب للضبع[٣] وجاء وقد أدبر غريره وأقبل هريره[٤] ووافق شنٌّ طبقة .

نعم: راقه سلقه أهل بيت النبيِّ الطاهر بسقطات القول وكذب الحديث وسرد تاريخ مفتعل يمسُّ كرامة النبيِّ الأقدس وناموس عترته ممّا يلائم الروح الأمويَّة الخبيثة، ويمثِّل آل الله للملأ بصورة مصغَّرة، ويشوِّه سمعتهم بمـا لا يتحمَّله ناموس الطبيعة، وشرف الإنسانيَّة، من شراسة الخلق، وسيّىء العشرة، وقبح المداراة. قال:

كانت فاطمة عابسةً دون رقيَّة جمالاً، ودون زينب ذكاءً، ولم تدار فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر أنَّ عليَّ بن أبي طالب ذكر اسمها، وكانت فاطمة تعدُّ عليّاً دميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، وما كان عليٌّ أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه مع ذلك ص ١٩٧.

---

(١) ضرب من برود اليمن. وهو مثل يضرب للرجلين تحذ. وتقاربا ءفعلا فعلا ءاحدا .
(٢) الترهات: الطرق الصغار. البسابس جمع بسبس: الصحراء الواسعة.
(٣) مثل يضرب لقريني سوء.
(٤) الغرير: الخلق الحسن. الهرير ما يكره من سوء الخلق.

وكان عليٌّ غير بهيِّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين وانخفاض قصبة أنفه وكبر بطنه وصلعه، وذلك كلّه إلى أنَّ عليّاً كان شجاعاً تقيّاً صادقاً وفياً مخلصاً صالحاً مع توانٍ وتردّد. . .

وكان عليٌّ ينهت فيستقي الماء لنخيل أحد اليهود في مقابل حفنة تمر فكان إذا ما عاد بها قال لزوجته عابساً: كلي وأطعمي الأولاد. . .

وكان عليٌّ يحرد بعد كلِّ منافرة ويذهب لينام في المسجد وكان حموه يُربِّته على كَتفه ويعظه ويُوفِّق بينه وبين فاطمة إلى حين، وممّا حدث أن رأى النبيّ ابنته في بيته ذات مرَّة وهي تبكي من لكم عليٍّ لها.

إنَّ محمَّداً مع امتداحه قدم عليّ في الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه .وكان صهرا النبيِّ الأمويّان: عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر مداراةً للنبيِّ من عليٍّ. وكان عليٌّ يألم من عدم عمل النبيِّ على سعادة ابنته، ومن عدّ النبيِّ له غير قوّامٍ بجليل الأعمال، فالنبيُّ وإن كان يفوِّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنَّب تسليم قيادةٍ إليه. ص ١٩٩.

وأسوأ من ذلك ما كان يقع عند مصاقبة عليٍّ وفاطمة لعدوّاتهما أزواج النبيِّ وتنازع الفريقين، فكانت فاطمة تعتب على أبيها متحسرةً لأنّه كان لا ينحاز إلى بناته.

إلى غير ذلك من جنايات تاريخيَّة سوَّد بها الرجل صحيفة كتابه.

ما أساء من أعقب

أنا لا ألوم المؤلِّف - جدع الله مسامعه - وإن جاء بأُذني عناق[١] إذ هو من قوم حناق على الإسلام، وهو مع ذلك جرفٌ منهال وسحابٌ منجال[٢] ينمُّ كتابه عن عُجَره وبجَره. وإنَّما العتب كلّ العتب على المترجم الجاني على الإسلام

(١) أي جاء بالكذب والباطل، مثل سائر.

(٢) مثل يضرب. يراد أنه لا يطمع في خيره.

والشرق والعرب ـ وهو يحسب نفسه منها ـ نعم: جذب السوء يلجىء إلى نجعة سوء[١] والجنس إلى الجنس يميل.

كلّ ما في الكتاب من تلكم الأقوال المختلفة، والنسب المفتعلة إن هي إلاّ كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتضادّ ما أصفقت عليه الامّة الإسلاميّة، وما أخبر به نبيّها الأقدس.

هل تناسب تقوّلاته في فاطمة مع قول أبيها صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة حوراء إنسيّة كلمّا اشتقتُ إلى الجنّة قبّلتها[٢]؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ابنتي فاطمة حوراء آدميّة[٣] ؟! .

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة هي الزهرة[٤]؟!.

أو قول امّ أنس بن مالك؟!: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدِّ الناس برسول الله ﷺ شبهاً، والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ[٥]
فكأنّها فيه نهارٌ مشرقٌ وكأنّه ليلٌ عليها مظلمُ[٦]

ولقبها الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليّة الحال.

وهل يساعد تلك التحكّمات في ذكاء فاطمة وخلقها قول امّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها: كانت فاطمة تحدّث في بطن امّها، ولمّا ولدت فوقعت

---

(١) مثل دائر. يعني أن الامور كلها تتشاكل في الجودة والرداءة .
(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٥ ص ٨٦.
(٣) الصواعق ص ٩٦، اسعاف الراغبين ص ١٧٢ نقلاً عن النسائي.
(٤) نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٢.
(٥) جثل الشعر: كثر والتفّ واسودّ فهو جثل. سحم فهو أسحم: اسود.
(٦) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٦١.

حين وقعت على الأرض ساجدةً رافعةً اصبعها[١]؟!.

أو يلائمها قولُ عائشة: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً ودلّاً وهدياً وحديثاً برسول الله في قيامه وقعوده من فاطمة، وكانت إذا دخلت على رسول الله قام إليها فقبّلها ورحّب بها، وأخذ بيدها وأجلسها في مجلسه[٢]؟!.

وفي لفظ البيهقي في السنن ج ٧ ص ١٠١: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله ﷺ. الحديث.

وهل توافق مخاريقه في الإمام عليّ صلوات الله عليه، وعدم بهاء وجهه، وعدُّ فاطمة له دميماً وكونه عابساً مع ما جاء في جماله البهيِّ: إنّه كان حسن الوجه كأنّه قمر ليلة البدر، وكأنَّ عنقه إبريق فضّة[٣] ضحوك السنِّ[٤] فإن تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم[٥]؟!.

وأين هي من قول أبي الأسود الدؤلي من أبيات له؟!:

إذا استقبلتَ وجه أبي ترابٍ رأيتَ البدر حار الناظرينا[٦]

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله فالناس أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً: إنّه لدميمُ

أَوَ يخبرك ضميرك الحرّ في عليّ ما سلقه الرجل به من (التواني

---

(١) سيرة الملا، ذخائر العقبى ٤٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٧.
(٢) أخرجه الحافظ ابن حبان كما في ذخائر العقبى ٤٠ والحافظ الترمذي وحسنه، والحافظ العراقي في التقريب كما في شرحه له ولابنه ج ١ ص ١٥٠، وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٣، وابن طلحة في مطالب السئول ص ٧، إسعاف الراغبين ١٧١.
(٣) كتاب صفين ٢٦٢، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٩، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٤.
(٤) تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي.
(٥) حلية الأولياء ج ١ ص ٨٤، تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٥، المحاسن والمساوىء ج١ ص ٣٢.
(٦) تذكرة السبط ص ١٠٤.

والتردُّد)؟! وعليٌّ ذلك المتقحّم في الأحوال، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب؛ وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلّ نازلة وكارسة منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه وفداه بنفسه، إلى أن سكن مقرَّه الأخير.

أليس عليٌّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿**أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ومن النّاس مَن يشري نفسه ابتغاء مَرضاةِ الله**[1]﴾.

فمتى خلى عليٌّ عن مقارعة الرجال والذبِّ عن قدس صاحب الرِّسالة حتى يصحّ أن يُعزى إليه توان أو تردّد في أمر من الامور؟! غير أنَّ القول الباطل لا حدَّ له ولا أمد.

وهل يتصوَّر في أمير المؤمنين تلك العشرة السيِّئة مع حليلته الطاهرة؟! والنبيُّ يقول له: أشبهتَ خَلقي وخُلقي وأنت من شجرتي الّتي أنا منها[2].

وكيف يراه النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أفضل امَّته أعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً، ويقول: عليٌّ خير امَّتي أعلمهم علماً وأفضلهم حلماً[3]؟!.

ويقول لفاطمة: إنّي زوَّجتكِ أقدم امَّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً[4]؟!.

ويقول لها: زوّجتكِ أقدمهم سلماً، وأحسنهم خُلقاً[5]؟!.

يقول هذه كلّها وعشرته تلك كانت بمرأى منه ومسمع، أفك الدجّالون، كان عليٌّ عليه السلام كما أخبر به النبيُّ الصّادق الأمين.

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٧٢

(٢) تاريخ بغداد للخطيب ج ١١ ص ١٧١.

(٣) الطبري، الخطيب،الدولابي ،كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، ٣٩٢، ٣٩٨.

(٤) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤، ذخائر العقبى ص ٧٨، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠١، ١١٤ وصححه ووثق رجاله.

(٥) أخرجه أبو الخير الحاكمي كما في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٢.

وهل يقبل شعورك ما قذف به الرَّجل [فضَّ الله فاه] عليّاً بلكم فاطمة بضعة المصطفى؟! وعليٌّ هو ذاك المقتصّ أثر الرَّسول وملأ مسامعه قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: إنَّ الله يغضب لغضبكِ، ويرضى لرضاكِ(١).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم وهو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي بضعةٌ منّي، هي قلبي وروحي التي بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني(٢).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها(٣).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، فمن أغضبها فقد أغضبني(٤).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: فاطمة بضعةٌ منّي، يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها(٥).

وهل يقصر امتداح النبيّ عليّاً بقدم إسلامه؟! حتّى يتفلسف في سرِّه ويكون ذلك إرضاءً لابنته، على أنّ امتداحه بذلك لو كان لتلك المزعمة لكان يقتصر صلّى الله عليه وآله وسلم على قوله لفاطمة في ذلك وكان يتأتّى الغرض به، فلما ذا كان يأخذ صلّى الله عليه وآله وسلم بيد عليٍّ في الملأ الصحابيِّ تارةً

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه، ذخائر العقبى ص ٣٩، تذكرة السبط ١٧٥ مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٥٢، كفاية الطالب ص ٢١٩، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٢، كنوز الدقائق للمناوي ص ٣٠، أخبار الدول للقرماني هامش الكامل ج ١ ص ١٨٥، كنز العمال ج ٧ ص ١١١ عن الحاكم وابن النجار، تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ٤٤٣، الإصابة ج ٤ ص ٣٧٨، الصواعق ١٠٥، الإسعاف ١٧١ عن الطبراني، ينابيع المودة ١٧٣.

(٢) الفصول المهمة ١٥٠، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٨، نور الأبصار ص ٤٥.

(٣) صحاح البخاري ومسلم والترمذي، مسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٨، الخصائص للنسائي ص ٤٥، الاصابة ج ٤ ص ٣٧٨.

(٤) صحيح البخاري، خصائص النسائي ص ٣٥.

(٥) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٢٣، ٣٣٢، الصواعق ١١٢.

ويقول: إنَّ هذا أوَّل من آمن بي، وهذا أوَّل من يصافحني يوم القيامة؟ ولماذا كان يخاطب أصحابه اخرى بقوله: أوَّلكم وارداً عليَّ الحوض أوَّلكم إسلاماً عليّ بن أبي طالب؟!.

وكيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم بإحسان فطفقوا يمدحونه عليه السَّلام بهذه الأثارة كما يروى عن سلمان الفارسي. أنس بن مالك. زيد بن أرقم. عبد الله بن عبّاس. عبد الله بن حجل. هاشم بن عتبة. مالك الأشتر. عبد الله بن هاشم. محمَّد بن أبي بكر. عمرو بن الحمق. أبو عمرة عديّ بن حاتم. أبو رافع. بريدة، جندب بن زهير. امّ الخير بنت الحريش[١].

وهل القول بقلَّة التفات النبيِّ إلى عليٍّ يساعده القرآن الناطق بأنَّه نفس النبيِّ الطاهر؟! أو جعل مودَّته أجر رسالته؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث الطير المشويِّ الصحيح المرويِّ في الصحاح والمسانيد: اللّهمّ ائْتني بأحبِّ خلقك إليك ليأكل معي؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ عليّاً أحبّ الرجال إليَّ، وأكرمهم عليَّ، فاعرفي له حقَّه وأكرمي مثواه[٢]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أحبّ الناس إليَّ من الرجال عليٌّ[٣]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير من أتركه بعدي[٤]؟!.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: خير رجالكم عليُّ بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمَّد[٥]؟!

---

(١) سيأتي في هذا الجزء نص كلماتهم.
(٢) أخرجه الحافظ الخجندي كما في الرياض ج ٢ ص ١٦١، وذخائر العقبى ٦٢.
(٣) وفي لفظ: أحب أهلي. من حديث اسامة.
(٤) مواقف الايجي ج ٣ ص ٢٧٦، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٣.
(٥) تاريخ بغداد للخطيب ج ٤ ص ٣٩٢.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خير البشر فمن أبى فقد كفر[١]؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: من لم يقل عليٌّ خير الناس فقد كفر[٢]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: في حديث الراية المتَّفق عليه: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي بمنزلة الرأس (رأسي) من بدني أو جسدي[٣]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي بمنزلتي من ربّي[٤]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ أحبّهم إليَّ وأحبهم إلى الله[٥] ؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ: أنا منك وأنت منّي. أو: أنت منّي وأنا منك[٦]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي[٧]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث البعث بسورة البراءة المجمع على صحَّته: لا يذهب بها إلاّ رجلٌ منّي وأنا منه[٨] .

---

(١) تاريخ الخطيب عن جابر، كنوزالحقائق هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ٣ ص ١٩٢ عن ابن مسعود، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٩.

(٣) تاريخ الخطيب ج ٧ ص ١٢، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢، الصواعق ٧٥، الجامع الصغير للسيوطي، شرح العزيزي ج٢ ص٤١٧، فيض القدير ج٤، ٣٥٧، نور الأبصار ٨٠ مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

(٤) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٩١.

(٥) تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٦٠.

(٦) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٠٤، خصائص النسائي ٣٦ و٥١.

(٧) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٦ وأخرجه جمع من الحفاظ بإسناد صحيح يأتي.

(٨) خصائص النسائي ٨، راجع ج ١ ص ٤٨ من كتابنا.

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لحمك لحمي ودمك دمي والحقُّ معك[١]؟

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ما من نبيّ إلاّ وله نظير في امّته وعليٌّ نظيري[٢]؟

أو ما صحّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن امّ سلمة قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترىء أحدٌ أن يكلّمه غير علي[٣]؟

أو قول عائشة: والله ما رأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله من عليّ ولا في الأرض امرأة كانت أحبّ إليه من امرأته[٤] ؟ .

أو قول بريدة وأُبيّ: أحبُّ الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من النساء فاطمة ومن الرِّجال عليٌّ[٥]؟!

أو حديث جُميع بن عُمير؟ قال: دخلت مع عمَّتي على عائشة فسألت أيَّ الناس أحبّ إلى رسول الله؟! قالت: فاطمة. فقيل: من الرِّجال؟ قالت زوجها، إن كان ما علمت صوّاماً قوّاماً[٦].

وكيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يُقدِّم الغير على عليٍّ في الإلتفات إليه؟! وهو أوّل رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لَمّا اطّلع عليهم كما أخبرَ به صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة بقوله: إنَّ الله اطّلع على أهل الأرض فاختار منه أباك فبعثه نبيّاً، ثمَّ اطّلع الثانية فاختار بعلكِ فأوحى إليَّ

(١) المحاسن والمساوىء ج١ ص٣١، كفاية الطالب ص ١٣٥، مناقب الخوارزمي ٧٦، ٨٣، ٨٧، فرائد السمطين في الباب ٢ و٢٧.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٤.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٠، الصواعق ٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٦.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٤ وصححه، العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥، خصائص النسائي ٢٩، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦١.

(٥) خصائص النسائي ٢٩، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٥ صححه هو والذهبي، جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٢٧.

(٦) جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٢٧ ط هند، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٧، وجمع آخر.

فأنكحته واتّخذته وصيّاً[١].

وبقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إن الله اختار من أهل الأرض رجلين أحدهما أبوكِ والآخر زوجكِ[٢].

وإنّي لا يسعني المجال لتحليل كلمة الرجل: وكان صهرا النبيّ الأمويّان. إلخ: وحسبك في مداراة عثمان الكريم حديث أنس عن رسول الله لَمّا شهد دفن رقيَّة ابنته العزيزة وقعد على قبرها ودمعت عيناه فقال: أيّكم لم يُقارف الليلة أهله؟! فقال أبو طلحة: أنا. فأمره أن ينزل في قبرها.

قال ابن بطّال: أراد النبيُّ ﷺ أن يحرم عثمان النزول في قبرها وقد كان أحقّ الناس بذلك لأنَّه كان بعلها وفقد منها علقاً لا عوض منه لأنَّه حين قال عليه السَّلام: أيّكم لم يُقارف الليلة أهله؟! سكت عثمان ولم يقل: أنا لأنَّه قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهمُّ بالمصيبة وانقطاع صهره من النبيّ ﷺ عن المقارفة فحرم بذلك ما كان حقّاً له وكان أولى به من أبي طلحة وغيره. وهذا بيِّنٌ في معنى الحديث ولعلّ النبي ﷺ قد كان علم ذلك بالوحي فلم يقل له شيئاً لأنَّه فعل فعلاً حلالاً غير أنَّ المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله حتّى حرم ما حرم من ذلك بتعريض غير صريح. (الروض الانف ج ٢ ص ١٠٧).

وما عساني أن أقول في أبي العاص الذي كان على شركه إلى عام الحديبيَّة، وأُسر مع المشركين مرَّتين، وفرَّق الإسلام بينه وبين زوجته زينب بنت النبي صلّى الله عليه وآله وسلم ستَّ سنين، وهاجرت مسلمة وتركته لشركه، ولم ترد قطّ بعد إسلامه كلمة تُعرب عن صلته مع النبيِّ ومداراته له فضلاً عن مقايسته بعليٍّ أبي ذرِّيّته وسيِّد عترته.

---

(١) أخرجه الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري كما في إكمال كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٦٥ عن علي الهلالي.

(٢) المواقف للايجي ص ٨ راجع من كتابنا ج ٢ ص ٣١٨ ط ٢ .

وقد اتّهم الرَّجل نبيَّ الإسلام بعدم العمل على سعادة ابنته الطاهرة المطهَّرة بنصِّ الكتاب العزيز، ويقذف عليّاً بالتألّم من ذلك، وكان صلّى الله عليه وآله وسلم إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: يرحمكم الله إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً. وكان لم يزل يقول: فاطمة أحبّ الناس إليَّ.

ويقول: أحبُّ الناس إليَّ من النساء فاطمة.

ويقول: أحبُّ أهلي إليَّ فاطمة.

وكان عمر يقول لفاطمة: والله ما رأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله منكِ[١].

وما أقبح الرجل في تقوُّله على النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم بعدِّه لعليٍّ غير قوّام بجليل الأعمال. وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة بكلِّ حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفساً وأخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً ووارثاً ووليّاً بعده، وكان قائده الوحيد في كروبه ومغازيه، وهو ذلك الملقَّب بقائد الغرِّ المحجَّلين وحياً من الله العزيز في ليلة أسرى بنبيِّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[٢].

وأسوأ من ذلك كلّه عدُّ الرَّجل أزواج النبيّ عدوّات عليٍّ وفاطمة وقد ذكر تنازع عائشة معهما وامّ سلمة وبسط القول في ذلك بنقل حادثةٍ موضوعةٍ، وشكّل هناك حزبين منهنَّ: (دمقراطي) و(رستو دمقراطي)، وتقوّل بما يمسُّ ناموس النبيِّ وكرامة أزواجه امّهات المؤمنين، ويُمثِّل آل الله بكلِّ جلافة وسلافة.

ليت شعري كيف يروق المترجم عدُّ عائشة عدوَّةً لفاطمة وهي تقول: ما

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٥٠ وصححه.

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٨ وصححه، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧، شمس الاخبار ٣٩، اسد الغابة ج ١ ص ٦٩، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١.

رأيت أحداً قطّ أفضل من فاطمة غير أبيها أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح على شرط الشيخين كمافي شرح المواهب ج ٣ ص ٢٠٢ والشرف المؤبّد ص ٥٨ .

وهي كانت تقبّل رأس فاطمة وتقول: يا ليتني شعرة في رأسك (نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٧) .

وكيف يرتضي قومه نشر هذه القارصة والقرآن أوجب على الامّة مودّة العترة النبويّة[١] ومن المتسالم عليه بين المسلمين أنّ آية الإيمان والنّفاق في شرعة النبيّ المحبوب حبُّ عليّ وبغضه كما يأتي حديثه. وقد اتّفقت الامّة على ما مرَّ في حديث الغدير من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ: اللهمَّ وال مَن والاه، وعاد مَن عاداه. وصحّ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قوله: من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني، ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله[٢] وأخبر صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل أنّه أخبره بأنَّ السعيد كلّ السعيد من أحبَّ عليّاً في حياتي وبعد مماتي، ألا وإنَّ الشقيّ كلّ الشقيّ من أبغض عليّاً في حياتي وبعد مماتي[٣] .

وكيف خفي على هذا الرجل أنَّ عزو عداء سيِّد العترة وسيِّدتها إلى زوجات النبيِّ قذف مقذعٌ، وسبٌّ شائنٌ إن عُرض على محكمة العدل الإسلاميِّ وأُخذ بقوله صلّى الله عليه وآله وسلم في عترته: لا يُحبّهم إلّا سعيد الجدّ طيِّب المولد، ولا يبغضهم إلّا شقيّ الجدِّ رديء الولادة[٤] أو بما ورد من طريق الثقات من: أنَّ عليّاً لا يبغضه أحدٌ قطُّ إلّا وقد شارك إبليس أباه في رحم امّه[٥].

---

(١) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٣٥٦

(٢) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦١، ذخائر العقبى ٦٥، الإصابة ج ٣ ص ١٠٣، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٣) الرياض النضرة ج ٣ ص ٢١٥، الفصول المهمة ١٢٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢. كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٠، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٤) الرياض ج ٢ ص ١٨٩ .

(٥) تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٢٨٩ .

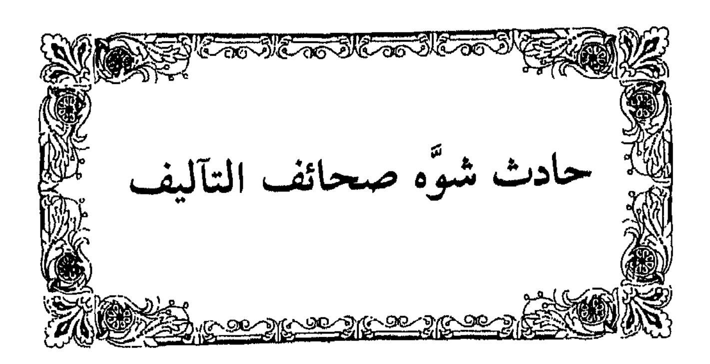
أو بما أخرجه الحافظ الجزري عن عبادة الصامت قال: كنّا نبور أولادنا بحبِّ علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فإذا رأينا أحدهم لا يحبُّ عليَّ بن أبي طالب علمنا أنَّه ليس منّا وأنّه لغير رشدة. ثمَّ قال الحافظ: وهذا مشهورٌ من قديم وإلى اليوم أنَّه ما يُبغض عليّاً رضي الله عنه إلاّ ولد زنا. (أسنى المطالب ص ٨).

هذه نبذٌ من مخاريق كتاب (حياة محمَّد) وكم لها من نظير حول القرآن وتحريفه، وهناك قذف الشيعة بما هي بريئةٌ منه، والعجب أَنَّ عادل زعيتر يحسب نفسه معذوراً في بثِّ هذه الأباطيل المضلّة في المجتمع بقوله في مقدِّمة الكتاب: وقد كنت أودُّ أن أُعلِّق عليها بعض حواش لو لم أر أنَّ ذلك يخرجني عن دائرة الترجمة.

أمن العدل سقاية روح الملأ الدينيِّ بهذه السموم القتّالة، والاعتذار بمثل هذا التافه؟! أهكذا خلق الإنسان جهولا؟!.

﴿إنَّ الّذين يُحبّون أنْ تَشيع الفاحشة في الّذين آمَنوا
لَهمْ عذابٌ أليمٌ في الدّنيا والآخرة﴾

سورة النور: آية ١٩



هناك فكرةٌ غير صالحة، وإن شئتَ قلت: بدعةٌ سيِّئةٌ فَتحت على الامَّة باب التقوُّل بمصراعيه، وعنها تتشعَّب شجنة الإفك في الحديث، وينبعث القول المزوَّر: وإليها تستند كلُّ بهرجة وسفسطة. ألا وهي: هذه الخطَّة الحديثة في التأليف، واتِّخاذ هذا الاسلوب الحديث الذي يروق بسطاء الامَّة ويسمّونه تحليلاً، ويرونه حُسناً في الكتابة.

هذه الفكرة هي التي خفَّت بها وطأة التأليف، وطأة حزونته، وكثر بذلك المؤلِّفون فجاءلفيف من النّاس يؤلِّف وكلٌّ منهم سلك وادي تضلّل[1] ولا يخفق على جرَّته[2] ويرمي القول على عواهنه، وينشر في الملأ ما ليس للمجتمع فيه درَك، فيتحكَّم في آرائه، ويكذب في حديثه، ويخون في نقله، ويحرِّف الكَلِم عن مواضعه، ويقذف من خالف نحلته، وينسبه إلى ما شاءه هواه، ويسلقه بالبذاء، ولا يكفِّف عنه لغبه.

هذه الفكرة هي التي جرَّت على الامَّة شية العار، ووصمة الشنار، ورمته بثالثة الأثافي، ومدَّت يد الفحشاء على التأليف، وأبدت في صفحاته وصمات سوء، فراح شرف الإسلام، وأدب الدين، وأمانة النقل، ومكانة الصدق، ضحيَّة الميول والشهوات، ضحيَّة الأهواء والنزعات الباطلة، ضحيَّة الأقلام المستأجرة.

---

(١) مثل يضرب لمن عمل شيئاً فأخطأ فيه.

(٢) مثل يضرب لمن يعجز عن كتمان ما في نفسه.

هذه الفكرة هي التي شوَّهت وجه التأليف، وجنت بها الأقلام، وولدت في القلوب ضغائن، فجاء المفسِّر يُؤَوِل القرآن برأيه، والمحدِّث يختلق حديثاً يوافق ذوقه، والمتكلّم يذكر فرقاً مفتعلة، والفقيه يُفتي بما يحبِّذه، والمؤرِّخ يضع في التاريخ ما يرتضيه، كلّ ذلك قولاً بلا دليل، وتحكّماً بلا بيِّنة، وتكلّماً بلا مأخذ، ودعوى بلا برهان، وتقوّلاً بلا مصدر، وكذباً بلا مبالاة، وإفكاً بلا تحاشٍ، ﴿**فويلٌ لهم ممّا كتبت أيديهم وويلٌ لهم ممّا يكسبون**﴾.

البقرة: الآية ٧٩

والقارىء يجد مثال هذه كلّها نصب عينيه في طيِّ كتاب الصراع بين الإسلام والوثنيَّة، والوشيعة في الردّ على الشيعة، وفجر الإسلام وضحاه وظهره، والجولة في ربوع الشرق الأدنى، والمحاضرات للخضري، والسنَّة والشيعة، والإسلام الصحيح، والعقيدة في الإسلام، وخلفاء محمَّد، وحياة محمَّد لهيكل، وفي مقدّمها كتاب «حياة محمَّد» لأميل در منغم.

فخلوُّ تأليف الشرقيِّ المسلم عن ذكر المصادر نسايةٌ للكتاب والسنَّة، وإضاعةٌ لأُصول العلم، وجنايةٌ على السلف؛ وتفويتٌ لمآثر الإسلام، ، وعملٌ مخدجٌ، وسعيٌ أبترُ، وليس من صالح الامَّة، ولا من صلاح المجتمع الإسلاميِّ، وسيأتيه يومٌ وهو يقرع سنَّ نادم.

وإن تأليفاً هو هكذا لا يمثِّل في علومه ومعارفه إلّا نفسيَّة مؤلِّفه وأنظاره ولا يراه القارىء إلّا كرواية لا تقوم إلّا بقائلها.

خذ إليك في موضوع واحد كتابين هما مثالان لأكثر ما ارتأينا في هذا البحث ألا وهما:

١ ـ كتاب الإمام عليّ تأليف الاستاذ أبي نصر عمر.

٢ ـ كتاب الإمام عليّ تأليف الاستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

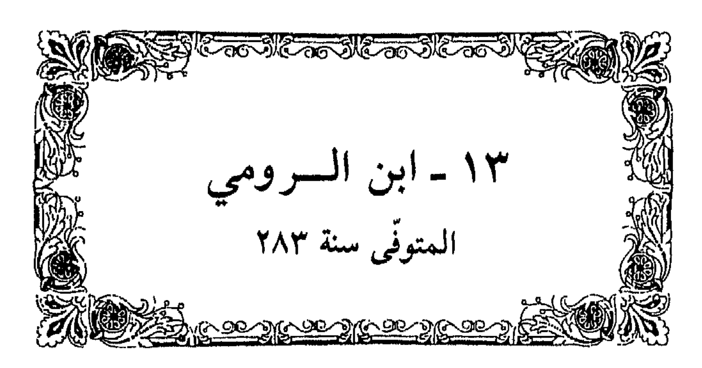
فهما على وحدة الموضوع والنزعة والبيئة والدراسة والهوى السائد طالما

اختلفا في الأبحاث والنظريّات، فهذا الأستاذ أبو نصر أخذ آراء الخضري الأمويَّة ومن يضاهيه فيها، وصبَّها في بوتقة تأليفه، فجاء في كتابه بكلِّ شنآء شوهاء التقت بها حلقة البطان.

وأمّا الأستاذ عبد الفتّاح فإنّه جدَّ وثابر على جهود جبّارة، وأخذ زبدة المخض من الحقائق الناصعة، غير أنَّه ضيَّع أتعابه بإهمال المصادر، فلم يأت كتابه إلّا كنظريَّة شخصيَّة، ولو ازدان تأليفه بذكرها في التعاليق وإرداف ذلك النقل الواضح بما ارتآه من الرأي السديد لكان أبلغ في تمثيل أفكار الجامعة، والإعراب عن نظريّات الملأ الدينيِّ، وإن كان ما ثابره الآن مشفوعاً بشكر جزيل.

﴿وَلَو أنَّهم فعلوا ما يُوعظون بِهِ لَكانَ خَيراً لَهُمْ وأشَدَّ تَثبيتاً﴾

سورة النساء آية ٦٦.



١٣ - ابن الـــرومي

المتوفّى سنة ٢٨٣

يا هند لم أعشق ومثلي لا يرى ... عشق النسـاء ديانـةً وتحـرُّجـا
لـكنّ حبّي لـلوصيِّ مـخيِّـمٌ ... في الصدر يسرح في الفؤاد تولّجا
فهو السِّراج المستنيـر ومَن به ... سببُ النجاة من العذاب لمن نجا
وإذا تركت له المحبَّة لم أجد ... يوم القيامة من ذنوبي مخرجا
قل لي: أأترك مستقيم طريقه ... جهلاً وأتّبع الطريق الأعوجا؟!؟
وأراه كـالتبر المصفّى جـوهراً ... وأرى سـواه لناقـديه مبهـرجـا
ومحلّه من كـلِّ فضـل بيِّن ... عال محلّ الشمس أو بدر الدجا
قـال النبيُّ لـه مقـالاً لم يكن ... يوم «الغدير» لسامعيه ممجمجا
: من كنت مولاهُ فذا مولى له ... مثلي وأصبح بالفخـار متوَّجـا
وكذاك إذ منع البتول جماعـة ... خـطبوا وأكـرمه بهـا إذ زوَّجـا
وله عجائب يـوم سار بجيشـه ... يبغي لقصر النهروان المخرجا
رُدَّت عليه الشمس بعد غروبها ... بيضاء تلمع وقـدةً وتأجّجـا[١]

الشاعر

أبـو الحسن عليّ بن عبّاس بن جـريح[٢] مـولى عبيد الله بن عيسى بن

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٥٣١ ط إيران.

(٢) كذا في فهرست النديم، وتاريخ الخطيب، وكثير من المعاجم. وفي مروج الذهب: سريج. وفي معجم المرزباني: جورجس. وفي تاريخ ابن خلكان: قيل: جورجيس. وفي بعض المعاجم: جرجيس.

جعفر البغدادي الشهير بابن الرومي. مفخرةٌ من مفاخر الشيعة، وعبقريٌّ من عباقرة الامّة، وشعره الذهبيُّ الكثير الطافح برونق البلاغة قد أربى على سبائك التبر حسناً وبهاءً، وعلى كثر النجوم عدداً ونوراً، برع في المديح والهجاء والوصف والغزل من فنون الشعر فقصر عن مَداه الطامحون؛ وشخصت إليه الأبصار، فجلَّ عن الندِّ كما قصر عن مزاياه العدُّ.

وله في مودَّة ذوي القربى من آل الرسول صلوات الله عليه وعليهم أشواط بعيدة، واختصاصه بهم ومدائحه لهم ودفاعه عنهم من أظهر الحقائق الجليَّة؛ وقد عدَّه ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ في فصوله المهمة ص ٣٠٢، والشبلنجي في نور الأبصار ١٦٦ من شعراء الإمام الحسن العسكري صلوات الله عليه.

وكان مجموع شعره غير مرتّب على الحروف: رواه عنه المسيِّبي عليُّ بن عبيد الله بن المسيِّب، ومثقال غلام إبن الرومي في مائة ورقة، ورواه عن مثقال أبو الحسن عليّ بن العصب الملحي، وكتب أحمد بن أبي قسر الكاتب من شعره مائة ورقة، وخالد الكاتب كذلك، فرتَّبه الصولي على الحروف في مائتي ورقة، جمع شعره أبو الطيب ورَّاق ابن عبدوس من جميع النسخ فزاد على كلّ نسخة ممّا هو على الحروف وغيرها نحو ألف بيت.

وللخالديِّين: أبي بكر محمَّد وأبي عثمان سعيد كتابٌ في أخبار شعر المترجم(١) وانتخب ابن سينا ديوانه وشرح مشكلات شعره كما في كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨، وعن ابن سينا: انَّ ممّا كلّفني استاذي في الأدب حفظ ديوان ابن الرومي فحفظته مع عدَّة كتب في ستَّة أيّام ونصف يوماً.

ويروي بعض شعره أبو الحسين عليُّ بن جعفر الحمداني، وإسماعيل بن عليّ الخزاعيّ، وأبو الحسن جحظة الذي مدحه ابن الرومي بقصيدة توجد في ديوانه ١٦٨.

---

(١) راجع فهرست النديم ص ٢٣٥ و٢٤١.

تجد ذكره والثناء عليه في فهرست ابن النديم ٢٣٥ ، تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٣ ، معجم الشعراء ٢٨٩ ، ٤٥٣ ، أمالي الشريف المرتضى ج ٢ ص ١٠١ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٤٩٥ ، العمدة لابن رشيق ج ١ ص ٥٦ ، ٦١ ، ٩١ ، معالم العلماء لابن شهر آشوب ، وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٨٥ ، مرآة الجنان لليافعي ج ٢ ص ١٩٨ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٨ ، معاهد التنصيص ج ١ ص ٣٨ ، كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٨ ، روضات الجنّات ٤٧٣ ، نسمة السحر فيمن تشيّع وشعر ، دائرة المعارف للبستاني ج ١ ص ٤٩٤ ، دائرة المعارف الإسلاميَّة ج ١ ص ١٨١ ، الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٦٧٥ ، الشيعة وفنون الإسلام ١٠٥ ، مجلّة الهدس العراقيّة الجزء السادس ص ٢٢٣ - ٢٢٧ .

وعنى بجمع آثاره وكتابة أخباره وروايتها جمعٌ منهم :

١ - أبو العباس أحمد بن محمَّد بن عبيد الله بن عمّار المتوفّى سنة ٣١٩ ، قال ابن المسيِّب : لمّا مات ابن الرومي عمل كتاباً[1] في تفضيله ومختار شعره وجلس يمليه على الناس . كما في فهرست ابن النديم ٢١٢ . ومعجم الأدباء ج ١ ص ٢٢٧ .

٢ - أبو عثمان الناجم ، ترجمه في كتاب مقصور عليه .

٣ - أبو الحسن عليّ بن عبَّاس النوبختيّ المتوفّى سنة ٣٢٧ ، جمع أخباره في كتاب مفرد كما في معجم المرزباني ٢٩٥ ، ومعجم الادباء ج ٥ ص ٢٢٩ .

وأفرد من كتّاب المتأخِّرين الاستاذ عبّاس محمود العقّاد كتاباً في ترجمته في ٣٩٢ صفحة ونحن نأخذ منه ما هو المهمّ ملخّصاً بلفظه قال :

قد أدرك ابن الرومي في حياته ثمانية خلفاء هم : الواثق . المتوكِّل . المنتصر . المستعين . المعتز . المهتدي . المعتمد . المعتضد المتوفّى بعد ابن الرومي .

---

(١) ينقل الحموي عنه ترجمة أحمد بن محمد بن عمار في معجم الادباء .

أثنى عليه العميدي صاحب « الإبانة » وابن رشيق صاحب « العمدة » وقال: أكثر المولّدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذّاق: أبو تمام وابن الرومي. وأطراه ابن سعيد المغربي المتوفّى ٦٧٣ في كتابه: عنوان المرقصات والمطربات.

ويظهر أنَّ أبا عثمان سعيد بن هاشم الخالدي من ادباء القرن الرابع توسّع في ترجمته إمّا في كتابه: حماسة المحدثين، أو في كتاب مقصور عليه. ولكن أخباره هذه ذهبت كلّها ولم يبق منها أثر إلّا متفرّقات في الكتب لا تُغني في ترجمة وافية ولا شبيهة بالوافية فنحن ننقلها كما هي:

ولد يوم الأربعاء بعد طلوع الفجر لليلتين خلتا من رجب ٢٢١ ببغداد في الموضع المعروف بالعقيقة[١] ودرب الختليَّة في دار بإزاء قصر عيسى بن جعفر بن منصور[٢].

كان ابن الرومي مولى لعبد الله بن عيسى ولا يشكّ انّه روميُّ الأصل فإنّه يذكره ويؤكّده في مواضع من ديوانه واسم جدّه مع هذا: جريج. أو: جرجيس. اسمٌ يونانيٌّ لا شبهة فيه، فلا ينبغي الالتفات إلى من قال: إنّه سمّي بابن الرومي لجماله في صباه.

وكان أبوه صديقاً لبعض العلماء والادباء منهم: محمَّد بن حبيب الراوية الضليع في اللغة والأنساب، فكان الشاعر يختلف إليه لهذه الصداقة، وكان محمَّد بن حبيب يخصّه لما يراه من ذكائه وحدَّة ذهنه، وحدَّث الشاعر عنه فقال: إنَّه كان إذا مرَّ به شيءٌ يستغربه ويستجيده يقول لي: يا أبا الحسن ضع هذا في تامورك.

وقد علمنا أنَّ امّه كانت فارسيَّة من قوله: الفرس خؤلي والرّوم أعمامي. وقوله: فلم يلدني أبو السواس ساسان، بعد أن رفع نسبه إلى يونان من جهة

---

(١) في معجم الشعراء: في الجانب الغربي بالعتيقة. وهذا هو الصحيح.
(٢) أخذه من أبي عثمان الخالدي.

أبيه، وربما كانت امّه من أصل فارسيّ ولم تكن فارسيَّة قحّاً لأبيها وامِّها وهذا هو الأرجح لأنَّ علمه بالفارسيَّة لم يكن علم رجل نشأ في حجر امّ تتكلّم هذه اللغة ولا تحسن الكلام بغيرها، وماتت امّه وهو كهل أو مكتهل كما يقول في رثائها:

أقول: وقد قالوا: أتبكي لفاقد   رضاعاً وأين الكهل من راضع الحلم
هي الامّ يا للناس جزّعت فقدها   ومن يبك امّاً لم تذم قطُّ لا يُذم

وكانت امّه تقيّة صالحة رحيمة كما يُؤخذ من أبياته في رثائها.

قال الأميني:

امّه حسنة بنت عبد الله السجزي كما في معجم المرزباني، وسجز بلدةٌ من بلاد الفرس من أرباض خراسان فهي فارسيَّة قحّ.

أخوه وشقيقه محمَّد المكنّى بأبي جعفر وهو أكبر من المترجَم وتوفّي قبله وكان يتفجّع بذكراه ورثاه، ومات أخوه وهو يعمل في خدمة عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر أحد أركان بيت بني طاهر، ويظهر من ديوان المترجم أنَّه كان أديباً كاتباً أيضاً.

ولم يبق لابن الرومي بعد موت أخيه أحدٌ يعوِّل عليه من أهله أو من يحسبون في حكم أهله إلاّ اناسٌ من مواليه الهاشميِّين العباسيِّين كانوا يبرّونه حيناً ويتناسونه أحياناً، وكان لعهد الهاشميِّين الطالبيِّين أحفظ منه لعهد الهاشميِّين العبّاسيِّين كما يظهر ممّا يلي. أمّا ابن عمِّه الذي أشار إليه في قوله:

لي ابن عمّ يجرُّ الشرَّ مجتهداً   إليَّ قدماً ولا يصلي له نارا
يجني فاصلي بما يجني فيخذلني   وكلّما كان زنداً كنت مسعارا

فلا ندري أهو ابن عمّ لحّ؟! أو ابن عمّ كلالة؟! ومبلغ ما بينهما من صلة المودَّة ظاهرٌ من البيتين.

أولاده:

رُزق ابن الرومي ثلاثة أبناء وهم: هبة الله. محمَّد. وثالث لم يذكر اسمه

في ديوانه . ماتوا جميعاً في طفولتهم ورثاهم بأبلغ وأفجع ما رثى به والد أبناءه، وقد سبق الموت إلى أوسطهم محمَّد فرثاه بداليَّةٍ مشهورةٍ يقول فيها:

توخّى حمام الموت أوسط صبيتي ... فللّه كيف اختار واسطة العقدِ؟!
على حين شُمت الخير في لمحاته ... وآنست من أفعاله آية الرشدِ

ومنها في وصف مرضه:

لقد قلّ بين المهد واللحد لبثه ... فلم ينس عهد المهد إذْ ضمّ في اللحد
ألحَّ عليه النزف حتّى أحاله ... إلى صفرة الجاديِّ[1] عن حمرة الوردِ
وظلَّ على الأيدي تساقط نفسه ... ويذوي كما يذوي القضيب من الرندِ[2]

ويذكر فيها أخويه الآخرين:

محمّد ! ما شيء توهّم سلوة ... لقلبيَ إلاّ زاد قلبي من الوجدِ
أرى أخويك الباقيين كليهما ... يكونان للأحزان أورى من الزندِ
إذا لعبا في ملعب لك لذّعا ... فؤادي بمثل النّار عن غير ما عمدِ
فما فيهما لي سلوةٌ بل حزازةٌ ... يُهيجانها دوني وأشقى بها وحدي

أمّا ابنه هبة الله فقد ناهز الشباب على ما يفهم من قوله في رثائه.

يا حسرتا فارقتني فنناً ... غضّاً ولم يثمر ليَ الفننُ
أبُنيَّ ! إنّك والعزاء معاً ... بالأمس لُفَّ عليكما كفنُ

وفي الديوان أبيات يرثي بها ابناً لم يذكر اسمه وهي:

حماه الكرى همٌّ سرى فتأوّبا ... فبات يراعى النجم حتّى تصوّبا
أعينيَّ جودا لي فقد جدتُ للثرى ... بأكثر ممّا تمنعان وأطيبا
بُنيّ الذي أهديته أمس للثرى ... فللّه ما أقوى قناتي وأصلبا

---

(١) الجادي: الزعفران.

(٢) يذوى من ذوى النبات وذوي: ذبل ونشف ماؤه. الرند: نبات من شجر البادية طيب الرائحة يشبه الآس.

فإن تمنعاني الدمع أرجع إلى أسى إذا فترت عنه الدموع تلهّبا

وهي على الأرجح رثاؤه لأصغر أبنائه الّذي لم يذكر اسمه ولا ندري هل مات قبل أخيه أو بعده؟!؟! ولكن يخيَّل إلينا من المقابلة بين هذه المراثي أنّ الأبيات البائيَّة كانت آخر ما رثى به ولداً لأنَّها تنمُّ عن فجيعة رجل راضه الحزن على فقد البنين حتّى جمدت عيناه ولم يبق عنده من البكاء إلّا الأسى الملتهب في الضلوع، وإلّا العجب من أن يكون قد عاش وصلبت قناته لكلّ هذه الفجائع، وقد كان رثاؤه لابنه الأوسط صرخة الضربة الاولى، ففيها ثورةٌ لا عجةٌ تحسّ من خلل الأبيات، ثمَّ حلَّ الألم المرير محلَّ الألم السوار في مصيبته الثانية، فوجم وسكن واستعبر، ثمَّ كانت الخاتمة فهو مستسلمٌ يعجب للحزن كيف لم يقض عليه، ويحسّ وقدة المصاب في نفسه ولا يحسّه في عينيه، ولقد غشيت غبرة الموت حياته كلّها، وماتت زوجته بعد موت أبنائه جميعاً فتمّت بها مصائبه وكبر عليه الأمر. إلخ.

تعليمه:

ذلك كلّ ما استطعنا أن نجمعه من الأخبار النافعة عن نشأة الشاعر وأهله ولا فائدة من البحث في المصادر التي بين أيدينا عن أيّام صباه وتعليمه ومن حضر عليهم وتتلمذ لهم من العلماء والرُّواة فإنَّ هذه المصادر خلوٌ ممّا يُفيد في هذا المقام إلّا ما جاء عرضاً في الجزء السادس من « الأغاني » حيث يروي ابن الرومي عن أبي العبّاس ثعلب عن حمّاد بن المبارك عن الحسين بن الضحّاك. وحيث يروي في موضع آخر عن قتيبة عن عمر السكوني بالكوفة عن أبيه عن الحسين بن الضّحاك، فيصحّ أن تكون الرِّواية هنا رواية تلميذ عن استاذ، لأنّ ثعلباً ولد سنة مائتين فهو أكبر من الشاعر بإحدى وعشرين سنة، أمّا قتيبة (والمفهوم أنّه أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي المحدِّث العالم المشهور) فجائزٌ أن يكون ممَّن أملوا عليه وعلَّموه لأنَّه مات وابن الرومي يُناهز العشرين.

وقد مرَّ بنا أنَّه كان يختلف إلى محمَّد بن حبيب الراوية النسّابة الكبير، وسنرى هنا أنَّه كان يرجع إليه في بعض مفرداته اللغويَّة فيذكر شرحها في ديوانه معتمداً عليه قال بعد قوله:

وأصدق المدح مدح ذي حسدٍ مــلآن من بغضــه ومن شنفِ

قال لي محمَّد بن حبيب: الشنف ما ظهر من البغضة في العينين وأشار إليه بعد بيت آخر وهو:

بانوا فبان جميل الصبر بعدهمُ فللدمــوع من العينين عينـانُ

إذْ فسّــر كلمة « عينان » فروى عن ابن حبيبٍ أنَّه قال: عان الماء يعين عيناً وعيناناً إذا ساح. فهؤلاء ثلاثة من أساتذة ابن الرومي على هذا الاعتبار ولا علم لنا بغيرهم فيما راجعناه وحسبنا مع هذا أنَّ الرجل - كيفما كان تعليمه وأيّاً كان معلّموه - قد نشأ على نصيبٍ وافٍ من علوم عصره، وساهم في القديم والحديث منها بقسطٍ وافرٍ في شعـره فلو لم يقل المعـرِّي: إنَّه كـان يتعاطى الفلسفـة، والمسعودي: انَّ الشعر كان أقلّ آلاته ،لعلمنا ذلك من شواهد شتّى في كلامه، فهي هناك كثيرةٌ متكرّرةٌ لا يلمُّ المتصفِّح ببعضها إلّا جزم باطِّلاع قائلها على الفلسفة ومصاحبة أهلها واشتغاله بها، حتّى سرت في اسلوبه وتفكيره، وما كان متعلِّم الفلسفة في تلك الأيّام يصنع أكثر من ذلك ليتعلّمها أو ليعدّ من متعلّميها، فأنت لا تقرأ لرجل غير مشتغل أو ملمّ بالفلسفة والقياس المنطقيِّ والنجوم كلاماً كهذا الكلام :

لِما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يـولدُ
وإلّا فمـا يُبكيـه منهـا وأنَّهـا لأرحب ممّا كان فيه وأرغدُ؟!

وذكر شواهد كثيرة على إلمامه بالعلوم ومعرفتـه بمصطلحـاتها غضضنـا الطرف عنه اختصاراً.

رسائل ابن الرومي:

وقد وردت في أبياته الهمزيَّة إشارة إلى حذقه في الكتابة، ومشاركته في

البلاغة المنثورة تعزِّزها إشارة مثلها في هذا البيت:

ألم تجـدوني آلَ وهب لمـدحكم بشعري ونثري أخطلاً ثم جاحظا؟

فلا بدَّ أنَّه كان يكتب ويمارس الصناعة النثريَّة إلاّ ما استجمعناه من منثوراته لا يعدو نبذاً معدودةً موجزة، منها: رسالةٌ إلى القاسم بن عبيد الله يقول فيها متنصِّلاً.

١ ـ ترفع عن ظلمي إن كنت بريئاً، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً، فوالله إنّي لأُطالب عفو ذنب لم أجنه، وألتمس الإقالة ممّا لا أعرفه، لتزداد تطوّلاً وأزداد تذلّلاً، وأنا أُعيذ حالي عندك بكرمك من واشٍ يكيدها، وأحرسها بوفائك من باغٍ يحاول إفسادها، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظّي منك بقدر ودّي لك ومحلّي من رجائك بحيث أستحقُّ منك. والسَّلام.

٢ ـ رسالةٌ كتبها يعود صديقاً: أذن الله في شفائك، وتلقى داءك بدوائك، ومسح بيد العافية عليك، ووجّه وفد السَّلامة إليك، وجعل علَّتك ماحيةً لذنوبك، مضاعفةً لثوابك.

٣ ـ كتب إلى صديق له قَدِم من «سيراف»[1] فأهدى إلى جماعة من إخوانه ونسيه: أطال الله بقاءك وأدام عزَّك وسعادتك وجعلني فداءك، لولا أنَّني في حيرة من أمري وشغل من فكري لما افترقنا، وشوقي علم الله فغالبٌ، وظمأي فشديدٌ، وإلى الله الرغبة في أن يجعل القدرة على اللقاء حسب المحبَّة إنه قادرٌ جوادٌ.

ومكاننا من جميل رأيك أيَّدك الله يبعثنا على تقاضي حقوقنا قبلك، وكريم سجاياك وأخلاقك يُشجِّعنا على إمضاء العزم في ذلك، وما تطوَّلت به من

---

(١) سيراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، منها إلى شيراز ستون فرسخاً.

الإيناس يؤنسنا بك ويبسطنا إليك، وآثار يديك تدلّنا عليك، وتشهد لنا بسماحتك؛ والله يُطيل بقاءك ويديم لنا فيك وبك السعادة.

وبلغني أدام الله عزَّك أنَّ سحائب تفضّلك أمطرت منذ أيّام مطراً عمّ إخوانك بهدايا مشتملة على حسن وطيب، فأنكرت على عدلك وفضلك خروجي منها مع دخولي في جملة من يعتدُّك ويعتقدك وينحوك ويعتمدك؛ وسبق إلى قلبي من ألم سوء الظنِّ برأيك أضعاف ما سبق إليه من الألم بفوت الحظّ من لطفك، فرأيت مداواة قلبي من ظنِّه، وقلبك من سهوه، واستبقاء الودِّ بيننا بالعتاب الذي يقول فيه القائل: (ويبقى الودّ ما بقي العتابُ) وفيما عاتبت كفايةٌ عند من له أُذنك الواعية وعينك الراعية.

٤ - وقال في تفضيل النرجس على الورد: النرجس يشبه الأعين والمضاحك، والورد يشبه الخدود، والأعين والمضاحك أشرف من الخدود، وشبيه الأشرف أشرف من شبيه الأدنى، والورد صفةٌ لأنَّه لونٌ والنرجس يضارعه في هذا الاسم، لأنّ النرجس هو الريحان الوارد أعني أنَّه أبداً في الماء، والورد خجل، والنرجس مبتسم، وانظر أدناهما شبهاً بالعيون فهو أفضل.

هذه نماذج من منثوراته لا نعرف غيرها فيما بين أيدينا، وخليقٌ بمن يكتب بهذا الاسلوب أن يُعدَّ في بُلغاء الكتّاب وإن لم يُعدَّ في أبلغهم، على أنّ ابن الرومي لم يكن يحسب نفسه إلاّ مع الشعراء إذا اختلفت الطوائف، فإنّه يقول عن نفسه وهو يمدح أبا الحسين كاتب ابن أبي الأصبع:

ونحن معاشر الشعراء تنمى ... إلى نسب من الكتّاب دانِ
وإن كانوا أحق بكلِّ فضل ... وأبلغ باللسان وبالبيان
أبونا عند نسبتنا أبوهم ... عطارد السماويُّ المكانِ

أمّا حظّه من علوم العربيَّة والدين فمن المفضول أن نتعرَّض لإحصاء الشواهد عليه في كلامه، لأنَّه أبين من أن يحتاج إلى تبيين. وندر في قصائده المطوَّلة أو الموجزة قصيدةٌ تقرأها ولا تخرج منها وأنت موقنٌ باستبحار ناظمها في

اللغة وإحاطته الواسعة بغريب مفرداتها وأوزان اشتقاقها وتصريفها وموقع أمثالها وأسماء مشاهرها، وما يصحب ذلك من أحكام في الدين ومقتبسات من أدب القرآن، فليس في شعر العربيّة مَن تبدو هذه الشواهد في كلامه بهذه الغزارة والدقَّة غير شاعرين اثنين: أحدهما صاحبنا والثاني المعرّي، وقد كان يمدح الرؤساء والادباء أمثال عبيد الله بن عبد الله، وعليّ بن يحيى، وإسماعيل بن بلبل فيفسِّر غريب كلماته في القرطاس الذي يثبت فيه قصائده كأنَّه كان يشفق أن تفوتهم دقائق لفظه وأسرار لغته ثمَّ يعود إلى الاعتذار من ذلك إذا أنس منهم الجفوة والتغيّر.

لم أُفسِّر غريبها لك لكن ... لامرئٍ يجهل الغريب سواكا

لغيرك لا لك التفسير أنّي ... يُفسَّر لابن بجدتها الغريبُ

وكانوا لشهرته باللغة وعلم أسرارها ولطيف نكاتها يختلقون له الكلمات النافرة يسألونه عنها ليعبثوا به أو يعجزوه، وقصَّة « الجرامض » إحدى هذه المعابثات التي تدلّ على غيرها من قبيلها، فقد سأله بعضهم في مجلس القاسم بن عبيد الله: ما الجرامض؟! فارتجل مجيباً:

وسألت عن خبر الجرا ... مض طالباً علم الجرامضْ

وهو الخزا كل والغوا ... مض قد تفسّر بالغوامضْ

وهو السلجكل شئت إذْ ... لك أم أبيت بفرض فارضْ

وكلّها كلمات من مادَّة الجرامض لا معنى لها ولا وجود، وإذا صحَّ استقراؤنا وكان من أساتذته أمثال ثعلب وقتيبة فضلاً عن الاستاذيَّة الثابتة لابن حبيب فلا جرم يصير ذلك علمه بالغريب والأنساب والأخبار، هؤلاء كلّهم من نخبة النخبة في هذه المطالب، ولا سيّما إذا أعانهم تلميذٌ ذو فطنة متوقِّدة الفهم وذاكرة سريعة الحفظ كهذا التلميذ، فقد مرَّ بك أنَّه كان يحفظ الأبيات الخمسة من قراءةواحدة، فهب في الرِّواية بعض مبالغة كالتي تتعرَّض لها أمثال هذه الرِّوايات فهو بعدُ سريع الحفظ وهذا ممّا يعينه على تحصيل اللغة وتعليق المفردات.

عاش ابن الرومي حياته كلّها في بغداد لا يفارقها قليلاً حتّى يعود سريعاً وقد نازعه إليها الشوق وغلبه نحوها حنين، وكانت بغداد يومئذٍ عاصمة الدنيا غير مدافع، وكان صاحب صنيعة ومالك دارين وثراء وتحف موروثة منها قدح زعم أنَّه كان للرشيد ووصفه في شعره لَمّا أهداه إلى عليّ بن المنجم يحيى :

قـدحٌ كـان للرشيـد اصـطفـاهُ ... خلفٌ من ذكـوره غيـر خلفِ
كفم الحبِّ في الحلاوة بل أحلـ ... ـى وإن كان لايناغي بحرفِ
صيغ من جـوهر مصفًّى طباعاً ... لا عـلاجـاً بكيميـاء مصفِّ
تنفـذ العين فيـه حتّى تـراهـا ... أخـطأتـه من رقَّـة المستشفِّ
كهـواه بـلا هبـاءٍ مشـوب ... بضيـاء أرقـق بـذاك وأصفِ

ثمَّ استوعب الكلام في البحث عن مزاجه وأخلاقه ومعيشته وما كـانت تملكه يده وذكرى مطاياباته ومفاكهاته وهجاؤه وفشله وطيرته من ص ١٠٢ - ٢٠٣ فشرع في بيان عقيدته (وهناك مواقع للنظر) وقال:

عقيدته

تقدَّم في الكلام عن الحالة الدينيَّة في القرن الثالث للهجرة أنَّه كان عصراً كثرت فيه النحل والمذاهب وقلَّ فيه من لا يرى في العقائد رأياً يفسِّر به إسلامه ويخلصه بين جماعة الدارسين وقرّاء العلوم الحديثة.

فابن الرّومي واحدٌ من هؤلاء القرّاء لا ننتظر أن تمرَّ به هذه المباحث التي كان يدرسها ويحضر مجالسها ويسمع من أهلها بغير أثر محسـوس في تفسير العقيدة، فكان مسلماً صادق الإسلام، ولكنَّه كان شيعيّاً معتزليّاً قـدريّاً يقـول بالطبيعتين، وهي أسلم النحل التي كانت شائعة في عهـده من حيث الإيمان بالدين.

وقد قال المعرّي في رسالة الغفران: إنّ البغداديِّين يدَّعـون أنَّه متشيِّـع ويستشهدون على ذلك بقصيدته الجيميّة ثمَّ عقب على ذلك فقال: ما أراه إلّا على مذهب غيره من الشعراء.

ولا ندري لِماذا شكَّ المعرّي في تشيّعه لأنّه على مذهب غيره من الشعراء، فإنَّ الشعراء إذا تشيَّعوا كانوا شيعة حقاً كغيرهم من الناس، وربما أفرطوا فزادوا في ذلك على غيرهم من عامّة المتشيِّعين، وإنّما نعتقد أنَّ المعرّي لم يطَّلع على شعره كلّه فخفيت عنه حقيقة مذهبه ولولا ذلك لما كان بهذه الحقيقة من خفاء.

على أنَّ القصيدة الجيميَّة وحدها كافية في إظهار التشيّع الذي لا شكَّ فيه، لأنَّ الشاعر نظمها بغير داع يدعوه إلى نظمها من طمع أو مداراة، بل نظمها وهو يستهدف للخطر الشديد من ناحية بني طاهر وناحية الخلفاء، فقد رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي الثائر في وجه الخلافة ووجه أبناء طاهر ولاة خراسان، وقال فيها يخاطب بني العبّاس ويذكر (ولاة السوء) من أبناء طاهر:

أجنوا بني العبّاس من شنآئكم	وأوكوا على ما في العياب وأشرجوا
وخلّوا ولاة السوء منكم وغيَّهم	فأحرى بهم أن يغرقوا حيث لجَّجوا
نظار لكم أن يرجع الحق راجعٌ	إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
على حين لا عذري لمعتذريكمُ	ولا لكمُ من حجَّة الله مخرجُ
فلا تلحقوا الآن الضغائن بينكم	وبينهمُ إنَّ اللواقح تنتجُ
غررتم لئن صدَّقتمُ أنَّ حالة	تدوم لكم والدهر لونان أخرجُ
لعلَّ لهم في منطوى الغيب ثائراً	سيسمو لكم والصبح في الليل مولجُ

فماذا يقول الشيعي لبني العبّاس أقسى وأصرح في التربّص بدولتهم وانتظار دولة العلويِّين من هذا الكلام؟! فقد أنذر بني العبّاس بزوال الملك وكاد يتمنّى ـ أو تمنّى ـ لبني عليّ يوماً يهزمون فيه أعداءهم، ويرجعون فيه حقَّهم، ويطلبون تراثهم، وينكلون بمن نكل بهم، وهواه ظاهرٌ من العلويِّين لا مداجاة فيه كهوى كلِّ شيعيّ في هذا المقام. على أنّه كان أظهر من هذا في النونيَّة التي تمنّى فيها هلاك أعدائهم ولام نفسه على التقصير في بذل دمه لنصرتهم:

إن يوالي الدهر أعداءً لكم ... فلهم فيه كمينٌ قد كمنْ
خلعوا فيه عذار المعتدي ... وغدوا بين اعتراضٍ وأرنْ
فاصبروا يهلكهم الله لكم ... مثل ما أهلك أذواء اليمنْ
قرب النصر فلا تستبطئوا ... قرب النصر يقيناً غير ظنْ
ومن التقصير صوني مهجتي ... فعل من أضحى إلى الدنيا ركنْ
لا دمي يُسفك في نصرتكم ... لا ولا عرضيَ فيكم يمتهنْ
غير أنّي باذلٌ نفسي وإن ... حقن الله دمي فيما حقنْ
ليت إنّي غرضٌ من دونكم ... ذاك أو درعٌ يقيكم ومجن
أتلقّى بجبيني مَن رمى ... وبنحري وبصدري من طعنْ
إنَّ مبتاع الرضى مِن ربِّه ... فيكمُ بالنفس لا يخشى الغبنْ

وليس يجوز الشكُّ في تشيّع من يقول هذا القول ويشعر هذا الشعور، فإنَّه يعرض نفسه للموت في غير طائل حبّاً لبني عليٍّ وغضباً لهم وإشهاراً لهم لعاطفة لا تفيده ولا تفيدهم ؛ وقد كان لا يذكر يحيى بن عمر إلّا بلقب الشهيد كما ذكره في القصيدة الجيميَّة وفي خاطرة اخرى مفردة نظمها في هذين البيتين :

كسته القنا حلّة من دمٍ ... فأضحت لدى الله من ارجوانِ
جزته معانقة الدارعـ ... ـين معانقة القاصرات الحسان

وبعض هذا يكفي في الدلالة على تشيّعه للطالبيِّين واتّخاذه التشيّع مذهباً في الخلافة كمذهب الشعراء أو غير الشعراء ولا سيَّما التشيّع المعتدل الذي يقول أهله بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، ويستنكرون لعن الصحابة الذين عارضوا عليّاً في الخلافة، ومعظم هؤلاء من الزيديَّة الذين خرجوا في جند يحيى بن عمر لقتال بني العبّاس، فهم لا يقولون في نصرة آل عليّ أشدَّ ممّا قال ابن الرومي، ولا يتمنّون لهم أكثر ممّا تمنّاه.

ويلوح لنا أنّ ابن الرومي ورث التشيّع وراثة من امّه وأبيه لأنّ امّه كانت فارسيَّة الأصل فهي أقرب إلى مذهب قومها الفرس في نصرة العلويِّين، ولأنَّ أباه سمّاه عليّاً وهو من أسماء الشيعة المحبوبة التي يتجنّبها المتشدِّدون من أنصار

الخلفاء، ولا حرج على أبي الشاعر أن يتشيَّع وهو في خدمة بيت من بيوت العبَّاسيِّين، لأنَّ مواليه كانوا اناساً بعيدين مِن الخلافة وولاية العهد وهما علّة البغضاء الشديدة بين العباسيِّين والعلويِّين وقد اتَّفق لبعض الخلفاء وولاة العهد أنفسهم أنّهم يكرمون عليّاً وأبناءه كما كان مشهوراً عن «المعتضد» الخليفة الذي أكثر ابن الرّومي من مدحه، كما كان مشهوراً عن «المنتصر» وليّ العهد الذي قيل: إنَّه قتل أباه «المتوكِّل» جريرة ملاحاة وقعت بينهما في الذبِّ عن حرمة عليٍّ وآله (ثمَّ قال بعد استظهار تشيع بني طاهر ص ٢٠٧ ـ ٢٠٩):

وإنَّ أحق عقيدة أن يجدَّ المرء فيها لعقيدةٌ تُجرِّئُه إذا خاف، وتبسط له العذر والعزاء إذا سخط من صروف الحوادث، وتمهِّد له الأمل في مقبل خير من الحاضر، وأدنى منه إلى كشف الظلمات وردِّ الحقوق، وكلّ اولئك كان ابن الرومي واجده على أوفاه في التشيّع للعلويِّين أصحاب الإمامة المنتظرة في عالم الغيب على العباسيِّين أصحاب الحاضر الممقوت المتمنّى زواله، فلهذا كان متشيِّعاً في الهوى، متشيِّعاً في الرَّجاء، وكان على مذهب غيره من الشعراء وعلى مذهب غيره من سائر المتشيِّعين.

أمّا الاعتزال فابن الرّومي لا يكتمه ولا يماري فيه، بل يظهره إظهار معتزٍّ به حريصٍ عليه فمن قوله في ابن حريث:

معتزلي مسرٌّ كفر ... يُبدي ظهوراً لها بطونُ
أأرفض الاعتزال رأياً ... كلّا لأنِّي به ضنينُ
لو صحَّ عندي له اعتقادٌ ... ما دنتُ ربي بما يدينُ

وكان مذهبه في الاعتزال مذهب القدريَّة الذين يقولون بالاختيار وينزِّهون الله عن عقاب المجبَر على ما يفعل، وذلك واضحٌ من قوله يخاطب العبّاس بن القاشي ويناشده صلة المذهب:

إن لا يكن بيننا قربى فآصرةٌ ... للدين يقطع فيها الوالد الولدا
مقالة العدل والتوحيد تجمعنا ... دون المضاهين مَن ثنّى ومَن جحدا
وبين مستطرفي غيٍّ مرافقة ... ترعى فكيف اللذان استطرفا رشدا

كن عند أخلاقك الزهر التي جعلت   عليك موقوفةً مقصورةً أبدا
ما عذر (معتزليٍّ) موسر منعت   كفّاه معتزليّاً مقتراً صفدا؟!
أيزعم القدر المحتوم أثبطه؟!   إن قال ذاك فقد حلَّ الذي عقدا
أم ليس مستأهلاً جدواه صاحبه؟!   أنّى ؟! وما جار عن قصدٍ ولا عندا
أم ليس يمكنه ما يرتضيه له ؟!   يكفي أخاً من أخٍ ميسور ما وجدا
فلا عذر فيما يُريني الرأي أعلمه   للمرء مثلك ألّا يأتيَ السَّددا

فواضحٌ من كلامه هذا أنّه (معتزليّ) وأنَّه من أهل العدل والتوحيد وهو الأسم الذي تسمّى به القدريَّة لأنَّهم ينسبون العدل إلى الله فلا يقولون بعقوبة العبد على ذنب قُضيَ له وسبق إليه، ولأنَّهم يوحِّدون الله فيقولون: إنَّ القرآن من خلقه وليس قديماً مضاهياً له في صفتي الوجود والقِدم، وقد اختاروا لأنفسهم هذا الاسم ليردّوا به على الَّذين سمّوهم القدريَّة ورووا فيهم الحديث (القدريَّة مجوس هذه الامَّة) فهم يقولون: ما نحن بالقدريَّة لأنَّ الذين يعتقدون القدر أولى بأن ينسبوا إليه، إنَّما نحن من أهل العدل والتوحيد لأنَّنا ننزّه الله عن الظلم وعن الشريك.

وواضحٌ كذلك من كلامه أنَّه يعتقد حريَّة الإنسان فيما يأتي من خير وشرّ، ويحتجُّ على زميله بهذه الحجَّة فيقول له: لِمَ لا تثنيني ؟ إن قلت: إنَّ القدر يمنعك، فقد حللت ما اعتقدت من اختيار الإنسان في أفعاله، وإن قلتَ: إنّك لا تريد؟! فقد ظلمت الصداقة وأخللت بالمروءة. وله عدا هذا أبياتٌ صريحةٌ في اعتقاد (الاختيار) وخلق الإنسان لأفعاله كقوله:

لولا صروف الاختيار لأعنقوا   لهوى كما اتَّثقت جمال قطار

وقوله:

أنّى تكون كذا وأنت مخَيَّرٌ   متصرِّفٌ في النقض والإمرارِ؟!

وقوله:

الخير مصنوعٌ بصانعه   فمتى صنعت الخير أعقبكا

والشـــرُّ مفعــولٌ بفــاعـله فمتى فعلت الشرَّ أعطبكـا

إلّا أنَّه كان يقول بـالقَدَرِ في تقسيم الأرزاق وأنَّ:

الـرزق آتٍ بـلا مـطالبـةٍ سيّـان مدفـوعهُ ومجتـذبـهْ

ويقول:

أمـا رأيت الفجاج واسعـة والله حيّاً والرزق مضموناً؟!؟!؟!

(قال الأميني): هذا في الرِّزق الذي يطلبك لا في الرزق الذي تطلبه كما فصَّله الحديث، ولا تناقض عند القدريَّة في هذا، لأنَّهم يقولون بالاختيار فيما يُعاقب عليه الإنسان ويُثاب لا فيما يناله من الرِّزق وحظوظ الحياة.

أمَّا القول بالطبيعتين فأوضح ما يكون في قوله.

فينـا وفيك طبيعـةٌ أرضيَّـةٌ تهـوي بنا أبـداً لشرٍّ قـرارِ

هبـطت بـآدم قبلنـا وبـزوجـه مـن جنة الـفـردوس أفضـل دارِ

فتعوَّضا الدنيا الدنيَّة كاسمها من تلكم الجنّات والأنهارِ

بئست لعمرِ الله تلك طبيعةٌ حرمت أبانا قرب أكرم جارِ

واستأسرت ضعفي بنيه بعده فهمُ لها أسرى بغيـر إسارِ

لكنَّهـا مـأســورةٌ مقصـورةٌ مقهورة السلطان في الأحرارِ

فجسـومهم من أجلهـا تهـوى بهم ونفوسهم تسمو سمـوّ النارِ

لولا منازعة الجسوم نفوسهم نفروا بسورتهـا من الأقطارِ

أو قصَّروا فتناولـوا بأكفّهم قمر السماء وكلّ نجمٍ سارِ

(قال الأميني): لقد عزى الكاتب ها هنا إلى المترجَم هنات لا مقيل لها في مستوى الحقيقة، ومنشـأ ذلك بُعـده عن علم الأخلاق وعـدم تعقّله معنى الشعر، فحسبه منافياً للتوحيد الذي جاء به نبيُّ الإسلام، لكن العـارف بأساليب الكلام، العالم بما جبل به الإنسان من الغرائز المختلفة لا يكاد يشكُّ في صحَّة معنى الشعر، وهو يُعرب عن إلمام ابن الرومي بالأخلاق، والمتكفِّل لتفصيل هذه الجملة كتب الأخلاق وما يضاهيها، ولخروج البحث عن موضوع الكتاب

ضربنا عنه صفحاً .

قال: وابن الرومي كان مفطوراً على التديّن لأنَّه كان مفطوراً على التهيّب والاعتماد على نصير، وهما منفذان خفيّان من منافذ الإيمان والتصديق بالعناية الكبرى في هذا الوجود، ومن ثمَّ كان بالله مؤمناً خوفاً من الشكّ، مقبلاً على التسليم بسيطاً في تسليمه بساطة من يهرب من القلق ويؤثر السكينة على أيِّ شيء، وبلغ من بساطته أنَّه كان يُنكر على الحكماء الذين يشكّون في حفظ أجساد الأتقياء بعد الموت ويحسبونه من فعل الدواء والحنوط، فقال لابن أبي ناظرة حين تذوَّق بعض الأجساد ليعلم ما فيها من عوامل البقاء:

يا ذائق الموتى ليعلم هل بقوا ... بعـد التقـادم منـهمُ بـدواءِ
بيّنتَ عن رعـةٍ وصدق أمـانـةٍ ... لـولا اتّهامـك خـالق الأشيـاءِ
أحسبتَ أنَّ الله ليس بـقــادرٍ ... أن يجعل الأموات كالأحياءِ؟!
وظننتَ ما شاهـدتَ من آياتـه ... بلطيفـة من حيلة الحكمـاءِ؟!

ومات وهو يقول في ساعاته الأخيرة:

ألا إنّ لقاء الله هولٌ دونه الهولُ

وما كانت الطيرة عنده إلّا شعبة من ذلك التهيّب الدينيّ الغريزيّ، فهو يتفلسف ويرى الآراء في الدين ولكن في حدودٍ من الشعور لا في حدودٍ من التفكير، ولهذا كان الفنّان ولم يكن الفيلسوف.

(قال الأميني): الطيرة ليست من شعب الدين، ولا يركن إليها أيُّ خاضع له وملأ مسامعه قول الصّادع به ﷺ: لا طيرة ولا حام. وإنَّما هي من ضعف النفس غير المتقوِّية بنور اليقين والتوكّل على الله في ورد وصَدَر، ولذا كانت شائعة في الجاهليَّة ونفاها الإسلام.

قال: وليس من الاجتراء أنَّه قال بالاختيار ورأى له في الدين رأياً غير ما اصطلح عليه السواد فإنّه كان يحيل الذنب على الإنسان وينفي الظلم عن القدَر في العقاب والثواب، ويتصوَّر الله على أحسن ما يتصوَّر المتفلسف مثله إلّهه،

فكأنّما جاءه هذا الرأي من مجاباة عالم الغيب لا من الاجتراء عليه، وإنّما دفع به إلى رأي المعتزلة مخاوف الشكوك التي كانت تخامره، فلا يستريح حتى يسكن فيها إلى قرار، وينتهي فيها إلى برِّ الأمان، لذلك كان يأوي إلى الأصدقاء يكاشفهم بما في صدره ويستعين بهم على تفريج غمَّته.

ويدمج أسباب المودَّة بيننا ... مودَّتنا الأبرار من آل هاشمِ
وإخلاصنا التوحيد لله وحدهُ ... وتذبيبنا عن دينه في المقاومِ
بمعرفةٍ لا يقرع الشكُّ بابها ... ولاطعن ذي طعن عليها بهاجمِ
وإعمالنا التفكير في كلِّ شبهة ... بها حجَّة تعيي دهاة التراجمِ
يبيت كلانا في رضى الله ماحضاً ... لحجَّته صدراً كثير الهماهمِ

بيد أنّ الإيمان شيءٌ وأداء الفرائض الدينيَّة شيءٌ آخر، فقصارى الإيمان عنده أنّه يؤمِّنه بقرب آل البيت وتنزيه ربِّه والاطمئنان إلى عدله ورحمته، ثمَّ يدع له سبيله يلعب ويمرح كلّما لذَّ له اللعب والمرح، ولا أهلاً بالصيام إذا قطع عليه ما اشتهى من لذَّة وأرب.

فلا أهلاً بمانع كلِّ خير ... وأهلاً بالطعام وبالشَّراب

بل لا حرج عليه إذا قضى ليلة في السرور أن يشبِّهها بليلة المعراج.

رفعتنا السعود فيها إلى الفو ... ز فكانت كليلة المعراج

ذلك أنَّه كان في تقواه طوع الإحساس الحاضر، كما كان في كلِّ حالة من حالاته يلعب، فلا يبالي أن يتماجن حيث لا يليق مجونٌ، ويستحضر التقوى والخشوع فلا يُباريه أحدٌ من المتعبِّدين، ويخيَّل إليك أنَّك تستمع إلى متعبِّد عاش عمره في الصوامع حين تستمع إليه يقول:

تتجافى جنوبهم ... عن وطيء المضاجعِ
كلّهم بين خائفٍ ... مستجيرٍ وطامعِ
تركوا لذّة الكرى ... للعيون الهواجعِ
ورعوا أنجم الدُّجى ... طالعاً بعد طالعِ

لـو تـراهـم إذا هـمُ خـطروا بـالأصـابـعِ
وإذا هـم تـأوَّهـوا عـنـد مـرِّ الـقـوارعِ
وإذا بـاشـروا الثـرى بـالخـدود الضـوارعِ
واسـتهلّت عـيـونهـم فـائضـات المـدامـعِ
ودعـوا: يـا مليكنـا يـا جميـل الصنـائـعِ
اعـف عنّـا ذنـوبنـا للوجـوه الخـواشـعِ
اعـف عنّـا ذنـوبنـا لـلعيـون الـدوامـعِ
أنت إن لم يـكن لـنـا شـافعٌ خيـر شـافـعِ
فـأجـيـبـوا إجـابـةً لم تقـع في المسامـعِ
ليس ما تصـنعـونـه أولـيـائـي بـضـائـعِ
أبـذلـوا لي نفـوسكم إنّـهـا فـي ودائـعـي

وله من طراز هذا الشعر الخاشع كثيرٌ لا تسمعه من ابن الفارض ولا محيي الدين.

(**قال الأميني**): ليس ما ارتآه ابن الرومي في باب الاختيار نتيجة مخامرة الشبه والشكوك كما يراه (المترجِم) وإنّما هي وليدة البرهنة الصادقة، وانّه لم يعط القدر حقّه محاباةً له، لكن الحجج الدامغة ألجأته إلى ذلك، وكذلك ما يقوله في باب الأرزاق فهي تقادير محضة غير أن الإنسان كلِّف بتحرّي الأسباب الظاهريَّة جرياً على النواميس الإلَهيَّة المطَّردة في النظام العالميِّ الأتمّ، وهذه مسائل كلاميَّة لا يروقنا الخوض فيها إلّا هنالك.

وأمّا اعتماد ابن الرومي على العدل والرحمة وتنزيه ربِّه، فهو شأن كلِّ مؤمن بالله عارف بكمال قدسه وصفاته الجلاليَّة، وليس قرب أهل البيت الطاهر عليهم السَّلام إلّا نتيجة مودَّتهم التي هي أجر الرسالة بنصّ من الذكر الحكيم، وإنَّما مثلهم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق، وهم عدل الكتاب وقد خلفهما رسول الله ﷺ بعده وقال: ما إن تمسَّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، فأحرِ بهم أن يكون القرب منهم مؤمِّناً للإنسان نشأته الاخرى، وأمّا ما

عزاه إليه من مظاهر من المجون فهي معان شعريّة لا يؤاخذ بها القائل، وكم للشعراء الأعفّاء أمثالها.

هجاؤه:

أخرج القرن الثالث للهجرة شاعرين هجّاءَين، هما أشهر الهجّائين، في أدب العصور الإسلاميَّة عامَّة: أحدهما ابن الرومي. والآخر دعبل الخزاعي، هاجي الخلفاء والأمراء وهاجي النّاس جميعاً وقال:

إنّي لأفتح عيني حين أفتحها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

وقد جمع المعرّي بينهما في بيت واحد وضرب بهما المثل لهجاء الدهر لبنيه فقال:

لو أنصف الدهر هجا أهله   كأنَّه الروميُّ أو دعبلُ

وليس للمؤرِّخ الحديث أن يضيف إسماً جديداً إلى هذين الاسمين فإنَّ العصور التالية للقرن الثالث لم تخرج من يضارعهما في قوَّة الهجاء والنفاذ في هذه الصناعة، وكلاهما مع هذا نوعٌ فذٌّ في الهجاء يظهر متى قرن بالآخر.

فدعبل كما قلنا في غير هذا الكتاب (لا يهمّنا ما ذكره في دعبل).

أمّا ابن الرومي فلم يكن مطبوعاً على النفرة من الناس، ولم يكن قاطع طريق على المجتمع في عالم الأدب، ولكنَّه كان فنّاناً بارعاً اوتي ملكة التصوير ولطف التخيّل والتوليد وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال، فإذا قصد شخصاً أو شيئاً بهجاء صوَّب إليه «مصوِّرته» الواعية فإذا ذلك الشيء صورةٌ مهيَّأةٌ في الشعر تهجو نفسها بنفسها، وتعرض للنظر مواطن النقص من صفحتها كما تنطبع الأشكال في المرايا المعقوفة والمحدّبة، فكلّ هجوه تصويرٌ مستحضرٌ لأشكاله، أو لعبٌ بالمعاني على حساب من يستثيره.

وابن الرومي يسلب مهجوَّه الفطنة والكياسة والعلم ويلصق به كلَّ عيوب الحضارة التي يجمعها التبذّل والتهالك على اللذَّات، فإذا حذفت من هجوه كلَّ ما أوجبته الحضارة والخلاعة الفاشية في تلك الحضارة فقد حذفت منه شرَّ ما فيه

ولم يبق منه الاّ ما هو من قبيل الفكاهة والتصوير.

وكان لصاحبنا فنّاً واحداً من الهجاء لا ترتاب في أنَّه كان يختاره ويكثر منه ولو لم تحمله الحاجة وتُلجئه النقمة إليه، ونعني به فنَّ التصوير الهزليِّ والعبث بالأشكال المضحكة والمناظر الفكاهيَّة والمشابهات الدقيقة، فهو مطبوعٌ على هذا كما يطبع المصوِّر على نقل ما يراه وإعطاء التصوير حقَّه من الإتقان والاختراع، وما نراه كان يقع عنه في شعره ولو بطلت ضروراته وحسنت مع الناس علاقاته، لكن هذا الفنّ أدخل في التصوير منه في الهجاء، وهو حسنة وليس بسيِّئة، وقدرةٌ تُطلب وليس بخلَّة تُنبذ، وأنت لا يغضبك أن ترى ابنك الذي تهذِّبه وتهديه ماهراً فيه خبيراً بمغامزه وخوافيه، وإن كان يغضبك أن تراه يشتم المشتوم ويهين المهين، ويهجو مَن يستهدف غرضه للهجاء؛ لأنَّك إذا منعته أن يفطن إلى الصور الهزليَّة وأن يفتن في إدراك معانيها وتمثيل مشابهاتها منعت ملكة فيه أن تنمو وأبيت على حاسته الصادقة فيه أن تصدِّقه وتفقه ما تقع عليه، أمّا إذا منعت الهجاء وبواعثه فإنَّك تمنع خلقاً يستغنى عنه، وميلاً لا بدَّ له من التقويم.

ذلك هو فنُّ ابن الرّوميِّ الذي لا عذر له منه ولا موجب للإعتذار، فأمّا ما عدا ذلك من هجائه فهو مسوقٌ فيه لا سائق، ومدافعٌ لا مهاجم، ومستثارٌ عن عمد في بعض الأحيان لا مستثيرٌ، وإنَّك لتقرأ له قوله:

ما استبَّ قطُّ اثنان إلّا غلبا ... شرّهما نفساً وامّاً وأبا

فلا تصدِّق أنَّ قائله هو ابن الرّومي هجّاء اللغة العربيَّة وقاذف المهجوّين بكُلِّ نقيضة، لكنَّ الواقع هو هذا، والواقع كذلك أنَّه كان يسكن إلى رشده أحياناً فيتسأم الهجاء ويعافه ويودُّ الخلاص منه حتّى لو كان مهجوّاً معدوّاً عليه ويعتزم التوبة عن الهجاء مقسماً:

آليت لا أهجو طَوا ... ل الدَّهر إلّا مَن هجاني
لا بل سأطَّرح الهجا ... ءَ وإن رماني مَن رماني

أمن الخلائق كلّهم | فليأخذوا منّي أماني
حلمي أعزُّ عليَّ من | غضبي إذا غضبي عراني
أولى بجهلي بعد ما | مكّنت حلمي من عناني

وهذا أشبه بابن الرومي لأنّه في صميمه خلق مسالماً سهلاً، ولم يخلق شريراً مطويّاً على الشكس والعداوة، بل هو لو كان شريراً لما اضطرَّ إلى كلِّ هذا الهجاء، أو هو لو كان أكبر شرّاً لكان أقلّ هجاءً، لأنَّه كان يأمن من جانب العدوان فلا يقابله بمثله، وما كان الهجاء عنده كما قلنا إلّا سلاح دفاع لا سلاح هجوم، وما كان هجاؤه يشفُّ عن الكيد والنكاية وما شابههما من ضروب الشرِّ المستقرِّ في الغريزة، كما كان يشفُّ عن الحرج والتبرّم والشعور بالظلم الّذي لا طاقة له باحتماله ولا باتّقائه، وكثيرٌ من الأشرار الّذين يقتلون ويعتدون ويُفسدون في الأرض يقضون الحياة دون أن تسمع منهم كلمة ذمٍّ في إنسان، وكثيرٌ من النّاس يذمّون ويتسخّطون لأنّهم على ذلك مطبوعون.

ومن قرأ مراثي ابن الرومي في أولاده وامّه وأخيه وزوجته وخالته وبعض أصدقائه علم منها أنّها مراثي رجل مفطور على الحنان ورعاية الرحم والأنس بالأصدقاء والإخوان، فمراثيه هي التي تدلُّ عليه الدلالة المنصفة وليست مدائحه التي كان يمليها الطمع والرغبة أو أهاجيه التي كان يمليها الغيظ وقلّة الصبر على خلائق الناس، ففي هذه المراثي تظهر لنا طبيعة الرجل لا تشوبها المطامع والضرورات، ونرى فيه الولد البارّ، والأخ الشفيق، والوالد الرحيم، والزوج الودود، والقريب الرؤوف، والصديق المحزون، ولا يكون الرجل كذلك ثمَّ يكون مع ذلك شريراً مغلق الفؤاد مطبوعاً على الكيد والإيذاء.

وإذا اختلف القولان بينه وبين أبناء عصره فأحجى بنا أن نصدِّق كلامه هو في أبناء عصره قبل أن نصدِّق كلامهم فيه، لأنّهم كانوا يستبيحون إيذاءه ويستسهلون الكذب عليه لغرابة أطواره، وتعوَّد الناس أن يصدِّقوا كلَّ ما يُرمى به غريبُ الأطوار من التهم والأعاجيب، في حين أنّه كان يتحاشى عن تلك التهم، ويغفر الإساءة بعد الإساءة مخافةً من كثرة الشكاية وعلماً منه بقلّة الإنصاف.

أتاني مقالٌ من أخٍ فاغتفرته ... وإن كان فيما دونه وجه معتب

وذكّرت نفسي منه عند امتعاضها ... محاسن تعفو الذنب عن كلّ مذنبِ

ومثلي رأى الحسنى بعين جليَّة ... وأغضى عن العوراء غير مؤنّبِ

فيا هارباً من سخطنا متنصِّلاً ... هربت إلى أنجى مفرٍّ ومهربِ

فعذرك مبسوطٌ لدينا مقدَّمٌ ... وودُّك مقبولٌ بأهلٍ ومرحبِ

ولو بلغتني عنك أُذني أقمتها ... لديّ مقام الكاشح المتكذِّبِ

ولست بتقليب اللسان مصارماً ... خليلي إذا ما القلب لم يتقلَّبِ

فالرَّجل لم يكن شريراً ولا رديء النفس ولا سريعاً إلى النقمة، فلماذا إذن كثر هجاؤه واشتدَّ وقوعه في أعراض مهجوّيه؟! نظنُّ أنَّه كان كذلك لأنَّه كان قليل الحيلة طيِّب السريرة خالياً من الكيد والمراوغة والدسيسة وما شابه هذه الخلائق من أدوات العيش في مثل عصره، فكان مستغرقاً في فنّه يحسب أنَّ الشعر والعلم والثقافة وحدها كفيلةٌ بنجاحه وارتقائه إلى مراتب الوزارة والرئاسة، لأنّه كان في زمن يتولّى فيه الوزارة الكتّاب والرُّواة ويجمعون في مناصبهم أُلوف الأُلوف ويحظون بالزلفى عند الأُمراء والخلفاء، وقد كان هو شاعراً كاتباً، وكان خطيباً واسع الرِّواية مشاركاً في المنطق والفلك واللغة، وكلّ ما تدور عليه ثقافة زمان، أو كما قال المسعودي: كان الشعر أقلّ أدواته . . . وكان الشعر وحده كافياً لجمع المال وبلوغ الآمال؛ فماذا بعد أن يعرف الناس أنَّه شاعرٌ وأنَّه كاتبٌ وأنَّه راويةٌ مطّلعٌ على الفلسفة والنجوم؟! إلاّ أن تجيئه الوزارة ساعيةً إليه تخطب ودَّه، كما جاءت إلى اناس كثيرين لا يعلمون علمه، ولا يبلغون في البلاغة مكانه، ألم يصل ابن الزَّيات إلى الوزارة بكلمة واحدة فسَّرها للمعتصم وفصَّل له تفسيرها وهي كلمة (الكلاء) التي يعرفها عامَّة الادباء؟! بلى، وابن الرّومي كان يعرف من غرائب اللغة ما لم يكن يعرفه شعراء عصره ولا ادباؤه، فما أولاه إذن بالوزارة! وما أظلم الدنيا! إذ هي ضنَّت عليه بحقِّه من المناصب والثراء.

فإذا لم تكن الوزارة فهل أقل من الكتابة أو العمالة لبعض الوزراء والكتّاب المبرِّزين؟! فإذا لم يكن هذا ولا ذاك فهل غبنٌ أصعب على النفس من هذا

الغبن؟! وهل تقصيرٌ من الزمان ألام من هذا التقصير؟!.

ونبوءة أبيه ورجاؤه في مستقبله وقوله: (أنت للشرف) أيذهب هذا كلّه هباءً لا يقبض منه اليدين على شيء؟! تلك النبوءات التي تنطبع على أفئدة الصغار بمثل النار، ولا تزال غرارة الطفولة وأحلام الصبا تزخرفها وتوشيها وتعمق في الضمير أغوارها، أيأتي الشباب وهي محوٌ لغوٌ مطموسٌ لا يبين أو لا يبين منه إلّا ما ينقلب إلى الأضداد وتترجمه الأيّام بالسقم والفقر والكساد؟! وكيف يمحى إلّا وقد محا القلب الذي طبعت فيه؟! وكيف ينعكس معناه إلّا وقد انعكس في القلب كلّ قائم والتوى فيه كلّ قويم؟! ذلك صعبٌ على النفوس وليس بالسهل إلّا على مَن يلهو به وهو بعيدٌ.

وهكذا كان ابن الرومي يسأل نفسه مرّة بعد مرّة ويوماً بعد يوم:

مالي أسلّ من القراب وأغمد؟! لِمَ لا أُجرَّد والسيوف تجرَّدُ؟
لِمَ لا أُجرَّب في الضرائب مرَّة يـا للرجـال وإنني لَمهنّـدُ؟!

ولا يدري كيف يجيب نفسه على سؤاله، لأنَّه لم يكن يدري أنَّ فضائله كلّها لا تساوي فتيلاً بغير الحيلة والعلم بأساليب الدخول بين النّاس، وأنَّ الحيلة وحدها قد تغني عن فضائله جميعاً ولو كان صاحبها لا ينظم شعراً، ولا ينظر في كتب الفلسفة والرِّواية والنجوم.

حسن إذن ندع الوزارة والولاية والعمالة بعد يأس مضيض يسهل علينا هنا أن نسطره في كلمة عابرة ولكنّه لا يسهل على من يعالجه ويشفى بمحنته في ساعةٍ من ساعات حياته، ندع الوزارة والعمالة ونقنع بالمثوبة من الوزراء والولاة والعمّال إن كانوا يثيبون المادحين، فهل تراهم يفعلون؟!.

لا. لأنَّ الحيلة لازمةٌ في استدرار الجوائز والمثوبات لزومها في كلِّ غرض من أغراض المعاش ولا سيَّما في ذلك الزمان الذي شاعت فيه الفتن والسعايات، وما كانت تنقضي منه سنةٌ واحدةٌ بغير مكيدة خبيثة تودي بحياة خليفة أو أمير أو وزير، وربما كانت مصانعة الحجاب والتماس مواقع الهوى من

نفوس الحاشية والندمان واللعب بمغامز النفوس الخفيَّة وإضحاك هؤلاء، وهؤلاء أجدى على الشاعر في هذا الباب من بلاغة شعره وغزارة علمه.

وبسط الكلام في الموضوع إلى ص ٢٣٥ فقال:

هو وشعراء عصره:

عاصر ابن الرومي، في بيئته كثيرٌ من الشعراء أشهرهم في عالم الشعر الحسين بن الضحّاك، ودعبل الخزاعي، والبحتري، وعليُّ بن الجهم، وابن المعتزّ، وأبو عثمان الناجم.

وليس لهؤلاء ولا لغيرهم ممَّن عاصروه وعرفوه أو لم يعرفوه أثرٌ يُذكر في تكوينه غير اثنين فيما نظنّ هما: الحسين بن الضحّاك، ودعبل الخزاعي.

(**قال الأمينيُّ**): وكان بين ابن الرّومي والشاعر المفلق إبن الحاجب محمَّد بن أحمد صلة ومودَّة وجرت بينهما نوادر منها: إنَّ ابن الحاجب سأله ابن الرومي زيارته في يوم معلوم فصاروا إليه فلم يجدوه فقال ابن الرومي فيه شعراً أوّله:

نجّاك يا بن الحاجب الحاجبُ وليس ينجو منِّي الهاربُ

وأجابه ابن الحاجب بأبيات توجد في معجم المرزباني ٤٥٣.

قال: فكان ابن الرومي معجباً بالحسين بن الضحاك يروي شعره ويستملح أخباره ويذكرها لأصحابه، وكان ابن الرومي يافعاً يحضر مجالس الأدب ويتلقّى دروسه والحسين في أوج شهرته يتناشد أشعاره ادباء الكوفة وبغداد ومدن العراق (ثمَّ ذكر بعض ما رواه ابن الرّوميِّ من شعر ابن الضحّاك نقلاً عن الأغاني) فقال:

وقد مات الحسين بن الضحّاك وابن الروميَ في التاسعة والعشرين ولم نر في تاريخه ولا في تاريخ الحسين ما يُشير إلى تلاقيهما في بغداد حيث عاش ابن الرومي معظم حياته، أو في غير بغداد حيث كان يرحل ابن الضحاك.

أمّا دعبل فابن الرّومي عارضه في موضعين أحدهما القصيدة الطائيَّة التي نظمها دعبل حين اتهم خالداً بسرقة ديكه وإطعامه لضيوفه وقال في مطلعها:

أسـر المؤذِّن خالـدٌ وضيـوفـه   أسر الكميِّ هفا خلال الماقط[١]

ولآخر في قصيدة لدعبل مطلعها:

أتيت ابن عمـرو فصـادفتـه   مـريض الخـلائق ملتـاءَهـا

وكان دعبل فيما عدا ذلك متشيِّعاً لآل عليٍّ غالياً في تشيّعه[٢] فجذب ذلك كلّه نفس ابن الرومي الفتى نحوه وحبَّب إليه محاكاته ومجاراته، وربما كانت الرغبة في مجاراته إحدى دواعيه إلى الهجاء، ومات دعبـل وابن الرّومي في الخامسة والعشرين ولا نعلم أنَّهما تعارفا أو كان بينهما لقاء.

وأمّا البحتري وأبو عثمان الناجم فالثابت أنَّ ابن الرّومي كان على معرفة وصحبة معهما، عرف البحتري في بيت الناجم وكان هذا صديقاً له بقي على صداقته إلى يوم موته.

(قال الأميني): لابن الرومي قصيدةٌ في البحتري وأدبه وشعره توجد منها أبيات في ثمار القلوب للثعالبي ص ٢٠٠ و٣٦٢.

وأمّا عليُّ بن الجهم المتوفّى ٢٤٩ فقد كان بينه وبين ابن الرومي برزخٌ واسعٌ من اختلاف المـذهب في الدين والشعـر، فابن الـرومي متشيِّع، وابن الجهم نـاصبٌ يذمُّ عليّـاً وآله «ولا يلتقي الشيعيُّ والنـاصب» كمـا يقـول ابن الرومي. وكان ابن الجهم شديد النقمة على المعتزلة وعلى أهل العدل والتوحيد منهم خاصَّة يهجوهم ويدسُّ لهم ويقول في زعيمهم أحمد بن أبي داود:

مـا هـذه البـدع التي سمَّيتهـا   بالجهل منك العدل والتوحيدا

وابن الرومي كما مرَّ بك من هذه الجماعة، فمذهبه في الدين ينفره ابن

---

(١) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٤٤٣

(٢) عزو باطل لا يشوِّه به قدس تشيع مثل دعبل.

الجهم ولا يرغبه في مجاراته، ولو تشابها فيما عدا ذلك من المزاح والنزعة، لقد يهون هذا الفارق ويسهل على ابن الرّومي الإغضاء عنه، وهو ناشئ يتلمّس القدوة، ويخطو في سبيل الشهرة، ولكنّك تقرأ شعر ابن الجهم في فخره ومزاحه فيخيَّل إليك انَّك تقرأ كلام جنديٍّ يتنفَّج أو يُعربد لخلوِّه من كلِّ عاطفة غير عواطف الجند يقضون أوقاتهم بين الفجر والضجيج واللهو والسكر، وليس بين هذه الطبيعة وطبيعة ابن الرومي مسرب للقدوة أو للمقاربة في الميل والإحساس.

وأمَّا ابن المعتز فقد ولد سنة سبع وأربعين ومِئتين، فلمّا أيفع وبلغ السنّ التي يقول فيها الشعر كان ابن الرومي قد جاوز الأربعين أو ضرب في حدود الخمسين، ولمّا بلغ واشتهر له كلام يروى في مجالس الادباء كان ابن الرّومي قد أوفي على الستِّين وفرغ من التعلّم والاقتباس، ولو انعكس الأمر وكان ابن المعتزّ هو السابق في الميلاد لما أخذ منه ابن الرومي شيئاً، أو لكان أفسد سليقته بالأخذ عنه، لأنّ ابن المعتزّ إنَّما امتاز بين شعراء بغداد في عصره بمزاياه الثلاث وهي: البديع. والتوشيح. والتشبيه بالتحف والنفائس. وابن الرومي لم يُرزق نصيباً معدوداً من هذه المزايا ولم يكن قطُّ من أصحاب البديع أو أصحاب التشبيهات التي تدور على الزخرف، وتستفيد نفاستها من نفاسة المشبهات.

تاريخ وفاته:

قال ابن خلكان: توفي يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين. وقيل: وسبعين ومِئتين ودفن في مقبرة باب البستان. والذين جاؤا بعد ابن خلكان تابعوه في هذا الشكّ ولا مسوِّغ لهذا الشكِّ بأُمور[1] الأوّل قوله:

طربت ولم تطرب على حين مطرب   وكيف التصابي بابن ستّين أشيب؟!

فبملاحظة تاريخ ولادته المتسالم عليه بين أرباب المعاجم يوافق ستّين مع سنة ٢٨١ فهو لم يمت في سنة ٢٧٦ على التحقيق. ولا يُظن أنَّ الستّين هنا

(١) نحن نذكر ملخصها.

تقريبيَّة لضرورة الشعر فإنَّه ذكر الخمس والخمسين في موضع آخر حيث قال:

كبرت وفي خمس وخمسين مكبر وشبت فألحاظ المها عنك نُفَّر[(١)]

الثاني: ما في مروج الذهب (ج ٢ ص ٤٨٨) للمسعودي من أن قطر الندى بنت خمارويه وصلت إلى مدينة السَّلام مع ابن الجصّاص في ذي الحجَّة سنة إحدى وثمانين ففي ذلك يقول ابن الرومي:

يا سيِّد العرب الذي زُفَّت لـه باليمن والبركات سيِّدة العجم

(قال الأميني): قال الطبري في تاريخه ج ١١ ص ٣٤٥: كان دخولهم بغداد يوم الأحد لليلتين خلتا من المحرَّم سنة ٢٨٢.

الثالث: مقطوعاته التي نظمها الشاعر في العرس الذي احتفل به الخليفة سنة اثنتين وثمانين.

(قال الأميني): وممّا ينفي الشكَّ من عدم وقوع وفاة المترجم سنة ٢٧٠ قصيدته التي يمدح بها المعتضد بالله أبا العباس أحمد في أيّام خلافته وقد بويع له في شهر رجب بعد عمِّه المعتمد سنة ٢٧٩ قال فيها:

هنيئاً بني العبّاس إنَّ إمـامكم إمام الهدى والبأس والجود أحمدُ
كما بأبي العبّاس أُنشىء ملككم كذا بأبي العبّاس أيضاً يُجـدّدُ

قال العقّاد: وأمّـا التاريخين الآخرين: أي سنة ثلاث وأربع وثمانين فعندنا تاريخ اليوم والشهر من اولاهما وليس عندنا مثل ذلك من الثانية وهذا ممّا يرجِّح وفاته في سنة ثلاث وثمانين دون أربع وثمانين.

(قال الأميني): لم نعرف وجه الترجيح بذكر تاريخ اليوم والشهر لمجرَّده مع قطع النظر عمَّا ذكره بعدُ من مضاهاة التاريخ بقوله:

ويقوي هذا الترجيح أنَّ مضاهاة التواريخ تُثبت لنا أنَّ جمادى الاخرى من سنة ثلاث وثمانين بدأت يوم جمعة فيكون يوم الأربعاء قد جاء لليلتين بقيتا من

(١) ذكر الخمس والخمسين في هذا البيت لا ينافي تقريبيّة الستين في سابقه.

جمادى الاولى في تلك السنة كما جاء في تاريخ الوفاة، وقد ضاهينا هذا اليوم على التاريخ الإفرنجي فوجدناه يوافق الرابع عشر من شهر يونيو، أي يوافق أبان الصيف في العراق، وابن الرومي مات في الصيف كما يُؤخذ من قول الناجم أنَّه دخل عليه في مرضه الذي مات فيه وبين يديه ماءٌ مثلوجٌ، فيجوزلناعلى هذا أن نجزم بأنَّ أصحَّ التواريخ الأوَّل وهو: يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين.

شهادته:

الأقوال بعد ذلك مجمعةٌ على موت ابن الرّومي بالسمّ وأنَّ الذي سمَّه هو القاسم بن عُبيد الله أوأبوه. قال ابن خلكان في وفيات الأعيان (ج ١ ص ٣٨٦): إنَّ الوزير أبا الحسين القاسم بن عُبيدالله بن سليمان بن وهب وزير الإمام المعتضد كان يخاف من هجوه وفلتات لسانه بالفحش فدسَّ عليه ابن فراش فأطعمه خشكنانجه مسمومة وهو في مجلسه فلمّا أكلها أحسَّ بالسمّ فقام، فقال له الوزير: إلى أين تذهب؟! فقال: إلى الموضع الذي بعثتني إليه. فقال له: سلِّم على والدي. فقال له: ما طريقي على النار.

وقال الشريف المرتضى في أماليه (ج ٢ ص ١٠١): إنَّه قد اتصل بعبيدالله بن سليمان بن وهب أمر عليٍّ بن العبّاس الرّومي وكثرة مجالسته لأبي الحسين القاسم فقال لأبي الحسين: قد أحببت أن أرى ابن روميِّك هذا فدخل يوماً عُبيدالله إلى أبي الحسين وابن الرّومي عنده فاستنشده من شعره فأنشده وخاطبه فرآه مضطرب العقل جاهلاً فقال لأبي الحسين بينه وبينه: إنّ لسان هذا أطول من عقله، ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند أوّل عتب ولا يفكّر في عاقبته، فأخرجه عنك. فقال: أخاف حينئذ أن يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكّننا. فقال: يابنيَّ! إنّي لم أرد بإخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت أبي حيَّة النميري:

فقلن لها سرّاً: فديناك لا يرح   سليماً، وإلاّ تقتليه فألممي

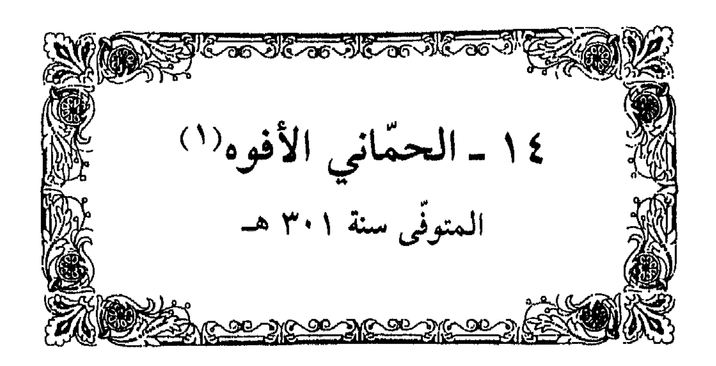
فحدَّث القاسمُ بن فراس بما جرى وكان أعدى الناس لابن الرّومي وقد هجاه بأهاج قبيحة فقال له: الوزير أعزَّه الله أشار بأن يغتال حتّى يُستراح منه وأنا أكفيك ذلك. فسمّه في الخشكنانج فمات. قال الباقطاني: والنّاس يقولون: ما قتله ابن فراس وإنَّما قتله عبيدالله.

ثمَّ ضعّف الرواية الاولى بأنّ عُبيد الله بن سليمان مات سنة ٢٨٨ بعد وفاة ابن الرّومي فلا معنى لقول القاسم له: سلّم على والدي. ووالده بقيد الحياة.

واستشكل في الرواية الثانية بأنّ عبيد الله كانت له سوابق معرفة مع ابن الرّومي فلا يتمُّ ما فيها من طلبه رؤيته.

وأنت ترى أنَّ التضعيف الثاني ليس في محلّه إذ الرؤية المطلوبة لعبيدالله كما يظهر من نفس الرّواية رؤية اختبار لا مجرَّد رؤية حتّى تنافي التعارف والاجتماع قبلها، فيحتمل عندئذ أنَّ عبيدالله هو القائل: سلّم على والدي. لا ابنه، والله العالم.





١٤ ـ الحمّاني الأفوه[١]

المتوفّى سنة ٣٠١ هـ

ابن الّذي رُدَّت عليه الشمـ ـس في يـوم الحـجـابِ
وابن القسيـم النّـار في يـوم المـواقف والحسـابِ
مـولاهُم يـوم «الغـديـر» بـرغم مـرتـابٍ وآبي[٢]

وله:

قـالوا: أبـو بكر لـه فضله قـلـنـا لـهـم: هـنّـأه الله
نسيتمُ خـطبة «خمّ» وهـل يُشبَّـه العبـد بـمـولاه؟!
إنَّ «عليّاً» كان مـولى لمن كان «رسول الله» مـولاه[٣]

الشاعر

أبو الحسين عليُّ بن محمَّد بن جعفر بن محمَّد بن محمَّد بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طـالب عليهم السَّلام الكـوفي الحِمّـاني المعروف بالأفوه. وفي لباب الأنساب: يُلقَّب هو ووالده محمَّد بالحمّال. ويقال لأولاده: بنو الحمّال.

حِمّان بكسر المهملة وتشديد الميم محلّةٌ بالكوفة والنسبة إلى حِمّان قبيلة

---

(١) تبعاً على المؤرخين ذكرناه في هذا القرن.
(٢) امتدح بها بعض أهل البيت الطاهر، ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٤٦٢.
(٣) ذكرها البياضي في صراطه المستقيم.

من تميم وهم: بنو حِمّان بن عبد العزيز بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. واسم حِمّان: عبد العزّى. وقد سكن هذه المحلّة من نسب إليها وإن لم يكن منها[1] فما في بعض المعاجم ضبطه بالمعجمة تصحيفٌ.

المترجم له في الرعيل الأوَّل من فقهاء العترة ومدرِّسيهم في عاصمة التشيّع بالعراق في القرون الاولى «الكوفة» وفي السنام الأعلى من خطباء بني هاشم وشعرائهم المفلقين، وقد سار بذكره وبشعره الركبان، وعرفه القريب والبعيد بحسن الصياغة وجودة السرد، أضف إلى ذلك علمه الغزير، ومجده الأثيل، وسؤدده الباهر، ونسبه العلويّ الميمون، وحسبه الوضّاح إلى فضائل جمَّة تسنَّمت به إلى ذروة الخطر المنيع.

سأل المتوكّل ابن الجهم: من أشعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهليَّة والإسلام، ثمَّ إنه سأل أبا الحسن (الإمام عليّ بن محمّد الهادي) فقال: الحِمّاني حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قريش عصابةٌ ... بمدِّ خدودٍ وامتداد أصابعِ
فلمّا تنازعنا المقال قضى لنا ... عليهم بما يهوى نداء الصوامعِ
ترانا سكوتاً والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت في كلِّ جامعِ
فإنَّ رسول الله أحمد جدُّنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالعِ

قال: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟! قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنَّ محمّداً رسول الله، جدّي أم جدّك؟! فضحك المتوكّل ثمَّ قال: هو جدُّك لا ندفعك عنه.

هذا الحديث ذكره الجاحظ في [المحاسن والأضداد] ص ١٠٤، والبيهقي في [المحاسن والمساوىء] ج١ ص٧٤ غير أنَّ فيها: الرضى. مكان أبي الحسن. وأحسبه تصحيف «المرتضى» وهو لقب الإمام الهادي سلام الله عليه.

---

(١) معجم البلدان ج ٣ ص ٣٣٥، اللباب ج ١ ص ٣١٦.

ورواه شيخ الطائفة في أماليه ص ١٨٠، وبهاء الدين في [تاريخ طبرستان] ص ٢٢٤، وابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٥ ص ١١٨ ط هند.

وأثنى عليه المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٣٢٢ في كلام يأتي له وقال: كان عليُّ بن محمّد الحِمّاني مفتيهم بالكوفة وشاعرهم ومدّرسهم ولسانهم، ولم يكن أحدٌ بالكوفة من آل عليٍّ بن أبي طالب يتقدّمه في ذلك الوقت.

وذكره النّسّابة العمري في «المجدي» وأطراه بما ملخَّصه: كان مشهوراً بالشعر،رثى يحيى بن عمر وكان أشعر ولد أبيه يكنّى أبا الحسين. وقال في ترجمة الشريف الرضي: هو أشعر قريش إلى وقتنا وحسبك أن يكون قريش في أوّلها الحرث بن هشام والعبلي وعمر بن أبي ربيعة وفي آخرها بالنسبة إلى زمانه محمّد بن صالح الموسوي وعليّ بن محمّد الحِمّاني.

وذكره الرفاعي في «صحاح الأخبار» ص ٤٠ وقال: كان شهماً شجاعاً شاعراً مفلقاً وخطيباً مصقعاً. وأثنى عليه بالعلم وجودة الشعر سهل بن عبدالله البخاري النّسّابة في «سرِّ السلسلة» وصاحب (بحر الأنساب المشجَّر) والبيهقي في «لباب الأنساب» وابن المهنّا في «عمدة الطالب» ٢٦٩ وذكر الأخير أنَّ له ديوان شعر مشهور.

وقال الحموي في «معجم الادباء» ج ٥ ص ٢٨٥ في ترجمة محمّد بن أحمد الحسيني العلوي بعدما أثنى عليه بأنَّه شاعرٌ مفلقٌ، وعالمٌ محقِّقٌ، شائع الشعر، نبيه الذكر، ليس في ولد الحسن من يشبهه، بل يُقاربه عليُّ بن محمّد الأفوه.

وحكى صاحب «نسمة السحر» عن الحموي أنّه قال: كان المترجم في العلويَّة من الشهرة والأدب والطبع كعبدالله بن المعتز في العبّاسيَّة وكان يقول: أنا شاعرٌ وأبي شاعرٌ وجدِّي شاعرٌ إلى أبي طالب.

كان سيِّدنا الحِمّاني، في جانب عظيم من الإباء والحماسة وقوَّة القلب،

ورباطة الجاش، وصراحة اللهجة، والجرأة على مناوئيه. كلُّ ذلك وراثةً من سلفه الطاهر وبيته الرفيع. قال المسعودي: لمّا دخل الحسن بن إسماعيل الكوفة وهو صاحب الجيش الذي لقي يحيى بن عمر (الشهيد سنة ٢٥٠) قعد على سلامه ولم يمض إليه ولم يتخلّف عن سلامه أحدٌ من آل عليٍّ بن أبي طالب الهاشميين، وكان عليُّ بن محمَّد الحِمّاني مفتيهم بالكوفة (إلى أن قال): فتفقَّده الحسن بن إسماعيل وسأل عنه وبعث بجماعة فأحضروه فأنكر الحسن تخلّفه فأجابه عليُّ بن محمَّد بجواب مستقتلٍ آيسٍ من الحياة فقال: أردتُ أن آتيك مهنّئاً بالفتح وداعياً بالظفر. وأنشد شعراً لا يقوم على مثله من يرغب في الحياة:

قتلت أعزَّ من ركب المطايا — وجئتك أستلينك في الكلامِ
وعزَّ عليَّ أن ألقاك إلّا — وفيما بيننا حدُّ الحسامِ
ولكنَّ الجناح إذا أُهيضت — قوادمه يرفُّ على الأكامِ

فقال له الحسن بن إسماعيل: أنت موتورٌ فلست أنكر ما كان منك. وخلع عليه وحمله إلى منزله[1].

حبسه أبو أحمد الموفّق بالله المتوفّى سنة ٢٧٨ مرَّتين مرَّة لكفالته بعض أهله. ومرَّة لسعاية عليه من أنَّه يريد الخروج على الخليفة فكتب إليه من الحبس:

قد كان جدّك عبد اللّه خير أب — لابني عليٍّ حسينٍ الخير والحسنِ
فالكفّ يوهن منها كلّ أنملة — ما كان من أُختها الأُخرى من الوهنِ

فلمّا وصل إليه الشعر كفل وخلّى سبيله، فلقيه أبو عليّ وقال له: قد عدت إلى وطنك الذي تلذّه، وإخوانك الّذين تحبّهم. فقال: يا أبا علي! ذهب الأتراب والشباب والأصحاب وأنشد:

هبني بقيتُ على الأيّام والأبدِ — ونلتُ ما شئتُ من مالٍ ومن ولدِ

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٢ وفي طبعة ٤١١.

من لي برؤية من قد كنت آلفه ... وبالشَباب الَّذي ولى ولم يعدِ
لا فارق الحزن قلبي بعد فرقتهم ... حتّى تفرَّق بين الروح والجسدِ[١]

ومن نماذج شعره قوله:

بين الوصيِّ وبين المصطفى نسبٌ ... تختال فيه المعالي والمحاميد
كانا كشمس نهار في البروج كما ... أدارها ثَمَّ أحكام وتجويدُ
كسيرها انتقلا من طاهرٍ علَم ... إلى مطهَّرة آباؤها صيدُ
تفرّقا عند عبدالله واقترنا ... بعد النبوَّة توفيقٌ وتسديدُ
وذرَّ ذو العرش ذرّاً طاب بينهما ... فانبثَّ نورٌ له في الأرض تخليدُ
نورٌ تفرَّع عند البعث فانشعبت ... منه شعوبٌ لها في الدين تمهيدُ
هم فتيةٌ كسيوف الهند طال بهم ... على المتطاول آباءٌ مناجيدُ
قومٌ لماء المعالي في وجوههمُ ... عند التكرُّم تصويبٌ وتصعيدُ
يدعون أحمد إن عدَّ الفخار أباً ... والعود ينسب في أفنائه العودُ
والمنعمون إذا ما لم تكن نعمٌ ... والذائدون إذا قلَّ المذاويدُ
أوفوا من المجد والعلياء في قلل ... شمٍّ قواعدهنَّ الفضل والجودُ
ما سوَّد الناس إلاّ من تمكّن في ... أحشائه لهمُ ودٌّ وتسويدُ
سبط الأكفّ إذا شيمت مخايلهم ... أُسد اللقاء إذا صيد الصناديدُ
يزهو المطاف إذا طافوا بكعبته ... وتشرئبّ[٢] لهم منها القواعيدُ
في كلِّ يوم لهم بأسٌ يعاش به ... وللمكارم من أفعالهم عيدُ
محسّدون ومن يعقد بحبِّهم ... حبل المودّة يصحى وهو محسودُ[٣]
لا ينكر الدهر إن ألوى بحقِّهمُ ... فالدهر مذ كان مذمومٌ ومحمودُ[٤]

---

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٢٣، وفي طبعة ٤١٤، أنوار الربيع ص ٤٨١.

(٢) اشرأب للشيء وإليه: مد عنقه لينظره. والاسم منه الشرأبيبة. كالطمأنينة.

(٣) في نهاية الارب:

محسدون ومن يعلق بحبهم ... من البرية يصبح وهو محمود

(٤) الفصول المختارة ج ١ ص ١٩، مناقب ابن شهر آشوب ج ٥ ص ٢١، نهاية الارب ج ٣ ص ١٨٤، مجالس المؤمنين نقلاً عن الشريف المرتضى ص ٤٦٨.

ولعلَّ قوله: محسَّدون. إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**أم يَحسدون الناسَ على ما آتاهم الله مِن فضله**﴾. وقد ورد فيها، أنَّهم الأئمَّة من آل محمّد. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٢٣٦: إنَّها نزلت في عليّ عليه السَّلام وما خصَّ به من العلم. وأخرج ابن حجر في «الصواعق» ص ٩١ عن الباقر عليه السَّلام أنَّه قال في هذه الآية: نحن الناس والله.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه | فالنّاس أعداءٌ له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها | حسداً وبغضاً: إنَّه لدميمُ

وأخرج الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» عن ابن عبّاس: انّ الآية نزلت في النبيِّ ﷺ وعليّ رضي الله عنه. وقال الصبّان في «إسعاف الراغبين» هامش نور الأبصار ص ١٠٩: أخرج بعضهم عن الباقر قي قوله تعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾. أنَّه قال: أهل البيت هم الناس.

وذكر أبو الفرج في «المقاتل» ص ٤٢٠ للحِمّاني قوله يرثي به يحيى الشهيد:

فإن يك يحيى أدرك الحتف يومه | فما مات حتّى مات وهو كريمُ
وما مات حتّى قال طلّاب نفسه | : سقى الله يحيى إنّه لصميمُ
فتىً آنست بالبأس والروع نفسه | وليس كما لاقاه وهو سؤومُ

«إلى آخر الأبيات»

وذكر له المسعودي وأبو الفرج في رثاء يحيى أيضاً قوله:

تضوَّع مسكاً جانب النهر إذ ثوى | وما كان إلّا شلوه يتضوَّعُ
مصارع أقوام كرام أعزَّةٍ | أُبيح ليحيى الخير في القوم مصرعُ

وذكر المسعودي في «مروج الذهب» قوله في يحيى بن عمر أيضاً:

يا بقايا السلف الصَّا | لح والبحر الربيحِ
نحن للأيّام من بين | قتيلٍ وجريحِ

خـــاب وجـــه الأرض كم ... غيّب من وجــه صبيــحِ
آه مـــن يـــومـــك مـــا أو ... راه لـــلقـلـب الـــقـــريــحِ

وفي «المروج» للمسعودي و«ربيع الأبرار» للزمخشري قوله:

إنّي وقومي من أحساب قومكمُ ... كمسجد الخيف من بُحبوبة الخيف
ما علّق السيف منا بابن عاشرة ... إلّا وهمّته أمضى من السيفِ

وله في رثاء يحيى قوله كما في مروج الذهب:

لعمري لئن سرّت قريش بهلكه ... لمـا كان وقّـافاً غـداة التوقّفِ
فـإن مات تلقـاء الرُّمـاح فإنّـه ... لمن معشر يشنون موت التترُّفِ
فلا تشمتوا فالقوم من يبقٍ منهمُ ... على سنن منهم مقام المخلّفِ
لهم معكم إمّا جدعتم أُنوفكم ... مقامات ما بين الصفا والمعرّفِ
تــراثٌ لهم من آدم ومحمّــد ... إلى الثقلين من وصايا ومصحفِ

وله في يحيى بن عمر أيضاً قوله:

قد كان حين علا الشباب بـه ... فـاق السوالف حـالك الشعـرِ
وكـأنّــه قمـرٌ تمنــطق في ... افق السـمـــاء بـدارة البـــدرِ
يـا ابن الّذي جعلت فضائله ... فلك العـــلا وقـلائـــد السـورِ
من اســرة جعلت مخـــايلهم ... للعـــالمين مخـــايـــل النــظرِ
تـتـهـيَّـب الأقـــدار قـــدرهـــمُ ... فـكـــأنّهـم قـــدَرٌ عــلى قـــدَرِ
والمـــوت لا تســـوى رميّتــه ... فلك العـلا ومـواضـع الغـررِ

وله في رثاء أخيه لأُمّه إسماعيل العلويّ شعرٌ كثيرٌ ومنه قوله:

هـذا ابن أُمّي عـديـل الـروح في جســدي ... شـــقَّ الــزمـــان بــه قـلبـي إلى كـبــدي
فاليوم لم يبق شيءٌ أستريح به ... إلّا تفتّت أعضـــائي من الكمـــدِ
أو مقلة بـحيـــاء الـهمّ بـــاكيـــة ... أو بيت مـرثيـة تبقى على الأبـــدِ
ترى أُناجيـك فيها بـالدمـوع وقد ... نـام الخليُّ ولم أهجع ولم أكـدِ
مَن لي بمثلك ؟! يا نور الحياة ويا ... يمنى يديَّ التي شلّت من العضدِ

مَن لي بمثلك؟! أدعـوه لحادثـة تُشكى إليـه ولا أشكو إلى أحـدِ
قد ذقت أنواع ثكـل كنت أبلغها على القلوب وأجناها على كبدي
قل للرَّدى: لا تُغادر بعـدهُ أحداً وللمنيَّـــة من أحببت فـاعتمـــدي
إنَّ الـزمـان تقضّى بعـد فـرقتـه والعيش آذن بـــالتفـريق والكنــدِ

وقال في نسب عليٍّ بن الجهم السامي أحد الشعراء المنحرفين عن عليّ أمير المؤمنين عليه السَّلام وكان ممَّن يظهر عداءه وقد طعن على نسبه من طعن وقال اناس: من عقب سامة ابن لوي بن غالب:

وســامــة منّــا فــأمّــا بنـوه فـأمــرهــمُ عنــدنــا مــظلمُ
انــاسٌ أتــونــا بــأنســابهـم خــرافــة مضــطجــع يحلمُ
وقلت لهم مثــل قــول النبيِّ وكــلّ أقــاويــله مــحــكــمُ
: إذا مـا سُئلت ولم تـدر مـا تقــولــه فقــل: ربّــنــا أعلمُ

وقال فيه أيضاً:

لــو اكتنفت النضـر أو معــدّا أو اتَّخـذت البيت كفّـاً مهـدا
وزمـــزمـــاً شـــريـــعـــةً ووردا والأخشبين محضــراً ومبــدى
ما ازددت إلاّ في قريش بُعدا أو كنت إلاّ مصقليّــاً وغدا[١]

وذكر له الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٢٢٣ قوله:

ويـوم قـد ظللت قـــريـر عين به في مثل نعمـة ذو رعينِ[٢]
تفكّهني أحـــاديث الــنــدامــا وتــطربني مثقّـفــة اليــديــنِ
فلولا خوف ما تجني اللّيـالي قبضت على الفتوّة باليدينِ

وذكر له قوله في بني طاهر لما مر على دورهم وقد سلبها الدهر البهجة ونزل بها من غدره رجَّة:

مـــررت بـدور بني طـــاهـــر بـدور الســرور ودور الفـــرح

---

(١) معجم الشعراء ص ٢٨٦، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٦.
(٢) من أذواء اليمن، يضرب به المثل في النعمة.

فشبَّهت سرعة أيّامهم بسرعة قوس يُسمّى قزحْ
تألّق معترضاً في السماء قليلًا وما دام حتّى مصحْ[١]

وذكر البيهقي في «المحاسن والمساوىء» ج ١ ص ٧٥ قوله :

عصيت الهوى وهجرت النساءْ وكنت دواءً فأصبحت داءْ
وما أنس لا أنس حتّى الممات نزيب[٢] الظباء تُجيب الظباءْ
دعيني وصبري على النائبات فبالصبر نلت الثرى والثواءْ
وإن يك دهري لوى رأسه فقد لقي الدهر منّي التواءْ
ونحن إذا كان شرب المدام شربنا على الصافنات الدماءْ
بلغنا السماء بأنسابنا ولولا السماء لجزنا السماءْ
فحسبك من سؤدد أنَّنا بحسن البلاء كشفنا البلاءْ
يطيب الثناء لآبائنا وذكر عليٍّ يزين الثناءْ
إذا ذكر الناس كنّا ملوكاً وكانوا عبيداً وكانوا إماءْ
هجانيَ قومٌ ولم أهجهم أبى الله لي أن أقول الهجاءْ

وذكر له النسّابة العمري في «المجدي» قوله:

هبني حننت إلى الشَّباب فطمست شيبي باختضابي
ونفقت عند الغانيات بحيلتي وجهاز مابي
مَن لي بما وقف المشيب عليه من ذلِّ الخضابِ
ولقد تأمَّلت الحياة بُعيد فقدان التَّصابي
فإذا المصيبة بالحياة هي المصيبة بالشبابِ

ومن شعره ما ذكره الزمخشري في « ربيع الأبرار » في الباب ٣٤ وهو:

لعمرك للمشيب عليَّ مما فقدت من الشباب أشدُّ فوتا
تملّيت[٣] الشباب فصار شيباً وأبليت المشيب فصار موتا

---

(١) توجد في أنوار الربيع ص ٢٥٠ ، ونسمة السحر نقلًا عن الثعالبي .
(٢) نزيب الظباء : أي صوتها .
(٣) من الملاوة: أي البرهة من الدهر، يقال: عشت مع الشباب ملاوة.

وذكر له الحموي في «معجم البلدان» ج ٧ ص ٢٦٦ قوله :

فيا أسفي على النجف المعرّى وأودية منـوَّرة الأقـاحي
وما بسط الخورنق من رياض مفجَّرة بأفنية فساحِ
ووا أسفاً على القنّاص تغدو خرائطها على مجرى الوشاحِ

ولعلَّ من هذه القصيدة ما ذكره ابن شهر آشوب له :

وإذ بيتي على رغم الملاحي هو البيت المقابل للضراحِ
ووالدي المشار به إذا ما دعى الداعي بحيٍّ على الفلاحِ

ومن شعره في «عمدة الطالب» ص ٢٦٩ قوله :

لنا من هاشم هضبات عزٍّ مطنَّبة بأبراج السماءِ
تطوف بنا الملائك كلَّ يوم ونكفل في حجور الأنبياءِ
ويهتزُّ المقام لنا ارتياحاً ويلقانا صَفاه بالصفاءِ

وذكر له ابن شهر آشوب «في المناقب» ج ٤ ص ٣٩ ط هند قوله :

يا بن من بينه من الدين والإسلا م بين المقام والمنبرينِ
لك خير البنيّتين من مسجدي جدِّ ك والمنشأين والمسكنينِ
والمساعي من لدن جدّك إسما عيل حتّى أُدرجت في الربطتينِ
يوم نيطت بك التمائم ذات الـ ـريش من جبرئيل في المنكبينِ

ومنها :

أنتما سيِّدا شباب الجنا ن يوم الفوزين والروعتين
ياعديل القرآن من بين ذا الخلق ويا واحداً من الثقلينِ
أنتما والقرآن في الأرض مذ أ زل مثل السَّماء والفرقدينِ
فهما من خلافة الله في الأر ض بحقّ مقام مستخلفينِ
قاله الصادق الحديث ولن يفترقا دون حوضه واردينِ

أشار إلى ما صحَّ عند أئمَّة فرق الإسلام من قول النبيِّ صّلى الله عليه وآله

وسلم في خطبة له: إنّي تاركٌ أو مخلِّفٌ فيكم الثقلين أو الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

وله في حديث الثقلين كما في «المناقب» ج ٥ ص ١٨ قوله:

يا آل حاميم الّذين بحبِّهم حكم الكتاب منزَّلٌ تنزيلا
كان المديح حُلى الملوك وكنتمُ حُلل المدائح غرة وحجولا
بيتٌ إذا عدَّ المآثر أهله عدّوا النبيَّ وثانياً جبريلا
قومٌ إذا اعتدلوا الحمائل أصبحوا متقسِّمين خليفةً ورسولا
نشأوا بآيات الكتاب فما انثنوا حتّى صدرن كهولةً وكهولا
ثقلان لن يتفرَّقا أو يطفيا بالحوض من ظمأ الصدور غليلا
وخليفتان على الأنام بقوله الحقّ أصدق من تكلَّم قيلا
فأتوا أكفَّ الآيسين فأصبحوا ما يعدلون سوى الكتاب عديلا

وله قوله:

وأنزله منه على رغمة العدى كهارون من موسى على قدم الدهرِ
فمن كان في أصحاب موسى وقومه كهارون لا زلتم على ظلل الكفرِ
وأخاهم مثلاً لمثل فأصبحت أُخوّته كالشمس ضمَّت إلى البدرِ
فآخا عليّاً دونكم وأصاره لكم علماً بين الهداية والكفرِ
وأنزله منه النبيُّ كنفسه رواية أبرار تأدَّت إلى البشرِ
فمن نفسه منكم كنفس محمّد ألا بأبي نفس المطهَّر والطهرِ[1]

كلّ هذه الأبيات مأخوذةٌ من الأحاديث النبويَّة الصحيحة من حديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث المؤاخاة الآتية في محلِّها، وأشار بالبيتين الأخيرين إلى ما أخرجه الحافظ النسائي في خصائصه ص ١٩ بإسناده عن أُبيّ قال قال رسول الله ﷺ: لينتهنَّ بنو ربيعة أو لأبعثنَّ عليهم رجلاً كنفسي ينفذ فيهم أمري. الحديث. وله في «المناقب» قوله في العترة الطاهرة:

(١) هذان البيتان الأخيران ذكرهما له البياض في الصراط المستقيم.

هم صفوة الله التي ليس مثلها وما مثلهم في العالمين بـديلُ
خيار خيار الناس من لا يحبّهم فليس لـه إلّا الجحيم مقيـلُ

وذكر له أبو نصر المقدسي في «الظرائف واللطائف» ص ١٢٣ قوله في صديق له ولدت له بنت فسخطها:

قـالـوا لـه: مـاذا رُزقت؟ فـأصاح ثَمَّـة قـال: بنتـا
وأجـلّ مـن ولـد النـسـا ء أبـو البنـات فلم جـزعتـا
إنَّ الّـذيـن تـودّ مـن بين الخلائق ما استـطعتـا
نـالـوا بفضـل البنت مـا كـبتـوا بـه الأعـداء كـبتـا

وذكر له المقدسي أيضاً قوله:

إنَّ صـدر النهار أنضـر شـطر يه كما نضرة الفتى في فتاتـه

ويوجد له في «مجموعة المعاني» ص ٥٩:

كـان يبكيني الغنـاء سـرورا فـأراني أبكي له اليـوم حزنـا
قد مضى ما مضى فليس يُرجّى وبقي مـا بقي فمـا فيـه مغنى

وله في ص ٨٢:

لا تكتسي النـور الرِّيـاض إذا لم يـروهنَّ مخـايـل المـطرِ
والغيث لا يُجـدي إذا ذرفت آمـاق مـدمعـه على حجـرِ
وكـذاك لـو نيـل الغنـا بيـد لم تجتـذب بسـواعـد القـدرِ

وله في «أنوار الرَّبيع» ص ٤٥٦ قوله:

يـا شـادنـاً أفـرغ من فضَّـة في خـدِّه تفّـاحـةٌ غـضّـه
كـأنـمـا القبـلة فـي خـدِّه لـلحسـن من رقَّتـه عـضّـه
يـهتـزُّ أعـلاه إذا مـا مـشى وكـلّه فـي يـمـنـه قـبـضـه
إرحـم فتـىً لمّـا تـملكتـه أقـرّ بـالـرقّ فلم تـرضـه

وله في «الأنوار» ص ٤٨٠ قوله:

بأبي فم شهد الضمير له ... قبل المذاق بأنّه عذبُ
كشهادتي لله خالصةً ... قبل العيان بأنّه الرَّبُ
والعين لا تُغني بنظرتها ... حتّى يكون دليلها القلبُ

وله في ص ٤٨١ قوله:

كأنَّ هموم الناس في الأرض كلّها ... عليّ وقلبي بينهم قلب واحدِ
ولي شاهدا عدل سهادٌ وعبرةٌ ... وكم مدَّعٍ للحقِّ من غير شاهدِ

وله في ص ٥٢٨ قوله:

وجهٌ هو البدر إلّا أنّ بينهما ... فضلاً تحيَّر عن حافاته النورُ
في وجه ذاك أخاليطٌ مسوَّدةٌ ... وفي مضاحك هذا الدرِّ منثورُ

وذكر له في «نشوة السكران» ص ٧٩ قوله:

عريتُ عن الشَّباب وكنت غضّاً ... كما يعرى عن الورق القضيبُ
ونحتُ على الشَّباب بدمع عيني ... فما نفع البكاءُ ولا النحيبُ
ألا ليت الشَّباب يعود يوماً ... فأُخبره بما فعل المشيبُ[1]

ولادته ووفاته:

لم نقف على تاريخ ولادة المترجم سيِّدنا «الِحمّاني» غير أنَّ المستَفاد من وفاته سنة ٣٠١، ووفاة والده سنة ستّ بعد المِئتين في خلافة المعتمد كما في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٤١٣: هو أنَّ السيِّد كان من المعمّرين أدرك القرن الثالث من أوّله إلى آخره.

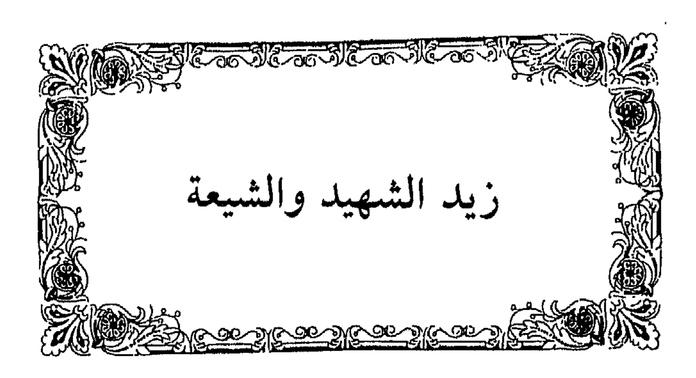
وأمّا وفاته فقد اختلف في تاريخها قال النسّابة العمري في «المجدي» ما ملخَّصه: ذكر شيخنا أبو الحسن بن جعفر: انَّ الحِمّاني مات سنة ٢٧٠ بعد مخرجه من المحبس، وقال ابن حبيب صاحب التاريخ في اللوامع: إنَّه مات سنة ٣٠١. وهذا هو الصحيح. اهـ.

(١) توجد هذه الأبيات بتغيير يسير في ديوان أبي العتاهية ص ٢٣.

وقال ابن الأثير في الكامل ج ٧ ص ٩٠: إنَّه توفي سنة ٢٦٠ والله أعلم.

ونحن نرى الصحيح ما صحّحه النسّابة صاحب «المجدي» لمكان أبياته المذكورة في بني طاهر ابن مصعب بعدما حكم عليهم الدهر، وانقرضت حكومتهم بعد موت آخر رئيسهم عبيدالله بن عبدالله بن طاهر المتوفّى في الثاني عشر من شوّال سنة ٣٠٠، فشعره فيهم يقتضي بقائه إلى هذا التاريخ سنة ٣٠١.

ولسيِّدنا المترجم ذريّةٌ كريمةٌ وأحفادٌ علماءُ أئمّةٌ أعلامٌ، فيهم مَن هو في الطليعة من الشعراء والادباء والخطباء، وإليه ينتهي نسب الاسرة الشهيرة (القزوينيَّة) العريقة في العلم والفضل والأدب النازلين في مدن العراق، كما أنَّ له آباءٌ أعلامٌ نالوا سنام المجد وذروة الشرف، فمن أولئك جدُّه الأعلى زيد الشهيد، ويهمّنا الآن بيان مجمل اعتقاد الشيعة فيه لإماطة الستر عمّا هناك من الجنايات المخبأة، والنسب المختلقة.



الإماميَّة الإثني عشريَّة

هو أحد أُباة الضيم، ومن مقدَّمى علماء أهل البيت، قد اكتنفته الفضائل من شتّى جوانبه، علمٌ متدفِّقٌ، وورعٌ موصوفٌ، وبسالةٌ معلومةٌ، وشـدَّةٌ في البأس، وشممٌ يخضع له كلُّ جامع، وإباءٌ يكسح عنـه أيّ ضيم، كلُّ ذلـك مـوصـولٌ بشرف نبويٍّ، ومجد علويٍّ، وسؤدد فاطميّ، وروحٍ حسينيٍّ.

والشيعة على بكرة أبيها لا تقول فيه إلّا بالقداسة، وترى من واجبها تبرير كلّ عمل له من جهادٍ ناجعٍ؛ ونهضةٍ كريمة، ودعوة إلى الرِّضا من آل محمَّد، تشهد لذلك كلّه أحاديث أسندوها إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم وأئمَّتهم عليهم السَّـلام، ونصوص علمـائهم، ومـدائح شعرائهم وتـأبينهم له، وإفـراد مؤلِّفيهم أخباره بالتَّدوين.

أمّا الأحاديث فمنه قول رسول الله صلّى الله عليـه وآله وسلم للحسين السبط: يخرج من صلبك رجلٌ يقال له :زيد يتخطّى هو وأصحابه رقاب الناس يدخلون الجنّة بغير حساب[١].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم فيه: انَّه يخرج ويُقتل بالكوفة ويُصلب بالكناسة، يخرج من قبره نبشاً، وتُفتح لروحه أبواب السَّماء، وتبتهج به أهل السَّموات والأرض[٢].

(١) عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق في الباب الـ ٢٥، وكفاية الأثر.

(٢) عيون أخبار الرضا لشيخنا الصدوق.

وقول أمير المؤمنين عليه السَّلام وقد وقف على موضع صلبه بالكوفة فبكى وبكى أصحابه فقالوا له: ما الّذي أبكاك؟! قال: إنَّ رجلاً من ولدي يُصلب في هذا الموضع، من رضي أن ينظر إلى عورته أكبَّه الله على وجهه في النّار[١].

وقول الإمام الباقر محمّد بن عليّ عليهما السّلام: اللّهمّ اشدد أزري بزيد. وكان إذا نظر إليه يمثِّل:

لعمرك ما إن أبو مالك	بِواهٍ ولا بضعيفٍ قواهُ
ولا بالألدّ له وازع	يُعادي أخاه إذا ما نهاهُ
ولكنّه هيِّنٌ ليِّنٌ	كعالية الرمح عردٌ نساهُ
إذا سدته سدت مطواعة	ومهما وكلت إليه كفاهُ
أبو مالك قاصرٌ فقره	على نفسه ومشيعٌ غناهُ[٢]

ودخل عليه زيد فلمّا رآه تلا: **﴿يا أيّها الّذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شُهداء لله﴾**. ثمّ قال: أنت والله يا زيد من أهل ذلك[٣].

وقول الصادق عليه السَّلام: إنّه كان مؤمناً، وكان عارفاً، وكان عالماً، وكان صدوقاً، أما إنّه لو ظفر لَوفى، أما إنّه لو ملك لَعرف كيف يصنعها[٤].

وقوله الآخر لمّا سمع قتله: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، عندالله أحتسب عمّي إنّه كان نعم العمّ، إنَّ عمّي كان رجلاً لدنيانا وآخرتنا، مضى والله عمّي شهيداً كشهداء استشهدوا مع رسول الله وعليّ والحسين مضى والله شهيداً[٥].

وقوله الآخر: إنّ زيداً كان عالماً، وكان صدوقاً، ولم يدعكم إلى نفسه وإنَّما دعاكم إلى الرِّضا من آل محمَّد، ولو ظفر لَوفى بما دعاكم إليه، وإنَّما خرج إلى سلطان مجتمع لينقضه[٦].

---

(١) كتاب الملاحم لسيدنا ابن طاوس في الباب الـ ٣١.
(٢) الأغاني ج ٢٠ ص ١٢٧.
(٣) الروض النضير ج ١ ص ٥٥.
(٤) رجال الكشي ص ١٨٤.
(٥) عيون أخبار الرضا.
(٦) الكافي.

وقوله الآخر في حديث: أمّا الباكي على زيد فمعه في الجنّة، أمّا الشامت فشريكٌ في دمه.

وقول الرِّضا سلام الله عليه، إنَّه كان من علماء آل محمَّد غضب لله فجاهد أعداءه حتّى قُتل[1]. والأحاديث في ذلك كثيرةٌ وإنَّما اقتصرنا على المذكور تحرِّياً للإيجاز.

وأمّا نصوص العلماء فدونك كلمة الشيخ المفيد في إرشاده، والخزّار القمّي في كفاية الأثر، والنسّابة العمري في المجدي، وابن داود في رجاله، والشهيد الأوَّل في قواعده، والشيخ محمَّد ابن الشيخ صاحب المعالم في شرح الاستبصار، والأسترابادي في رجاله، وابن أبي جامع في رجاله، والعلاّمة المجلسي في مرآة العقول، وميرزا عبدالله الإصبهاني في رياض العلماء، والشيخ عبد النبيِّ الكاظمي في تكملة الرجال، والشيخ الحرِّ العاملي في خاتمة الوسائل، والسيِّد محمَّد جدّ آية الله بحر العلوم في رسالته، والشيخ أبي علي في رجاله، وشيخنا النوري في خاتمة المستدرك، وشيخنا المامقاني في تنقيح المقال.

إلى كثيرين من أمثالهم فقد اتَّفقوا جميعاً على معنى واحد هو تنزيه ساحة زيد عن أيِّ عابٍ وشية، وانَّ دعوته كانت إلّهيّة، وجهاده في سبيل الله.

ويُعرب عن رأي الشيعة جمعاء قول شيخهم بهاء الملّة والدين العاملي في رسالة إثبات وجود الإمام المنتظر: إنّا معشر الإماميَّة لا نقول في زيد بن عليّ إلاّ خيراً، والروايات عن أئمّتنا في هذا المعنى كثيرةٌ. وقال العلاّمة الكاظميُّ في التكملة: اتَّفق علماء الإسلام على جلالة زيد وورعه وفضله.

وأمّا شعراء الشيعة فللكميت من هاشميّاته قصيدةٌ يرثي بها زيد بن عليّ وابنه الحسين ويمدح بني هاشم مطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمِّـل؟!   وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ؟!

---

(١) عيون الأخبار لشيخنا الصدوق.

وله قوله في زيد:

يعــزّ على أحمــد بــالــذي ... أصاب ابنه أمس من يوسفِ[١]

خبيثٌ من العصبــة الأخبثيـن ... وإن قلت: زانين. لم أقـذفِ

وقال سديف بن ميمون في قصيدة له:

لا تقيلنَّ عبــد شمس عثــارا ... واقـطعـوا كـلّ نحلة وغـراس

واذكروا مصرع الحسين وزيد ... وقتيـلاً بجـانب المهـراسِ[٢]

وقال أبو محمَّد العبديُّ الكوفيُّ المترجم في كتابنا ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٩ ط ثاني:

حسبت اميَّة أن سترضى هاشمٌ ... عنها ويذهب زيدها وحسينهـا

كــلاّ وربِّ مـحمّــد وإلـهــه ... حتّى تُباع سهولهـا وحزونهـا

وتــذلَّ ذلّ حليلة لـحليلهـا ... بـالمشـرفيِّ وتستـردُّ ديـونهـا

وقال السيِّد الحميري [المترجم ج ٢ ص ٢٧١ - ٣١٩] كما في تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٧٨:

بــتُّ لـيــلي مــســهَّــداً ... ســاهـر الـطرف مقصـدا

ولــقــد قــلـت قــولــة ... وأطــلـت الــتـبــلّدا

: لــعــن الله حــوشـبــاً ... وخــراشــاً ومــزبــدا

ويــزيــداً فــإنّــه ... كــان أعــتــى وأعــنــدا

ألــف ألــف وألــف ألــ ... ـف من اللعـن سـرمـدا

إنّــهــم حــاربــو الإلــ ... ـه وآذوا مــحــمّــدا

شــركــوا فــي دم الـمط ... ـهّـر زيــدٍ تــعــنّــدا

ثــمَّ عــالــوه فــوق جــذ ... ع صــريــعــاً مــجــرّدا

(١) يوسف بن عمر الثقفي عامل هشام على العراق وهو قاتل زيد.

(٢) ماء بجبل احد والقتيل بجنبه حمزة بن عبد المطلب سلام الله عليهما.

يـا خراش بن حـوشب[١]　　أنت أشقى الـورى غـدا

ورثاه الفضل بن عبد الرّحمن بن ربيعـة بن الحارث بن عبـد المطلب المتوفّى سنة ١٢٩ بقصيدة أوَّلها:

ألا يـا عين لا ترقي وجـودي　　بدمعك ليس ذا حين الجمودِ
غـداة ابن النبيِّ أبـو حسين　　صليبٌ بـالكناسـة فـوق عـودِ

وأبو ثميلة صالح بن ذبيان-الراوي عن زيد بقصيدة مستهلّها:

أأبا الحسين أعار فقـدك لوعـة　　من يلق ما لاقيت منها يكمـد

والوزير الصاحب بن عبّاد بمقطوعةٍ أوَّلها:

بـدا من الشيب في رأسي تفاريقُ　　وحـان لِلّهـو تمحيـقٌ وتـطليقُ
هـذا فـلا لهـو من همٍّ يعـوِّقني　　بيـوم زيـد وبعض الهمِّ تعـويقُ

وقال أبو الحسن بن حمّاد في أبيات له تأتي:

ودليل ذلك قول جعفر عنـدما　　عُـزِّي بزيـد قال كـالمستعبـرِ
: لو كان عمّي ظافراً لَوفى بما　　قد كان عاهد غير أن لم يظفرِ

وللشيخ صالح الكوّاز في قصيدة يرثي بها الإمام السبط قوله:

وزيـد وقد كـان الإباء سجيَّـة　　لآبـائه الغرِّ الكـرام الأطـايبِ
كـأنَّ عليه أُلقي الشبـح الَّذي　　تشكَّل فيه شبه عيسى لصالبِ

وقال الشيخ يعقوب النجفي المتوفّى سنة ١٣٢٩:

يبكي الإمام لزيد حين يذكره　　وإنَّ زيـداً بسهم واحد ضُـربا
فكيف حال عليٍّ بن الحسين وقد　　رأى ابنه لنبال القوم قد نُصبا؟!

وللشيخ ميرزا محمّد علي الأوردبادي قصيدة في مدحه ورثائه أوّلها:

---

(١) يقال: ان خراش بن حوشب هو الذي أخرج جسد زيد الشهيد من مدفنه الشريف.

أبت علياؤه إلّا الكرامه   فلم تُقبر له نفس مُضامه

«٢٥ بيتاً»

وللسيِّد مهدي الأعرجي قصيدةٌ في رثائه مطلعها:

خليليَّ عوجا بي على ذلك الربعِ   لأسقيه إن شحَّ الحيا هاطل الدمع

«١٩ بيتاً»

ورثاه السيِّد علي النقي النقوي اللكهنوي بقصيدة استهلّها:

أبى الله للأشراف من آل هاشم   سوى أن يموتوا في ظلال الصوارمِ

«٢٢ بيتاً»

وللشيخ جعفر نقدي قصيدةٌ في رثائه أوّلها:

يا منزلاً بالبلا غيَّبْن أرسمه   يبكيه شجواً على بُعد متيَّمه

«٣١ بيتاً»

وأفرد غير واحد من أعلام الإماميَّة تأليفاً في زيد وفي فضله ومآثره، فمنهم:

١ - إبراهيم بن سعيد بن هلال الثقفي المتوفّى سنة ٢٨٣، له كتاب أخبار زيد.

٢ - محمَّد بن زكريّا مولى بني غلّاب المتوفّى سنة ٢٩٨، له كتاب أخبار زيد.

٣ - الحافظ أحمد بن عقدة المتوفّى سنة ٣٣٣، له كتاب من روى أخبار زيد ومسنده.

٤ - عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة ٣٦٨، له كتاب أخبار زيد.

٥ - محمَّد بن عبدالله الشيباني المتوفّى سنة ٣٧٢، له كتاب فضائل زيد.

٦ ـ الشيخ الصدوق أبو جعفر القمّي المتوفّى سنة ٣٨١، له كتابٌ في أخباره.

٧ ـ ميرزا محمّد الإسترابادي صاحب الرجال الكبير.

٨ ـ السيد عبد الرّزاق المقرَّم. أحد أعلام العصر المنقدين المكثرين من التأليف في المذهب، على تضلّعه في العلم، وقدمه في الشرف، واحتوائه للمآثر الجليلة، ومن مهمّات تآليفه وأوفرها فائدة كتاب الإمام السبط المجتبى، وكتاب حياة الإمام السبط الشهيد ومقتله، وكتاب السيِّدة سكينة، ورسالة في عليٍّ بن الحسين الأكبر، وكتاب زيد الشهيد، وكتابٌ في تنزيه المختار بن أبي عبيد الثقفي طبع مع كتاب زيد، وكتاب أبي الفضل العبّاس ابن أمير المؤمنين، إلى غيرها من كتابات ورسائل قد جمع فيها وأوعى وأتى بما خلت عنه زبر الأوّلين فحياه الله ووفّقه للخير كلّه.

القول الفصل:

هذا زيد ومقامه وقداسته عند الشيعة جمعاء، فلست أدري أين يكون إذن مقيل قول ابن تيميَّة من مستوى الحقيقة: إنّ الرافضة رفضوا زيد بن عليّ بن الحسين ومن والاه وشهدوا عليه بالكفر والفسق؟!(1) وتبعه على هذه الهفوة السيِّد محمود الآلوسي في رسالته المطبوعة في كتاب «السنَّة والشيعة» ص ٥٢ وقال: الرافضة مثلهم كمثل اليهود الرّافضة يبغضون كثيراً من أولاد فاطمة رضي الله عنها بل يسبّونهم كزيد بن عليّ، وقد كان في العلم والزهد على جانب عظيم. وأخذ عنه القصيمي هذه الاكذوبة وذكرها في كتابه «الصِّراع بين الإسلام والوثنيَّة».

ذكر هؤلاء عزوهم المختلق هذا إلى الشيعة في عداد مساوئهم فشنّوا عليهم الغارات، ألا مَن يُسائلهم عن أنَّ الشيعة متى لهجت بهذه؟! ومَن ذا الذي حكاها؟! وعلى أيِّ كتاب تستند مزعمتهم؟! ومَن ذا الّذي شافههم بها حيث خلت عنها الكتب؟!.

---

(1) منهاج السنة ج ٢ ص ١٢٦.

نعم: لم يقصدوا إلّا إسقاط محلّ الشيعة بهذه السفاسف فكشفوا عن سوءة إفكهم. وإذا كان الكاتب عن أيّ امّة لا يعرف شيئاً من معالمهم وأحوالهم، أو يعرفها ثمّ يقلّبها ظهراً لبطن، يكون مثل هؤلاء الكتبة مورداً للمثَل: حنَّ قِدحٌ ليس منها.

وكأنَّ هؤلاء المدافعين عن ساحة قدس زيد يحسبون القرّاء جهلاء بالتاريخ الإسلامي، وأنّهم لا يعرفون شيئاً منه، وتخفى عليهم حقيقة هذا القول المزوَّر.

ألا مِن مُسائل هؤلاء عن أنَّ زيداً إن كان عندهم وعند قومهم في جانب عظيم من العلم والزهد فبأيّ كتاب أم بأيّة سنّةٍ حاربه أسلافهم وقاتلوه وقتلوه وصلبوه وأحرقوه وداروا برأسه في البلاد؟!

أليس منهم ومن قومهم أمير مناوئيه وقاتله: يوسف بن عمر؟!

أوَليس منهم صاحب شرطته: العبّاس بن سعد؟!:

أوَليس منهم قاطع رأسه الشريف: ابن الحكم بن الصلت؟!

أوَليس منهم مبشِّر يوسف بن عمر بقتله: الحجّاج بن القاسم؟!

أوليس منهم خراش بن حوشب الذي أخرج جسده من قبره؟!.

أوَليس من خلفائهم الآمر بإحراقه: وليدٌ أو هشام بن عبد الملك؟!.

أوَليس منهم حامل رأسه إلى هشام: زهرة بن سليم؟!.

أوَليس من خلفائهم هشام بن عبد الملك وقد بعث رأس زيد إلى مدينة الرَّسول فنصب عند قبر النبيِّ يوماً وليلة؟!

أوَليس هشام بن عبد الملك كتب إلى خالد القسري يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت شاعر أهل البيت ويده بقصيدة رثى بها زيد بن عليّ وابنه ومدح بني هاشم؟!

أوَليس عامل خليفتهم بالمدينة: محمَّد بن إبراهيم المخزومي، كان يعقد

حفلات بها سبعة أيّام ويخرج إليها ويحضر الخطباء فيها فيلعنون هناك عليّاً وزيداً وأشياعهم؟!.

أوَليس من شعراء قومهم الحكيم الأعور؟! وهو القائل:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهديّاً على الجذع يُصلبُ
وقستم بعثمان عليّاً سفاهةً ... وعثمان خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

أوَليس سلمة بن الحرّ بن الحكم شاعرهم هو القائل في قتل زيد ؟ ! :

وأهلكنا جحاجح من قريش ... فأمسى ذكرهم كحديث أمسِ
وكنّا أُسَّ مُلكهمُ قديماً ... وما ملكٌ يقوم بغير أُسِّ
ضمنّا منهمُ نكلاً وحزناً ... ولكن لا محالة من تأسِّ

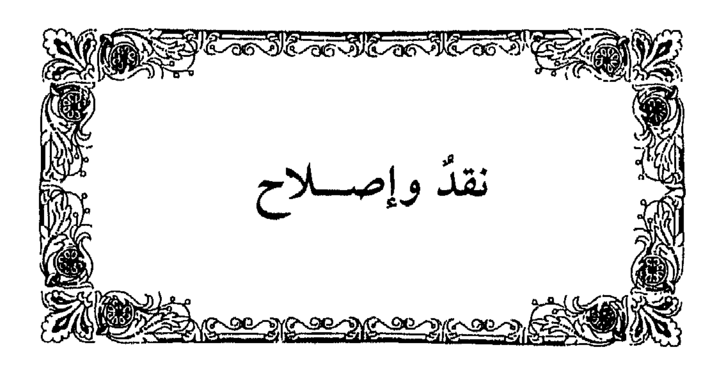
أوَليس منهم مَن يقول بحيال رأس زيد وهو مصلوبٌ بالمدينة؟!:

ألا يا ناقض الميثا ... ق أبشر بالّذي ساكا
نقضت العهد والميثا ... ق قِدماً كان قُدماكا
لقد أخلف إبليس الّـ ... ـذي قد كان منّاكا

هذه حقيقة الحال، فاقض ما أنت قاضٍ.

﴿أفمن هذا الحديثِ تَعجبون. وتَضحكونَ وَ لا تبكون وأنْتم سامدون﴾.

سورة النجم آية ٦٠، ٦١



نقدٌ وإصـــلاح

حول الكتب والتآليف المزوَّرة

وإذ لم تكن هذه الفرية الشائنة على الشيعة «حول زيد الشهيد» مجردة عن أمثالها الكثيرة في كتب القوم قديماً وحديثاً - وهي بذرة كلِّ شر وفساد، تحيي في النفوس نعرات الطائفيَّة، وتفرِّق جمع الإسلام، وتُشتِّت شمل الامَّة، وتُضادّ الصالح العام - يهمّنا أن نذكر جملةً منها عن عدَّة من الكتب ليقف القارئ على ما لهم من هوس وهياج في تخذيل عواطف المجتمع عن الشيعة، وليعرف محلّهم من الصِّدق والأمانة، وليتّخذ به المتكلِّم دروساً عالية في معرفة الآراء والمعتقدات، ويظهر لِلمفسِّر ما حرَّفته يد التأويل من آي الكتاب العزيز عن مواضعها، وللفقيه ما لعبت به أيدي الهوى من أحكام الله، ولِلمحدِّث ما ضيَّعته الأهواء المضلَّة من السنَّة النبويَّة، ولِلأخلاقيِّ مصارع الهوى ومساقط الاستهتار، وبذلك كلِّه يتّخذ المؤلِّف دستوراً صحيحاً، وخطَّةً راقيةً، واسلوباً صالحاً، وأدباً بارعاً في التأليف.

﴿وَلَئِن اتَّبعتَ أهواءهُم مِن بَعد ما جاءك منَ العِلم إنَّك إذاً لَمن الظَّالمين﴾

سورة البقرة آية ١٤٥



١- العقد الفريد[١]

قد يحسب القارىء لأول وهلة أنه كتاب أدب لا كتاب مذهب، فيرى فيه نوعاً من النزاهة، غير أنّه متى أنهى سيره إلى مناسبات المذهب تجد مؤلّفه ذلك المهوّس المهملج، ذلك الأفاك الأثيم قال ج ١ ص ٢٦٩:

١ ـ الرافضة يهود هذه الامَّة يُبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانيَّة.

ج ـ كيف يرتضي القارىء هذه الكلمة القارصة؟! وبين يديه القرآن المجيد وفيه قوله تعالى: ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات أولئك هُم خيرُ البريَّة**﴾. وقد ثبت فيها عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم قوله لعليّ: هم أنت وشيعتك[٢].

وكيف يرتضيها؟! وهو يقرأ في الحديث قول الرَّسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السَّلام: أنت وشيعتك في الجنَّة. (تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٨٩).

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إذا كان يوم القيامة دُعي الناس بأسمائهم وأسماء أُمّهاتهم إلّا هذا «يعني عليّاً» وشيعته فإنَّهم يُدعون بأسمائهم وأسماء آبائهم لصحَّة ولادتهم[٣].

---

(١) تأليف شهاب الدين ابن عبد ربه المالكي المتوفى ٣٢٨.

(٢) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٥٧ ط ثاني.

(٣) مروج الذهب ج ٢ ص ٥١.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليّ: يا عليّ، إنَّ الله قد غفر لك ولذريَّتك ولولدك ولأهلك وشيعتك ولمحبّي شيعتك[١].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيِّين[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنت أوَّل داخل الجنَّة من امَّتي، وإنَّ شيعتك على منابر من نور مسرورون مبيضَّة وجوههم حولي، أشفع لهم فيكونون غداً في الجنّة جيراني[٣].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنا الشّجرة وفاطمة فرعها وعليٌّ لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها وأصل الشجرة في جنَّة عدن وسائر ذلك في سائر الجنَّة[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ إنَّ أوَّل أربعة يدخلون الجنَّة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا[٥].

وفي لفظ: أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذرِّيَّتنا خلف ظهورنا؟! الحديث[٦].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ هذا «يعني عليّاً» وشيعته هم الفائزون يوم القيامة[٧].

---

(١) الصواعق ص ٩٦، ١٣٩، ١٤٠.
(٢) نهاية ابن الأثير ج ٣ ص ٢٧٦.
(٣) مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١، كفاية الطالب ١٣٥.
(٤) راجع من هذا الجزء ص ٨ ط ٢.
(٥) أخرجه الطبراني عن أبي رافع، وابن عساكر عن علي عليه السلام في تاريخه ج ٤ ص ٣١٨، ويوجد في الصواعق ٩٦، وتذكرة السبط ٣١، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١، وكنوز الحقائق هامش الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦.
(٦) أخرجه أبو سعد في شرف النبوة كما في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩.
(٧) راجع من كتابنا ج ٢ ص ٥٧، ٥٨ ط ثاني.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في خطبة له: أيّها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً. فقال جابر بن عبدالله: يا رسول الله وإن صام وصلّى؟! قال: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم، احتجر بذلك من سفك دمه وأن يؤدّي الجزية عن يد وهم صاغرون، مثّل لي أُمّتي في الطين فمرَّ بي أصحاب الرّايات فاستغفرت لعليٍّ وشيعته. أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٢.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: شفاعتي لأُمَّتي من أحبَّ أهل بيتي وهم شيعتي تاريخ الخطيب ج ٢ ص ١٤٦.

٢ ـ قال: محبَّة الرافضة محبَّة اليهود قالت اليهود: لا يكون الملك إلّا في آل داود. وقالت الرافضة: لا يكون الملك إلّا في آل عليٍّ بن أبي طالب.

ج ـ إن كانت في قول الرافضة تبعةٌ فهي على مخلّف آل عليٍّ صلّى الله عليه وآله وسلم بقوله الصحيح الثابت المتواتر المتسالم عليه المرويِّ عن بضع وعشرين صحابيّاً كما في الصواعق ص ١٣٦: إنّي تاركٌ أو مخلّفٌ فيكم الثقلين، أو: الخليفتين. ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

فقد خطب به الصادع بالحقِّ على رؤوس الأشهاد في ملأ من الصحابة تبلغ عدَّتهم مائة ألف أو يزيدون، وأنبأ في ذلك المحتشد الحافل عن خلافة آل بيته الطاهر وعليٌّ سيِّدهم وأبوهم.

وهذا الإمام الزرقاني المالكي يحكي في شرح المواهب ج ٧ ص ٨ عن العلاّمة السمهودي أنَّه قال: هذا الخبر يُفهم وجود من يكون أهلاً للتمسّك به من عترته في كلّ زمن إلى قيام الساعة حتّى يتوجَّه الحثُّ المذكور على التمسّك به كما أنَّ الكتاب كذلك، فلذا كانوا أماناً لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض. اهـ.

فأيُّ رجل يسعه أن يسمع قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظ من

حديث الثقلين: إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي: الثقلين. الحديث[١]؟!

أو يقرأ قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظه الآخر: أيّها الناس إنّي تـاركُ فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتّبعتمـوهما، وهمـا: كتـاب الله وأهـل بيتي عترتي؟!.

أو يقرع سمعه قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في لفظه الثالث: فسألت ذلك لهما (الثقلين) ربِّي فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهما فهم أعلم منكم؟!

أو يقف على قوله في لفظه الرابع: وناصرهما لي ناصرٌ، وخاذ لهما لي خاذلٌ، ووليّهما لي وليٌّ، وعدوّ هما لي عدوٌّ[٢]؟!

ثمَّ لا يتَّبع آل عليٍّ ولا يتَّخذهم إلى الله سبل السَّلام، أو يقتدي بغيرهم ويضلّ عن سبيل الله؟! حاش لله. إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفورا.

وما ذنب الشيعة بعد قول نبيِّهم صلَّى الله عليه وآله وسلّم: من سرَّه أن يحيـا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّة عـدن غرسهـا ربِّي فليوال عليّـاً من بعدي، وليوال وليَّه، ولْيقتدِ بـأهل بيتي من بعـدي، فإنَّهم عتـرتي خُلقوا من طينتي، ورُزقوا فهمي وعلمي، فويلٌ للمكذِّبين بفضلهم من امَّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي[٣]؟!

ونحن نقول: (آمين) ورحم الله من قال: آمينا.

وماذا على الشيعة في قولهم؟! بعد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: في كلّ خلوف من امّتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إنَّ أئمَّتكم وفدكم إلى الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وجمع كثير من الحفاظ والأئمة.

(٢) راجع في هذه الألفاظ الجزء الأول من كتابنا ص ٥٥

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٨، والطبراني والرافعي كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٢١٧.

فانظروا بمن توفدون[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنَّما مثلي ومثل أهل بيتي كسفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن تخلّف عنها غرق[٢].

فأهل بيت مَثلهم في الامَّة كمثل النبيِّ الطاهر كيف لا تقول الشيعة بالخلافة فيهم؟! وكيف يُرى موقفهم في حبِّهم موقف اليهود؟! وإلى من تُوجَّه هذه القارصة؟!.

وهل ابن عبد ربِّه عزب عنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: النجوم أمانٌ لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمانٌ لأُمَّتي من الاختلاف، فإذا خالفها قبيلةٌ اختلفوا فصاروا حزب إبليس[٣]؟!.

اللّهمّ لا، بل طُبع على قلبه وهو ألدّ الخصام.

فأهل بيت هم-للأُمَّة نجوم الهداية، ونجوم الأمن من الضلال والخلاف كيف لا يُقتدى بهم؟! وما عذر من عدل عنهم؟! وإلامَ مصير من لا يهتدي بهم؟! وما قيمة تلك الحياة؟! وتلك الروح؟! وتلك النزعة؟! وتلك النشأة؟!.

وإنَّ خيرة الله لم تقع على هذه الاسرة الكريمة إلاّ بعد كلّ جدارة للولاية المطلقة، وحذق في تدبير الشئون في كلِّ وقت لو انتهت إليهم قيادة البشر، وثنيت لهم الوسادة، غير أنَّ مناوئيهم زحزحوها عن ساحتهم حسداً أو نزولاً على حكم النهمة والشره، إنَّما هي الخلافة الإلّهيَّة لا الملك كما حسبه المغفَّل، وقد نصَّ بها الشعبي كما ذكره ابن تيميَّة في منهاجه ج ١ ص ٧ وقال: محنة الرافضة محنةاليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلاّ في آل داود. وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلاّ في ولد عليٍّ.

---

(١) أخرجه الملاكما في ذخائر العقبى ١٧، الصواعق ١٤١.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٢ ص ٩١، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١ وصححه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ : ١٤٩ وصححه.

٣ - قال: اليهود يؤخّرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة.

ج - يجب أوّلاً أن يحفي السؤال عن خبر هذه المسألة اليهود هل هم يعرفون شيئاً منها ومن بقيّة المسائل المعزوّة إليهم؟!.

وليت شعري هل كتب الرجل هذه الكلمة بعد مراجعته لفقه الشيعة وأحاديث أئمّتهم وفيها قول الصادق عليه السّلام: من ترك صلاة المغرب عامداً إلى اشتباك النجوم فأنا منه بريءٌ.

وقيل له عليه السَّلام: إنَّ أهل العراق يؤخّرون المغرب حتّى تشتبك النجوم فقال: هذا من عمل عدو الله أبي الخطّاب.

وقال عليه السَّلام: من أخّر المغرب حتّى تشتبك النجوم من غير علّة فأنا إلى الله منه بريءٌ.

وقال عليه السَّلام: وقت المغرب حين تجبُّ الشمس إلى أن تشتبك النجوم.

وقال عليه السَّلام: وقت المغرب من حين تغيب الشمس إلى أن تشتبك النجوم.

وقال عليه السَّلام: وقد سُئل عن وقت المغرب: فإذا تغيَّرت الحمرة في الافق وذهبت الصّفرة وقبل أن تشتبك النجوم.

وقال له عليه السَّلام ذريحٌ: إنَّ اناساً من أصحاب أبي الخطّاب يمسون بالمغرب حتى تشتبك النجوم. قال: أبرأ إلى الله ممَّن فعل ذلك متعمِّداً.

وقال عليه السَّلام: ملعونٌ ملعونٌ من أخّر المغرب طلباً لفضلها[1].

فلِماذا يكذب الرجل في نقله؟! أو أنَّه كتب قبل أن يراجع رجماً بالغيب؟! فحيّا الله الأمانة والتنقيب.

---

(١) راجع من لا يحضره الفقيه. وتهذيب شيخ الطائفة واستبصاره ومجالسه.

ولعلّه قرع سمعه عن بعض الضالّة وهم: الخطّابيّة ـ أصحاب أبي الخطّاب إلزاماً بذلك، لكن أين هم من الشيعة ؟! والشيعة على بكرة أبيها تكفر هؤلاء وتضلّلهم وأحاديث أئمّتهم كسحت معرّة عيث هؤلاء، فمن الإفك الشائن عزو هاتيك الشية إلى الشيعة، وهم وأئمتهم عنها بُرآء.

٤ ـ قال: اليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيئاً وكذا الرافضة.

ج ـ الشيعة لا ترى ملتحداً عن البخوع للقرآن الكريم وفي أعلى هتافه:

الطّلاق مرّتان فإمساكٌ بمعروف أو تَسريحٌ بإحسانٍ ـ إلى قوله تعالى ـ: فإن طلّقها فلا تحلُّ له من بَعدُ حتّى تنكح زوجاً غيره. الخ.

ومن جليّة الحقائق أنَّ تحقّق المرّتين أو الثلاث يستدعي تكرُّر وقوع الطّلاق كما يستدعي تخلّل الرجعة بينهما أو النكاح، فلا يقال للمطلّقة مرّتين بكلمة واحدة أو في مجلس واحد: إنّها طُلِّقت مراراً كما إذا كان زيد أعطى درهمين لعمرو بعطاء واحد لا يقال: إنّه أعطى درهمين مرّتين، وهذا معنى يعرفه كلُّ عربيٍّ صميم.

ثمّ إنَّ سياق الآية وإن كان خبريّاً غير أنّه متضمِّنٌ معنى الإنشاء الأمريّ كقوله تعالى: ﴿**والوالدات يُرضعن أولادهن حولين كاملين**﴾. وقوله تعالى: ﴿**والمطلّقات يتربّصن بأنفسهنَّ ثلاثة قروء**﴾. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الصّلاة مثنى مثنى، والتشهّد في كلِّ ركعتين وتسكّن وخشوع. ولو كان إخباراً لما تخلّف عنه خارجه، ونحن نرى أنَّ في الناس من يطلّق طلقة واحدةً، والقرآن لا يتسرَّب إليه شيءٌ من الكذب.

فعدم الإعداد بالطلاق الثلاث على نحو الجمع عند الشيعة مأخوذٌ من القرآن الكريم، ولهذه الجملة مزيد توضيح في أحكام القرآن لأبي بكر الجصّاص الحنفي ج ١ ص ٤٤٧ وهذه الفتوى هي المنقولة عن كثير من أئمّة أهل السنّة والجماعة، بل المخالف الوحيد في المسألة هو الشافعيُّ، وقد بسط القول في الردّ عليه أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٤ ص ٤٤٩.

وقال الإمام العراقيُّ في «طرح التثريب» ج ٧ ص ٩٣: وممّن ذهب إلى أنَّ جمع الطلقات الثلاث بدعةٌ مالك. والأوزاعي. وأبو حنيفة. والليث، وبه قال داود وأكثر أهل الظاهر.

وقال أبو بكر الجصّاص في «أحكام القرآن» ج ٤ ص ٤٥٩: كان الحجّاج ابن أرطأة يقول: الطَّلاق الثلاث ليس بشيء. ومحمَّد بن إسحاق كان يقول: الطَّلاق الثلاث تُردُّ إلى الواحدة.

هذا ما نعرفه من الشيعة فإن كان هذا شبهاً بينهم وبين اليهود فهم وأولئك الأئمّة في ذلك شرعٌ سواء، لكن الأندلسي يحترم جانب أصحابه فشبَّه الشيعة باليهود فهو إمّا جاهلٌ بفقه قومه فضلاً عن فقه الشيعة ولم يعرف شيئاً ممّا عندهم في المسألة، أو يعلم ويتعمَّد الكذب، أو يريد معنىً غير ما ذكر ونحن لا نعرفه ولا نعرف قائلاً به من الشيعة.

وما تقرأ أو تسمع في المسألة غير ما يقوله الشيعة فهو من البدع الحادثة بعد النبيِّ الأعظم لم يأت به الكتاب والسنَّة بل أحدثته أهواءٌ مضلّةٌ، وحبَّذته اناسٌ، وجاءوا به من عند أنفسهم؛ وأمضاه عليهم عمر بن الخطاب وهذا صريح ما أخرجه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٥٧٤، وأبو داود في سننه ج ١ ص ٣٤٤، وأحمد في مسنده ج ١ ص ٣١٤ عن ابن عبّاس قال: كان الطّلاق على عهد رسول الله وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب: إنَّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناةٌ فلو أمضيناه عليهم. فأمضاه عليهم.

وأخرج مسلم وأبو داود بإسناده عن ابن طاوس عن أبيه: أنَّ أبا الصهباء قال لابن عبّاس: أتعلم أنّما كانت الثلاث تجعل واحدة على عهد النبيّ ﷺ وأبي بكر وثلاثاً من إمارة عمر؟! فقال ابن عبّاس: نعم.

وأخرج مسلم بإسناد آخر: أن أبا الصهباء قال لابن عبّاس: هات من هناتك، ألم يكن طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر واحدة؟!

فقال: قد كان ذلك فلمّا كان عهد عمر تتابع النّاس في الطّلاق فأجازه عليهم.

وللشرّاح في المقام كلماتٌ متضاربةٌ؛ وآراءٌ واهيةٌ، وتوجيهاتٌ باردةٌ بعيدةٌ عن العلم والعربيَّة، وعدَّه القسطلاني من الأحاديث المشكلة ـ ولعمري مشكلة جدّاً ـ لا يسعنا بسط الكلام في ذلك كلّه.

٥ ـ قال: اليهود لا ترى على النساء عدَّة وكذلك الرافضة.

ج ـ الشيعة ترى على النساء من العدَّة ما حكم به الكتاب والسنَّة. فالمطلّقاتُ يتربَّصنَ بأنفسهنَّ ثلاثة قروء إن كنَّ ذوات الأقراء، وتعتدُّ ذوات الشهور ثلاثة أشهر.

وأولات الأحمالِ أجلهنَّ أن يضعن حملهنَّ.

واللاتي توفّي عنها زوجها يتربَّصن بأنفسهنَّ أربعة أشهر وعشراً إذا كانت حائلاً، والحامل تعتدُّ بأبعد الأجلين من العدَّة والوضع جمعاً بين عموم الآيتين.

والإماء تعتدُّ قرئين من طلاق إن كنَّ ذوات الأقراء وإلّا فشهراً ونصفاً.

وتعتدُّ من الوفاة شهرين وخمسة أيَّام إن كانت حائلاً والحامل عدَّتها أبعد الأجلين.

وامّ الولد لمولاها عدَّتها أربعة أشهر وعشراً.

والمتمتَّع بها إذا انقضى أجلها بعد الدخول أو أعرض عنه الزَّوج فعدَّتها حيضتان في ذوات الأقراء، وخمسة وأربعون يوماً في غيرهنَّ.

وتعتدُّ من الوفاة بأربعة أشهر وعشرة أيّام إن كانت حائلاً أو لم يدخل بها، وبأبعد الأجلين إن كانت حاملاً. ولو كانت أمة فعدَّتها حائلاً شهران وخمسة أيّام.

هذا ما عند الشيعة من العدَّة، وهذه كتب القوم الفقهيّة والتفسيريَّة قديمة وحديثة طافحةٌ بما ذكرناه، فهل وجد عزوه المختلق في شيءٍ منها؟! اللّهم لا. بل إنَّه لا يكترث بالمباهتة وهي شأنه في كثير من الموارد.

٦ ـ قال: اليهود تستحلُّ دم كلِّ مسلم وكذلك الرافضة.

ج ـ هل يعرف الرجل مصدر هذه النسبة من كتب الشيعة وعلمائهم وأعلامهم، بل من ساقتهم وذوي المراتب الواطئة منهم؟! والشيعة هم الَّذين يتلون الكتاب العزيز في آناء الليل وأطراف النهار مخبتين بأنَّ ما بين دفّتيه وحيٌ منزلٌ من الله إلى سيِّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم، وفيه آيات التحذير عن قتل المؤمن والإيعاز بالخلود في جهنَّم من جرّائه وفيه آية القصاص. والسنَّة النبويَّة وأحاديث أئمتهم مشحونةٌ بالنهي عنه والعقوبات عليه والأحكام المرتبة عليه من قصاص وديات، ومن المطَّرد في فقههم عقد كتابين فيهما.

فبذلك كلّه تعلم أنَّ هذه النسبة لا مصدر لها إلّا الخيال المتوهَّم الصادر عن العداء المحتدم، والعصبيَّة الحمقاء.

٧ ـ قال: اليهود حرَّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرَّفت القرآن.

ج ـ إنَّ مصدر الشيعة في التفسير والتأويل، وفي كلِّ حكم أو تعليم ليس إلّا أحاديثُ معتبرةٌ صادرة عن رجالات بيت الوحي بعد مشرِّفهم الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل البيت أدرى بما فيه، وليس ما يُروى عنهم من الشئون مستعصياً على العقل والمنطق ولا الاصول المسلّمة في الدين، وليس بمأخوذ من مثل قتادة والضحّاك والسدّي وأمثالهم المفسِّرين بالرأي البعيدين عن مستقى العلم النبويِّ.

فإذا أردت تحريف الكلم عن مواضعه والنظر إليه فإليك بكتب القوم وتفاسيرهم تجد هناك التعليلات الباردة، والتحكّمات الفارغة، والعلل التافهة، والآراء السخيفة؛ وإنكار المسلّمات، وحسبك ما يأتي من نماذجها نقلاً عن كتاب «منهاج السنَّة» لابن تيميَّة وغيره. إذن فألق الشبه بين اليهود وأيّ فرقة شئت.

٨ ـ قال: اليهود تبغض جبرئيل وتقول: هو عدوُّنا من الملائكة، وكذلك الرافضة تقول: غلط جبرئيل في الوحي إلى محمَّد بترك عليٍّ بن أبي طالب.

ج - لعلّ الرجل يحسب في أحلامه الطائشة أنّه يحدِّث عن امّة بائدة قد أكل عليها الدهر وشرب، فلم يبق لها مَن يدافع عن شرفها، وما كان يحسب أنَّ المستقبل الكشّاف سوف يُقيِّض مَن يُسائله قائلاً: كيف يعادي جبرئيل من يتلو في كتابه المقدَّس قوله تعالى: ﴿**من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين؟!**﴾.

ومتى خالج شيعيّاً الشكُّ في نبوَّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم؟! أو هجس في خلد أيٍّ منهم نبوَّة أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام؟! حتّى يحكم بغلط جبريل وهو يقرأ آناء الليل وأطراف النهار قوله تعالى: ﴿**وما محمَّدٌ إلاّ رسولٌ قد خَلت مِن قَبله الرُّسل**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**وما كان محمّدٌ أبا أحدٍ من رِجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّين**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**وآمنوا بما نزّل على محمّدٍ وَهو الحقُّ مِن ربِّهم**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**محمَّد رسولُ الله**﴾.

وقوله تعالى: ﴿**ومُبشِّراً برسولٍ يأتي مِن بعدي اسمه أحمد**﴾.

وكيف يرى شيعيٌّ أنَّ جبريل قد غلط في الوحي؟! وهو يتشهَّد بالرّسالة في كل فريضة ونافلة، وفي الأذان والإقامة، وفي دعوات كثيرة مأثورة عن أئمَّتهم صلوات الله عليهم، وتشهد بذلك كلّه مؤلفاتهم في الفقه والحديث والكلام والعقائد والملل والنحل.

وهل من الممكن أن تزعم الشيعة (على هذه الفرية) أنّ الله سبحانه أمضى ذلك الغلط لمجرَّد اشتباه جبريل وهو يريد أن يبعث أمير المؤمنين؟! وهل يقول بهذا معتوهٌ دهش؟! أو بربريٌّ عزب عنه العلوم والمعارف كلّها فضلاً عن الشيعة وهم هم؟! فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً؟!.

والعجب كلّ العجب أنَّه يكتب كاتب مصر اليوم وعالمها ردّاً على الشيعة

ويسلقهم بهذا التافه الخرافيّ، فلا يصدَّنَّك عنها مَن لا يؤمن بها واتَّبع هـواه فتردى.

٩ ـ قال: اليهود لا تأكل لحم الجزور وكذلك الرافضة.

ج ـ إقرأ واضحك أو اقرأ وابك.

وإذا تحرَّيت الوقاحة والصلف فإلى صاحب هذه الكلمة، فإن كنت لا تعلم كيف يكذب المائن، ويبهت الخائن، فالأندلسيُّ يوقفك عليه في كتابه.

ليت شعـري ما ذنب الجـزور المخـرج حكمـه ممّـا يؤكـل لحمـه من الحيوانات؟! أو ما كرامته على الشيعة حتى أربوا به عن الذبح؟!.

أنا لا أعلم شيئاً من ذلك، ولعلَّ عند مفتعل الرواية فلسفة راقية تؤول إلى تلك الفرية الشائنة.

والحكم الفـاصـل في هـذه المعضلة مجـازر القصّـابين وسـواطيـرهم وحوانيتهم في بلاد الشيعة من أقطار العالم.

اضحوكة

١٠ ـ قال: قال أبو عثمان بحر الجاحظ: أخبرني رجلٌ من رؤساء التّجّار قال: كان معنا في السفينة شيخٌ شرس الأخلاق طويل الإطراق وكان إذا ذُكر له الشيعة غضب واربدَّ وجهه، وزوى من حاجبيه فقلت له يوماً: يرحمك الله ما الذي تكرهه من الشيعة؟! فإنّي رأيتك إذا ذُكروا غضبتَ وقبضتَ. قال: ما أكره منهم إلاّ هذه الشين في أوّل اسمهم فإنّي لم أجدها قطُّ إلاّ في كلّ شرٍ وشؤم وشيطانٍ وشغب وشقاءٍ وشفارٍ وشررٍ وشينٍ وشوكٍ وشكوى وشهرةٍ وشتمٍ وشحّ. قال أبو عثمان: فما ثبت لشيعيٍّ بعدها قائمة.

عجباً من سفاهة الشيخ (شرس الأخلاق) وضئولة رأيه حيث لم يجد في الشيعة ما يزري بهم، لكن عداءه المحتدم حداه إلى أن يتّخذ لهم عيباً منحوتاً

من السفاسف، فطفق يؤاخذهم بالاسم لمحض اطّراد حرف من حروفه في أشياء من أسماء الشرّ، ولو اطّرد هذا لتسرَّب إلى كثير من الأسماء المقدَّسة، وإلى كتاب الله العزيز وفيه قوله تعالى: ﴿**وإنَّ من شيعته لإبراهيم**﴾. وآيٌ اخرى جاءت فيها لفظة الشيعة.

وأسخف من الشيخ أبو عثمان الَّذي يحسب أنَّه لم تثبت للشيعة بعد تلك الكلمة التافهة قائمة، فكأنَّ صاعقة أصابتهم، أو أنَّها خسفت الأرض من تحت أرجلهم، أو دكدكت عليهم الجبال فأهلكتهم، أو أنَّ برهاناً قاطعاً دحض حجَّتهم ففضحهم، ولم يعقل أنَّ الشيخ كشف بقوله عن سوءته، وأقام حجَّةً على شراسة أخلاقه، فاقتدى به أبو عثمان بعقليته الضئيلة.

ولم يبعد عنهما ابن عبد ربِّه حيث أورده في كتابه مرتضياً له، ولِم لَم يرق الشيخ الشرس أن يحبَّ من الشيعة هذه الشين الموجودة في الشريعة. والشمس. والشروق. والشعاع. والشهد. والشفاعة. والشرف. والشباب. والشكر. والشهامة. والشأن والشجاعة. والشفق؟! وقد جاءت غير واحدة من تلكم الألفاظ كلفظة الشيعة في القرآن.

وكيف تجد الشيخ في اكذوبته بأنَّه لم يجد الشين إلاّ في تلك الألفاظ دون هذه؟! ولعلّه كان أعور فلا يبصر ما يحاذي عينه العوراء.

أو ليس في وسع الشيعة أن تقول على وتيرة الشيخ: إنِّي ما أكره من السنِّيِّ إلاّ هذه السين في أوّل اسمه التي أجدها في السام. والسئم. والسعر. والسقر. والسبي. والسقم. والسم. والسموم. والسوءة. والسهم. والسهو. والسرطان. والسرقة. والسفه. والسفل. والسخب. والسخط. والسخف. والسقط. والسلّ. والسليطة. والسماجة؟!.

لكنَّ الشيعة عقلاء حكماء لا يعتقدون على التافهات، ولا يخدشون العواطف بالسفاسف، ولا يشوِّهون سمعة أيِّ مبدء بمثل هذه الخرافات.

هذه نبذةٌ من مخاريق ابن عبد ربّه، وكم لها من نظير، ولو ذهبنا إلى

استيعاب ما هناك لجاء كتاباً حافلاً، وهناك له سقطات تاريخيّة كقوله في زيد الشهيد: إنَّه خرج بخراسان فقتل وصُلب[١] نخرج بنقدها عن موضوع البحث ولا يهمنا الإيعاز إليها.

وذكر ابن تيميَّة في «منهاج السنَّة» هذه النسب والإضافات المفتعلة، وراقه أن يُري للمجتمع أنه أقدر في تنسيق الأكاذيب من سلفه، وأنَّه أبعد منه عن أدب الصدق والأمانة فزاد عليها:

اليهود لا يخلصون السَّلام على المؤمنين إنَّما يقولون: السام عليكم(السام: الموت) وكذلك الرافضة:

اليهود لا يرون المسح على الخفين وكذلك الرافضة.

اليهود يستحلّون أموال الناس كلّهم وكذلك الرافضة.

اليهود تسجد على قرونها في الصَّلاة وكذلك الرافضة.

اليهود لا تسجد حتّى تخفق برؤوسها مراراً تشبيهاً بالرُّكوع وكذلك الرافضة.

اليهود يرون غشَّ الناس وكذلك الرافضة.

وأمثال هذه من الخرافات والسفاسف، وحسبك في تكذيب هذه التقوّلات المعزوَّة إلى الشيعة شعورك الحرُّ، وحيطتك بفقههم وكتبهم وعقائدهم وأعمالهم، وما عُرف منهم قديماً وحديثاً. فإلى الله المشتكى.

﴿ولئن اتَّبعت أهواءَهم بَعد الّذي جاءَك مِنَ العلم
ما لَكَ مِنْ وَليٍّ وَلا نَصير﴾

سورة البقرة: آية ١٢٠

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ١٤٦، ٣٥٥، ج ٣ ص ٤١.



٢ ـ الانتصار[١]

إنك غير مائن لو سميته بمصدر الأكاذيب، ولو عزي إليه على عدد صفحاته ـ ١٧٣ ـ اكذوبة لما كذب القائل، ولو جست خلال صحائفه لأوقفك الفحص على العجب العجاب من كذب شائن، وتحكّم بارد، وتهكّم ممض، ونسب مفتعلة، وإنّا نرجىء إيقافك عليها إلى ظفرك بالكتاب نفسه فإنه مطبوع بمصر منشور، ولا نسوّد جبهات صحائف كتابنا بنقل هاتيك الأساطير كلها، وإنما نذكر لك نماذج منها لتعرف مقدار توغله في القذائف، وتهالكه دون الطامات، وتغلغل الحقد في ضميره الدافع له إلى تشويه سمعة امّة كبيرة كريمة نزيهة عن كل ما تقوّله عليها . قال :

١ ـ الرافضة تعتقد أنَّ ربَّها ذو هيئة وصورة يتحرَّك ويسكن ويزول وينتقل وأنّه كان غير عالم فعلم (إلى أن قال) : هذا توحيد الرافضة بأسرها إلّا نفراً منهم يسيراً صحبوا المعتزلة واعتقدوا التوحيد فنفتهم الرافضة عنهم وتبرَّأت منهم، فأمّا جملتهم ومشايخهم مثل هشام بن سالم، وشيطان الطاق، وعلي بن ميثم، وهشام بن الحكم بن منصور، والسكّاك فقولهم ما حكيت عنهم ص ٥ .

٢ ـ الرافضة تقول وهي معتقدةٌ: إنَّ ربّها جسمٌ ذو هيئةٍ وصورةٍ يتحرَّك ويسكن ويزول وينتقل وانّه كان غير عالم ثمَّ علم ص ٧ .

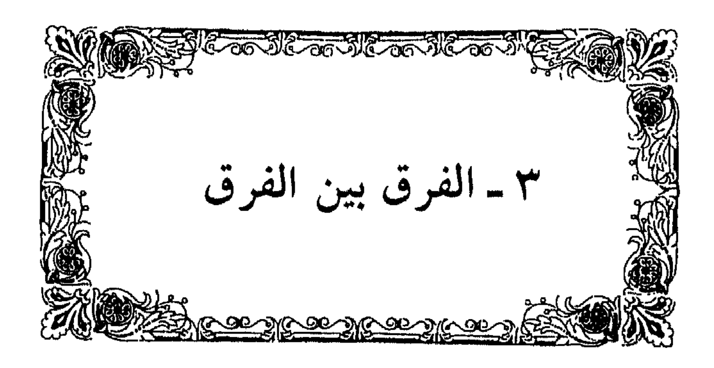
٣ ـ فهل على وجه الأرض رافضيٌّ إلّا وهو يقول: إنّ الله صورةٌ، ويروي في ذلك الروايات، ويحتجّ فيه بالأحاديث عن أئمّتهم؟! إلّا من صحب المعتزلة منهم قديماً فقال بالتوحيد فنفته الرافضة عنها ولم تقرِّبه. ص ١٤٤ .

(١) تأليف أبي الحسين عبد الرحيم الخياط المعتزلي .

٤ - ترى الرافضة أن يطأ المرأة الواحدة في اليوم الواحد مائة رجل من غير استبراء، ولا قضاء عدَّة، وهذا خلاف ما عليه امَّة محمَّد. ص ٨٩.

ستتضح جليَّة الحال في هذه كلّها وأنَّ الشيعة بريئةٌ منها من أوَّل يومها ﴿وَلئن اتَّبعتَ أهواءَهم مِنْ بعْدِ ما جاءك من العلم إنَّكَ إذاً لمن الظَّالمين﴾[1].

(١) سورة البقرة آية ١٤٥.



٣ ـ الفرق بين الفرق

تأليف أبي منصور
عبد القاهر بن طاهر البغداديّ
المتوفّى سنة ٤٢٩ في ٣٥٥ صفحة

لم يترك هذا المؤلِّف في قوس إفكه منزعاً لم يرم به الشيعة، إنَّـما قحمه في هذه المهلكة حسبانه في ص ٣٠٩ أنه لم يكن في الروافض قطُّ إمامٌ في الفقه، ولا إمامٌ في رواية الحديث، ولا امامٌ في اللغة والنحو، ولا موثوقٌ به في نقل المغازي والسير والتواريخ، ولا إمامٌ في التأويل والتفسير، وإنَّـما كان أئمّة هذه العلوم على الخصوص والعموم أهل السنَّة والجماعة.

وحمداً لله على ذلك وكأنَّ هذه المزعمة عنه كانت عـامَّة حتّى لـلأجيال القادمة نظراً إلى الغيب من وراء ستر رقيق، وبذلك، أمن أن يكون من بعده من يكشف عورته ويطعن في أمانته في العزو، أو أنَّ كتب الشيعة وعلمائها المضادَّة لهاتيك النسب تكذِّبه بأنفسها.

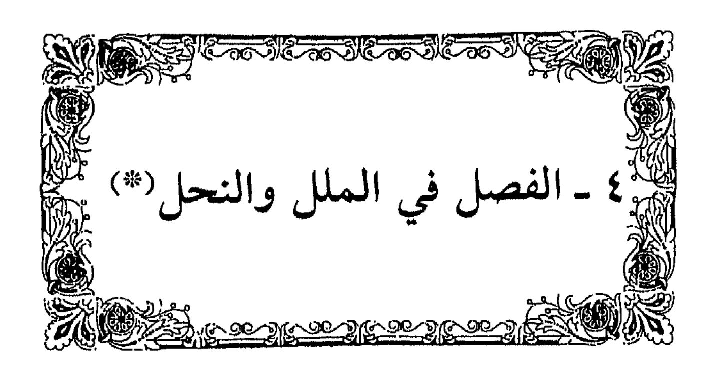
وإن تعجب فعجبٌ أنَّه كان نصب عيني الرجل في بيئته (بغداد) رجالات من الشيعة لا يطعن في إمامتهم في كلّ ما ذكره من العناوين وكانت بيدهم أزمّة الزعامة كشيخ الامَّة ومعلّمها محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد. وعلم الهدى سيّدنا المرتضى والشريف الرضي. وأبي الحسين النجاشي. والشيخ أبي الفتح الكراجكي. والشريف أبي يعلى. وسلّام الديلمي. ونـظرائهم فهو إذا انه لم يحسَّ بهم لخلل في حسّه المشترك، أو أنَّه مندفعٌ إلى الإنكار بدافع الحنق،

وأيّاً ما كان حن لا بالي بما هو فيه، وكلٌّ قصدنا تنبيهِ القارىء إلى خطَّة الرجل حتّى لا يغترّ بما له من صخب وتركاض.

ولعلّك تعرف شيئاً ممّا حوته صفحات هذا الكتاب المزوَّر، من الكذب والزور والبهت والتدجيل والتمويه، عندما تقف على كلماتنا حول ما يضاهيه من الكتب المزوَّرة.

﴿وَلَئن اتَّبعتَ أهواءَهَم بعد ما جاءكَ مِنَ العلم
ما لَكَ مِنَ الله مِن وليٍّ وَلا واق﴾

سورة الرعد: آية ٣٧



٤ ـ الفصل في الملل والنحل(*)

يجب على من يكتب في الملل والنحل قبل كل شيء الالتزام بالصدق والأمانة أكثر ممن يؤلف في التاريخ والأدب حتى يأمن بوائق هذا الفن من قذف الامم من غير استناد إلى ركن وثيق، وتشويه سمعة الأبرياء بمجرّد الوهم أو الخيال، فلا يخطّ إلا وهو متثبت في النقل، معتمد على أوثق المصادر، حتى يكون ذلك معذراً له عند المولى سبحانه، فلا يؤاخذ بالبهت على الناس والوقيعة فيهم.

غير أن ابن حزم لم يلتزم بهذا الواجب بل التزم بضده في كل ما يكتب، فطفق ينسق الأقاويل، ويروقه تكثير المذاهب، وقذف من يخالفه في المبدأ. فإليك نماذج من تحكّماته قال :

١ ـ إنَّ الروافض ليسوا من المسلمين إنّما هي فرقٌ أوّلها بعد موت النبيِّ بخمس وعشرين سنة، وكان مبدؤها إجابةً ممَّن خذله الله لدعوة من كاد الإسلام، وهي طائفةٌ تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر.

ج ـ لعمر الحقِّ انَّ هذه جملٌ قارصة تندى منها جبهة الإنسانيَّة ولو كان الظاهريُّ يحملها لوجب أن ينتصب عرقاً ولكن. . .

وليت شعري كيف يمكن سلب الإسلام عن قوم يستقبلون القبلة في فرائضهم، ويلهجون بالشَّهادتين فيها، ويحملون القرآن ويعملون به ويتَّبعون سنَّة النبيِّ الأقدس؟! وملء الدّنيا كتبهم في العقائد والأحكام فهي شهيدةٌ لهم على ما قلناه بعد أعمالهم الخارجيَّة.

(*) تأليف ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦، راجع ج ١ ص ٢٩٠.

وكيف يسع الرجل هذا الحكم الباتّ؟! وآلافٌ من الشيعة هم مشايخ أعلام السنَّة ورواة الحديث في صحاحهم الستّ وغيرها من المسانيد وهي مراجع قومه في معتقداتهم وأحكامهم وآرائهم نظراء:

أبان بن تغلب الكوفي	إبراهيم بن يزيد الكوفي	أبو عبد الله الجدلي
أحمد بن المفضل الحفري	إسماعيل بن أبان الكوفي	إسماعيل بن خليفة الكوفي
إسماعيل بن زكريّا الكوفي	إسماعيل بن عبد الرَّحمٰن	إسماعيل بن موسى الكوفي
تليد بن سليمان الكوفي	ثابت أبو حمزة الثّمالي	ثُوير بن أبي فاختة الكوفي
جابر بن يزيد الجعفي	جرير بن عبد الحميد الكوفي	جعفر بن زياد الكوفي
جعفر بن سليمان البصري	جُميع بن عُميرة الكوفي	الحارث بن حُصيرة الكوفي
الحارث بن عبد الله الهمداني	حبيب بن أبي ثابت الكوفي	الحسن بن حيٍّ الهمداني
حكم بن عُتيبة الكوفي	حمّاد بن عيسى الجهني	خالد بن مخلّد القطواني
أبو الجحّاف ابن أبي عوف	زُبيد بن الحارث الكوفي	زيد بن الحباب الكوفي
سالم بن أبي الجعد الكوفي	سالم بن أبي حفصة الكوفي	سعد بن طريف الكوفي
سعيد بن خثيم الهلالي	سلمة بن الفضل الأبرش	سلمة بن كهيل الحضرمي
سليمان بن صرد الكوفي	سليمان بن طاخان البصري	سليمان بن قرم الكوفي
سليمان بن مهران الكوفي	شعبة بن الحجّاج البصري	صعصعة بن صوحان العبيدي
طاووس بن كيسان الهمداني	ظالم بن عمرو الدؤلي	أبو الطفيل عامر المكّي
عبّاد بن يعقوب الكوفي	عبد الله بن داود الكوفي	عبد الله بن شداد الكوفي
عبد الله بن عمر الكوفي	عبد الله بن لهيعة الحضرمي	عبد الله بن ميمون القداح
عبد الرَّحمٰن بن صالح الأزدي	عبد الرزاق بن همام الحميري	عبد الملك بن أعين
عبيد الله بن موسى الكوفي	عثمان بن عُمير الكوفي	عديّ بن ثابت الكوفي
عطيَّة بن سعد الكوفي	العلاء بن صالح الكوفي	علقمة بن قيس النخعي
عليّ بن بذيمة	عليّ بن الجعد الجوهري	عليّ بن زيد البصري
عليّ بن صالح	عليّ بن غراب الكوفي	عليّ بن قادم الكوفي
عليّ بن المنذر الطرائفي	عليّ بن هاشم الكوفي	عمّار بن معاوية الكوفي
عمّار بن زُريق الكوفي	عمرو بن عبد الله السبيعي	عوف بن أبي جميلة البصري

فضل بن دكين الكوفي
مالك بن إسماعيل الكوفي
محمّد بن فضيل الكوفي
محمّد بن عمّار الكوفي
المنهال بن عمرو الكوفي
نوح بن قيس الحدّاني
هُبيرة بن بُريم الحميري
وكيع بن الجراح الكوفي

فضيل بن مرزوق الكوفي
محمّد بن حازم الكوفي
محمّد بن مسلم الطائفي
معروف بن خربوذ الكرخي
موسى بن قيس الحضرمي
هارون بن سعد الكوفي
هشام بن زياد البصري
يحيى بن الجزّار الكوفي

فطر بن خليفة الكوفي
محمّد بن عُبيد الله المدني
محمّد بن موسى المدني
منصور بن المعتمر الكوفي
نفيع بن الحارث بن الحارث الكوفي
هاشم بن البريد الكوفي
هشام بن عمّار الدمشقي
يزيد بن أبي زياد الكوفي[1]

هؤلاء جمعٌ ممَّن احتجّ بهم الأئمّة الستّة في صحاحهم، أضف إليهم رجال الشيعة من الصحابة الأكرمين، والتابعين الأوّلين، وأعلام البيت العلويّ الطاهر من الّذين يُحتجُّ بهم وبحديثهم وأنهى أئمّة أهل السنّة إليهم الإسناد في الصحاح والسنن والمسانيد وهم مصرِّحون بثقتهم وعدالتهم.

فلو كانت الشيعة (كما زعمه ابن حزم) خارجين عن الإسلام فما قيمة تلك الصحاح؟! وتلك المسانيد؟! وتلك السنن؟! وما قيمة مؤلّفيها أُولئك المشايخ وأُولئك الأئمّة وأُولئك الحفّاظ؟! وما قيمة تلكم المعتقدات والآراء المأخوذة ممَّن ليسوا من المسلمين؟! اللّهُمَّ غفرانك وإليك المصير وأنت القاضي بالحقّ.

نعم: ذنبهم الوحيد الّذي لا يُغفر عند ابن حزم أنّهم يُوالون عليّاً أمير المؤمنين عليه السّلام وأولاده الأئمّة الامناء صلوات الله عليهم اقتداءً بالكتاب والسنّة، ومن جرّاء ذلك يستبيح صاحب الفصل من أعراضهم ما لا يُستباح من مسلم، والله هو الحكم الفاصل.

وأمّا ما حسبه من أنّ مبدأ التشيّع كان إجابةً ممَّن خذله الله لدعوة من كاد الإسلام وهو يريد عبدالله بن سبأ الذي قتله أمير المؤمنين عليه السّلام إحراقاً

---

(١) راجع في ترجمة هؤلاء وتفصيل حديثهم المراجعات لسيدنا المجاهد حجة الإسلام شرف الدين ص ٤١ ـ ١٠٥.

بالنار على مقالته الإلحادية وتبعته شيعته على لعنه والبراءة منه.

فمتى كان هذا الرجس من الحزب العلويِّ حتى تأخذ الشيعة منه مبدأها القويم؟! وهل تجد شيعيّاً في غضون أجيالها وأدوارها ينتمي إلى هذا المخذول ويمتُّ به؟! لكن الرجل أبى إلّا أن يقذفهم بكلِّ مائنةٍ شائنةٍ، ولو استشفَّ الحقيقة لعلم بحقِّ اليقين أنَّ ملقي هذه البذرة ـ التشيّع ـ هو مشرِّع الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم يوم كان يُسمِّي من يوالي عليّاً عليه السَّلام بشيعته ويُضيفهم إليه ويُطريهم ويدعو أُمَّته إلى موالاته واتِّباعه راجع ص ١٠٧

ولتفاهة هذه الكلمة لا نسهب الإفاضة في ردِّه ونقتصر على كلمة ذهبيَّة للاستاذ محمَّد كرد علي في خطط الشام ج ٦ ص ٢٥١ قال: أمّا ما ذهب إليه بعض الكتّاب من أنَّ مذهب التشيّع من بدعة عبدالله بن سباء المعروف بابن السوداء فهو وهمٌ وقلّة علم بتحقيق مذهبهم، ومن علم منزلة هذا الرجل عند الشيعة وبراءتهم منه ومن أقواله وأعماله وكلام علمائهم في الطعن فيه بلا خلاف بينهم في ذلك علم مبلغ هذا القول من الصواب. اهـ.

٢ ـ قال: كذب مَن قال: بأنَّ عليّاً كان أكثر الصحابة علماً (ج ٤ ص ١٣٦) ثمَّ بسط القول في تقرير أعلميَّة أبي بكر وتقدُّمه على عليٍّ في العلم ببيانات تافهة إلى أن قال: علم كلُّ ذي حَظٍّ من العلم أنَّ الذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليٍّ منه.

وقال في تقدُّم عمر على عليٍّ في العلم: علم كلُّ ذي حسٍّ علماً ضروريّاً أنَّ الذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند عليٍّ من العلم. إلى أن قال: فبطل قول هذه الوقّاح الجهّال، فإن عاندنا معاندٌ في هذا الباب جاهلٌ أو قليل الحياء لاح كذبه وجهله فإنّا غير مهتمّين على حطِّ أحدٍ من الصحابة عن مرتبته.

ج ـ أنا لست أدري أأضحك من هذا الرجل جاهلاً؟! أم أبكي عليه مغفَّلاً؟! أم أسخر منه معتوهاً؟! فإنّ ممّا لا يدور في أيِّ خلد الشكُّ في أنَّ أمير المؤمنين عليّاً عليه السَّلام كان يربو بعلمه على جميع الصحابة، وكانوا يرجعون

إليه في القضايا والمشكلات ولا يرجع إلى أحد منهم في شيء، وأَنَّ أوَّل مَن اعترف له بالأعلميَّة نبيُّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لفاطمة: أما ترضين أَني زوَّجتكِ أوَّل المسلمين إسلاماً وأعلمهم علماً[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: زوّجتكِ خير أُمّتي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوَّلهم سلماً[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لها: إنَّه لأوَّل أصحابي إسلاماً، أو: أقدم أُمّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أعلم أُمّتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ وعاء علمي ووصيّي وبابي الذي اوتى منه[٥].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ باب علمي ومبيِّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي[٦].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ خازن علمي[٧].

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣، كنز العمال ج ٦ ص ١٣.
(٢) أخرجه الخطيب في المتفق، السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٨.
(٣) مسند أحمد ج ٥ ص ٢٦، الاستيعاب ج ٣ ص ٣٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠١ و١١٤ بطريقين صحح أحدهما ووثق رجال الآخر، والمرقاة في شرح المشكاة ج ٥ ص ٥٦٩، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥، سيرة زيني دحلان ج ١ ص ١٨٨ هامش الحلبية.
(٤) أخرجه الديلمي عن سلمان، وذكره الخوارزمي في المناقب ص ٤٩، ومقتل الحسين ج ١ ص ٤٣ والمتقي في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣.
(٥) شمس الأخبار ص ٣٩، كفاية الكنجي ٧٠، ٩٣.
(٦) أخرجه الديلمي عن أبي ذر كما في كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦، كشف الخفاء ج ١ ص ٢٠٤.
(٧) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٨.

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ عيبة علمي[١].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أقضى أُمّتي عليّ[٢].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: أقضاكم عليّ[٣].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ اخصمك بالنبوَّة ولا نبوَّة بعدي وتخصم بسبع (إلى أن عدَّ منها) وأعلمهم بالقضيَّة. وفي لفظ: وأبصرهم بالقضيَّة[٤].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً[٥].

وكيف كان صلى الله عليه وآله وسلم يقول لَمّا يقضي عليٌّ في حياته: الحمد لله الذي جعل الحكمة فينا أهل البيت[٦] وإذا كان عليٌّ باب مدينة علم رسول الله وحكمته بالنصوص المتواترة عنه[٧] صلى الله عليه وآله وسلم فأيُّ أحد يُوازيه؟! أو يُضاهيه؟! أو يقرب منه في شيء من العلم؟! وهذا الحديث ممّا لا شكَّ في صدوره عن مصدر النبوَّة، وقد أفرده بتدوين طرقه غير واحد في

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٨، الجامع الصغير للسيوطي وجمع الجوامع له كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٣. شرح العزيزي ج ٢ ص ٤١٧، حاشية شرح العزيزي للحفني ج ٢ ص ٤١٧، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

(٢) مصابيح البغوي: ج ٢ ص ٢٧٧، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨، مناقب الخوارزمي ص ٥٠، فتح الباري ج ٨ ص ١٣٦، بغية الوعاة ص ٤٤٧.

(٣) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٨ هامش الإصابة، مواقف القاضي الايجي ج ٣ ص ٢٧٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٥، مطالب السئول ص ٢٣، تمييز الطيب من الخبيث ص ٢٥، كفاية الشنقيطي ص ٤٦.

(٤) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ عن الحاكمي، مطالب السئول ص ٣٤، تاريخ ابن عساكر، كفاية الكنجي ص ١٣٩، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣.

(٥) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥، أسنى المطالب للحافظ الجزري ص ١٤.

(٦) أخرجه أحمد في المناقب، محب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩٤.

(٧) أخرجه كثير من الحافظ بعدة طرق وصححه الطبري وابن معين والحاكم والخطيب والسيوطي وغيرهم.

مؤلَّفات مستقلّة.

وبعده صلى الله عليه وآله وسلم عائشة فإنَّها قالت: عليٌّ أعلم الناس بالسنَّة[١].

وعمر بقوله: عليٌّ أقضانا[٢].

وقوله: أقضانا عليٌّ[٣].

ولعمر كلماتٌ مشهورةٌ تعرب عن غاية احتياجه في العلم إلى أمير المؤمنين منها قوله غير مرَّة: لولا عليٌّ لهلك عمر[٤].

وقوله: اللهمّ لا تبقني لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب[٥].

وقوله: لا أبقاني الله بأرض لست فيها أبا الحسن[٦].

وقوله: لا أبقاني الله بعدك يا عليٌّ ![٧].

وقوله: أعوذ بالله من معضلة ولا أبو حسن لها[٨].

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠ هامش الإصابة، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٣، مناقب الخوارزمي ص ٥٤، الصواعق ص ٧٦، تاريخ الخلفاء ص ١١٥.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥، طبقات ابن سعد ص ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، الاستيعاب ج ٤ ص ٣٨، ٣٩، هامش الإصابة، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨، ٢٤٤، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٩ وقال: ثبت عن عمر. أسنى المطالب للجزري ١٤، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٥.

(٣) طبقات ابن سعد ص ٨٦٠، الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٣٢٥، مطالب السئول ص ٣٠.

(٤) أخرجه أحمد والعقيلي وابن السمان، ويوجد في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٩، الرياض ج ٢ ص ١٩٤، تفسير النيسابوري في سورة الأحقاف، مناقب الخوارزمي ص ٤٨، شرح الجامع الصغير للشيخ محمد الحنفي ص ٤١٧ هامش السراج المنير. تذكرة السبط ص ٨٧، مطالب السئول ص ١٣، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧.

(٥) تذكرة السبط ص ٨٧، مناقب الخوارزمي ص ٥٨، مقتل الخوارزمي ج ١ ص ٤٥.

(٦) إرشاد الساري ج ٣ ص ١٩٥.

(٧) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٧، مناقب الخوارزمي ص ٦٠، تذكرة السبط ص ٨٨، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧.

(٨) تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٩، الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٠٦.

وقوله: أعوذ بالله أن أعيش في قوم لستَ فيهم يا أبا الحسن[١].

وقوله: أعوذ بالله أن أعيش في قوم ليس فيهم أبو الحسن[٢].

وقوله: اللهمّ لا تنزل بي شديدة إلّا وأبو الحسن إلى جنبي[٣].

وقوله: لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن. ترجمة عليّ بن أبي طالب من تاريخ ابن عساكر ص ٧٩.

وقوله: لا أبقاني الله إلى أن أُدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن. حاشية شرح العزيزي ج ٢ ص ٤١٧، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦.

وقال سعيد بن المسيِّب: كان عمر يتعوَّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن[٤].

وقال معاوية: كان عمر إذا أشكل عليه شيءٌ أخذه منه[٥].

ولَمّا بلغ معاوية قتل الإمام قال: لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب. أخرجه أبو الحجّاج البلوي في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٢٢٢.

ثمّ الإمام السبط الحسن الزكيّ فإنّه قال في خطبة له: لقد فارقكم رجلٌ بالأمس لم يسبقه الأوّلون ولا يدركه الآخرون بعلم[٦].

---

(١) الرياض النضرة ص ١٩٧، منتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٢ ص ٣٥٢.

(٢) فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧، قال: أخرج الدارقطني عن أبي سعيد أن عمر كان يسأل عليّاً عن شيء فأجابه فقال عمر: أعوذ بالله. إلخ.

(٣) أخرجه ابن البختري كما في الرياض ج ٢ ص ١٩٤.

(٤) أخرجه أحمد في المناقب، ويوجد في الاستيعاب هامش الإصابة ج ٣ ص ٣٩، صفة الصفوة ج ١ ص ١٢١. الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤، تذكرة السبط ص ٨٥، طبقات الشافعية للشيرازي ص ١٠، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩، الصواعق ص ٧٦، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٧، ألف باء ج ١ ص ٢٢٢.

(٥) مناقب أحمد، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٥.

(٦) أخرجه أحمد كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٢، وأبو نعيم في الحلية ج ١ ص ٦٥، وابن أبي شيبة كما في ترتيب جمع الجوامع ج ٦ ص ٤١٢، وأبو الفرج ابن الجوزي في صفة الصفوة ج ١ ص ١٢١.

وقال ابن عبّاس حبر الامّة: والله لقد أُعطي عليٌّ بن أبي طالب تسعةُ أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العُشر العاشر(١).

وقال: ما علمي وعلم أصحاب محمَّد صلى الله عليه وسلم في علم عليٍّ رضي الله عنه إلّا كقطرة في سبعة أبحر(٢).

وقال: العلم ستَّة أسداس، لعليٍّ من ذلك خمسة أسداس وللنّاس سُدسٌ، ولقد شاركنا في السّدس حتّى لهو أعلم به منّا(٣).

وقال ابن مسعود: قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً، وعليٌّ أعلمهم بالواحد منها(٤).

وقال: أعلم أهل المدينة بالفرائض عليٌّ بن أبي طالب(٥).

وقال: كنّا نتحدَّث أنَّ أقضى أهل المدينة عليٌّ(٦).

وقال: أفرض أهل المدينة وأقضاها عليٌّ(٧).

وقال: إنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلّا وله ظهرٌ وبطنٌ وإنَّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن. مفتاح السعادة ج ١ ص ٤٠٠.

وقال هشام بن عتيبة في عليّ عليه السَّلام: هو أوّل من صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله(٨).

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠، الرياض ج ٢ ص ١٩٤، مطالب السئول ص ٣٠.
(٢) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٤٤، ٤٥ ط ثاني.
(٣) مناقب الخوارزمي ص ٥٥، فرائد السمطين في الباب الـ ٦٨ بطريقين.
(٤) كنز العمال ج ٥ ص ١٥٦، ٤٠١ نقلاً عن غير واحد من الحفاظ.
(٥) الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، الرياض ج ٢ ص ١٩٤.
(٦) مستدرك الحاكم ج ٣ وصححه، الاستيعاب ج ٣ ص ٤١، أسنى المطالب للجزري ١٤، تمييز الطيب من الخبيث لابن البديع ص ٢٥، الصواعق ص ٧٦.
(٧) مستدرك الحاكم، الرياض ج ٢ ص ١٩٨، الصواعق ص ٧٦، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٥.
(٨) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٠٣.

وسُئل عطاء أكان في أصحاب محمّد أحد أعلم من عليٍّ؟! قال: لا والله ما أعلمه(١).

وقال عديّ بن حاتم في خطبة له: والله لئن كان العلم بالكتاب والسنّة إنّه - يعني عليّاً - لأعلم النّاس بهما، ولئن كان إلى الإسلام إنّه لأخو نبيِّ الله والرأس في الإسلام، ولئن كان إلى الزهد والعبادة إنّه لأظهر الناس زهداً، وأنهكهم عبادةً، ولئن كان إلى العقول والنّحائز(٢) إنّه لأشدُّ الناس عقلاً؛ وأكرمهم نحيزةً(٣).

وقال عبدالله بن حجل في خطبة له: أنت أعلمنا بربّنا، وأقربنا بنبيّنا، وخيرنا في ديننا(٤).

وقال أبو سعيد الخدري: أقضاهم عليّ. وأخرج عبد الرزاق عن قتادة مثله. فتح الباري ج ٨ : ١٣٦ .

وقد امتدح جمعٌ من الصحابة أمير المؤمنين عليه السّلام في شعرهم بالأعلميّة كحسّان بن ثابت، وفضل بن عبّاس، وتبعهم في ذلك امّة كبيرةٌ من شعراء القرون الاولى لا نطيل بذكرهم المقام.

والامّة بعد أولئك كلّهم مجمعةٌ على تفضيل أمير المؤمنين عليه السّلام على غيره بالعلم إذ هو الّذي ورث علم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وقد ثبت عنه بعدّة طرق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّه وصيّه ووارثه. وفيه: قال عليٌّ: وما أرث منك يا نبيَّ الله؟! قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. قال: وما ورث الأنبياء من قبلك؟! قال: كتاب الله وسنّة نبيِّهم.

قال الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٢٦ في ذيل حديث وراثته النبيِّ دون

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٤٠، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤. ألف باء ج ١ ص ٢٢٢. الفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٣٣٧.

(٢) النحائز جمع النحيزة: الطبيعة.

(٣) جمهرة خطب العرب ج ١ ص ٢٠٢.

(٤) جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٠٣.

عمّه العبّاس ما نصّه: لا خلاف بين أهل العلم أنَّ ابن العمّ لا يرث مع العمِّ، فقد ظهر بهذا الإجماع أنَّ عليّاً ورث العلم من النبيِّ دونهم.

وبهذه الوراثة الثابتة صحَّ عن عليّ عليه السَّلام قوله: والله إنِّي لأخوه ووليّه وابن عمِّه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منّي[1]؟!.

وهذه الوراثة هي المتسالم عليها بين الصحابة وقد وردت في كلام كثير منهم وكتب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية فيما كتب: يا لك الويل، تعدل نفسك بعليٍّ؟! وهو وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيّه[2].

فلينظر الرجل الآن إلى من يوجِّه قوارصه وقذائفه؟! ما حكم من يقول ذلك ومن المفضِّلين النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! وأمّا حكم من يقع في الصحابة وفيمن يقع فيه الإمام السبط الحسن وعائشة وعمر بن الخطاب وحبر الامَّة ابن عبّاس ونظراؤهم، فالمرجع فيه زملاء الرجل وعلماء مذهبه.

٣ ـ قال: من قول الإماميَّة كلّها قديماً وحديثاً: إنَّ القرآن مبدَّلٌ زيد فيه ما ليس منه ونقص منه كثيرٌ، وبُدِّل منه كثيرٌ، حاشا عليّ بن الحسن[3] بن موسى بن محمّد وكان إماميّاً يُظاهر بالاعتزال مع ذلك فإنّه كان يُنكر هذا القول ويُكفِّر مَن قاله .

ج ـ ليت هذا المجترىء أشار إلى مصدر فريته من كتاب للشيعة موثوق به، أو حكاية عن عالم من علمائهم تقيم له الجامعة وزناً، أو طالبٍ من روّاد علومهم ولو لم يعرفه أكثرهم، بل نتنازل معه إلى قول جاهل من جهّالهم، أو قرويّ من بسطائهم، أو ثرثار كمثل هذا الرجل يرمي القول على عواهنه.

لكن القارىء إذا فحص ونقّب لا يجد في طليعة الإماميَّة إلاّ نُفاة هذه الفرية كالشيخ الصدوق في عقائده، والشيخ المفيد، وعلم الهدى الشريف

---

(١) خصائص النسائي ص ١٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ صححه هو والذهبي.

(٢) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٣٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩.

(٣) كذا في الفصل والمحكي عنه في كتب العامة، والصحيح: علي بن الحسين، وهو الشريف علم الهدى المرتضى.

المرتضى الّذي اعترف له الرجل بنفسه بذلك، وليس بمتفرِّد عن قومه في رأيه كما حسبه المغفَّل، وشيخ الطائفة الطوسي في التبيان، وأمين الإسلام الطبرسي في مجمع البيان وغيرهم.

فهؤلاء أعلام الإماميَّة وحملة علومهم الكالئين لنواميسهم وعقائدهم قديماً وحديثاً يوقفونك على مين الرجل فيما يقول، وهذه فرق الشيعة وفي مقدَّمهم الإماميَّة مجمعةٌ على أنَّ ما بين الدفّتين هو ذلك الكتاب الّذي لا ريب فيه وهو المحكوم بأحكامه ليس إلّا.

وإن دارت بين شدقي أحد من الشيعة كلمة التحريف فهو يريد التأويل بالباطل بتحريف الكلم عن مواضعه لا الزيادة والنقيصة، ولا تبديل حرف بحرف، كما يقول التحريف بهذا المعنى هو وقومه ويرمون به الشيعة كما مرَّ ص ٨٠.

٤ ـ قال: من الإماميَّة من يُجيز نكاح تسع نسوة، ومنهم من حرَّم الكرنب لأنَّه نبت على دم الحسين ولم يكن قبل ذلك. ج ٤ ص ١٨٢.

ج ـ كنت أودّ أن لا يكتب هذا الرجل عزوه المختلق في النكاح قبل مراجعة فقه الإماميّة حتّى يعلم أنَّهم جمعاء من غير استثناء أحد لا يُبيحون نكاح أكثر من أربع فإنّ النكاح بالتسع من مختصّات النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وليس فيه أيُّ خلاف بينهم وبين العامَّة.

ولولا أنَّ هذه نسبةٌ مائنةٌ إلى بعض الإماميَّة لدلَّ القارىء عليه ونوَّه باسمه أو بكتابه لكنَّه لم يعرفه ولا قرأ كتابه ولا سمعت أُذناه ذكره، غير أنَّ حقده المحتدم أبى إلا أن يفتري على بعضهم حيث لم تسعه الفرية على الجميع.

كما كنت أودّ أن لا يُملي عن الكرنب حديثاً يفتري به قبل استطراقه بلاد الشيعة حتّى يجدهم كيف يزرعون الكرنب ويستمرئون أكله مزيجاً بمطبوخ الأرز ومقلي القمح [البلغور] يفعل ذلك علماؤهم والعامَّة منهم وأعاليهم وساقتهم، وما سمعت أُذنا أحد منهم كلمة حظر عن أحد منهم، ولا نُقل عن

محدِّثٍ أو مؤرِّخٍ أو لغويٍّ أو قصّاص أو خضرويٍّ بأنه نبت على دم الحسين عليه السَّلام ولم يكن قبل ذلك.

لكن الرجل ليس بمنتأى عن الكذب وإن طرق البلاد وشاهد ذلك كلّه بعينه لأنَّه أراد في خصوص المقام تشويه سمعة القوم بكذب لا يُشاركه فيه أحدٌ من قومه.

٥ ـ قال: وجدنا عليّاً رضي الله عنه تأخَّر عن البيعة ستَّة أشهر فما أكرهه أبو بكر على البيعة حتّى بايع طائعاً مراجعاً غير مكره ص ٩٦ وقال ص ٩٧:

وأظرف من هذا كلّه بقاء عليٍّ ممسكاً عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه ستَّة أشهر فما سئلها ولا أُجبر عليها ولا كلّفها وهو متصرِّفٌ بينهم في اموره، فلولا أنَّه رأى الحقَّ فيها واستدرك أمره فبايع طالباً حظَّ نفسه في دينه راجعاً إلى الحقِّ لما بايع.

دعا الأنصار إلى بيعة سعد بن عبادة، ودعا المهاجرون إلى بيعة أبي بكر؛ وقعد عليٌّ رضي الله عنه في بيته لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ليس معه أحد غير الزبير بن العوام، ثمَّ استبان الحقّ للزبير رضي الله عنه فبايع سريعاً وبقي عليٌّ وحده لا يرقب عليه.

ج ـ أنا لا أحوم حول هذا الموضوع، ولا أُولّي وجهي شطر هذه الأكاذيب الصريحة، ولا أُقابل هذا التدجيل والتمويه على الحقيقة والجناية على الإسلام وتاريخه. لكنّي أقول: إقرأ هذا ثم انظر إلى ما ذكره الاستاذ الفذّ عبد الفتّاح عبد المقصود في كتابه ـ الإمام علي بن أبي طالب ص ٢٢٥ ـ فإنّه زبدة المخض قال:

واجتمعت جموعهم ـ آونةً في الخفاء واخرى على ملأ ـ يدعون إلى ابن أبي طالب لأنَّهم رأوه أولى الناس بأن يلي امور الناس، ثمَّ تألَّبوا حول داره يهتفون باسمه ويدعونه أن يخرج إليهم ليردوا عليه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحديث محالفٌ أو نصيرٌ. وإذا بالمدينة حزبان، وإذا

بـالوحـدةالمرجوَّةشقّان أو شكا على انفصال، ثمَّ لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه بعد هذا الحال. . . فهلّا كان عليٌّ ـ كابن عبادة ـ حريّاً في نظر ابن الخطّاب بالقتل حتّى لا تكون فتنة ولا يكون انقسام؟ ! .

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحـدة الإسلام، وبـه تحدَّث الناس ولهجت الألسن كاشفةً عن خلجات خواطر جرت فيها الظنـون مجرى اليقين، فما كان لرجل أن يجزم أو يعلم سريرة ابن الخطّاب، ولكنَّهم جميعاً ساروا وراء الخيال، ولهم سندٌ ممّا عرف عن الرجل دائماً من عنف ومن دفعات، ولعلَّ فيهم من سبق بذهنه الحوادث على متن الاستقراء فرأى بعين الخيال، قبل رأي العيون، ثبات عليٍّ أمام وعيد عمر لو تقدَّم هذا منه يطلب رضاءه وإقراره لأبي بكر بحقِّه في الخلافة ولعلّه تمادى قليلاً في تصوُّر نتائج هذا الموقف وتخيّل عقباه، فعاد بنتيجة لازمة لا معدى عنها، هي خروج عمر عن الجادَّة، وأخذه هذا «المخالف» العنيد بالعنف والشدَّة! .

وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطّاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلى دار فاطمة، وفي باله أن يحمل ابن عمِّ رسول الله إن طوعاً وإن كرهاً ـ على إقرار ما أباه حتّى الآن، وتحدَّث اناسٌ بأنَّ السيف سيكـون وحده متن الـطاعة! . . . وتحـدَّث آخـرون بـأنَّ السيف سـوف يلقى السيف! . . . ثمَّ تحدَّث غير هؤلاء وهؤلاء بأنّ «النار» هي الوسيلة المثلى إلى حفظ الوحدة وإلى «الرضا» والإقرار . . وهل على ألسنة الناس عقالٌ يمنعها أن تروي قصَّة حطب أمر به ابن الخطّاب فأحاط بدار فاطمة، وفيها عليٌّ وصحبه، ليكون عدة الإقناع أو عدة الإيقاع؟ . . .

على أنَّ هذه الأحاديث جميعها ومعها الخطط المدبَّرة أو المرتجلة كانت كمثل الزبد، أسرع إلى ذهاب ومعها دفعة ابن الخطّاب! . . أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثورة، على دار عليٍّ وقد ظاهره معاونوه ومن جـاء بهم فاقتحمـوها أو أوشكوا على اقتحام، فإذاً وجهُ كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، على قسماته خطوط آلام، وفي عينيه لمعات دمع، وفوق جبينه عبسة غضب فائر

وحنق ثائر. . .

وتوقّف عمر من خشية وراحت دفعته شعاعاً. وتوقّف خلفه ـ أمام الباب ـ صحبه الذين جاء بهم، إذرأوا حيالهم صورة الرسول تطالعهم من خلال وجه حبيبته الزهراء، وغضّوا الأبصار من خزي أو من استحياء، ثمَّ ولّت عنهم عزمات القلوب وهم يشهدون فاطمة تتحرَّك كالخيال، وئيداً وئيداً بخطوات المحزونة الثكلى، فتقترب من ناحية قبر أبيها. . . وشخصت منهم الأنظار وأرهفت الأسماع إليها، وهي ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات تهتف بمحمَّد الثاوي بقربها، تناديه باكيةً مريرة البكاء:

«يا أبت رسول الله!. . . يا أبت رسول الله!. . .».

فكأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغي، من رهبة النداء. . .

وراحت الزهراء، وهي تستقبل المثوى الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر:

يا أبت رسول الله!. . . ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، وابن أبي قحافة!؟!».

فما تركت كلماتها إلّا قلوباً صدعها الحزن، وعيوناً جرت دمعاً، ورجالاً ودّوا لو استطاعوا أن يشقّوا مواطىء أقدامهم ليذهبوا في طوايا الثرى مغيَّبين . . . . . اهـ .

قال الأميني: راجع الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٣ . تاريخ الطبري ج٣ ص ١٩٨ . العقد الفريد ج ٢ ص ٢٥٧ . تاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٦٥ . تاريخ ابن شحنة في حوادث سنة ١١ شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٩ .

٦ ـ قال: الرافضة تجيز إمامة المرأة والحمل في بطن امّه ص ١١٠ .

ج ـ هل ترى هذا الرجل عند كتابته هذه الكلمة وكذلك عند بقيَّة فتاواه المجرَّدة عن أيِّ مصدر وقف على شيء من كتب الشيعة في الكلام والعقائد

وخصوص مبحث الإمامة ووجد هـذا الاختلاق مثبتـاً في شيء منها؟!؟! بـل يمكننا أن نتنازل معه إلى سواد على بياض خطَّته يمين أيِّ شيعيّ جاهلٍ فضلاً عن علمائهم جاء فيه هذا البهتان العظيم.

لقد عرف الشيعة بأنَّ الاماميَّة منهم يحصرون الإمامة في اثني عشر رجلاً ليست فيهم امرأة، ويُفنِّدون كلّ خارج عن هذا العدد، وأمّا الفرق الاخرى منها من الزيديَّة والإسماعيليّة وحتى المنقرضة من فرقها كالكيسانيَّة وأشباههم فينهون الإمامة إلى اناس معيَّنين كلّهم من الرجال غير ما اختلقه الشهر ستاني في الملل والنحل من الاختلاف الواقع في أمر فاطمة بنت الإمام الهـادي وستقف على تفنيده وأنَّه عليه السَّلام لم يخلف بنتاً اسمها فاطمة، ولو كانت الشيعـة تجوِّز الإمامة لامرأة لما عدت بها عن الصدّيقة الطاهرة فاطمة وهـي هي ، ولكنَّها لا تقول لها فيها.

لم يلتفت الرجل إلى شيء من هذه لكنَّه حسب عند تأليف هذا الكتاب أنّ الأجيال الآتية لا تولد منقِّبين يناقشونه الحساب، يميِّزون بين الحقائق والأوهام، ويوقظون الامَّة للفصل بين الصحيح والسقيم، فطفق يأفك ويمين غير مكترث بما سوف يلاقيه من سوء الحساب.

وليت شعري بماذا يجيب الرَّجل إذا سُئل عن أنَّ الشيعة متـى جـوَّزَت إمامة الحمل في بطن امِّه؟ وأيّ أحد من أيّ فرقة منهم ذهب إلى إمامة حمل لم يولد بعدُ؟ وأيّ حمل قالوا بإمامته؟ ومتى كان ذلك؟ ومن ذا الذي نقله عنه؟ وممَّن سمعه؟ نعم: إنَّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

٧ ـ قال: إنَّ محبَّة النبي عليه السَّلام لمن أحبّ ليس فضلاً، لأنَّه قد أحبَّ عمَّه وهوكافرٌ ص ١٢٣. وقال في ص ١٢٤:

وإن كان رسول الله ﷺ أحب أبا طالب فقد حرَّم الله تعالى عليه بعد ذلك ونهاه عن محبَّته، وافترض عليه عداوته.

ج ـ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم وإن أكّد على صلة الأرحام لكنَّه كان

يرى الكفر حاجزاً عنها وإن تأكّدت معه وشائج الرحم، ولذلك قلا أبا لهب وهتف بالبراءة منه بسورة مستقلّة، ولم يرفع قيد الأسار عن عمِّه العبّاس وابن عمِّه عقيل إلاّ بعد تظاهرهما بالإسلام، وأجرى عليهما حكم الفدية مع ذلك، وفرَّق بين ابنته زينب وزوجها أبي العاص طيلة مقامه على الكفر حتّى أسلم وسلم.

فلم تكن محبَّة النبيِّ صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم لمن يحبّه إلاّ لثباته في الإيمان ورسوخ كلمة الحقِّ وتمكّنه من فؤاده، فهو إذا أحبَّ أحداً كان ذلك آية تضلّعه في الدين وتحلّيه باليقين، وهذه قضيَّة قياسها معها، وهي مرتكزةٌ في القلوب جمعاء حتّى انَّ ابن حزم نفسه احتجَّ بأفضليَّة عائشة على جميع الامَّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحديث باطل رواه من أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم قال لها: أنتِ أحبّ الناس إليَّ.

وأمّا أبو طالب فقد اعترف الرَّجل بمحبَّة النبيِّ له أوّلاً ونحن نصدِّقه على ذلك ونراه فضلاً له وأيّ فضل.

وأمّا دعواه تحريم المحبَّة بعد ذلك، ونهي الله عنها، وأمره بعداوته، فغير مقرونة بشاهد، وهل يسعه دعوى الفرق بين يومي النبيِّ معه قبل التحريم وبعده؟! وهل يمكنه تعيين اليوم الذي قلاه فيه؟! أو السنة التي هجره فيها وافترضت عليه عداوته؟! ؟!.

التاريخ خلوٌ من ذلك كلّه بل يُعلمنا الحديث والسيرة أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يُفارقه حتّى قضى أبو طالب نحبه فطفق يُؤبِّنه وقال لعليٍّ: إذهب فاغسله وكفِّنه وواره غفر الله له ورحمه[1] ورثاه عليٌّ بقوله:

أبا طالب عصمة المستجير	وغيث المحول ونور الظلمْ
لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ	فصلّى عليك وليُّ النعمْ
ولقّاك ربّك رضوانه	فقد كنت للطّهر من خير عمْ[2]

(١) طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٠٥.
(٢) تذكرة السبط ج ٦.

فمن أراد الوقوف على الحقيقة في ترجمة شيخ الأبطح أبي طالب فعليه بكتاب العلاّمة البرزنجيِّ الشافعيِّ وتلخيصه الموسوم بـأسنى المطالب لمفتي الشافعيَّة السيِّد أحمد زيني دحلان[١].

٨ - قال: لسنا من كذب الرافضة في تأويلهم ويُطعمون الطَّعام عَلى حبِّه مِسكيناً ويتيماً وأسيراً. وأنَّ المراد بذلك عليٌّ رضي الله عنه، بل هذا لا يصحُّ، بل الآية على عمومها وظاهرها لكلٍّ من فعل ذلك. ج ٤ ص ١٤٦.

ج - إنَّ الواقف على هذه الاضحوكة يعرف موقع الرجل من التدجيل لحسبانه أنَّ في مجرَّد عزو هذا التأويل إلى الرافضة فحسب، وقذفهم بالكذب، واتِّباع ذلك بعدم الصحَّة حطّاً في كرامة الحديث الوارد في الآية الشريفة، وهو يعلم أنَّ امَّة كبيرةً من أئمَّة التفسير والحديث يروون ذلك ويثبتونه مسنداً في مدوَّناتهم. وإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ.

وهذا الحافظ أبو محمَّد العاصمي أفرد ذلك كتاباً في مجلّدين أسماه (زين الفتى في تفسير سورة هل أتى) وهو كتابٌ ضخمٌ فخمٌ ممتَّعٌ يَنِمّ عن فضل مؤلِّفه وسعة حيطته بالحديث، وتعالي مقدرته في الكلام والتنقيب، مع أنَّ في غضونه سقطاتٌ تلائم مذهبه وخطَّة قومه.

أو يزعم المغفَّل أنَّ أولئك أيضاً من الرافضة؟! أو يحسبهم جهلاء بشرائط صحّة الحديث؟! أم أنّه لا يعتدُّ بكلِّ ما وافق الرافضة وإن كان مخرجاً بأصحِّ الأسانيد؟! وكيف ما كان فقد رواه:

١ - أبو جعفر الإسكافي المتوفّى سنة ٢٤٠، قال في رسالته التي ردَّ بها على الجاحظ: لسنا كالإماميّة الذين يحملهم الهوى على جحد الامور المعلومة، ولكنّنا ننكر تفضيل أحد من الصحابة على عليٍّ بن أبي طالب، ولسنا ننكر غير ذلك - إلى أن قال -: وأمّا إنفاقه فقد كان على حسب حاله وفقره وهو الّذي أطعم الطعام على حبّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وأُنزلت فيه وفي زوجته وابنيه سورةٌ كاملةٌ

---

(١) سيوافيك البحث عن إيمان أبي طالب عليه السلام مفصلاً في الجزء السابع، والثامن من كتابنا هذا.

من القرآن.

٢ ـ الحكيم أبو عبدالله محمّد بن علي الترمذي كان حيّاً في سنة ٢٨٥، ذكره في «نوادر الاصول» ص ٦٤.

٣ ـ الحافظ محمّد بن جرير الطبري أبو جعفر المتوفّى ٣١٠، ذكره في سبب نزول هل أتى كما في «الكفاية».

٤ ـ شهاب الدين ابن عبد ربّه المالكيّ المتوفّى سنة ٣٢٨، ذكر في «العقد الفريد» ج ٣ ص ٤٢ ـ ٤٧ حديث احتجاج المأمون الخليفة العبّاسي على أربعين فقيهاً وفيه: قال: يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟! قلت: نعم. قال: اقرأ عليَّ: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدَّهر لَم يكن شيئاً مذكوراً﴾. فقرأت منها حتّى بلغت: ﴿يشربون مِنْ كأسٍ كان مِزاجُها كافورا﴾. إلى قوله: ﴿وَيُطعمون الطَّعام على حبِّه مِسكيناً ويتيماً وأسيرا﴾. قال: على رسلك، فيمن أُنزلت هذه الآيات؟! قلت في عليٍّ. قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنَّما نطعمكم لوجه الله؟! وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً؟! قلت: لا. قال: صدقت لأنَّ الله جلَّ ثناؤه عرف سيرته. يا إسحاق: ألست تشهد أنَّ العشرة في الجنَّة؟! قلت: بلى يا أمير المؤمنين! قال: أرأيت لو أنَّ رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيحٌ أم لا ولا أدري إن كان رسول الله قاله أم لم يقله. أكان عندك كافراً؟! قلت: أعوذ بالله. قال: أرأيت لو أنَّه قال: ما أدري هذه السورة من كتاب الله أم لا كان كافراً؟! قلت: نعم. قال: يا إسحاق أرى بينهما فرقاً.

٥ ـ الحاكم أبو عبدالله النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥، ذكره في مناقب فاطمة سلام الله عليها كما في «الكفاية».

٦ ـ الحافظ ابن مردويه أبو بكر الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦، أخرجه في تفسيره حكاه عنه جمعٌ وقال الآلوسي في «روح المعاني» بعد نقله عنه: والخبر مشهورٌ.

٧ ـ أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧ ـ ٣٧، في تفسيره «الكشف والبيان».

٨ ـ أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفّى ٤٦٨، في تفسيره البسيط، وأسباب النزول ص ٣٣١.

٩ ـ الحافظ أبو عبد الله محمد بن فتوح الأزدي الأندلسي الشهير بالحميدي المتوفّى سنة ٤٨٨ ، ذكره في فوائده .

١٠ ـ أبو القاسم الزمخشري المتوفّى ٥٣٨، في «الكشّاف» ج ٢ ص ٥١١.

١١ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨، في «المناقب» ١٨٠.

١٢ ـ الحافظ أبو موسى المديني المتوفّى سنة ٥٨١ في «الذيل» كما في «الإصابة».

١٣ ـ أبو عبدالله فخر الدين الرازي المتوفّى سنة ٦٠٦، في تفسيره ج ٨ ص ٢٧٦.

١٤ ـ أبوعمرو عثمان بن عبد الرّحمن المعروف بابن الصّلاح الشهرزوري الشرخاني المتوفّى سنة ٦٤٣، كما يأتي عنه في «الكفاية».

١٥ ـ أبو سالم محمَّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢، ذكره في «مطالب السئول» ص ٣١ وقال: رواه الإمام أبو الحسن عليٌّ بن أحمد الواحدي وغيره من أئمَّة التفسير. ثمَّ قال: فكفى بهذه عبادةً، وبإطعام هذا الطعام مع شدَّة حاجتهم إليه منقبةً، ولولا ذلك لما عظمت هذه القصَّة شاناً، وعلت مكاناً، ولما أنزل الله تعالى فيها على رسول الله قرآناً وله في ص ٨ قوله:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحيٍ وإنزالِ
مناقب في الشورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي

وهم أهـل بيت المصـطفى فـودادهم   على النـاس مفـروضٌ بحكم وإسجـالِ

١٦ ـ أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤: رواه في تذكرته من طريق البغوي والثعلبي، وردَّ على جدِّه ابن الجوزي في إخراجه في الموضوعات وقال بعد تنزيه سنده عن الضعف: والعجب من قول جدّي وإنكاره وقد قال في كتاب «المنتخب»: يا علماء الشرع أعلمتم لِمَ آثر (عليٌّ وفاطمة) وتركا الطفلين (الحسنين) عليهما أثر الجوع؟! أتراهما خفي عنهما سرُّ ذلك؟! ما ذاك إلّا لأنّهما علما قوّة صبر الطفلين، وإنّهما غصنان من شجرة الظلّ عند ربّي، وبعض من جملة فاطمة بضعةٌ منّي، وفرخ البطّ السابح[1].

١٧ ـ عزُّ الدين عبد الحميد الشهير بابن أبي الحديد المعتزليّ المتوفى سنة ٦٥٥، في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٧.

١٨ ـ الحـافظ أبـو عبـد الله الكنجي الشـافعيّ المتـوفّى ٦٥٨، في «الكفـاية» سنـة ٢٠١ وقال بعـد ذكر الحـديث: هكـذا رواه الحـافظ أبـو عبد الله الحميدي في فوائده، ورواه ابن جرير الطبري أطـول من هذا في سبب نزول هل أتى.

وقد سمعت الحافظ العلّامة أبا عمرو عثمان بن عبد الرَّحمن المعروف بابن الصَّلاح في درس التفسير في سورة هل أتى وذكر الحديث وقال فيه: إنَّ السؤّال كانوا ملائكة من عند ربِّ العالمين، وكان ذلك امتحاناً من الله عزَّ وجلَّ لأهل بيت رسول الله ﷺ.

وسمعت بمكّة حرسها الله تعالى من شيخ الحرم بشير التبريزي في درس التفسير أنَّ السائل الأوَّل كان جبرئيل، والثاني ميكائيل، والثالث كان إسرافيل عليهم السَّلام.

١٩ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي المتوفّى سنة ٦٨٥، في تفسيره ج ٢ ص ٥٧١.

---

(١) في النسخة تصحيف.

٢٠ ـ الحافظ محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤، في «الرياض النضرة» ج ٢ ص ٢٠٧، ٢٢٧ وقال: وهذا قول الحسن وقتادة.

٢١ ـ الحافظ أبو محمَّد بن أبي حمزة الأزدي الأندلسي المتوفّى سنة ٦٩٩، في «بهجة النفوس» ج ٤ ص ٢٢٥.

٢٢ ـ حافظ الدين النسفي المتوفّى سنة ٧٠١ ـ ٧١٠، في تفسيره هامش تفسير الخازن ج ٤ ص ٤٥٨، رواه في سبب نزول الآية ولم يرو غيره.

٢٣ ـ شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويي المتوفّى سنة ٧٢٢، في «فرائد السمطين».

٢٤ ـ نظام الدين القمّي النيسابوري في تفسيره هامش الطبري ج ٢٩ ص ١١٢ وقال: ذكر الواحدي في «السبط» والزمخشري في «الكشّاف» وكذا الإماميّة أطبقوا على أنَّ السورة نزلت في أهل بيت النبيِّ ﷺ ولا سيَّما في هذه الآي ـ ثمَّ ذكر حديث الإطعام فقال: ويُروى أنَّ السائل في الليالي: جبرئيل، أراد بذلك ابتلاءهم بإذن الله سبحانه.

٢٥ ـ علاء الدين عليُّ بن محمّد الخازن البغداديّ المتوفّى سنة ٧٤١، في تفسيره ج ٤ ص ٣٥٨، ذكر أوَّلاً نزولها في عليٍّ عليه السَّلام وأخرج حديثه ثمَّ قال: وقيل: الآية عامَّة في كلٍّ من أطعم موعزاً إلى ضعف بقيل، مع أنَّ القول بالعموم لا يُنافي نزولها في أمير المؤمنين عليه السَّلام كما لا يخفى لانحصار المصداق به.

٢٦ ـ القاضي عضد الإيجي المتوفّى ٧٥٦، في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٨.

٢٧ ـ الحافظ ابن حجر المتوفّى سنة ٨٥٢ في «الإصابة» ج ٤ ص ٣٨٧ من طريق أبي موسى في «الذيل»، والثعلبي في تفسير سورة هل أتى عن مجاهد عن ابن عبّاس.

٢٨ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١، في «الدرِّ

المنثور» ج ٦ ص ٢٩٩ من طريق ابن مردويه.

٢٩ ـ أبو السعود العمادي محمَّد بن محمَّد الحنفي المتوفّى ٩٨٢، في تفسيره هامش تفسير الرازي ج ٨ ص ٣١٨.

٣٠ ـ الشيخ إسماعيل البروسي المتوفّى سنة ١١٣٧ في تفسير «روح البيان» ج ١٠ ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

٣١ ـ الشوكاني المتوفّى سنة ١١٧٣، في تفسيره «فتح القدير» ج ٥ ص ٣٣٨.

٣٢ ـ الاستاذ محمَّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت» ج ١ ص ١٠ وقال: رواه أهل التفسير.

٣٣ ـ السيِّد الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١٢ ـ ١٤.

٣٤ ـ السيِّد محمود القراغولي البغداديّ الحنفيّ في «جوهرة الكلام» ص ٥٦.

لفظ الحديث

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: إنَّ الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس معه فقالوا: يا أبا الحسن! لو نذرت على ولدك. فنذر عليٌّ وفاطمة وفضَّة جارية لهما إن برئا ممّا بهما أن يصوموا ثلاثة أيّام. فشفيا وما معهم شيءٌ، فاستقرض عليٌّ من شمعون الخيبريِّ اليهوديِّ ثلاث أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال: السَّلام عليكم أهل بيت محمَّد! مسكينٌ من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنَّة. فآثروه وباتوا لم يذوقوا إلاّ الماء وأصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيمٌ فآثروه، ووقف عليهم أسيرٌ في الثالثة ففعلوا مثل ذلك، فلمّا أصبحوا أخذ عليٌّ رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا إلى رسول الله ﷺ فلمّا

أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدَّة الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوؤني ما أرى بكم ! وقام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، وغارت عيناها، فساءه ذلك فنزل جبريل وقال: خذها يا محمَّد ! هنّأك الله في أهل بيتك فأقرأه السورة.

هذا لفظ جمع من الأعلام المذكورين وهناك لفظٌ آخر ضربنا عنه صفحاً.

٩ـ قال: قال رسول الله ﷺ: لو كنت متَّخذاً خليلاً لا تَّخذت أبا بكر خليلاً ولكن أخي وصاحبي. وهذا الَّذي لا يصحُّ غيره، وأمّا أُخوّة عليٍّ فلا تصحُّ إلّا مع سهل بن حنيف.

ج - أنا لا أروم الكلام حول حديث رآه صحيحاً، ولا أُناقش في صدوره ولا أُزيِّفه بما زيَّف عمر بن الخطاب حديث الكتف والدواة، إذ هذا لدة ذاك صدرا في مرض وفاته صلى الله عليه وآله وسلم كما في الصحيحين، ولا أقول بما قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٧ من: أنَّه موضوعٌ وضعته البكريَّة في مقابلة حديث الإخاء.

وأنا لا أبسط القول في مفاده بما يُستفاد من كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص ٥١ من أنَّ الاخوَّة هناك منزلة بالأُخوّة الإسلاميَّة العامَّة الثابتة بقوله تعالىٰ: ﴿إنّما المؤمنون اخوة﴾. نظير ما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم من قوله لعمر: يا أخي[1] ولزيد: أنت أخونا[2] ولأُسامة: يا أخي[3]. وإنّما يُفسِّر تلك الاخوة لفظ البخاري ومسلم والترمذي: لو كنت متَّخذاً خليلاً لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن اخوة الإسلام ومودته. كما أنَّ الخلّة المنتفية فيه هي الخلّة بالمعنى الخاصّ لا الخلّة العامّة الثابتة بقوله تعالىٰ: ﴿الأخلّاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلّا المتّقين﴾.

---

(١) الرياض النضرة ج ٢ ص ٦.

(٢) خصائص النسائي ص ١٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩.

فلم تكن هي تلك الاخوَّة بالمعنى الخاصّ التي تمَّت يومي المؤاخاة [١] بوحي من الله العزيز، وكانت على أساس المشاكلة والمماثلة بين كلٍّ اثنين في الدرجات النفسيَّة كما ستسمعه عن غير واحد من الأعلام، ووقعت المؤاخاة فيهما بين أبي بكر وعمر. وبين عثمان وعبد الرحمن بن عوف. وبين طلحة والزبير. وبين أبي عبيدة الجراح وسالم مولى أبي حذيفة. وبين أُبيّ بن كعب وابن مسعود. وبين معاذ وثوبان. وبين أبي طلحة وبلال. وبين عمّار وحذيفة، وبين أبي الدَّرداء وسلمان. وبين سعد بن أبي وقّاص وصُهيب. وبين أبي ذرّ والمقداد بن عمرو. وبين أبي أيّوب الأنصاري وعبدالله بن سلام. وبين اسامة وهند حجّام النبيّ. وبين معاوية والحباب المجاشعي. وبين فاطمة بنت النبيِّ وامِّ سلمة. وبين عائشة وامرأة أبي أيوب [٢].

وأخَّر صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً لنفسه قائلاً له: والّذي بعثني بالحقِّ ما أخَّرتك إلّا لنفسي أنت أخي ووارثي، نت خي ررفيقي، أنت أخي في الدنيا والآخرة! .

بل أقول عجباً للصلافة التي تحدو الإنسان لأن يقول: لا يصحُّ غير حديث حسبه صحيحاً ويجهل مفاده أو يعلم ويحبُّ أن يُغري الامَّة بالجهل، ثمَّ يعطف على حديث اعترفت به الامَّة جمعاء وجاء مثبتاً في الصحاح والمسانيد ويراه باطلاً.

أهكذا حبُّ الشيء يُعمي ويُصمّ؟!

أهكذا خُلق الإنسان ظلوماً جهولا؟!

هذه الاخوَّة بالمعنى الخاصّ الثابتة لأمير المؤمنين ممّا يخصّ به عليه السَّلام ولا يدَّعيها بعده إلّا كذّاب على ما ورد في الصحيح كما يأتي، وكانت مطَّردة بين الصحابة كلقب يُعرَّف به، تداولته الأندية، وحوته

(١) وقعت المؤاخاة مرتين إحداهما قبل الهجرة واخرى بعدها بخمسة أشهر كما يأتي.

(٢) سيرة ابن هشام، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠، ٢٠٠، اسد الغابة ج ٢ ص ٢٢١، مطالب السئول ص ١٨، إرشاد الساري للقسطلاني ج ٦ ص ٢٢٧، شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣.

المحاورات، ووقع الحجاج به، وتضمّنه الشعر السائر، ولو ذهبنا إلى جمع شوارد هذا الباب لجاء منه كتابٌ ضخمٌ غير أنّا نختار منها نبذاً :

١ ـ آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه فآخى بين أبي بكر وعمر وفلان وفلان فجاءه عليٌّ رضي الله عنه فقال: آخيت بين أصحابك ولم تُؤاخ بيني وبين أحد فقال رسول الله ﷺ: أنت أخي في الدّنيا والآخرة.

ينتهي سند هذا الحديث إلى :

أمير المؤمنين عليّ. عمر بن الخطّاب. أنس بن مالك. زيد بن أبي أوفى. عبد الله بن أبي أوفى. ابن عبّاس. مخدوج بن زيد. جابر بن عبد الله. أبي ذرّ الغفاري. عامر بن ربيعة. عبد الله بن عمر. أبي امامة. زيد بن أرقم. سعيد بن المسيّب[1].

راجع جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، مصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، الإستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ وعدَّ حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١، مشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧، وقال في ص ٢١٢:

ومن أدلّ دليل على عظم منزلة عليٍّ من رسول الله ﷺ صنيعه في المؤاخاة فإنّه ﷺ جعل يضمُّ الشكل إلى الشكل يؤلّف بينهما. إلى أن آخى بين أبي بكر وعمر وادَّخر عليّاً لنفسه وخصَّه بذلك، فيالها مفخرة وفضيلة.

فرائد السمطين في الباب العشرين، الفصول المهمّة ص ٢٢ و٢٩، تذكرة السبط ١٣، ١٥ وحكى عن الترمذي أنَّه صحَّحه، كفاية الكنجي ص ٨٢ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ عال صحيحٌ، فإذا أردت أن تعلم قرب منزلة عليٍّ من رسول الله. إلى آخر ما مرّ عن الرِّياض النضرة.

السيرة النبويَّة لابن سيِّد الناس ج ١ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ وصرح بأنَّ هذه هي المؤاخاة قبل الهجرة ثمّ قال:

---

(١) هذا الحديث بوحدته متواتر على رأي ابن حزم في التواتر.

وقال ابن إسحق: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال: تواخوا في الله أخوين. ثمَّ أخذ بيد عليٍّ بن أبي طالب فقال: هذا أخي. فكان رسول الله وعليٌّ أخوين.

تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٥، أسنى المطالب للجزري ص ٩، مطالب السئول ص ١٨ وقال: فعقد الاخوَّة بين اثنين منهم حثّاً على التناصر والتعاضد، وجعل كلَّ واحد مؤاخياً لمن تقرب منه درجته في المماثلة والمساواة.

الصواعق ٧٣، ٧٥، تاريخ الخلفاء ١١٤، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٧، المواقف ج ٣ ص ٢٧٦، شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣، طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥، تاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦، السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٣، ١٠١، وفي هامشها السيرة النبويَّة لزيني دحلان ج ١ ص ٣٢٥، كفاية الشنقيطي ص ٣٤، الإمام عليّ بن أبي طالب للاستاذ محمّد رضا ص ٢١، الإمام عليّ بن أبي طالب للاستاذ عبد الفتّاح عبد المقصود وقال في ص ٧٣:

ولئن كان أبو بكر من نبيِّ الله وزيره الصادق فإنَّ عليّاً كان منه الظلّ اللاصق لم ينأ عنه ولم يبعد إلاّ كما أرسله محمّد ليكون له على أعدائه عيناً أو لرجاله طليعة حتّى في بدء ذلك الوقت الذي أخذ رسول الله يُكوِّن فيه ملكه الصغير، ويربط بين المهاجرين والأنصار بالمدينة، لم يفته أن يُؤثر بإخائه عليّاً دون الباقين. آخى بين صحبه الخارجين من ديارهم معه وبين أصحاب البلدة الّذين آووا، فتخيَّر أن يكون عليٌّ أخاه في الدين، لم يُواخ أبا بكر، ولم يُواخ عمر، ولم يُواخ حمزة أسده وأسد الله ولكنه اصطفى لهذه الاخوَّة المعنويَّة بعد اخوَّة الدم فتاه الربيب، فآثره على كلِّ حبيب بعيدٍ وقريب.

وقد أصفقت هذه المصادر كلّها أنَّه صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين أبي بكر وعمر وليس فيها من مزعمة ابن حزم عينٌ ولا أثر.

٢ ـ زيد بن أبي أوفى قال: لَمّا آخى النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بين أصحابه وآخى بين عمر وأبي بكر (إلى أن قال): فقال عليٌّ: لقد ذهب روحي

وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط عليَّ، فلك العتبى والكرامة. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: والّذي بعثني بالحقِّ ما أخّرتك إلّا لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى، غير أنّه لا نبيَّ بعدي، وأنت أخي ووارثي. قال: وما أرث منك يا رسول الله؟! قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. قال: ما ورث الأنبياء من قبلك؟! قال: كتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم، وأنت معي في قصري في الجنَّة مع فاطمة ابنتي، وأنت أخي ورفيقي. ثمَّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إخواناً على سرر متقابلين.

مناقب أحمد بن حنبل، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢٠١، تذكرة السبط ١٤ وصحَّحه وقال: رجاله ثقات، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٠، كفاية الشنقيطي ٣٥، ٤٤.

٣ - جابر بن عبد الله وسعيد بن المسيَّب قالا: إنَّ رسول الله ﷺ آخى بين أصحابه فبقي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعليٌّ، فآخى بين أبي بكر وعمر وقال لعليّ: أنت أخي وأنا أخوك، فإن ناكرك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدَّعيها بعدك إلّا كذّاب.

مناقب أحمد، تاريخ ابن عساكر، كفاية الكنجي ٨٢، ٨٣، تذكرة السبط ١٤ وصحّحه وردَّ على جدِّه في تضعيفه سنده، المرقاة في شرح المشكاة ج ٥ ص ٥٦٩.

وفي لفظ أمير المؤمنين ويعلى بن مرَّة: فقال رسول الله ﷺ: إنّما تركتك لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك فإن حاجّك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله. لا يدَّعيها بعدك إلّا كذّاب.

كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤، ٣٩٩ عن الحافظ أبي يعلى في مسنده.

٤ - قال محمّد بن إسحاق: وآخى رسول الله بين أصحابه من المهاجرين والأنصار فقال فيما بلغنا ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: تآخوا في الله

أخـوين أخوين. ثمَّ أخـذ بيد عليٍّ بن أبي طـالب فقـال: هـذا أخي. فكـان رسول الله ﷺ ـ سيِّد المرسلين وإمام المتّقين، ورسول ربِّ العالمين الذي ليس له خطيرٌ ولا نظيرٌ من العباد ـ وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين.

تاريخ ابن هشام ج ٢ ص ١٢٣، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٦، السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ١٠١، الفتاوى الحديثيّة ص ٤٢.

٥ ـ أميـر المؤمنين قال: قـال له رسـول الله ﷺ: أنت أخي وصـاحبي ورفيقي في الجنّـة. تـاريـخ الخـطيب ج ١٢ ص ٢٦٨، كنـز العمّـال ج ٦ ص ٤٠٢.

٦ ـ أميـر المؤمنين قال: آخى رسـول الله بين عمـر وأبي بكـر، وبين حمزة بن عبد المطلب وزيد بن الحارثة (إلى أن قال:) وبيني وبين نفسه.

أخرجه الخليعي في الخليعات، وسعيد بن منصور في سننه كما في كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٤.

٧ ـ ابن عبّـاس في حديث وقـال ﷺ لعليٍّ رضي الله عنه: أنت أخي وصاحبي.

مسنـد أحمـد ج ١ ص ٢٣٠، الإستيعـاب ج ٢ ص ٤٦٠، الإمتـاع للمقريزي ص ٣٤٠، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩١.

٨ ـ أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسـول الله ﷺيقول: اللَّهُمَّ إنّي أقول كما قال أخي موسى، **اللّهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي أخي عليّاً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبِّحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنّك كنت بنا بصيرا.**

مناقب أحمد بن حنبل. الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣.

٩ ـ ابن عبّاس في حديث احتجاجه على الرَّجل الشاميِّ وهو حـديثٌ طويلٌ كثير الفائدة ومنه: وقال (رسول الله): يا امّ سلمة! هل تعرفين هـذا؟! قالت: نعم هذا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله ﷺ: نعم هذا عليٌّ سيط

لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى، إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي، يا امّ سلمة ! هذا عليٌّ سيِّدٌ مبجَّل، ومأمل المسلمين، وأمير المؤمنين، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي يؤوى إليه، وهو الوصيُّ على أهل بيتي، وعلى الأخيار من أُمّتي، وهو أخي في الدُّنيا والآخرة.

المحاسن والمساوىء ج١ص ٣١، مرَّ حديث امّ سلمة هذا بلفظ آخر ومصادره في ج ١ ص ٣٩٣، ٣٩٤.

١٠ ـ مرَّ قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السَّلام في حديث بدء الدعوة: أنت أخي ووصيّي وخليفتي من بعدي. راجع ج ٢ ص ٣٢٥ - ٣٣١.

١١ ـ مرَّ ج ١ ص ٢٥٨ من طريق الطبري قوله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ: إنَّ عليَّ بن أبي طالب أخي ووصيّي وخليفتي. وقوله: معاشر الناس! هذا أخي ووصيّي وواعي علمي وخليفتي على من آمن بي.

ويظهر من كلام النويري الذي أسلفناه في ج ١ ص ٣٣٩ : أنَّ مؤاخاة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عليّاً عليه السَّلام يوم غدير خمّ كانت مشهورةً في العصور المتقادمة.

١٢ ـ جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: مكتوبٌ على باب الجنَّة: لا إلّه إلا الله، محمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أخو رسول الله قبل أن تُخلق السَّماوات والأرض بألفي عام.

مناقب أحمد، تاريخ الخطيب ج ٧ ص ٣٨٧، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٨، تذكرة السبط ١٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، مناقب الخوارزمي ٨٧، شمس الأخبار ص ٣٥ عن مناقب الفقيه ابن المغازلي، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٩ عن ابن عساكر، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٥، كفاية الشنقيطي ٣٤، مصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦ نقلاً عن الطبراني.

١٣ ـ أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: طلبني النبيُّ ﷺ فوجدني في حائط

نائماً فضربني برجله وقال: قم فوالله لأُرضينَّك، أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل على سنّتي.

مناقب أحمد، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٦٧، الصواعق ٧٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٤، كفاية الشنقيطي ٢٤.

١٤ ـ مخدوج بن زيد الذهلي قال: إنَّ النبيَّ ﷺ قال لعليٍّ: أما علمت يا عليُّ أنّه أوَّل مَن يُدعى به يوم القيامة بي؟! (إلى أن قال:) ثمَّ ينادي منادٍ من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ.

مناقب أحمد، مناقب الفقيه ابن المغازلي، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠١، مناقب الخوارزمي ٨٣؛ ٢٣٤، ٢٣٨، شمس الأخبار ٣٢، تذكرة السبط ص ١٣ وردَّ على مَن ضعَّفه لمكان ميسرة والحكَم في طريق الحافظ الدارقطني فقال: الحديث الذي رواه أحمد في الفضائل ليس فيه ميسرة ولا الحكَم، وأحمد مقلّدٌ في الباب متى روى حديثاً وجب المصير إلى روايته لأنَّه إمام زمانه، وعالم أوانه، والمبرَّز في علم النقل على أقرانه، والفارس الَّذي لا يجارى في ميدانه.

١٥ ـ أبو برزة قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله تعالى عهد إليَّ عهداً في علي فقلت: يا ربّ! بيِّنه لي فقال: إسمع. فقلت: سمعت. فقال: إن عليّاً راية الهدى، وإمام أوليائي، ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتَّقين، مَن أحبَّه أحبَّني ومَن أبغضه أبغضني، فبشِّره بذلك. فجاء عليٌّ فبشَّرته فقال: يا رسول الله! أنا عبد الله وفي قبضته، فإن يُعذِّبني فبذنبي،، وإن يتمّ لي الذي بشَّرتني به فالله أولى بي. قال: قلت: اللهم أجل قلبه واجعل ربيعه الإيمان. فقال الله: قد فعلت به ذلك. ثمَّ انّه رفع إليَّ أنَّه سيخصّه من البلاء بشيء لم يخصّ به أحدٌ من أصحابي. فقلت: يا رب! أخي وصاحبي فقال: إنّ هذا شيءٌ قد سبق إنَّه مُبتلى ومُبتلى به.

حلية الأولياء ج ١ ص ٦٧، الرياض النضرة ج ٢ ص ٤٤٩، شرح ابن

أبي الحديد ج ٢ ص ٤٤٩ ، فرائد السمطين في الباب الـ ٣٠ و٥٠ بطريقين، مناقب الخوارزمي ٢٤٥ ، كفاية الكنجي ٩٥، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٤١ .

١٦ ـ في خطبة للنبيِّ ﷺ : أيّها النّاس! اوصيكم بحبِّ ذي قرباها أخي وابن عمّي عليّ بن أبي طالب، لا يحبّه إلّا مؤمنٌ ولا يبغضه إلّا منافقٌ، من أحبَّه فقد أحبَّني ؛ ومن أبغضه فقد أبغضني ، ومن أبغضني عذَّبه الله .

مناقب أحمد، تذكرة السبط ١٧ ، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص٤٥١ ، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢١٢ ، ذخائر العقبى ٩١.

١٧ ـ في حديث مفاخرة عليٍّ وجعفر وزيد وتحاكمهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمَّ قال صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ : أنت أخي وخالصتي .

شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٣٩. وقال: اتّفق عليه المحدِّثون.

١٨ ـ أبو ذرّ الغفاري قال في حديث: فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ : وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي .

مرَّ تمام الحديث ومصادره ج ٢ ص ٣١٣ راجع .

١٩ ـ سلمان الفارسيّ قال: إنَّه سمع النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنَّ أخي ووزيري وخير من أخلفه بعدي عليُّ بن أبي طالب. مناقب الخوارزمي ٦٧ .

٢٠ ـ بلال بن حمامة في حديث زواج عليّ فاطمة سلام الله عليهما وآلهما قال صلى الله عليه وآله وسلم: بشارةٌ أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي (وفيه): فصار أخي وبنتي فكّاك رقاب رجال ونساء من امّتي من النّار. راجع ج ٢ ص ٣١٦.

٢١ ـ عبد الله بن عمر قال في حديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم: انَّه قال: اللّهمَّ اشهد لهم اللّهمّ قد بلّغت هذا أخي وابن عمّي وصهري وأبو

ولدي، اللَّهُمَّ! كبّ من عاداه في النّار.

كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤ نقلاً عن ابن النَّجار والشيرازي في الألقاب.

٢٢ ـ عبد الله بن عمر قال في حديث:قال صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أُرضيك يا علي؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: أنت أخي ووزيري تقضي ديني وتنجز موعدي.

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢١ عن الطبراني، وص ١٢٢ عن أبي يعلى، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٥.

٢٣ ـ في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وآله وسلم: فأمّا أن رجعت نادى مناد من وراء الحجاب: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليٌّ فاستوص به خيراً.

فرائد السمطين في الباب العشرين. كنز العمّال ج ٦ ص ١٦١.

٢٤ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام في حديث:قال صلى الله عليه وآله وسلم: ليس في القيامة راكبٌ غيرنا نحن الأربعة (إلى أن قال:) وأخي عليّ على ناقة من نوق الجنَّة بيده لواء الحمد.

تاريخ بغداد ج ١١ ص ١١٢، كفاية الحافظ الكنجي ٧٧، كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٢.

٢٥ ـ إبن عبّاس في حديث زواج عليّ وفاطمة سلام الله عليهما قال: فجاء رسول الله ﷺ فدقَّ الباب فخرجت إليه امّ أيمن فقال. أعلمي أخي. قالت: وكيف يكون أخاك وقد زوَّجته ابنتك ؟! قال: إنَّه أخي.

خصائص النسائي ٣٢، الرِّياض ج ٢ ص ١٨١، الصواعق.

٢٦ ـ مرَّ في حديث ليلة المبيت: فأوحى الله إلى جبريل وميكائيل: أفلا كنتما مثل عليٍّ بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمّد. راجع ج ٢ ص ٧٣.

٢٧ ـ في حديث الإسراء عن النسفي وغيره عن جبرئيل أنَّه قال: إنَّ الله تعالى اطَّلع إلى الأرض فاختارك من خلقه وبعثك برسالته، ثمّ اطَّلع إليها ثانية

فاختار لك أخاً ووزيراً وصاحباً فزوَّجه ابنتك فاطمة. فقلت: يا جبريل من هذا الرجل ؟! قال: أخوك في الدارين وابن عمّك في النسب عليٌّ بن أبي طالب.

نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٣ .

٢٨ ـ أخرج الطبراني باسناده عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال لعليّ عليه السلام: أما ترضى أنّك أخي وأنا أخوك؟! مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣١ .

٢٩ ـ عبد الله بن عمر قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه: أُدعوا لي أخي. فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثمَّ قال: أُدعوا لي أخي. فدُعي له عليٌّ بن أبي طالب فستره بثوب وأكبَّ عليه فلما خرج من عنده قيل له: ما قال ؟! قال: علّمني ألف باب يفتح كلّ باب إلى ألف باب.

أخرجه الحافظ إبن عدي عن أبي يعلى عن كامل بن طلحة عن أبي لُهيعة إلى آخر السند، وذكره ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٩، وحكى تضعيفه عن ابن عدي لمكان ابن لهيعة في سنده ذاهلاً عمّا قال أحمد بن حنبل في حقّه راجع ج ١ ص ١٠٧

٣٠ ـ عبد الله بن عمر عن رسول الله ﷺ: عليٌّ أخي في الدنيا والآخرة.

أخرجه الطبراني ، والسيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٠ وحسَّنه . وقال المناوي في فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٥ بعد ذكره : كيف ؟ وقد بُعث سول الله ﷺ يوم الإثنين فأسلم (عليّ) وصلّى يوم الثلاثاء فمكث يُصلّي مستخفياً سبع سنين كما رواه الطبراني عن أبي رافع ، يريد بذلك بيان المشاكلة والمماثلة في الأخوة بينهما صلّى الله عليهما وآلهما .

٣١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث: اشتقَّ الله تعالى لنا من أسمائه أسماءً فالله عزَّ وجلَّ محمودٌ، وأنا محمّد. والله الأعلى، وأخي عليّ.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثاني من طريق أبي نعيم والنطنزي.

٣٢ ـ أنس بن مالك قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فذكر قولاً كثيراً ثمَّ قال: أين عليُّ بن أبي طالب؟! فوثب إليه فقال: ها أناذا يا رسول الله! فضمَّه إلى صدره وقبَّل بين عينيه وقال بأعلى صوته: معاشر المسلمين! هذا أخي وابن عمّي وختني، هذا لحمي ودمي وشعري، هذا أبو السبطين: الحسن والحسين سيِّدي شباب أهل الجنّة، هذا مفرِّج الكروب عنّي، هذا أسد الله وسيفه في أرضه على أعدائه، على مبغضه لعنة الله ولعنة اللاعنين، والله منه بريءٌ وأنا منه بريءٌ.

أخرجه أبو سعد في شرف النبوَّة كما في ذخائر العقبى ٩٢.

٣٣ ـ عن الزهري في حديث حول حرب الجمل: فقالت عائشة لرجل من ضبَّة وهو آخذٌ بخطام جملها أو بعيرها: أين ترى عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟! قال: ها هوذا واقفٌ رافعٌ يده إلى السّماء. فنظرت فقالت: ما أشبهه بأخيه. قال الضبّي: ومن أخوه؟! قالت: رسول الله ﷺ. قال: فلا أراني أُقاتل رجلاً هو أخو رسول الله عليه الصلاة والسَّلام. فنبذ خطام راحلتها من يده ومال إليه. المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣٥ .

٣٤ ـ عبّاد بن عبد الله الأسدي قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ، آمنت قبل الناس بسبع سنين. وفي لفظ جمع من الحفّاظ: لا يقولها بعدي إلّا كذّابٌ مُفترٍ، ولقد صلّيت قبل الناس سبع سنين.

خصائص النسائي ص ٣، السنّة لابن أبي عاصم، سنن ابن ماجة ج١ ص ٥٧، المعرفة لأبي نعيم؛ العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٥، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣١٢، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٥، الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧ من طريق الحافظ ابن أبي شيبة مسنداً،

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٩، مطالب السئول ١٩ وقال: كان يقولها في كثير من الأوقات. تاريخ ابن عساكر، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٤ عن ابن أبي شيبة والنسائي وابن أبي عاصم والعقيلي والحاكم وأبي نعيم.

٣٥ - زيدبن وهب قال: سمعت عليّاً عليه السّلام على المنبر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله لم يقلها أحدٌ قبلي ولا يقولها أحدٌ بعدي إلاّ كذّاب أو مفتر. فقام إليه رجلٌ فقال: أنا أقول كما يقول هذا. فضُرب به الأرض فجاءه قومه فغشّوه ثوباً، فقيل لهم: أكان هذا فيه قبل؟! قالوا: لا.

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٤، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٦ عن أبي يحيى من طريق الحافظ العدني، وفيه: فقالها رجلٌ فأصابته جنّة. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠ من دون ذيله وقال: رويناه من وجوه، آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين، ثمَّ آخى بين المهاجرين والأنصار، وقال في كلٍّ واحدةٍ منهما لعليٍّ: أنت أخي في الدنيا والآخرة. فلذلك كان هذا القول وما أشبهه من عليّ رضي الله عنه.

٣٦ - معاذة عن عليّ عليه السّلام أنه قال على رؤس الأشهاد خطيباً: أنا عبد الله وأخو رسوله؛ وأنا الصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، صلّيت قبل الناس سبع سنين، وأسلمت قبل إسلام ابي بكر وآمنت قبل إيمانه.

شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧، راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٣٦٣.

٣٧ - حنان قال سمعت عليّاً يقول: لأقولنَّ قولاً لم يقله أحدٌ قبلي لا يقوله بعدي إلاّ كذّابٌ: أنا عبد الله وأخو رسوله، وزير نبيِّ الرَّحمة، نكحت سيِّدة نساء هذه الامَّة، وأنا خير الوصيِّين.

« فرائد السمطين » الباب الـ ٥٧

٣٨ - إنّ عليّاً كرَّم الله وجهه أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبد الله

وأخو رسول الله. فقيل له: بايع أبا بكر. فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي.

« الإمامة والسياسة » ١٢، ١٣

٣٩ ـ أبو الطفيل عامر بن واثلة في حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم الشورى قال: قال: أُنشدكم الله أفيكم أحدٌ آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بينه وبين نفسه حيث آخى بين المسلمين غيري؟! فقالوا: اللهمّ لا.

أخرج ابن عبد البرّ خصوص هذه الفقرة من حديث المناشدة في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، وهي ممّا صحّحه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٦١ من فقرات الحديث وعدّها ممّا استفاض في الرِّوايات، وقد أسلفنا طرق الحديث في ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.

٤٠ ـ أخرج الحافظ الدارقطني: انَّ عمر سأل عن عليّ فقيل له: ذهب إلى أرضه فقال: اذهبوا بنا إليه. فوجدوه يعمل، فعملوا معه ساعة ثمَّ جلسوا يتحدَّثون فقال له عليٌّ: يا أمير المؤمنين! أرأيت لو جاءك قومٌ من بني إسرائيل، فقال لك أحدهم: أنا ابن عمّ موسى عليه السلام أكانت له عندك أثرة على أصحابه؟! قال: نعم. قال: فأنا والله أخو رسول الله ﷺ وابن عمِّه. قال: فنزع عمر رداءه فبسطه فقال: لا والله لا يكون لك مجلسٌ غيره حتّى نفترق. فلم يزل جالساً عليه حتّى تفرّقوا.

« الصواعق » ١٠٧

٤١ ـ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في حديث عن حوريَّة من الجنَّة قال قالت: أنا الراضية المرضيَّة، خلقني الجبّار من ثلاثة أصناف: أعلاي من عنبر. ووسطي من كافور. وأسفلي من مسك. وعجنني بماء الحيوان، ثمَّ قال: كوني فكنت، خلقني لأخيك وابن عمِّك عليٍّ بن أبي طالب.

« ذخائر العقبى » ٩٠

٤٢ ـ مرّ في كتاب لأمير المؤمنين عليه السَّلام كتبه إلى معاوية بن أبي سفيان قوله:

محمّد النبيُّ أخي وصنوي وحمزة سيِّد الشهداء عمّي

راجع ج ٢ ص ٤٠ ـ ٤٥

٤٣ ـ قال جابر بن عبد الله الأنصاري، سمعت عليّاً عليه السَّلام ينشد ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يسمع شعره:

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نسبي معه رُبيت وسبطاه هما ولدي
جدّي وجدّ رسول الله منفردٌ وزوجتي فاطمٌ لا قول ذي فندِ
صدّقته وجميع الناس في بُهمٍ من الضّلالة والإشراك والنَّكدِ
الحمد لله شكراً لا شريك له البرّ بالعبد والباقي بلا أمدِ

فقال له النَّبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: صدقت يا عليّ

فرائد السمطين في الباب الـ ٤٤، نظم درر السمطين للزرندي، كفاية الكنجي ص ٨٤، مناقب الخوارزمي ص ٩٥، تاريخ ابن عساكر، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٨.

٤٤ ـ قال ابن عبّاس: إنَّ عليّاً كان يقول في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ الله تعالى يقول: أفإن مات أو قُتل. لأُقاتلنَّ على ما قاتل عليه حتّى أموت، والله إنّي لأخوه ووليّه ووارثه (وارث علمه) وابن عمِّه، فمن أحقُّ به منّي؟!.

مناقب أحمد، خصائص النسائي ١٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٦ وصحّحه هو والذهبي، الرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦، ذخائر العقبى ص ١٠٠، فرائد السمطين الباب الـ ٢٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٤ من طريق الطبراني وقال: رجاله رجال الصحيح.

٤٥ ـ قال عديّ بن حاتم في خطبة له: لئن كان إلى الإسلام إنّه لأخو نبيٍّ

الله والرأس في الإسلام.

[جمهرة الخطب ج ١ ص ٢٠٢].

٤٦ ـ قال الثعلبي في « العرائس » ص ١٤٩ : قال أهل التفسير وأصحاب الأخبار: إن الله أهبط تابوتاً على آدم عليه السَّلام من الجنَّة حين أهبط إلى الأرض فيه صور الأنبياء من أولاده وفيه بيوتٌ بعدد الرسل منهم، وآخر البيوت بيت محمّد من ياقوتة حمراء (إلى أن قال): وبين يديه عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوبٌ على جبهته: هذا أخوه وابن عمِّه المؤيَّد بالنصر من عند الله.

٤٧ ـ في كتاب لمحمّد بن أبي بكر إلى معاوية: فكان أوَّل من أجاب وأناب وآمن وصدَّق وأسلم وسلم أخوه وابن عمِّه عليٌّ بن أبي طالب.

كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٣٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٩

٤٨ ـ قال أبان بن عيّاش: سألت الحسن البصري عن عليّ عليه السَّلام فقال: ما أقول فيه؟! كانت له السابقة والفضل والعمل والحكمة والفقه والرأي والصحبة والنجدة والبلاء والزهد والقضاء والقرابة ـ إلى أن قال: وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام: زوَّجتك خير أُمَّتي. فلو كان في أُمَّته خيراً منه لاستثناه، ولقد آخى رسول الله بين أصحابه فآخى بين عليّ ونفسه،فرسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم خير النّاس نفساً وخيرهم أخاً. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦٩.

٤٩ ـ في خطبة لعمّار بن ياسر في البصرة قوله: أيّها الناس! أخو نبيّكم وابن عمِّه يستنفركم لنصر دين الله.

[شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٣]

٥٠ ـ مرَّ ج ١ ص ٢٤٥ من كتاب لعمرو بن العاص إلى معاوية بن أبي سفيان قوله: وأمّا ما نسبت أبا الحسن أخا رسول الله ووصيَّه إلى البغي والحسد على عثمان وسمَّيت الصحابة فسقةً وزعمت أنَّه أشلاهم على قتله فهذا كذبٌ

وغوايةٌ.

ولشهرة هذه الأثارة وثبوتها لأمير المؤمنين ولأهميَّتها الكبرى عند الأُمَّة وإعرابها عن المماثلة والمشاكلة في الفضيلة بينه وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أخذها رجال القريض من الصحابة والتابعين كحسّان بن ثابت والنجاشي وتبعهم شعراء القرون من الفريقين حتّى اليوم فصبّوها في بوتقة النظم، ونحن نصفح عن كلّ ذلك النظم الرائق روماً للاختصار، غير أنَّ القارىء يقف على شيء كثير منه في طيِّ أجزاء كتابنا راجع الجزء الثاني ص ٥٧، ٦٠، ١٣٧، ٢٥٦، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٣٩، ٣٨٥، ٤٠٩، ج ٣ ص ٩٤.

١٠ - قال: جمهور متكلّمي الرافضة كهشام بن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما يقول: إنَّ علم الله تعالى محدثٌ، وانَّه لم يكن يعلم شيئاً حتّى أحدث لنفسه علماً. وهذا كفرٌ صحيحٌ، وقد قال هشام هذا في عين مناظرته لأبي الهذيل العلّاف: إنّ ربَّه سبعة أشبار بشبر نفسه. وهذا كفرٌ صحيحٌ، وكان داود الجوازي من كبار متكلّميهم يزعم أنَّ ربّه لحمٌ ودمٌ على صورة الإنسان.

ج - أمّا جمهور متكلّمي الشيعة فلن تجد هذه المزعمة في شيء من مؤلّفاتهم الكلاميَّة بل فيها نقيض هذه كلّها ودحض شبه الزاعمين خلافهم، ضع يدك على أيّ من تلك الكتب مخطوطها ومطبوعها، حتّى تأليف هشام نفسه ومَن قصدهم الرجل بالقذف المائن تجده على حدّ ما وصفناه.

وأمّا هشام فأوَّل مَن نسب إليه هذه الفرية الجاحظ[1] عن النظام ورآها ابن قتيبة في «مختلف الحديث» ص ٥٩ والخطّاط في «الانتصار» وكلٌّ منهم هو العدوُّ الألدُّ للرَّجل لا يُؤتمن عليه فيما ينقله ممّا يشوِّه سمعة هشام، فهو

---

(١) قال أبو جعفر الإسكافي: ان الجاحظ ليس على لسانه من دينه وعقله رقيب، وهو من دعوى الباطل غير بعيد، فمعناه نزر، وقوله لغو، ومطلبه سجع، وكلامه لعب ولهو، يقول الشيء وخلافه، ويحسن القول وضده، ليس له من نفسه واعظ، ولا لدعواه حد قائم. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٧.

لا يزال يتحرّى الوقيعة فيه وفي نظرائه من أيِّ الوسائل كانت صادقةً أو مكذوبةً، والمذاهب والعقائد يجب أن تُؤخذ من أفواه المعتنقين بها، أو من كتبهم الثابتة نسبتها إليهم، أو ممّن يُؤتمن عليه في نقلها، وهذه النسب المفتعلة لم يتسنَّ لها الحصول على شيء من الحالة، وإنّما الحالة فيها كما وصفناها.

ثمَّ تبع أولئك في العصور المتأخِّرة أهل الهوس والهياج حنقاً على هشام ومبدئه ومن حذا حذوه كابن حزم وأمثاله، ولم يقنع الرجل تفريد هشام بهاتيك الشائنة المائنة حتّى شركه فيها جمهور متكلّمي الرافضة وهم براء، والرَّجل غير مكترث لما أعدَّ الله لكلِّ أفّاك أثيم.

وهؤلاء متكلّمو الشيعة لا يعترفون بشيء من ذلك، وفيما كتبه عَلمٌ من أعلامهم ألا وهو علم الهدى الشريف المرتضى في « الشافي » ص ١٢ مقنعٌ وكفايةٌ في الدِّفاع عن هشام، على أنَّ نصَّ مناظرة هشام مع أبي الهذيل المذكورة في « الملل والنحل » للشهرستاني ليس فيه إلّا إلزام مَن يناظره بلازم قوله من أنّه تعالى جسمٌ لا كالأجسام. وأين هو من الاعتقاد به؟!.

وبقيَّة النسب المعزوَّة إلى غير هشام من رجالات الشيعة من التجسّم وغيره ممّا ذُكر لدة ما يُنسب إلى هشام بعيدةٌ عن مستوى الصِّدق.

١١ ـ قال: (الرافضة) لا يختلفون في أنَّ الشمس رُدَّت على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين، أفيكون في صفاقة الوجه، وصلابة الخدّ، وعدم الحياء، والجرأة على الكذب، أكثر من هذا على قرب العهد وكثرة الخلق؟!.

وقال ج ٥ ص ٣ بعد نقل جملة من الخرافات: لا فرق بين من ادَّعى شيئاً ممّا ذُكر وبين دعوى الرافضة ردَّ الشمس على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين.

وقال ج ٢ ص ٧٨: وأقلُّ الروافض غلوّاً يقولون: إنَّ الشمس رُدَّت على عليٍّ بن أبي طالب مرَّتين.

ج ـ ربما يحسب قارىء هذه القوارص أنَّ القول بردِّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السَّلام من خاصَّة الشيعة ليس إلّا. وأنَّ الحديث به منكرٌ وقول

زور، لا يرى الإسلام لقائله قدراً ولا حرمةً، بل يحقّ بكلّ ذلك السباب والقذف المقذع، ولا يتصوَّر أن تكون هذه الوقيعة والتحامل من الرَّجل دون حقيقة راهنةٍ، وقولٍ صحيحٍ، ورأيٍ ثابتٍ بالسنَّة.

فأدب الشيعة وإن يمنعنا عن السباب والتقابل بالمثل غير أنّا نمثّل بين يدي القارىء تلك الحقيقة، ونوقفه على حقّ القول وقائليه ومحدِّثيه، فيرى عندئذٍ نصب عينيه مثال صفاقة الوجه، وصلابة الخدِّ، وعدم الحياء، والجرأة على الكذب فنقول:

إنَّ حديث ردِّ الشمس أخرجه جمعٌ من الحفّاظ الأثبات بأسانيد جمَّة صحَّح جمعٌ من مهرة الفنِّ بعضها، وحكم آخرون بحسن آخر، وشدَّد جمعٌ منهم النكير على من غمز فيه وضعَّفه وهم الأبناء الأربعة حملة الروح الأمويَّة الخبيثة ألاوهم: ابن حزم. ابن الجوزي. ابن تيميَّة. ابن كثير.

وجاء آخرون من الأعلام وقد عظم عليهم الخطب بإنكار هذه المأثرة النبويَّة والمكرمة العلويَّة الثابتة فأفردوها بالتأليف، وجمعوا فيه طرقها وأسانيدها فمنهم:

١ ـ أبو بكر الورّاق، له كتاب « من روى ردَّ الشمس » ذكره له ابن شهر آشوب في « المناقب » ج ١ ص ٤٥٨.

٢ ـ أبو الحسن شاذان الفضيلي، له رسالةٌ في طرق الحديث ذكر شطراً منها الحافظ السيوطي في « اللآلي المصنوعة » ج ٢ ص ١٧٥ وقال: أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصحّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

٣ ـ الحافظ أبو الفتح محمَّد بن الحسين الأزدي الموصلي، له كتابٌ مفردٌ فيه، ذكره له الحافظ الكنجي في « الكفاية ».

٤ ـ أبو القاسم الحاكم ابن الحدّاد الحسكاني النيسابوري الحنفي المترجم ج ١ ص ١٤٧، له رسالةٌ في الحديث أسماها ـ مسألة في تصحيح ردِّ

الشمس وترغيم النواصب الشمس ـ ذكر شطراً منها ابن كثير في البداية والنهاية ج ٦ ص ٨٠، وذكره له الذَّهبي في تذكرته ج ٣ ص ٣٦٨.

٥ ـ أبو عبد الله الجعل الحسين بن عليّ البصريّ ثمَّ البغداديّ المتوفّى سنة ٣٩٩، ذلك الفقيه المتكلّم، له كتاب «جواز ردِّ الشمس» ذكره له ابن شهر آشوب.

٦ ـ أخطب خوارزم أبو المؤيد موفَّق بن أحمد المتوفّى سنة ٥٦٨ المترجم في الجزء الرابع من كتابنا هذا، له كتاب «ردّ الشمس لأمير المؤمنين» ذكره له معاصره ابن شهر آشوب.

٧ ـ أبو علي الشريف محمّد بن أسعد بن علي بن المعمّر الحسني النقيب النسّابة المتوفّى سنة ٥٨٨، له جزءٌ في جمع طرق حديث ردّ الشمس لعليّ، أورد فيه أحاديث مستغربة «لسان الميزان» ج ٥ : ٧٦ .

٨ ـ أبو عبد الله محمَّد بن يوسف الدمشقي الصالحي تلميذ ابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧، له جزء «مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس» ذكره له برهان الدين الكوراني المدني في كتابه «الامم لإيقاظ الهمم» ص ٦٣ كما يأتي لفظه.

٩ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩٩١، له رسالةٌ في الحديث أسماها ـ كشف اللبس عن حديث ردِّ الشمس.

ولا يسعنا ذكر تلكم المتون وتلكم الطرق والأسانيد، إذ يحتاج إلى تأليف ضخم يخصُّ به، غير أنّا نذكر نماذج ممَّن أخرجه من الحفّاظ والأعلام بين مَن ذكره مِن غير غمز فيه، وبين مَن تكلّم حوله وصحَّحه، وفيها مقنعٌ وكفايةٌ :

١ ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة العبسي الكوفي المتوفّى سنة ٢٣٩، رواه في سننه.

٢ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصريّ المتوفّى سنة ٢٤٨، شيخ البخاري في صحيحه ونظرائه، المجمع على ثقته، رواه بطريقين صحيحين عن

أسماء بنت عميس وقال: لا ينبغي لمن كـان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء الذي روي لنا عنه ﷺ لأنّه من أجلِّ علامات النبوّة[١].

٣ ـ محمّد بن الحسين الأزدي المتوفّى سنة ٢٧٧، ذكره في كتـابه في مناقب عليّ رضي الله عنه وصحّحه كما ذكره ابن النديم والكوراني وغيرهما، راجع لسان الميزان ج ٥ : ١٤٠ .

قال الأميني: أحسب أنّ كتاب «المناقب» للأزدي غير ما أفرده في حديث ردّ الشمس.

٤ ـ الحافظ أبو بشر محمَّد بن أحمد الدولابي المتوفّى سنة ٣١٠، أخرجه في كتابه (الذريّة الطاهرة) وسيأتي لفظه وإسناده.

٥ ـ الحافظ أبو جعفر أحمد بن محمَّد الطحاوي المتوفّى سنة ٣٢١، في «مشكل الآثار» ج ٢ ص ١١، أخرجه بلفظين وقال: هـذان الحديثـان ثابتـان ورواتهما ثقات .

قال الأميني: تواتر نقل هذا التصحيح والتثبيت عن أبي جعفر الطّحاوي في كتب القوم كالشفاء للقاضي، وستقف على نصوص أقوالهم، غيـر أنّ يد الطبع الأمينة على ودائع الإسلام حرَّفته عن «مشكل الآثار» حيَّا الله الأمانة.

٦ ـ الحـافظ أبو جعفـر محمّـد بن عمـرو العقيلي المتـوفّى سنـة ٣٢٢ والمترجم ج ١ ص ٢٠٢ .

٧ ـ الحـافظ أبو القـاسم الطبـراني المتوفّى سنـة ٣٦٠ والمتـرجم ج ١ ص ١٣٨، رواه في معجمه الكبير وقال: إنّه حسنٌ.

٨ ـ الحاكم أبو حفص عمر بن أحمد الشهير بابن شاهين المتوفّى سنة ٣٨٥، ذكره في مسنده الكبير.

٩ ـ الحاكم أبو عبدالله النيسابـوري المتوفّى سنـة ٤٠٥ والمترجم ج ١

(١) حكاه عنه الحافظ الطحاوي في مشكل الآثار ج ٢ ص ١١ وتبعه جمع آخرون كما يأتي.

ص ١٤١، رواه في تاريخ نيسابور في ترجمة عبدالله بن حامد الفقيه الواعظ.

١٠ ـ الحافظ ابن مردويه الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦ والمترجم ج ١ ص ١٤٢، أخرجه في «المناقب» بإسناده عن أبي هريرة.

١١ ـ أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧ والمترجم ج ١ ص ١٤٣، رواه في تفسيره، وقصص الأنبياء الموسوم بـ «العرائس» ص ١٣٩.

١٢ ـ الفقيه أبو الحسن عليّ بن حبيب البصريّ البغداديّ الشافعيّ الشهير بالماوردي المتوفّى سنة ٤٥٠، عدّه من أعلام النبوّة في كتابه «أعلام النبوّة» ص ٧٩، ورواه من طريق أسماء.

١٣ ـ الحافظ أبو بكر البيهقيُّ المتوفّى ٤٥٨ والمترجم ج ١ ص ١٤٥، رواه في «الدلائل» كما في «فيض القدير» للمناوي ج ٥ ص ٤٤٠.

١٤ ـ الحافظ الخطيب البغداديّ المتوفّى سنة ٤٦٣ والمترجم ج ١ ص ١٤٥، ذكره في «تلخيص المتشابه» و«الأربعين».

١٥ ـ الحافظ أبو زكريّا الإصبهاني الشهير بابن مندة المتوفّى سنة ٥١٢ والمذكور ج ١ ص ١٤٧، أخرجه في كتابه «المعرفة».

١٦ ـ الحافظ القاضي عياض أبو الفضل المالكيّ الأندلسيّ إمام وقته المتوفّى سنة ٥٤٤، رواه في كتابه «الشفاء» وصحّحه.

١٧ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨ أحد شعراء الغدير في القرن السادس يأتي شعره وترجمته في الجزء الرابع من كتابنا، رواه في «المناقب».

١٨ ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي المترجم ج ١ ص ١٤٩، رواه في «الخصائص العلويّة».

١٩ ـ أبو المظفّر يوسف قزأوغلي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤، رواه في «التذكرة» ص ٣٠، ثمّ ردّ على جدّه ابن الجوزي في حكمه [بأنّه موضوعٌ

وروايته مضطربةٌ لمكان أحمد بن داود، وفضيل بن مرزوق، وعبد الرحمن بن شريك، والمتّهم هو ابن عقدة فإنّه كان رافضيّاً] فقال ما ملخّصه: قول جدّي بأنّه موضوعٌ دعوىً بلا دليل، وقدحه في رواته لا يرد لأنّا رويناه عن العدول الثقات الذين لا مغمز فيهم وليس في إسناده أحدٌ ممّن ضعّفه، وقد رواه أبو هريرة أيضاً، أخرجه عنه ابن مردويه فيحتمل أنَّ الذين أشار إليهم في طريقه.

واتّهام جدّي بوضعه ابن عقدة من باب الظنِّ والشكِّ لا من باب القطع واليقين، وابن عقدة مشهورٌ بالعدالة كان يروي فضائل أهل البيت ويقتصر عليها ولا يتعرَّض للصحابة رضي الله عنهم بمدح ولا بذم فنسبوه إلى الرَّفض.

والمراد منه حبسها ووقوفها عن سيرها المعتاد لا الردُّ الحقيقي، ولو رُدّت على الحقيقة لم يكن عجباً، لأنَّ ذلك يكون معجزة لرسول الله ﷺ وكرامة لعليٍّ عليه السَّلام وقد حُبست ليوشع بالإجماع، ولا يخلو إمّا أن يكون ذلك معجزةً لموسى أو كرامةً ليوشع، فإن كان لموسى فنبيّنا ﷺ أفضل منه، وإن كان ليوشع فعليٌّ عليه السَّلام أفضل من يوشع، قال ﷺ: علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل. وهذا في حقِّ الآحاد فما ظنّك بعليّ عليه السَّلام؟! ثمَّ استدلَّ على فضل عليّ عليه السَّلام على أنبياء بني إسرائيل وذكر شعر الصاحب بن عبّاد في ردِّ الشمس فقال:

وفي الباب حكايةٌ عجيبةٌ حدَّثني بها جماعةٌ من مشايخنا بالعراق قالوا: شهدنا أبا منصور المظفَّر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالتاجيَّة مدرسة بباب برز محلّة ببغداد وكان بعد العصر وذكر حديث ردِّ الشمس لعلي عليه السَّلام وطرَّزه بعبارته ونمَّقه بألفاظه ثمَّ ذكر فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، فنشأت سحابةٌ غطَّت الشمس حتّى ظنَّ النّاس أنَّها قد غابت فقام أبو منصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وأنشد:

لا تغربي يا شمسُ حتّى ينتهي ... مدحي لآل المصطفى ولنجلهِ
واثني عنانكِ إن أردت ثناءهم ... أنسيتِ إن كان الوقوف لأجلهِ؟!
إن كان للمولى وقوفك فليكن ... هذا الوقوف لخيله ولرجلهِ

قالوا: فانجاب السحاب عن الشمس وطلعت.

قال الأميني: حكى ابن النجار نحو هذه القضيّة لأبي الوفاء عبيدالله بن هبة الله القزويني الحنفي الواعظ المتوفّى سنة ٥٨٥ قال: أنشدني أبو عبدالله الحسين بن عبيدالله بن هبة الله القزويني بأصبهان: أنشدني والدي ببغداد على المنبر في المدرسة الناجية مرتجلاً لنفسه وقد دانت الشمس للغروب، وكان ساعتئذٍ شرع في مناقب عليّ رضي الله عنه.

لا تعجلي يا شمس حتّى ينتهي مدحي لفضل المرتضي ولنجلهِ
يثني عنانك إن غربت ثناؤه أنسيت يوماً قد رُددت لأجلِه.

وذكره محيي الدين ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي في «الجواهر المضيَّة في طبقات الحنفيَّة» ج١ ص ٣٤٢ .

٢٠ ـ الحافظ أبو عبدالله بن يوسف الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨، جعل في كتابه «كفاية الطالب» ص ٢٣٧ ـ ٢٤٤ فصلاً في حديث ردِّ الشمس وتكلّم فيه من حيث الإمكان تارة، ومن حيث صحّة النقل اخرى، فلا يرى للمتشرِّع وُسعاً في إنكاره من ناحية الإمكان لحديث ردِّ الشَّمس ليوشع المتَّفق على صحَّته. وقال في الكلام عن صحّته ما ملخّصه: فقد عدَّه جماعةٌ من العلماء في معجزاته ﷺ ومنهم: ابن سبع ذكره في «شفاء الصدور» وحكم بصحَّته. ومنهم: القاضي عياض في «الشفاء» وحكى عن الطحاوي من طريقين صحيحين ونقل كلام أحمد بن صالح المصري.

وقد شفى الصدور الإمام الحافظ أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي في جمع طرقه في كتاب مفرد. ثمَّ رواه من طريق الحاكم في تاريخه، والشيخ أبي الوقت في الجزء الأوّل من أحاديث أمير أبي أحمد. ثمَّ ردَّ على مَن ضعَّفه إمكاناً ووقوعاً سنداً ومتناً، وذكر مناشدة أمير المؤمنين عليه السَّلام به يوم الشّورى فقال:

أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمّد بن محمود المعروف بابن النجّار: أخبرنا

أبو محمّد عبد العزيز بن الأخضر قال: سمعت القاضي محمّد بن عمر بن يوسف الأرموي يقول: جلس أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ. (وذكر إلى آخر ما مرَّ عن السبط ابن الجوزي) ثمَّ ذكر شعر الصاحب بن عبّاد في حديث ردِّ الشمس.

٢١ ـ أبو عبد الله شمس الدين محمّد بن أحمد الأنصاري الأندلسي المتوفّى سنة ٦٧١ قال في «التذكرة بأحوال الموتى وامور الآخرة»: إنّ الله تعالى ردَّ الشمس على نبيِّه بعد مغيبها حتّى صلّى عليٌّ. ذكره الطحاوي وقال: إنَّه حديثٌ ثابتٌ. فلو لم يكن رجوع الشمس نافعاً وأنّه لا يتجدَّد الوقت لما ردَّها عليه.

٢٢ ـ شيخ الإسلام الحمّوي المتوفّى سنة ٢٢، والمترجم ج ١ ص ١٥٨، رواه في «فرائد السمطين».

٢٣ ـ الحافظ وليُّ الدين أبو زرعة العراقي المتوفّى سنة ٨٢٦، أخرجه في «طرح التثريب[1]» ج ٦ ص ٢٤٧ من طريق الطبراني في معجمه الكبير وقال: حسنٌ.

٢٤ ـ الإمام أبو الربيع سليمان السبتي الشهير بابن سبع ذكره في كتابه «شفاء الصدور» وصحّحه.

٢٥ ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ والمترجم ج ١ ص ١٦٦، ذكره في فتح الباري ج ٦ ص ١٦٨ وقال: روى الطحاوي والطبراني في «الكبير» والحاكم والبيهقي في «الدلائل» عن أسماء بنت عميس: انَّه ﷺ دعا لمّا نام على ركبة عليٍّ ففاتته صلاة العصر، فردَّت الشمس حتّى صلّى عليٌّ ثمَّ غربت. وهذا أبلغ في المعجزة وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات، وهكذا ابن تيميّة في كتاب الردِّ على الروافض في زعم وضعه والله أعلم.

---

(١) هذا الكتاب وإن كان مشتركاً بينه وبين والده غير أن إخراج هذا الحديث يعزى إليه في كتب القوم.

٢٦ ـ الإمام العيني الحنفي المتوفّى سنة ٨٥٥ والمترجم ج ١ ص ١٦٧، قال في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» ج ٧ ص ١٤٦: وقد وقع ذلك أيضاً للإمام عليّ رضي الله عنه، أخرجه الحاكم عن أسماء بنت عميس (وذكر الحديث ثمَّ قال): وذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» ـ ثمَّ ذكر كلام أحمد بن صالح المذكور ـ فقال: وهو حديثٌ متَّصلٌ ورواته ثقات وإعلال ابن الجوزي هذا الحديث لا يلتفت إليه.

٢٧ ـ الحافظ السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ والمترجم ج ١ ص ١٦٩، رواه في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٥ ص ٢٧٧ عن عليّ عليه السَّلام في عدِّ معجزات النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم وقال في «الخصائص الكبرى» ج ٢ ص ١٨٣: اوتي يوشع حبس الشمس حين قاتل الجبّارين وقد حُبست لنبيّنا ﷺ في الإسراء، وأعجب من ذلك ردُّ الشمس حين فات عصر عليّ رضي الله عنه.

ورواه في «اللآلي المصنوعة» ج ٢ ص ١٧٤ ـ ١٧٧ عن أمير المؤمنين وأبي هريرة وجابر الأنصاري وأسماء بنت عميس من طريق ابن مندة. والطحاوي. والطبراني. وابن أبي شيبة. والعقيلي. والخطيب. والدولابي. وابن شاهين. وابن عقدة وذكر شطراً من رسالة أبي الحسن الفضلي في الحديث وقال في ج ١ ص ١٧٤: الحديث صرَّح جماعةٌ من الأئمَّة والحفّاظ بأنَّه صحيحٌ.

وروى في «اللآلي» ج ١ ص ١٧٦ من غير غمز في سنده عن أبي ذرّ أنَّه قال: قال عليٌّ يوم الشورى أُنشدكم بالله هل فيكم من رُدَّت له الشمس غيري حين نام رسول الله وجعل رأسه في حجري؟! إلخ.

وقال في «نشر العلَمين» ص ١٣ بعد ذكر كلام القرطبي المذكور: قلت: وهو في غاية التحقيق، واستدلاله على تجدّد الوقت بقصّة رجوع الشمس في غاية الحسن، ولهذا حكم بكون الصلاة أداءً وإلّا لم يكن لرجوعها فائدةٌ، إذ كان يصحُّ قضاء العصر بعد الغروب.

وذكر هذا الاستدلال والاستحسان في «التعظيم والمنة» ص ٨.

٢٨ - نور الدين السمهودي الشافعي المتوفّى سنة ٩١١ والمترجم ج ١ ص ١٧٠، قال في «وفاء الوفاء» ج ٢ ص ٣٣ في ذكر مسجد الفضيخ المعروف بمسجد الشَّمس: قال المجد: لا يظنُّ ظانٌّ أنَّه المكان الذي أُعيدت الشَّمس فيه بعد الغروب لعليٍّ رضي الله عنه، لأنَّ ذلك إنَّما كان بالصهباء من خيبر. ثمّ روى حديث القاضي عياض وكلمته وكلمة الطحاوي فقال: قال المجد: فهذا المكان أولى بتسميته بمسجد الشَّمس دون ما سواه، وصرَّح ابن حزم بأنَّ الحديث موضوعٌ وقصَّة ردِّ الشَّمس على عليٍّ رضي الله عنه باطلةٌ بإجماع العلماء وسفَّه قائله. قلت: والحديث رواه الطبراني بأسانيد قال الحافظ نور الدين الهيتمي: رجال أحدها رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحسن وهو ثقةٌ وفاطمة بنت عليٍّ بن أبي طالب لم أعرفها.

وأخرجه ابن مندة وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس، وابن مردويه من حديث أبي هريرة وإسنادهما حسنٌ وممَّن صحَّحه الطحاوي وغيره. وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري بعد ذكر رواية البيهقي له: وقد أخطأ ابن الجوزي بإيراده في الموضوعات.

٢٩ - الحافظ أبو العبّاس القسطلاني المتوفّى سنة ٩٢٣ والمترجم ج ص ١٧٠، ذكره في «المواهب اللدنيَّة» ج ١ ص ٣٥٨، من طريق الطحاوي، والقاضي عياض، وابن مندة، وابن شاهين، والطبراني، وأبي زرعة من حديث أسماء بنت عميس ومن طريق ابن مردويه من حديث أبي هريرة.

٣٠ - الحافظ ابن الديبع المتوفّى سنة ٩٤٤ والمترجم ج ١ ص ١٧١، رواه في «تمييز الطيِّب من الخبيث» ص ٨١ وذكر تضعيف أحمد وابن الجوزي له ثمَّ استدركه بتصحيح الطحاوي وصاحب «الشفاء» فقال: وأخرجه ابن مندة، وابن شاهين وغيرهما من حديث أسماء بنت عميس وغيرهما.

٣١ - السيِّد عبد الرَّحيم بن عبد الرَّحمن العبّاسي المتوفّى سنة ٩٦٣ ذكر

في «معاهد التنصيص» ج ٢ ص ١٩٠ من مقصورة ابن حازم[١]:

فيـا لهـا من آيـة مبصـرة أبصرها طرفُ الرقيب فامترى
واعتـورتـه شبهـةٌ فضـلَّ عن تحقيق مـا أبصره ومـا اهتدى
وظنَّ أنَّ الشَّمس قد عادت له فانجاب جنح الليل عنها وانجلى
والشمس ما رُدَّت لغير يـوشع لـمّـا غـزا ولـعـليٍّ إذ غـفـا

ثمَّ ذكـر الحديث بلفظ الـطّحاوي من طـريقيه وأردفـه بذكـر قصَّة أبي المنصور المظفَّر الواعظ المذكورة.

٣٢ ـ الحـافظ شهـاب الـدين ابن حجـر الهيتمي المتـوفّى سنـة ٩٧٤ والمتـرجم ج ١ ص ١٧١. عدّه في «الصـواعق» ص ٧٦ كرامـةً باهـرةً لأمير المؤمنين عليه السلام وقـال: وحديث ردِّهـا صحَّحه الـطحاوي والقـاضي في «الشفاء» وحسَّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره وردّوا على جمعٍ قالوا: إنَّه موضوعٌ. وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردِّهـا[٢] في محلِّ المنـع بل نقول: كما أنَّ ردَّها خصوصيَّةٌ كذلك: إدراك العصر الآن أداءً خصوصيَّةٌ وكرامةٌ. ثمَّ ذكر قصَّة أبي المنصور المظفَّر بن أردشير العبادي المذكورة.

وقـال في شرح همـزية البـوصيري ص ١٢١ في حـديث شقِّ القمـر: ويُناسب هذه المعجزة ردُّ الشمس له ﷺ بعدما غابت حقيقةً لمّـا نام ﷺ (إلى أن قال): فرُدَّت ليصلّي (عليٌّ) العصر أداءً كرامةً له ﷺ وهذا الحديث اختلف في صحَّته جماعةٌ بل جزم بعضهم بوضعه وصحَّحه آخرون وهو الحقُّ. ثمَّ صرَّح بأنَّ إحدى رواية أسماء صحيحةٌ وأُخرى حسنةٌ.

٣٣ ـ الملاّ علي القارىء المتوفّى سنة ١٠١٤ قال في «المرقـاة شـرح المشكـاة» ج ٤ ص ٢٨٧: أمّـا ردُّ الشمس له ﷺ فرُوي عن أسماء (ثمَّ ذكـر الحديث) وقال بعد ذكر كلام العسقلاني المذكور: وبهذا يُعلم أنَّ ردَّ الشمس

(١) شرحها الشريف أبو عبدالله السبتي المتوفّى سنة ٧٦٠، والشيخ جلال الدين المحلّى المتوفّى سنة ٨٦٤.

(٢) زعمه ابن الجوزي.

بمعنى تأخيرها، والمعنى أنَّها كادت أن تغرب فحبسها، فيندفع بذلك ما قال بعضهم ومن تغفّل واضعه أنَّه نظر إلى صورة فضيلة ولم يلمح إلى عدم الفائدة فيها، فإنّ صلاة العصر بغيبوبة الشمس تصير قضاءً ورجوع الشمس لا يعيدها أداءً. اهـ. مع أنَّه يمكن حمله على الخصوصيّات وهو أبلغ في باب المعجزات والله أعلم بتحقيق الحالات. قيل: يعارضه قوله في الحديث الصحيح: لم تحبس الشمس على أحد إلّا ليوشع. ويُجاب بأنّ المعنى لم تحبس على أحد من الأنبياء غيري إلّا ليوشع[١].

٣٤ ـ نور الدين الحلبي الشافعي المتوفّى سنة ١٠٤٤ والمترجم ج ١ ص ١٧٦، قال في «السيرة النبويَّة» ج ١ ص ٤١٣: وأمَّا عود الشمس بعد غروبها فقد وقع له ﷺ في خيبر فعن أسماء بنت عميس (وذكر الحديث ثمَّ قال) قال بعضهم: لا ينبغي لمن سبيله العلم أن يتخلّف عن حفظ هذا الحديث لأنَّه من أجلِّ أعلام النبوّة وهو حديثٌ متَّصلٌ وقد ذكر «في الإمتاع» أنَّه جاء عن أسماء من خمسة طرق وذكرها، وبه يردُّ ما تقدَّم عن ابن كثير[٢] بأنَّه تفرَّدت بنقله امرأةٌ من أهل البيت مجهولةٌ لا يعرف حالها. وبه يُردّ على ابن الجوزي حيث قال فيه: إنَّه حديثٌ موضوعٌ بلا شكّ. ثمَّ ذكر عن «الإمتاع» خامس أحاديثه وحكى عن سبط ابن الجوزي قصّة أبي المنصور المظفّر الواعظ في ص ٤١٢.

٣٥ ـ شهاب الدين الخفاجيّ الحنفيّ المتوفّى سنة ١٠٦٩ والمترجم ج ١ ص ١٧٧، قال في شرح الشفا ج ٣ ص ١١: ورواه الطبراني بأسانيد مختلفة رجالُ أكثرها ثقات. وقال ص ١٢: اعترض عليه بعض الشرّاح وقال: «إنَّه موضوعٌ ورجاله مطعونٌ فيهم كذّابون ووضّاعون). ولم يدر أنَّ الحقَّ خلافه، والذي غرَّه كلام ابن الجوزي ولم يقف على أنَّ كتابه أكثره مردودٌ وقد قال خاتمة الحفّاظ السيوطي وكذا السخاوي: إنَّ ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملاً كثيراً حتّى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة كما أشار إليه ابن الصّلاح.

---

(١) هذا الجمع ذكره جمع من الحفاظ والأعلام.

(٢) ذكر كلام ابن كثير ص ٤١١.

وهذا الحديث صحّحه المصنِّف رحمه الله أشار إلى أنَّ تعدُّد طرقه شاهد صدق على صحَّته، وقد صحّحه قبله كثيرٌ من الأئمَّة كالطحاوي، وأخرجه ابن شاهين، وابن مندة، وابن مردويه، والطبراني في معجمه وقال: إنَّه حسنٌ وحكاه العراقيُّ في التقريب (ثمَّ ذكر لفظه فقال): وإنكار ابن الجوزي فائدة ردّها مع القضاء لا وجه له فإنَّها فاتته بعذر مانع عن الأداء وهو عدم تشويشه على النبيِّ ﷺ وهذه فضيلةٌ أيَّ فضيلة فلمّا عادت الشمس حاز فضيلة الأداء أيضاً (إلى أن قال):

إنَّ السيوطي صنَّف في هذا الحديث رسالةً مستقلّة سمّاها «كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس». وقال: إنَّه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي أورد طرقه بأسانيد كثيرة وصحَّحه بما لا مزيد عليه، ونازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

وقال في قول الطحاوي: لأنَّه من علامات النبوَّة: وهذا مؤيِّدٌ لصحَّته فإنَّ أحمد[1] هذا من كبار أئمَّة الحديث الثقات ويكفي في توثيقه أنَّ البخاري روى عنه في صحيحه فلا يُلتفت إلى من ضعَّفه وطعن في روايته. وبهذا أيضاً سقط ما قاله ابن تيميَّة وابن الجوزي من أنّ هذا الحديث موضوعٌ. فإنَّه مجازفةٌ منهما. وما قيل من أنَّ هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصِّهم على وضع الحديث وأَنَّ كونه من علامات النبوَّة لا يقتضي تخصيصه بالحفظ، خلطٌ وخبطٌ لا يُعبأ به بعدما سمعت. وذكر من الهمزيَّة.

رُدَّت الشمس والشروق عليه　　لعليٍّ حتّى يتمَّ الأداءُ
ثمَّ ولّت لها صريرٌ وهذا　　لفراق له الوصال دواءُ[2]

وذكر ص ١٥ قصَّة أبي المنصور الواعظ وشعره.

٣٦ ـ أبو العرفان الشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني ثمَّ المدني المتوفّى سنة ١١٠٢، ذكره في كتابه «الامم لإيقاظ الهمم» ص ٦٣ عن «الذريّة الطاهرة» للحافظ ابن بشير الدولابي، قال: قال:

---

(١) يعني أحمد بن صالح المصري.

(٢) لا يوجد هذان البيتان في همزية البوصيري.

حدَّثني إسحٰق بن يونس، حدّثنا سُويد بن سعيد عن مطلب بن زياد عن إبراهيم بن حيّان عن عبدالله بن الحسين عن فاطمة بنت الحسين عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر عليٍّ وكان يوحى إليه فلمّا سرى عنه قال لي: يا عليُّ صلّيت الفرض؟! قال: لا. قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّه كان في حاجتك وحاجة رسولك فردَّ عليه الشمس. فردَّها عليه فصلّى وغابت الشمس.

ثمَّ رواه من طريق الطبراني عن أسماء بنت عميس بلفظها الآتي ثمَّ قال: قال الحافظ جلال الدين السيوطي في جزء «كشف اللبس في حديث ردّ الشمس»: إنَّ حديث ردِّ الشمس معجزةٌ لنبيِّنا محمّد ﷺ صحّحه الإمام أبو جعفر الطحاوي وغيره وأفرط الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي فأورده في كتاب الموضوعات، وقال تلميذه المحدِّث أبو عبد الله محمّد يوسف الدمشقي الصالحي في جزء «مزيل اللبس عن حديث ردّ الشمس»: إعلم أنَّ هذا الحديث رواه الطحاوي في كتابه شرح مشكل الآثار عن أسماء بنت عميس من طريقين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات. ونقله القاضي عياض في «الشفاء» والحافظ ابن سيِّد الناس في «بشرى اللبيب»، والحافظ علاء الدين مغلطاي في كتاب «الزهر الباسم»، وصحَّحه الحافظ ابن الفتح[١] الأزدي، وحسَّنه الحافظ أبو زرعة ابن العراقيِّ، وشيخنا الحافظ جلال الدين السيوطي في «الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة»، وقال الحافظ أحمد بن صالح وناهيك به: لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلّف عن حديث أسماء لأنَّه من أجلِّ علامات النبوَّة. وقد أنكر الحفّاظ على ابن الجوزي إيراده الحديث في كتاب الموضوعات، فقال الحافظ أبو الفضل ابن حجر في باب قول النبيِّ ﷺ: أُحلّت لكم الغنائم. من فتح الباري بعد أن أورد الحديث: أخطأ ابن الجوزي بإيراده له في الموضوعات انتهى. ومن خطّه نقلت ثمَّ قال: إنَّ هذا الحديث ورد من طريق أسماء بنت عميس وعليّ بن أبي طالب وابنه الحسين وأبي سعيد وأبي هريرة رضي الله

(١) كذا والصحيح: أبو الفتح.

عنهم[1] ثمَّ ساقها وتكلّم على رجالها ثمَّ قال: قد علمت ممّا أسلفناه من كلام الحفّاظ في حكم هذا الحديث وتبيّن حال رجاله أنّه ليس فيه متّهمٌ ولا من أُجمع على تركه، ولاح لك ثبوت الحديث وعدم بطلانه، ولم يبق إلّا الجواب عمّا أُعلّ به وقد أُعلّ بأُمور فَساقَها وأجاب عن الامور التي أُعلّ بها بأجوبة شافية .

٣٧ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ والمترجم ج ١ ص ١٨٠ . صحّحه في «شرح المواهب» ج ٥ ص ١١٣ ـ ١١٨ وقال: أخطأ ابن الجوزي في عدِّه من الموضوعات. وبالغ في الردِّ على ابن تيميّة وقال: العجب العجاب انّما هو من كلام ابن تيميَّة. وقال بعد نقل نفي صحَّته عن أحمد وابن الجوزي: قال الشامي : والظاهر أنَّه وقع لهم من طريق بعض الكذّابين ولم يقع لهم من الطرق السابقة وإلّا فهي يتعذَّر معها الحكم عليه بالضعف فضلاً عن الوضع، ولو عرضت عليه أسانيدها لاعترفوا بأنَّ للحديث أصلاً وليس بموضوع. قال: وما مهّدوه من القواعد وذكر جماعة من الحفّاظ له في كتبهم المعتمدة وتقوية من قوّاه يردُّ على من حكم بالوضع.

وقال: وبهذا الحديث أيضاً بَانَ أنَّ الصلاة ليست قضاء بل يتعيَّن الأداءُ وإلّا لم يكن للدعاء فائدة. (ثمَّ قال): ومن القواعد أنَّ تعدُّد الطريق فيه يُفيد أنَّ للحديث أصلاً، ومن لطائف الاتِّفاقات الحسنة أنَّ أبا المنصور المظفّر الواعظ. وذكر القصَّة كما مرَّت.

٣٨ ـ شمس الدين الحفني الشافعيّ المتوفّى سنة ١١٨١ والمترجم ج ١ ص ١٨٢ ، قال في تعليقه على «الجامع الصغير» للسيوطي ج ٢ ص ٢٩٣ في قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ما حُبست الشمس على بشر إلّا على يوشع بن نون: لا ينافيه حديث ردِّ الشَّمس لسيِّدنا عليٍّ رضي الله عنه لأنّ ذلك ردٌّ لها بعد غروبها وما هنا حبسٌ لها لا ردٌّ لها بعد الغروب، والمراد ما حُبست على بشر غير يوشع فيما مضى من الزّمان، لأنَّ حُبس فعل ماض فلا ينافي وقوع الحبس بعد ذلك لبعض أولياء الله تعالى.

---

(١) فالحديث متواتر أخذاً بما ذهب إليه جمع من أعلام القوم في التواتر.

٣٩ ـ ميرزا محمّد البدخشي المذكور في ج ١ ص ١٨٠ قال في «نزل الأبرار» ص ٤٠: الحديث صرّح بتصحيحه جماعةٌ من الأئمّة الحفّاظ كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما وقال الطحاوي: هذا حديثٌ ثابتٌ رواته ثقات. ثم نقل كلام الطحّاوي وذكر حكاية أبي المنصور المظفّر الواعظ وقال: إنّ للحافظ السيوطي جزءً في طرق هذا الحديث وبيان حاله.

٤٠ ـ الشيخ محمّد الصبّان المتوفّى سنة ١٢٠٦ والمترجم ج ١ ص ١٨٣، عدّه في إسعاف الراغبين ص ٦٢ من معجزات النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وفي ص ١٦٢ من كرامات أمير المؤمنين عليه السلام وذكر الحديث ثمّ قال: وصحّحه الطحاوي، والقاضي في «الشفاء» وحسّنه شيخ الإسلام أبو زرعة وتبعه غيره، وردّوا على جمع قالوا: إنّه موضوعٌ، وزعم فوات الوقت بغروبها فلا فائدة لردِّها في محلّ المنع لعود الوقت بعودها كما ذكره ابن العماد واعتمد غيره وإن اقتضى كلام الزركشي خلافه؛ وعلى تسليم عدم عود الوقت نقول: كما أنّ ردَّها خصوصيّةٌ كذلك إدراك العصر أداءً خصوصيّةٌ.

٤١ ـ الشيخ محمّد أمين بن عمر الشهير بابن عابدين الدمشقي إمام الحنفيّة في عصره المتوفّى سنة ١٢٥٢ قال في حاشيته[١] ج ١ ص ٢٥١ عند قول المصنِّف: لو غربت الشمس ثمّ عادت هل يعود الوقت؟! الظاهر: نعم. بحث لصاحب النهر حيث قال: ذكر الشافعيّة أنّ الوقت يعود لأنّه عليه الصّلاة والسّلام نام في حجر عليٍّ رضي الله عنه حتّى غربت الشمس فلمّا استيقظ ذكر له أنّه فاتته العصر. فقال: اللهمّ إنّه كان في طاعتك وطاعة رسولك فارددها عليه. فردّت حتّى صلّى العصر، وكان ذلك بخيبر والحديث صحّحه الطحاوي وعياض وأخرجه بسند صحيح، وأخطأ من جعله موضوعاً كابن الجوزي، وقواعدنا لا تأباه.

(ثمّ قال): قلت: على أنّ الشيخ إسماعيل ردَّ ما بحثه في النهر تبعاً للشافعيّة بأنّ صلاة العصر بغيبوبة الشّمس تصير قضاء ورجوعها لا يعيدها أداءً،

(١) تسمى برد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه الحنفية.

وما في الحديث خصوصيَّةٌ لعليٍّ كما يُعطيه قولـه عليه السـلام: انَّه كـان في طاعتك وطاعة رسولك.

٤٢ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان الشافعي المتوفّى ١٣٠٤ والمترجم ج ١ ص ١٨٥ قال في «السيرة النبويَّة» هامش «السيرة الحلبيَّة» ج ٣ ص ١٢٥: ومن معجزاته ﷺ ردُّ الشمس له روت أسماء بنت عُميس (وذكـر الحديث وروايـة الطحاوي وكلام أحمد بن صالح المصري فقال): وأحمد بن صالـح من كبار أئمَّة الحديث الثقات وحسبه أنّ البخاري روى عنه في صحيحه. ولا عبرة بإخراج ابن الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات، فقد أطبق العلماء على تساهله في كتاب الموضوعات حتّى أدرج فيه كثيراً من الأحاديث الصحيحة قال السيوطي:

ومن غـريب مـا تـراه فـاعلمِ　　　فيه حديثٌ من صحيح مسلمِ

ثمّ ذكر كلام القسطلاني في «المواهب اللدنيَّة» وجملة من مقال الزرقاني في شرحه ومنها قصَّة أبي المنصور الواعظ وشعره، ثمَّ حكى عن الحافظ ابن حجر نفي التنافي بين هذا الحديث وبين حديث: لم تُحبس الشمس على أحد إلّا ليوشع بن نون. بأنَّ حبسها ليوشع كان قبـل الغروب وفي قصَّـة عليٍّ كان حبسها بعد الغروب. ثمَّ قال: قيل: كان علم النجم صحيحاً قبل ذلـك فلمّا وقف الشمس ليوشع عليه السَّلام بطل أكثره، ولمّا رُدّت لعليٍّ رضي الله عنه بطل جميعه.

٤٣ ـ السيِّد محمَّد مؤمن الشبلنجي عدّه في «نور الأبصار» ص ٢٨ من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لفظ الحديث

عن أسماء بنت عميس أنَّ رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم صلّى الـظهر بـالصهباء من أرض خيبـر ثمَّ أرسل عليّـاً في حاجـة فجاء وقـد صلّى رسول الله العصر فوضع رأسه في حجر عليٍّ ولم يحرِّكه حتّى غربت الشَّمس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: اللّهم إنَّ عبدك عليّاً احتبس نفسه على نبيّه فردَّ عليه شرقهـا. قالت أسمـاء: فطلعت الشّمس حتّى رفعت على الجبال فقام عليٌّ فتوضَّأ وصلّى العصر ثمَّ غابت الشَّمس.

وهناك لفظ آخر نصفح عنه روماً للاختصار.

ويُعرب عن شهرة هذه الأثارة بين الصحابة الأقدمين احتجاج الإمام أمير المؤمنين بها على الملأ يوم الشورى بقوله: أُنشدكم الله أفيكم أحدٌ ردَّت عليه الشَّمس بعد غروبها حتّى صلّى العصر غيري؟ قالوا: لا[1].

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٦٠ عن مجاهد عن ابن عبّاس قال: قيل له: ما تقول في عليٍّ بن أبي طالب؟! فقال: ذكرت والله أحد الثقلين، سبق بالشهادتين، وصلّى بالقبلتين، وبايع البيعتين، وأُعطي السبطين، وهو أبو السبطين الحسن والحسين وردَّت عليه الشمس مرَّتين بعدما غالت من الثقلين.

ووردت في شعر كثير من شعراء القرون الاولى حتّى اليوم يوجد منه شطرٌ مهمٌّ في غضون كتابنا. راجع ج ٢ ص ٣٤٠ ج ٣ ص ٥١، ٨٣.

فبهذه كلّها نعرف قيمة ابن حزم وقيمة كتابه، ونحن لا يسعنا إيقاف القارىء على كلِّ ما في «الفِصَل» من الطامّات ولا على شطرٍ مهمٍّ منه إذ جميع اجزائه ولا سيَّما الجزء الرابع مشحون بالتحكّم والتقوُّل والتحريف والتدجيل والإفك والزور، وهناك مذاهب مختلقة لا وجود لها إلّا في عالم خيال مؤلِّفه.

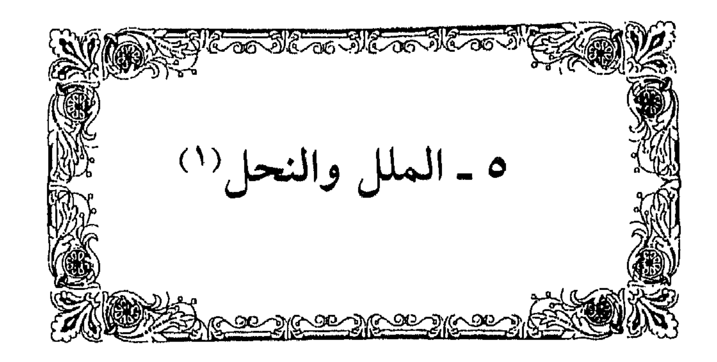
وأمّا ما فيه من القذف والسباب المقذع فلا نهاية له بحيث لو أردنا استيفاءَه لكلّفنا ذلك جزءاً، ولا يسلم أحدٌ من لدغ لسانه لا في فِصَله ولا في بقيَّة تآليفه حتّى نبيُّ العظمة، قال في «الاحكام» ج ٥ ص ١٧١: قد غاب عنهم (يعني الشيعة) أن سيِّد الأنبياء هو ولد كافر وكافرة.

أيُساعده في هذه القارصة أدب الدين؟! أدب التأليف؟! أدب العلم؟! أدب العفَّة؟!

﴿أأُلقي الذِّكرُ عَليه مِنْ بينِنا بلْ هُوَ كذّابٌ أشر سيَعلمونَ غداً مَنِ الكذّابُ الأشِر﴾.

. سورة القمر: الآيتان: ٢٥، ٢٦

(١) مر الإيعاز إلى حديث المناشدة يوم الشورى ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣



٥ ـ الملل والنحل[١]

هذا الكتاب وإن لم يكن يضاهي «الفصل» في بذاءة المنطق غير أن في غضونه نسباً مفتعلة، وآراء مختلقة وأكاذيب جمة، لا يجد القارىء ملتحداً عن تفنيدها، فإليك نماذج منها:

١ ـ قال: قال هشام بن الحكم متكلّم الشيعة: إنَّ الله جسمٌ ذو أبعاض في سبعة أشبار بشبر نفسه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة[٢].

٢ ـ قال في حقِّ عليّ: إنَّه إله واجب الطاعة.

٣ ـ وقال هشام بن سالم: إنَّ الله على صورة إنسان أعلاه مجوَّفٌ، وأسفله مصمتٌ، وهو نورٌ ساطعٌ يتلألأ، وله حواسٌّ خمس ويدٌ ورجلٌ وأنفٌ وأُذنٌ وعينٌ وفمٌ، وله وفرةٌ سوداء وهو نورٌ لكنَّه ليس بلحم ولا دم، وإنَّ هشام هذا أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمَّة.

٤ ـ وقال زرارة بن أعين: لم يكن الله قبل خلق الصِّفات عالماً ولا قادراً ولا حيّاً ولا بصيراً ولا مريداً ولا متكلّماً.

٥ ـ قال أبو جعفر محمّد بن النعمان: إنَّ الله نورٌ على صورة إنسان ويأبى أن يكون جسماً.

٦ ـ وزعم يونس بن عبد الرَّحمن القمّي: إنَّ الملائكة تحمل العرش والعرش تحمل الربّ، وهو من مشبِّهة الشيعة، وصنَّف لهم في ذلك كتباً.

ج ـ هذه عقائد باطلة عزاها إلى رجالات الشيعة المقتصِّين أثر أئمَّتهم

---

(١) تأليف الفيلسوف الأشعري أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني المتوفّى سنة ٥٤٨.

(٢) في المطبوع في هامش الفصل ج ٢ ص ٢٥.

عليهم السَّلام اقتصاص الظلّ لذيه، فلا يعتنقون عقيدة؛ ولا ينشرون تعليماً، ولا يبثّون حكماً، ولا يرون رأياً إلّا ومن ساداتهم الأئمَّة على ذلك برهنةٌ دامغة، أو بيانٌ شافٍ، أو فتوى سديدة، أو نظر ثاقبٌ .

على أنَّ أحاديث هؤلاء كلهم في العقائد والأحكام والمعارف الإلّهية مبثوثةٌ في كتب الشيعة تتداولها الأيدي، وتشخص إليها الأبصار، وتهشُّ إليها الأفئدة، فهي وما نسب إليهم من الأقاويل على طرفي نقيض، وهاتيك كتبهم وآثارهم الخالدة لا ترتبط بشيء من هذه المقالات بل إنَّما هي تدحرها وتضادُّها بألسنة حداد .

وإطراء أئمَّة الدين عليهم السَّلام لهم بلغ حدَّ الاستفاضة، ولو كانوا يعرفون من أحدهم شيئاً من تلكم النسب لشنّوا عليهم الغارات، كلاءة لملئهم عن الاغترار بها كما فعلوا ذلك في أهل البدع والضّلالات.

وهؤلاء علماء الرجال من الشيعة، بسطوا القول في تراجمهم وهم بقول واحد ينزِّهونهم عن كلِّ شائنة معزوَّة إليهم، وهم أعرف بالقوم من أضدادهم البعداء عنهم الجهلاء بهم وبترجمتهم، غير مجتمعين معهم في حلٍّ أو مرتحل.

وليس في الشيعة منذ القِدَم حتّى اليوم من يعترف أو يعرف بوجود هذه الفرق هشاميّة. زراريّة، يونسيَّة. المنتمية عند الشهرستاني ونظرائه إليهم ككثير من الفرق التي ذكرها للشيعة، وقد نفاها الشيخ العلاّمة أبو بكر ابن العتائقي الحلّي في رسالة له في النحل الموجودة بخطّ يمينه، وحكم سيِّدنا الشريف المرتضى علم الهدى في الشافي والسيِّد العلاّمة المرتضى الرازي «في تبصرة العوام» بكذب ما عزوه إلى القوم جميعاً وأنَّها لا توجد إلاّ في كتب المخالفين لهم في المبدأ إهباطاً لمكانتم عند الملأ، لكن الشيعة الذين هم ذووهم وأعرف الناس بمبادئهم لا يعرفون هاتيك المفتريات، ولا يعترفون بها، ولا يوجد شيءٌ منها في كتبهم، وإنَّما الثابت فيها خلاف ذلك كلّه، كما لا يعتمد على تحقيق شيء من هاتيك الفرق آية الله العلاّمة الحلّي في «مناهج اليقين» وغيرهم من أعلام الشيعة .

فهل في وسع الرَّجل أن يخصم الإماميَّة بحجَّة مثبتة لتلكم الدعاوي؟! لاها الله.

وهل نُسب في كتب الكلام والتاريخ قبل خلق الشهرستاني إلى هشام القول بألوهية عليّ ؟! لاها الله .

وهل رأت عين بشر أو سمعت أُذناه شيئاً ولو كلمة من تلكم الكتب المعزوَّة إلى يونس بن عبد الرَّحمن المصنَّفة في التشبيه؟! لاها الله. والشهرستاني أيضاً لم يره ولم يسمعه (وإن تعجب فعجبٌ قوله):

٧ ـ قال اختلف الشيعة بعد موت عليٍّ بن محمَّد العسكري أيضاً فقال قومٌ بإمامة جعفر بن عليّ وقال قومٌ بإمامة الحسن بن عليّ وكان لهم رئيسٌ يقال له: عليٌّ بن فلان الطاحن وكان من أهل الكلام قوّى أسباب جعفر بن عليّ وأمالَ الناس إليه وأعانه فارس بن حاتم بن ماهويه، وذلك أنَّ محمَّداً قد مات وخلف الحسن العسكريّ قالوا: امتحنّا الحسن ولم نجد عنده علماً. ولقَّبوا من قال بإمامة الحسن «الحماريَّة» وقوّوا أمر جعفر بعد موت الحسن، واحتجّوا بأنَّ الحسن مات بلا خلف، فبطلت إمامته لأنَّه لم يعقب والإمام يكون إلّا ويكون له خلفٌ وعقبٌ، وحاز جعفر ميراث الحسن بعد دعوى ادّعاها عليه أنه فعل ذلك من حبل في جواريه وغيره وانكشف أمرهم عند السلطان والرعيّة وخواصِّ الناس وعوامهم، وتشتّتت كلمة من قال بإمامة الحسن وتفرَّقوا أصنافاً كثيرةً، فثبتت هذه الفرقة على إمامة جعفر ورجع إليهم كثيرٌ ممَّن قال بإمامة الحسن منهم: الحسن بن عليٍّ بن فضّال وهو من أجلِّ أصحابهم وفقهائهم كثير الفقه والحديث، ثمَّ قالوا بعد جعفر بعليٍّ بن جعفر وفاطمة بنت عليّ أخت جعفر، وقال قومٌ بإمامة عليٍّ بن جعفر دون فاطمة السيِّدة، ثمَّ اختلفوا بعد موت عليٍّ وفاطمة اختلافاً كثيراً.

ج ـ إنَّ الرَّجل يدخل المراقص والمسارح لينظر إلى المفرحات والمضحكات أو يسمع أشياء سارَّة ولو من بعض النواحي، وقد غفل عن أنَّ كتاب الشهرستاني أوفى بمقصده من تلك المنتديات.

غير أنَّه إن كان مضحكاً بجهل صاحبه فهو مُبكٍ من ناحية أن يوجد في بحّاثة المسلمين من تروقه الوقيعة في امم من قومه، لكنَّه لا يعرف كيف يقع، فيثبت ما يتراوح بين جهلٍ شائنٍ، وإفك مفترى، وليته قبل أن يكتب فحص عن أحوال القوم وعقائدهم وتاريخ رجالهم فلا يتحمَّل إثم ما افتعله، ولا يخبط في ذلك خبط عشواء، ولا يُثبت ما لا يعرف.

فإن كان لا يدري؟! فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري؟! فالمصيبة أعظمُ

ليت شعري متى وقع الخلاف في الإمامة بين الإمام الحسن العسكري عليه السلام وبين أخيه جعفر الذي ادَّعى الإمامة بعد وفاة أخيه ؟! .

ومن هو عليّ بن فلان الطاحن الذي قوّى أسباب جعفر وأمال الناس إليه ؟! ومتى خُلق ؟ ! ومتى مات ؟ ! ولست أدري أيُّ هَيّ بن بَيّ هو ؟! وهل وجد لنفسه مقيلاً في مستوى الوجود ؟ ! أنا لا أدري ، والشهرستاني لا يدري ، والمنجّم أيضاً لا يدري .

وكيف أعان جعفراً فارس بن حاتم بن ماهويه وقد قتله جُنيد بأمر والده الإمام عليٍّ الهادي عليه السَّلام؟! .

ومَن هو محمّد الذّي خلف الإمام الحسن العسكري؟! أهو الإمام محمّد الجواد؟! ولم يخلف إلاّ ابنه الإمام الهادي سلام الله عليه. أو هو أبو جعفر محمّد بن عليّ؟! صاحب البقعة المعظمة بمقربة من بلد، وقد مات بحياة أبيه الطاهر والإمامة مستقرَّة لوالده، ومتى كان إماماً أو مدَّعياً للإمامة حتّى يخلّف غيره عليها؟! .

ومَن هؤلاء الّذين امتحنوا الحسن الزكيّ العسكريَّ فلم يجدوا عنده علماً؟! ثمَّ وجدوه في جعفر الذي لم يُعرف منه شيء غير أنّه ادّعى الإمامة باطلاً بعد أخيه، وقصارى ما عندنا أنَّه أدركته التوبة، ولم يوجد له ذكرٌ، بعلم أو ترجمةٌ فيها فضيلةٌ في أيٍّ من الكتب، ولا نشرت عنه كتب الأحاديث شيئاً من علومه المدَّعاة له عند الشهرستاني لو صدقت الأحلام، وهذا الحسن العسكري

عليه السَّلام تجده في التراجم والمعاجم من الفريقين مذكوراً بالعلم والثقة وملءُ كتب العلم والحديث تعاليمه ومعارفه.

ومَن هم الذَّين لقَّبوا أتباع الحسن عليه السَّلام بالحماريَّة؟! نعم: أهل بيت النبوَّة محسودون في كلٍّ وقت فكان يحصل لكلّ منهم في وقته من يسبّه حسداً ويسبُّ أتباعه لكن لا يذهب ذلك لقباً له أو لأشياعه، وإنَّما يتدهور في مهوى الضعة.

ومتى كان الحسن بن عليّ بن فضّال في عهد الإمام الحسن العسكري؟! حتّى يرجع عنه إلى جعفر وقد توفّي ابن فضّال سنة ٢٢١ ونطفة الحسن وجعفر بعد لم تنعقد، وقبل أن يبلغ الحلم والدهما الطاهر الإمام الهادي المتولّد سنة ٢١٢.

ومَن ذا الّذي ذَكر للإمام عليٍّ الهادي بنتاً اسمها فاطمة؟! حتّى يقول أحدٌ بإمامتها، فإنَّ الإمام عليه السَّلام لم يخلف من الذكور إلاّ الحسن والحسين، وجعفراً، ومن الإناث إلاّ عليَّة، باتفاق المؤرِّخين.

هذا كلّ ما في علبة الشهرستاني من جهلٍ وفريةٍ سوَّد بهما صحيفةً من كتابه أو صحيفةً من تاريخ حياته، وكم له من لدانها صحائف،ولم يُدهوره إلى تلك الهوَّة إلاّ عدم معرفته بما يقول حتّى انَّه يقول في الإمام الهادي الذي خبط فيه وفي ولده هذا الخبط العظيم :إنَّ مشهده بقُم[1] وهذه سامرّاء المشرَّفة تزدهي بمرقده الأطهر وإلى جنبه ولده الإمام الزكي منذ دفنا فيها قبل الشهرستاني وبعده، وتلك قبّته الذهبيَّة تحكّ السماء بذخاً، وتفوق الذكاء سناءً، وهذه المعاجم والتواريخ مفعمةٌ بتعيين هذا المرقد الأقدس له ولولده لكن الشهرستاني يجهل ذلك كلّه.

٨ ـ خاصَّة الشيعة عند الشهرستاني.

قال: ومن خصائص الشيعة القول بالتناسخ والحلول والتشبيه. ج ٢ ص ٢٥.

---

(١) ج ٢ ص ٥ هامش الفصل.

ج - هل أُنبِّئكم على من تنزَّل الشياطين؟! تنزَّل على كلِّ أفّاك أثيم، يُلقون السَّمع وأكثرهم كاذبون.

ليس بينك وبين عقائد الشيعة حجزٌ وهي مدوَّنةٌ في مؤلَّفاتهم الكلاميَّة قديماً ،حديثاً، فلن تجد من يضرب على يدك إذا مددتها إلى أيٍّ منها أو من يغشي على بصرك إذا نظرت فيها، فأمعن فيها بصرك وبصيرتك، أو سل مَن شئت من علماء الشيعة وعارفيها، وأتنازل معك إلى جهّالها عن هذه العقائد المعزوَّة إلى الشيعة على لسان الشهرستاني في القرون الوسطى، وعلى لسان طه حسين وأمثاله في القرن الأخير، وسلهم أنَّهم هل يرون لمعتنقي هاتيك العقائد مقيلاً في مستوى الدين؟! أومبوَّءاً على باحة الإسلام؟! أما وإنَّك لا تجد فرداً من أفراد الشيعة إلاّ وهو يقول بكفر من يكون هذه معتقده، إذن فاعرف قيمة كتاب الشهرستاني ومحلّه من الأمانة في النقل.

أنا لم أجد في قاموس البيان ما يُعرب عن حقيقة الشهرستاني وكتابه، وكلّ ما ذكر من تقوُّلاته وتحكّماته يقصر عن استكناه بُجره وعُجره، غير أنَّ لمعاصره أبي محمّد الخوارزمي كما في معجم البلدان ج ٥ ص ٣١٥ كلاماً يَنِمّ عن روحيّاته وإليك نصّه، قال بعد ذكر مشايخه في الفقه واصوله والحديث:

ولولا تخبّطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنّا نتعجّب من وفور فضله وكمال عقله وكيف مال إلى شيء لا أصل له، واختار أمراً لا دليل عليه لا معقولاً ولا منقولاً، ونعوذ بالله من الخذلان والحرمان من نور الإيمان، وليس ذلك إلاّ لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات، فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبِّ عنهم، وقد حضرت عدَّة مجالس من وعظه لم يكن فيها لفظ: قال الله، ولا قال رسول الله ﷺ ولا جواب من المسائل الشرعيَّة والله أعلم بحاله.

﴿أفرأيت مَن اتَّخذ إلٰهه هواه وأضلّه الله على علم وخَتَمَ عَلى سَمعه وقَلبه وجعلَ عَلى بَصره غِشاوةً فمَن يَهديه مِنْ بَعد الله أفلا تذكّرون﴾ .

سورة الجاثية ؛ الآية : ٢٣



٦ ـ منهاج السنة

إذا أردت أن تنظر إلى كتاب سُمّي بضد معناه فانظر إلى هذا الكتاب الذي استعير له اسم (منهاج السنة) وهو الحريّ بأن يسمى: منهاج البدعة. وهو كتاب حشوه ضلالات وأكاذيب وتحكمات، وإنكار المسلمات، وتكفير المسلمين، وأخذ بناصر المبدعين، ونصب وعداء محتدم على أهل بيت الوحي عليهم السلام، فليس فيه إلا تدجيل محض، وتمويه على الحقائق، وتحريف الكلم عن مواضعه؛ وقول بالبذاء، ورمي بالمقذعات، وقذف بالفواحش، وتحكّك بالوقيعة؛ وتحرّش بالسباب، وإليك نماذج منها:

١ ـ قال: من حماقات الشيعة أنَّهم يكرهون التكلّم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة حتّى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع ونحو ذلك، لبغضهم العشرة المبشَّرة إلاّ عليَّ بن أبي طالب، ومن العجب أنَّهم يُوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة. ج ١ ص ٩.

وقال: ج ٢ ص ١٤٣: من تعصّب الرافضة أنَّهم لا يذكرون اسم العشرة بل يقولون: تسعة وواحدٌ، وإذا بنوا أعمدة أو غيرها لا يجعلونها عشرةً وهم يتحرَّون ذلك في كثير من امورهم.

ج ـ أوليس عاراً على من يُسمّي نفسه شيخ الإسلام أن ينشر بين المسلمين في كتابه مثل هذه الخزاية ويكرِّرها في طيّه؟ كأنَّه جاء بتحقيقٍ أنيق، أو فلسفةٍ راقية، أو حكمةٍ بالغة تحيي الامَّة.

(*) تأليف ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم الحراني الحنبلي المتوفّى في محبس مراكش سنة ٧٢٨.

وإن تعجب فعجبٌ أنَّ رجلاً ينسب نفسه إلى العلم والفضيلة ثمَّ إذا قال قولاً كِذب، أو إذا نسب إلى أحد شيئاً مان، وكان ما يقوله أشبه شيء بأقاويل رُعاة المعزى، لا، بل هو دونهم وقوله دون ما يقولون، وكأنَّ الرجل مهما ينقل عن الشيعة شيئاً يحدِّث به عن امَّةٍ بائدةٍ لم تُبق منها صروف العبر من يعرف نواميسها، ويُدافع عنها، ويدرأ عنها القول المختلق.

هذا وأديم الأرض يزدهي بملايين من هذه الفرقة، والمكتبات مفعمةٌ بكتبهم، فعند أيِّ رجل منهم؟! وفي أيٍّ من هاتيك الكتب تجد هذه المهزأة؟! نعم في قرآن الشيعة تلك عشرةٌ كاملةٌ. ومن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها. والفجر وليال عشر. فأتوا بعشر سور مثله. وأمثالها وهي ترتِّلها عند تلاوته في آناء الليل وأطراف النهار، وهذا دعاء العشرات يقرأه الشيعة في كلِّ جمعة. وهذه الصَّلوات المندوبة التي تكرَّر فيها السورة عشر مرّات. وهذه الأذكار المستحبَّة التي تُقرأ بالعشرات. وهذه مباحث العقول العشرة. ومباحث الجواهر والأعراض العشرة في كتبهم.

وهذا قولهم: إنّ أسماء النبيِّ عشرة.

وقولهم: إنّ الله قوّى العقل بعشرة.

وقولهم: عشر خصال من صفات الإمام.

وقولهم: كانت لعليٍّ من رسول الله عشر خصال.

وقولهم: بُشِّر شيعة عليٍّ بعشر خصال.

وقولهم: عشر خصال من مكارم الأخلاق.

وقولهم: لا تقوم السّاعة حتّى تكون عشر آيات.

وقولهم: لا يكون المؤمن عاقلاً إلّا بعشر خصال.

وقولهم: لا يُؤكل عشرة أشياء.

وقولهم: عشرة أشياء من الميتة ذكيَّة.

وقولهم: عشرة مواضع لا يُصلّى فيها.

وقولهم: الإيمان عشرُ درجات.

وقولهم: العافية عشرة أجزاء.

وقولهم: الزهد عشرة أجزاء.

وقولهم: الشهوة عشرة أجزاء.

وقولهم: البركة عشرة أجزاء.

وقولهم: الحياء عشرة أجزاء.

وقولهم: في الشيعة عشر خصال.

وقولهم: الإسلام عشرة أسهم.

وقولهم: في السواك عشر خصال.

وهذه قصور الشيعة المشيَّدة، وأبنيتهم العامرة، وحصونهم المنيعة كلّها تكذِّب ابن تيميَّة، ولا يخطر على قلب أحد من بانيها ما لفَّقه ابن تيميَّة من المخاريق.

هذا والشيعة لا ترى للعدد قيمة بمجرَّده، ولا يوسم أحدٌ منهم بحبِّه وبغضه مهما كان المعدود مبغوضاً له أو محبوباً، ولم تسمع أُذن الدّنيا من أحدهم في العشرة: تسعةٌ وواحد. نعوذ بالله من هذه المجهلة.

٢ ـ قال: ومن حماقاتهم: (يعني الشيعة) أنهم يجعلون للمنتظر عدَّة مشاهد ينتظرونه فيها كالسرداب الذي بسامرّا يزعمون أنَّه غائبٌ فيه ومشاهد أُخر ،وقد يقيمون هناك دابّة إمّا بغلةً وإمّا فرساً وإمّا غير ذلك ليركبها إذا خرج، ويقيمون هناك إمّا في طرفي النهار وإمّا في أوقات اُخر مَن يُنادي عليه بالخروج: يا مولانا أُخرج. ويشهرون السلاح ولا أحد هناك يقاتلهم، وفيهم من يقوم في أوقاته دائماً لا يصلّي خشية أن يخرج وهو في الصَّلاة، فيشتغل بها عن خروجه وخدمته، وهم في أماكن بعيدة عن مشهده كمدينة النبيِّ ﷺ إمّا في العشرة

الأواخر من شهررمضان،وإمّا غير ذلك يتوجّهون إلى المشرق وينادونه بأصوات عالية يطلبون خروجه.

٣ - قال: ومن حماقاتهم: اتّخاذهم نعجةً وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تُسمى حميراء يجعلونها عائشة ويعذّبونها بنتف شعرها وغير ذلك، ويرون أنّ ذلك عقوبة لعائشة.

٤ - واتّخاذهم حلساً مملوءاً سمناً ثمَّ يشقّون بطنه فيخرجون السّمن فيشربونه ويقولون: هذا مثل ضرب عمر وشرب دمه.

٥ - ومثل تسمية بعضهم لحمارين من حمر الرحا أحدهما بأبي بكر والآخر بعمر، ثمَّ عقوبة الحمارين جعلاً منهم تلك العقوبة عقوبةً لأبي بكر وعمر.

وكرّر هذه النسب الثلاث في ج ٢ ص ١٤٥.

٦ - قال: وتارةً يكتبون أسماءَهم على أسفل أرجلهم حتى انَّ بعض الولاة جعل يضرب رجل مَن فعل ذلك ويقول: إنما ضربت أبا بكر وعمر ولا أزال أضربهما حتى أعدمهما.

٧ - ومنهم من يُسمِّي كلابه باسم أبي بكر وعمر يلعنهم، ج ١ ص ١١.

ج - كنّا نربأ بكتابنا هذا عن أن نسوِّد شيئاً من صحائفه بمثل هذه الخزايات التي سوَّد بها ابن تيميَّة جبهة كتابه وسوَّد بها صحيفة تاريخه بل صحيفة تاريخ قومه. لكنّي خشية أن تنطلي على اناس من السذَّج آثرت نقلها واردافها بأنَّ أمثالها ممّا هو خارجٌ عن الأبحاث العلميَّة ومباحث العلماء، وإنّما هي قذائف تترامى بها ساقة النّاس وأوباشهم، ولعلَّ في السَّاقة من تندى جبهة إنسانيّته عند التلفظ بها لأنّها مخاريق مقيلها قاعة الفرية ليس لها وجود ماثل إلّا في مخيَّلة ابن تيميَّة وأوهامه.

يخترق هذه النسب المفتعلة؛ ويتعمَّد في تلفيق هذه الأكاذيب المحضة ثمَّ جاء يسبّ ويشتم ويُكفِّر ويكثر من البذاء على الشيعة ولا يُراعي أدب الدين.

أدب العلم. أدب التأليف . أدب الأمانة في النقل. أدب النزاهة في الكتابة. أدب العفَّة في البيان.

ولايحسب القارىء أنَّ هذه النسب المختلقة كانت في القرون البائدة ربما تنشأ عن الجهل بمعتقدات الفرق للتباعد بين أهليها، وذهبت كحديث أمس الدابر، وأمّا اليوم فالعقول على الرقيّ والتكامل، والمواصلات في البلاد أكبدةٌ جدّاً، ومعتقدات كلِّ قوم شاعت وذاعت في الملأ، فالحريُّ أن لا يوجد هناك في هذا العصر (الذي يسميه المغفَّل) عصر النّور مَن يرمي الشيعة بهذه الخزايات أو يرى رأي السلف.

نعم: إنّ أقلام كتّاب مصر اليوم تنشر في صحائف تآليفها هذه المخاريق نفسها ويزيد عليها تفاهات شائنة اخرى أهلك من ترَّهات البسابس أخذاً بناصر سلفهم، وسنوقفك على نصِّ تلكم الكلم، ونعرِّفك بأنَّ كاتب اليوم أكثر في الباطل تحوُّراً، وأقبح آثاراً، وأكذب لساناً، وأقول بالزور والفحشاء من سلفه السالف وشيخه المجازف، وهم مع ذلك يدعون الامَّة إلى كلمة التوحيد، ووحدة الكلمة.

٨ ـ قال: إنَّ العلماء كلّهم متّفقون على أنَّ الكذب في الرافضة أظهر منه في سائر طوائف أهل القبلة: حتّى انَّ أصحاب الصحيح كالبخاري لم يرو عن أحد من قدماء الشيعة مثل عاصم بن ضمرة، والحارث الأعور، وعبدالله بن سلمة وأمثالهم مع أنّ هؤلاء من خيار الشيعة ج ١ ص ١٥.

ج ـ إنّ هذه الفتوى المشفوعة بنقل اتِّفاق العلماء تُعطي خبراً عن أنَّ للعلماء بحثاً ضافياً في كتبهم حول مسألة أنَّ أيَّ طوائف أهل القبلة أكذب. فكانت نتيجة ذلك البحث والتنقيب: أنّ الكذب في الرافضة... وعليه حصل إجماع العلماء فطفق ابن تيميَّة يرقص ويزمِّر لما هنالك من مُكاء وتصدية وعليه فكلٌ من كتب القوم شاهدُ صدقٍ على كذب الرجل فيما يقول، وإنَّ مراجعة كتاب «منهاج السنَّة» و«الفِصل» وما يجري مجراهما في المخزى تعُطينا برهنةً صادقةً على أنّ أيّ الفريقين أكذب.

ومن أعجب الأكاذيب قوله: حتّى انَّ أصحاب الصحيح . . . . فإنَّك تجد الصحاح الستّ مفعمةً بالرِّواية عن قدماء الشيعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان و ممَّن بعدهم من مشايخهم كما فصَّلناها في هذا الجزء ص ٩٢ - ٩٤.

٩ - قال: اصول الدين عند الإماميَّة أربعةٌ: التوحيد. والعدل. والنبوَّة. والإمامة هي آخر المراتب،والتوحيد والعدل والنبوَّة قبل ذلك، وهم يُدخلون في التوحيد نفي الصفات والقول بأنَّ القرآن مخلوقٌ، وأنَّ الله لا يُرى في الآخرة، ويُدخلون في العدل التكذيب بالقدرة، وأنَّ الله لا يقدر أن يهدي من يشاء، ولا يقدر أن يضلَّ من يشاء، وأنّه قد يشاء مالا يكون ويكون ما لا يشاء، وغير ذلك فلا يقولون: انَّه خالق كلّ شيء، ولا انه على كلِّ شيء قدير، ولا انَّه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ج ١٠ ص ٢٣.

ج - بلغ من جهل الرجل أنَّه لم يُفرِّق بين أُصول الدين وأُصول المذهب فيعدُّ الإمامة التي هي من تالي القسمين في الأوَّل. وأنَّه لا يعرف عقائد قوم هو يبحث عنها، ولذلك أسقط المعاد من اصول الدين ولا يختلف من الشيعة إثنان في عدِّه منها.

على أنّ أحداً لوعدَّ الإمامة من اصول الدين فليس بذلك البعيد عن مقاييس البرهنة بعد أن قرن الله سبحانه ولاية مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام بولايته وولاية الرَّسول صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم بقول: ﴿إنَّما وَليّكم الله وَرَسولُهُ وَالّذين آمنوا﴾. [سورة المائدة/الآية ٥٥]. وخصَّ المؤمنين بعليٍّ عليه السَّلام كما مرَّ الإيعاز إليه في الجزء الثاني صفحة ٥٢ وسيوافيك حديثه مفصَّلاً بُعيد هذا.

وفي آية كريمة اخرى جعل المولى سبحانه بولايته كمال الدين بقوله: **﴿اليوم أكملتُ لَكم دينكم، وأتممتُ عليكم نعمتي، وَرَضيتُ لكم الإسلام ديناً﴾** [سورة المائدة: الآية ٣]. ولا معنى لذلك إلّا كونها أصلاً من اصول الدين لولاها بقي الدين مخدجاً، ونعم الله على عباده ناقصة، وبها تمام الإسلام الذي رضيه ربّ المسلمين لهم ديناً.

وجعل هذه الولاية بحيث إذا لم تُبلّغ كان الرَّسول صلّى الله عليه وآله وسلم ما بلَّغ رسالته فقال : ﴿**يا أيّها الرَّسول بلّغ ما أُنزلَ إليك مِنْ ربِّك وإن لَم تفعل فَما بلّغتَ** رسالته **والله يَعصمك مِن الناس**﴾ . [سورة المائدة/الآية : ٦٧] ولعلّك تزداد بصيرةً فيما قلناه لو راجعت الأحاديث الواردة من عشرات الطرق في الآيات الثلاث كما فصّلناها في الجزء الأوّل ص ٢٥٨ - ٢٦٨ و ٢٧٥ - ٢٨٣ وفي هذا الجزء .

وبمقربة من هذه كلّها ما مرَّ في الجزء الثاني ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ من إناطة الأعمال كلّها بصحّة الولاية، وقد أُخذت شرطاً فيها، وهذا هو معنى الأصل كما أنّه كذلك بالنسبة إلى التوحيد والنبوَّة، وليس في فروع الدين حكمٌ هو هكذا.

ولعلَّ هذا الذي ذكرناه كان مسلّماً عند الصحابة الأوَّلين ولذلك يقول عمر بن الخطاب لمّا جاءه رجلان يتخاصمان عنده: هذا مولاي ومولى كلِّ مؤمن، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن. راجع الجزء الأوّل صفحة ٤٤٠ .

وستوافيك في هذا الجزء زرافةٌ من الأحاديث المستفيضة الدالّة على أنَّ بغضه صلوات الله عليه سمة النِّفاق وشارة الإلحاد، ولولاه عليه السَّلام لما عُرف المؤمنون بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ولا يُبغضه أحدٌ إلّا وهو خارجٌ من الإيمان، فهي تدلّ على تنكّب الحائد عن الولاية عن سويِّ الصراط كمن حاد عن التوحيد والنبوَّة، فلترتّب كثير من أحكام الأصلين على الولاية يقرب عدُّها من الاصول، ولا ينافي ذلك شذوذها عن بعض أحكامهما لما هنالك من الحِكَمْ والمصالح الاجتماعيَّة كما لا يخفى.

وأما نفي الصفات فإن كان بالمعنى الّذي تحاوله الشيعة من نفيها زائدةً على الذّات بل هي عينها فهو عين التوحيد، والبحث في ذلك تتضمَّنه كتب الكلام، وإن كان بالمعنى الذي ترمي إليه المعطِّلة فالشيعة منه براء. وكذلك القول بأنَّ القرآن مخلوقٌ فإنّه ليس مع الله سبحانه أزليٌّ يضاهيه في القِدَم كما أثبتته البرهنة الصادقة المفصَّلة في كتب العقائد . وأمّا نفي الرؤية فلنفي الجسميَّة عنه، والمنطق الصحيح معتضداً بالكتاب والسنّة يشهد بذلك، فراجع مظانَّ

البحث فيه. وأمّا بقيَّة ما عزاه إليهم فهي أكاذيب محضة لا تشكُّ الشيعة قديماً وحديثاً في ضلالة القائل بها.

١٠ - قال: تجد الرافضة يعطِّلون المساجد التي أمر الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه فلا يُصلّون فيها جمعةً ولا جماعةً: وليس لها عندهم كبير حرمة، وإن صلّوا فيها صلّوا فيها وحُداناً، ويعظِّمون المشاهد المبنية على القبور، فيعكفون عليها مشابهةً للمشركين ويحجّون اليها كما يحجُّ الحاجُّ إلى البيت العتيق، ومنهم مَن يجعل الحجَّ إليها أعظم من الحجِّ إلى الكعبة، بل يسبّون من لا يستغني بالحجِّ إليها عن الحجِّ الذي فرضه الله تعالى على عباده، ومن لا يستغني بها عن الجمعة والجماعة، وهذا من جنس دين النصارى والمشركين. ج ١ ص ١٣١.

وقال في ج ٢ ص ٣٩: الرافضة يعمرون المشاهد الَّتي حرّم الله ورسوله بناءها، يجعلونها بمنزلة دورالأوثان، ومنهم من يجعل زيارتها كالحجِّ كما صنَّف المفيد كتاباً سمّاه [مناسك حجِّ المشاهد] وفيه من الكذب والشرك ما هو جنس شرك النصارى وكذبهم.

ج - إنَّ المساجد العامرة ماثلةٌ بين ظهرانيِّ الشيعة في أوساطها وحواضرها ومُدنها وحتّى في القرى والرساتيق تحتفي بها الشيعة، وترى حرمتها من واجبها، وتقول بحرمة تنجيسها وبوجوب إزالة النجاسة عنها، وبعدم صحَّة صلاة بعد العلم بها وقبل تطهيرها، وعدم جواز مسك الجنب والحائض والنفساء فيها، وعدم جواز إدخال النجس فيها إن كان هتكاً، وتكره فيها المعاملة والكلام بغير الذِّكر والعبادة من امور الدنيا، ومن فعل ذلك يُضرب على رأسه ويقال له: فضَّ الله فاك. وتروي عن النبيِّ أئمَّتها أنَّه لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد. إلى غيرها من الحرمات التي يتضمَّنها فقه الشيعة، وينوءُ بها عملهم، وما يقام فيها من الجماعات، وهذه كلّها أظهر من أن تخفى على من جاسَ خلال ديارهم أو عرف شيئاً من أنبائهم.

وأمّا تعظيمهم المشاهد فليس تشبّهاً منهم بالمشركين فإنَّهم لا يعبدون من فيها وإنّما يتقرَّبون إلى المولى سبحانه بزيارتهم والثناء عليهم والتأبين لهم لأنَّهم أولياء الله وأحبّاؤه، ويروون في ذلك أحاديث عن أئمّتهم، وفيما يُتلى هنا لك من ألفاظ الزيارات شهادةٌ واعترافٌ بأنّهم عبادٌ مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون.

وأمّا السبُّ على ما ذكر فهو مِن أكذب تقوُّلاته، فإنَّ الشيعة على بكرة أبيها تروي عن أئمتها: انَّ الإسلام بُني على خمس: الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية. وأحاديثهم بذلك متضافرة وتعتقد بأنَّ تأخير حَجّة الإسلام عن سنتها كبيرةٌ موبقةٌ، إنّه يُقال لتاركها عند الموت: مُت إن شئت يهوديّاً وإن شئت نصرانيّاً. أفمن المعقول أن تسبَّ الشيعة مع هذه العقائد والأحاديث وفتاوى العلماء المطابقة لها المستنبطة من الكتاب والسنّة من لا يستغني عن الحجِّ بالزِّيارة.

أمّا كتاب الشيخ المفيد فليس فيه إلاَّ أنَّه أسماه [منسك الزِّيارات] وما المنسك إلاّ العبادة وما يُؤدّى به حق الله تعالى، وليست له حقيقة شرعيَّة مخصوصة بأعمال الحجّ وإن تخصَّص بها في العرف والمصطلح، فكلُّ عبادةٍ مرضيَّةٍ لله سبحانه في أيِّ محلٍّ وفي أيِّ وقت يجوز إطلاقه عليها، وإذا كانت زيارة المشاهد والآداب الواردة والأدعية والصلوات المأثورة فيها من تلكم النسك المشروعة من غير سجود على قبرٍ أو صلاةٍ إليه ولا مسألةٍ من صاحبه أوَّلاً وبالذات وإنَّما هو توسّلٌ به إلى الله تعالى لزلفته عنده وقربه منه، فما المانع من إطلاق لفظ المنسك عليه؟!.

وقوله عمّا فيه من كذب وشرك فهو لدة سائر ما يتقوَّل غير مكترث لوباله والكتاب لم يعدم بعدُ وهو بين ظهرانينا وليس فيه إلاّ ما يُضاهيه ما في غيره من كتب المزار ممّا ينزِّل الأئمَّة الطاهرين عمّا ليس لهم من المراتب، ويثبت لهم العبوديَّة والخضوع لسلطان المولى سبحانه، مع ما لهم من أقرب الزلف إليه، فما لهؤلاء القوم لا يفقهون حديثاً؟!.

١١ - قال: قد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفترى أنّ هذه الآية: **﴿إنَّما وَليُّكم الله وَرَسوله وَالّذين آمَنوا الّـذينَ يُقيمونَ الصَّـلاة ويُؤتونَ الـزَّكاة وَهُمْ راكعون﴾**. [سورة المائدة/الآية ٥٥] .

نزلت في عليّ لمَّا تصدَّق بخاتمه في الصَّلاة، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل ج ١ ص ١٥٦.

ثمَّ استدلَّ على كذب القول به بأوهام وتافهات طالما يُكرِّر أمثالها تجاه النّصوص كما سبق منه في حديث ردِّ الشمس ويأتي عنه في آية التطهير. و **﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القُرْبى﴾** . [سورة الشورى/الآية٢٣] وفي حديث المؤاخاة وأمثالها من الصِّحاح الَّتى تأتي .

ج - ماكنت أدري أنَّ القحَّة تبلغ بالإنسان إلى أن يُنكر الحقائق الثابتة، ويزعم أنَّ ما خرَّجته الأئمَّة والحفّاظ وأنهوا أسانيده إلى مثل أمير المؤمنين. وابن عبّاس، وأبي ذرّ، وعمّار، وجابر الأنصاري، وأبي رافع، وأنس بن مالك، وسلمة بن كهيل، وعبدالله بن سلام، ممّا قام الإجماع على كذبه، فهو كبقيَّة إجماعاته المدَّعاة ليس له مقيلٌ من مستوى الصِّدق.

ليت شعري كيف يعزو الرَّجل إلى أهل العلم إجماعهم على كذب الحديث وهم يستدلّون بالآية الشريفة وحديثها هذا على أنَّ الفعل القليل لا يُبطل الصَّلاة، وأنَّ صدقة التطوُّع تُسمّى زكاةً. ويعدّونها بذلك من آيات الأحكام[١] وذلك ينمُّ عن اتِّفاقهم على صحّة الحديث.

ويشهد لهذا الإتِّفاق أنَّ مَن أراد المناقشة فيه من المتكلّمين قصرها على الدَّلالة فحسب من دون أيِّ غمزٍ في السند، وفيهم من أسنده إلى المفسِّرين عامة مشفوعاً بما عنده من النقد الدَّلالي. فتلك دلالةٌ واضحةٌ على إطباق المفسِّرين والمتكلّمين والفقهاء على صدور الحديث! . .

أضف إلى ذلك إخراج الحفّاظ وحملة الحديث له في مدوَّناتهم مخبتين

(١) كما فعله الجصاص في أحكام القرآن وغيره.

إليه وفيهم من نصَّ على صحّته، فـانظر إذن أين يكـون مستوى إجمـاع ابن تيميّة؟! وأين استقلَّ أولئك المجمعون من أديم الأرض؟! ولك الحكم الفاصل، وإليك أسماء جمع ممّن أخرج الحديث أو أخبت إليه وهم:

١ ـ القـاضي أبو عبـدالله محمَّد بن عمـر المـدني الـواقـدي المتـوفّى سنة ٢٠٧، كما في «ذخائر العقبى» ١٠٢.

٢ ـ الحافظ أبو بكر عبد الرَّزاق الصنعاني المتوفّى سنة ٢١١، كما في تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٧١ وغيره عن عبد الوهاب بن مجاهد عن مجاهد عن ابن عبّاس.

٣ ـ الحافظ أبو الحسن عثمان بن أبي شيبة الكوفيّ المتوفّى سنة ٢٣٩ في تفسيره.

٤ ـ أبو جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفّى سنة ٢٤٠، في رسالته التي ردَّ بها على الجاحظ.

٥ ـ الحافظ عبد بن حميد الكشي أبو محمَّـد المتوفّى سنـة ٢٤٩، في تفسيره كما في «الدرِّ المنثور».

٦ ـ أبو سعيد الأشجّ الكوفي المتوفّى سنة ٢٥٧، في تفسيـره عن أبي نعيم فضـل بن دكين عن مـوسى بن قيس الحضـرمي عن سلمـة بن كهيـل، والطريق صحيحٌ رجاله كلهم ثقات .

٧ ـ الحافظ أبو عبد الرَّحمن النسائي صاحب السنن المتوفّى سنة ٣٠٣، في صحيحه.

٨ ـ ابن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١٠، في تفسيره ج ٦ ص ١٨٦. بعدّة طرق.

٩ ـ ابن أبي حاتم الرازي المتوفّى سنة ٣٢٧، كما في تفسير ابن كثير، والدرّ المنثور، وأسباب النزول للسيوطي، أخرجه بغير طريق ومن طرقه أبو سعيد الأشجّ بإسناده الصحيح الذي أسلفناه.

١٠ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠، في معجمه الأوسط.

١١ - الحافظ أبو الشيخ أبو محمّد عبدالله بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٣٦٩، في تفسيره.

١٢ - الحافظ أبو بكر الجصّاص الرّازي المتوفّى سنة ٣٧٠، في «أحكام القرآن» ج ٢ ص ٥٤٢. رواه من عدّة طرق.

١٣ - أبو الحسن عليُّ بن عيسى الرماني المتوفّى سنة ٣٨٤/ ٢ في تفسيره.

١٤ - الحاكم ابن البيِّع النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في معرفة اصول الحديث ١٠٢.

١٥ - الحافظ أبو بكر الشيرازي المتوفّى سنة ٤٠٧/ ١١. في كتابه فيما نزل من القرآن في أمير المؤمنين.

١٦ - الحافظ أبو بكر بن مردويه الإصبهاني المتوفّى سنة ٤١٦، من طريق سفيان الثوري عن أبي سنان سعيد بن سنان البرجمي عن الضحّاك عن ابن عبّاس. إسنادٌ صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات، ورواه بطريق آخر قال: إسنادٌ لايُقدح به. وأخرجه بطرق اخرى عن أمير المؤمنين وعمّار وأبي رافع.

١٧ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧ في تفسيره عن أبي ذرّ كما مرَّ بلفظه ج ٢ ص ٥٢.

١٨- الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ (فيما نزل من القرآن في عليٍّ) عن عمّار، وأبي رافع، وابن عبّاس، وجابر، وسلمة بن كهيل.

١٩ - أبو الحسن الماوردي الفقيه الشافعيّ المتوفّى سنة ٤٥٠، في تفسيره.

٢٠ - الحافظ أبو بكر البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨، في كتابه «المصنَّف».

٢١ ـ الحافظ أبو بكر الخطيب البغداديُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ٤٦٣، في «المتّفق».

٢٢ ـ أبو القاسم زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٥ في تفسيره.

٢٣ ـ الحافظ أبو الحسن الواحدي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٦٨، في «أسباب النزول» ص ١٤٨ .

٢٤ ـ الفقيه ابن المغازلي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٤٨٣ في «المناقب» من خمسة طرق.

٢٥ ـ شيخ المعتزلة أبو يوسف عبد السّلام بن محمَّد القزويني المتوفّى سنة ٤٨٨، في تفسيره الكبير، قال الذهبي: إنّه يقع في ثلاث مائة جزء.

٢٦ ـ الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني المتوفّى سنة ٤٩٠، عن ابن عبّاس وأبي ذرّ وعبدالله بن سلام.

٢٧ ـ الفقيه أبو الحسن عليّ بن محمَّد الكيا الطبري الشافعيّ المتوفّى سنة ٥٠٤، في تفسيره، واستدلَّ به على عدم بطلان الصّلاة بالفعل القليل، وتسمية الصدقة التطوّع بالزَّكاة كما في تفسير القرطبي.

٢٨ ـ الحافظ أبو محمّد الفراء البغوي الشافعيّ المتوفّى سنة ٥١٦ في تفسيره «معالم التنزيل» هامش الخازن ج ٢ ص ٥٥.

٢٩ ـ أبو الحسن رزين العبدري الأندلسي المتوفّى سنة ٥٣٥، في الجمع بين الصِّحاح الستِّ نقلاً عن صحيح النسائي.

٣٠ ـ أبو القاسم جار الله الزمخشري الحنفي المتوفّى سنة ٥٣٨ في «الكشّاف» ج ١ ص ٤٢٢ وقال: فإن قلت: كيف صحَّ أن يكون لعليٍّ رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة؟! قلت: جيء به على لفظ الجمع وإن كان السبب فيه رجلاً واحداً ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه.

٣١ ـ الحافظ أبو سعد السمعاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٥٦٢ في «فضائل الصحابة» عن أنس بن مالك.

٣٢ ـ أبو الفتح النطنزي المولود سنة ٤٨٠، في «الخصائص العلويَّة» عن ابن عبّاس وفي «الإبانة» عن جابر الأنصاري.

٣٣ ـ الإمام أبو بكر بن سعدون القرطبي المتوفّى سنة ٥٦٧، في تفسيره ج ٦ ص ٢٢١.

٣٤ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المتوفّى سنة ٥٦٨، في «المناقب» ١٧٨ بطريقين. وذكر لحسّان فيه شعراً أسلفناه ج ٢ ص ٧٨.

٣٥ ـ الحافظ أبو القاسم بن عساكر الدمشقي المتوفّى سنة ٥٧١، في تاريخ الشام بعدَّة طرق.

٣٦ ـ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي المتوفّى سنة ٥٩٧؛ كما في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢٢٧ و «ذخائر العقبى» ١٠٢.

٣٧ ـ أبو عبدالله فخر الدين الرازيّ الشافعيّ، المتوفّى سنة ٦٠٦ في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ عن عطا عن عبدالله بن سلام وابن عبّاس وأبي ذرّ.

٣٨ ـ أبو السعادات مبارك ابن الأثير الشيباني الجزريّ الشافعي المتوفّى سنة ٦٠٦ في «جامع الاصول» من طريق النسائي.

٣٩ ـ أبو سالم محمَّد بن طلحة النصيبي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٦٦٢، في (مطالب السئول) ص ٣١ بلفظ أبي ذرّ.

٤٠ ـ أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤، في «التذكرة» ص ٩ عن السدي وعتبة وغالب بن عبدالله.

٤١ ـ عزّ الدين ابن أبي الحديد المعتزلي المتوفّى سنة ٦٥٥، في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٧٥.

٤٢ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨، في «كفاية

الطالب» ص ١٠٦ من طريق عن أنس بن مالك وفيه أبياتٌ لحسّان بن ثابت رويناها ج ٢ ص ٧٩، ورواه في ص ١٢٢ من طريق ابن عساكر، والخوارزمي، وحافظ العراقين، وأبي نعيم، والقاضي أبي المعالي، وذكر لحسّان شعراً غير الأبيات المذكورة ذكرناه ج ٢ ص ٦٥ نقلاً عن سبط ابن الجوزي .

٤٣ ـ القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٨٥، في تفسيره ج ١ ص ٣٤٥، وفي «مطالع الأنظار» ص ٤٧٧ ، ٤٧٩ .

٤٤ ـ الحافظ فقيه الحرم أبو العبّاس محبّ الدين الطبريُّ المكيُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ٦٩٤، في «الرِّياض النضرة» ج ٢ ص ٢٢٧ و«ذخائر العقبى» ص ١٠٢ من طريق الواحدي، والواقدي، وابن الجوزي، والفضائلي .

٤٥ ـ حافظ الدين النسفي المتوفّى سنة ٧٠١/ ١٠، في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ هامش تفسيره الخازن.

٤٦ ـ شيخ الإسلام الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢، في «فرائد السمطين» وذكر شعر حسّان فيه.

٤٧ ـ علاء الدين الخازن البغداديّ المتوفّى سنة ٧٤١، في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦ .

٤٨ ـ شمس الدين محمود بن أبي القاسم عبد الرَّحمن الإصبهاني المتوفّى ٧٤٦/ ٩ في شرح التجريد الموسوم بتسديد[1] العقائد. وقال بعد تقرير اتِّفاق المفسِّرين على نزول الآية في عليٍّ: قول المفسِّرين لا يقتضي اختصاصها به واقتصارها عليه.

٤٩ ـ جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي المتوفّى سنة ٧٥٠، في «نظم درر السمطين» .

٥٠ ـ أبو حيّان أثير الدين الأندلسي المتوفّى سنة ٧٥٤، في تفسيره «البحر

---

(١) وقد يقال بالمعجمة.

المحيط» ج ٣ ص ٥١٤.

٥١ - الحافظ محمَّد بن أحمد بن جزي الكلبي المتوفّى سنة ٧٥٨، في تفسيره «التَّسهيل لعلوم التنزيل» ج ١ ص ١٨١.

٥٢ - القاضي عضد الأيجي الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٥٦، في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦.

٥٣ - نظام الدين القمّي النيسابوري، في تفسيره «غرائب القرآن» ج ٣ ص ٤٦١.

٥٤ - سعد الدين التفتازاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٩١، في «المقاصد» وشرحه ج ٢ ص ٢٨٨، وقال بعد تقرير إطباق المفسِّرين على نزول الآية في عليٍّ: قول المفسِّرين: إنَّ الآية نزلت في حقِّ عليٍّ رضي الله عنه لا يقتضي اختصاصها به وإقصارها عليه.

٥٥ - السيِّد شريف الجرجاني المتوفّى سنة ٨١٦، في شرح المواقف.

٥٦ - المولى علاء الدين القوشجي المتوفّى سنة ٨٧٩، في شرح التجريد وقال بعد نقل الاتِّفاق عن المفسِّرين على أنَّها نزلت في أمير المؤمنين؛ وقول المفسِّرين: إنَّ الآية نزلت في حقّ عليٍّ إلى آخر كلام التفتازاني.

٥٧ - نور الدين ابن الصبّاغ المكيُّ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥، في «الفصول المهمَّة» ١٢٣.

٥٨ - جلال الدين السيوطي الشافعيُّ المتوفّى سنة ٩١٠، في (الدرّ المنثور) ج ٢ ص ٢٩٣ من طريق الخطيب، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وأبي الشيخ، وابن مردويه عن ابن عبّاس. ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، عن عمّار بن ياسر ومن طريق أبي الشيخ، والطبراني عن عليٍّ عليه السَّلام. ومن طريق ابن أبي حاتم؛ وأبي الشيخ، وابن عساكر عن سلمة بن كهيل. ومن طريق ابن جرير، عن مجاهد، والسدي وعتبة بن حكيم. ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، وأبي نعيم، عن أبي رافع.

ورواه في [أسباب نزول القرآن] ص ٥٥ من غير واحد من هذه الطرق ثمَّ قال: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضاً. وذكره في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩١ من طريق الخطيب عن ابن عبّاس، وص ٤٠٥ من طريق أبي الشيخ وابن مردويه عن أمير المؤمنين عليه السَّلام.

٥٩ ـ الحافظ ابن حجر الأنصاري الشافعيّ المتوفّى سنة ٩٧٤، في «الصواعق» ٢٤.

٦٠ ـ المولى حسن چلبي في شرح المواقف.

٦١ ـ المولى مسعود الشرواني في شرح المواقف.

٦٢ ـ القاضي الشوكاني الصنعاني المتوفّى ١٢٥٠ في تفسيره.

٦٣ ـ شهاب الدين السيِّد محمود الآلوسيّ الشافعيّ المتوفى سنة ١٢٧٠، في تفسيره ج ٢ ص ٣٢٩.

٦٤ ـ الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المتوفّى سنة ١٢٩٣. في «ينابيع المودَّة» ٢١٢.

٦٥ ـ السيِّد محمَّد مؤمن الشبلنجي في «نور الأبصار» ٧٧.

٦٦ ـ الشيخ عبد القادر بن محمَّد السعيد الكردستاني المتوفّى سنة ١٣٠٤، في [تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام] للتفتازاني ج ٢ ص ٣٢٩ ط مصر، وتكلّم فيه كبقيَّة المتكلّمين مخبتاً إلى اتِّفاق المفسِّرين على أنَّها نزلت في أمير المؤمنين[١].

وأمّا الكلام في الدلالة فلا يخالج الشكُّ فيها أيَّ عربيٍّ صميم مهما غالط وجدانه، وإنَّما الخلاف فيها نشأ من الدخلاء المتطفّلين على موائد العربيَّة. وبسط القول يتكفَّله كتب أصحابنا في التفسير والكلام.

---

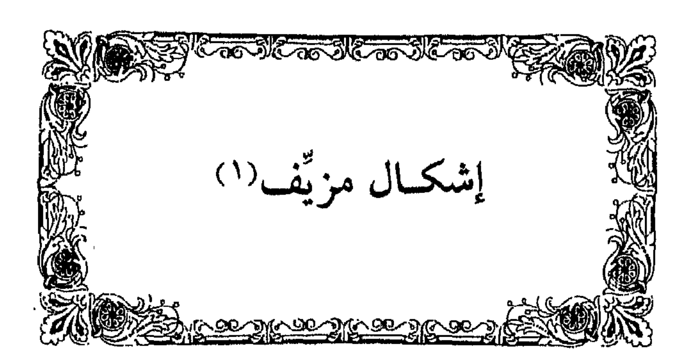
(١) توجد ترجمة كثير من هؤلاء الأعلام في الجزء الأول من كتابنا، راجع باعتبار القرون.

لفظ الحديث

عن أنس بن مالك أنّ سائلاً أتى المسجد وهو يقول: مَن يُقرض المليَّ الوفيّ وعليٌّ عليه السَّلام راكعٌ يقول بيده خلفه للسائل أي اخلع الخاتم من يدي. قال رسول الله: يا عمر! وجبت. قال: بأبي أنت وأمّي يا رسول الله ما وجبت؟!. قال: وجبت له الجنَّة والله، وما خلعه من يده حتَّى خلعه الله من كلِّ ذنب ومن كلِّ خطيئة. قال: فما خرج أحدٌ من المسجد حتّى نزل جبرئيل بقوله عزَّ وجلَّ: إنّما وليّكم الله وَرَسوله والَّذين آمنوا الَّذين يُقيمونَ الصَّلاة وَيُؤتون الزَّكاة وهُمْ راكعونَ. فأنشأ حسّان بن ثابت يقول:

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبّين ضائعاً؟! ... وما المدح في ذات الإله بضائعِ
فأنت الذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فدتك نفوس القوم يا خير راكعِ
بخاتمك الميمون يا خير سيِّدٍ ... ويا خير شارٍ ثمَّ يا خير بائعِ
فأنزل فيك الله خير ولايةٍ ... وبيَّنها في محكمات الشرائعِ

وهناك ألفاظ اخرى نقتصر على هذا روماً للاختصار وقد أسلفناه بلفظ أبي ذرّ ج ٢ ص ٧١.



إشكال مزيّف[1]

قال السيِّد حميد الدين عبد الحميد الآلوسي في كتابه «نثر اللآلي على نظم الأمالي» ص ١٦٩ عند ذكره آية الولاية: انَّ الآية ليس نزولها في حقّ عليّ خاصّة كما زعموا، بل نزلت في المهاجرين والأنصار، وهو من جملتهم، فإنّ قوله: الّذين صيغة جمع فلا يكون عليٌّ هو المراد وحده.

قال الأميني: كأنَّ الرجل يضرب في قوله هذا على وتر ابن كثير الدمشقي، وينسج على نوله، ويمتح من قليبه، حيث قال في تاريخه حول الآية كما يأتي بُعيد هذا[2]: ولم ينزل في عليٍّ شيءٌ من القرآن بخصوصيّته. إلخ. وقد عزب عن المغفَّلين أنّ إصدار الحكم على الجهة العامَّة، بحيث يكون مصبّه الطبيعة ـ حتّى يكون ترغيباً في الإتيان بمثله، أو تحذيراً عن مثله ـ ثمّ تقييد الموضوع بما يُخصِّصه بفرد معيَّن حسب الانطباق الخارجيِّ أبلغ وآكد في صدق القضيَّة من توجيهه إلى ذلك الفرد رأساً، وما أكثر له من نظير في لسان الذكر الحكيم وإليك نماذج منه:

١ ـ ﴿الذينَ قالوا إنَّ الله فقيرٌ ونَحنُ أغنياء﴾ [سورة آل عمران/الآية ١٨١].

ذكر الحسن: انّ قائل هذه المقالة هو حيي بن أخطب. وقال عكرمة

(١) من هنا إلى آخر البحث من ملحقات الطبعة الثانية.

(٢) عند البحث عن مخاريق كتابه ـ البداية والنهاية.

والسدي ومقاتل ومحمّد بن إسحاق: هو فنحاص بن عازوراء. وقال الخازن: هذه المقالة وإن كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنّهم يرضون بمقالته هذه فنسبت إلى جميعهم.

راجع تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٩٤، تاريخ ابن كثير ج١ : ٤٣٤، تفسير الخازن ج ١ : ٣٢٢ .

٢ - **﴿ومنهم الّـذين يـؤذونَ النبيَّ ويقـولـونَ هـو أُذنٌ﴾** [سورة التوبة/الآية ٦١].

نزلت في رجل من المنافقين إمّا في الجلاس بن سويلا، أو: في نبتل بن الحرث أو: عتاب بن قشير، راجع تفسير القرطبي ج ٨: ١٩٢ تفسير الخازن ج ٢ : ٢٥٣ ، الإصابة ج ٣ : ٥٤٩ .

٣ - **﴿والّذين يَبتغونَ الكتابَ ممّا مَلكت أيمانكم فَكاتبوهم إنْ علمتم فيهم خيرا﴾**[سورة النور/الآية ٣٣]. نزلت في صبيح مولى حويطب بن عبد العزّى، قال كنت مملوكاً لحويطب فسألته الكتابة، ففيَّ أُنزلت والذين يبتغون الكتاب : أخرجه ابن مندة وأبو نعيم والقرطبي كما في تفسيره ج ٢ ص ٢٤٤ ، اسد الغابة ج ٣ : ١١ ، الإصابة ج ٢ : ١٧٦ .

٤ - **﴿إنَّ الّذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنّما يأكلون في بُطونهم ناراً﴾**.[سورة النساء/الآية ١٠].

قال مقاتل بن حبّان: نزلت في مرثد بن زيد الغطفاني «تفسير القرطبي ج٥ ٥٣، الإصابة ج ٣ : ٣٩٧» .

٥ - **﴿لا يَنهاكم الله عَن الّذين لَمْ يقاتلوكم في الدِّين وَلَمْ يُخرجوكم مِن دياركم﴾** . [سورة الممتحنة/الآية ٨] .

نزلت في أسماء بنت أبي بكر، وذلك أنّ امّها قتيلة بنت عبد العزّى قدمت عليها المدينة بهدايا وهي مشركة، فقالت أسماء: لا أقبل منك هديّة، ولا تدخلي عليّ بيتاً حتّى أستأذن رسول الله ﷺ فسألته فأنزل الله تعالى هذه الآية

فأمرها رسول الله ﷺ أن تدخلها منزلها وأن تقبل هديَّتها وتكرمها وتحسن إليها.

أخرجه البخاري، ومسلم، وأحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، كما في تفسير القرطبي ج ١٨ : ٥٩ ، تفسير ابن كثير ج ٤ : ٣٤٩ ، تفسير الخازن ج ٤ : ٢٧٢ .

٦ ـ ﴿**يا أيّها الرَّسولُ لا يحزنك الّذين يُسارعون في الكفر من الَّذين قالوا آمنّا بأفواهِهم**﴾. [سورة المائدة/ الآية ٤١].

ذكر المكي في تفسيره: انّها نزلت في عبدالله بن صوريا. تفسير القرطبي ج ٦ : ١٧٧ ، الإصابة ج ٢ : ٣٢٦ .

٧ ـ ﴿**قال الَّذين لا يَعلمون لولا يكلِّمنا الله أو تأتينا آية**﴾ [سورة البقرة/ الآية ١١٨] .

نزلت في رافع بن حريملة، وأخرج محمَّد بن إسحاق عن ابن عبّاس قال: قال رافع لرسول الله ﷺ: يا محمَّد إن كنت رسولاً من الله كما تقول فقل لله فيكلّمنا حتّى نسمع كلامه. فأنزل الله في ذلك الآية، تفسير ابن كثير ج١ : ١٦١ .

٨ ـ ﴿**الَّذين هاجَروا في الله مِن بعد ما ظلموا لنبوِّئنَّهم في الدُّنيا حسنة**﴾ [سورة النحل/الآية ٤١].أخرج ابن‌عساكر في تاريخ ج٧: ١٣٣ من طريق عبد الرزاق عن داود بن أبي هند: انّ الآية نزلت في أبي جندل بن سهيل العامري. وذكره القرطبي في تفسيره ج ١٠: ١٠٧ من جملة الأقوال الواردة فيها.

٩ ـ ﴿**إنَّ الَّذين يَتلون كتاب الله وأقاموا الصّلاة وأنفقوا ممّا رَزَقناهم**﴾ [سورة فاطر/ الآية ٢٩] نزلت في حصين بن المطلب بن عبد مناف كما في الإصابة ج ١ : ٣٣٦ .

١٠ ـ ﴿**وَالعصر إنَّ الإنسان لفي خسر**﴾.[سورة العصر/الآيات ١و٢].

عن ابيّ بن كعب قال: قرأت على رسول الله ﷺ سورة والعصر فقلت: يا رسول الله بأبي وأُمّي أفديك ما تفسيرها؟ قال: والعصر قسمٌ من الله بآخر النهار،

إنَّ الإنسان لفي خسر: أبو جهل بن هشام. إلَّا الذين آمنوا: أبو بكر الصدِّيق. وعملوا الصالحات: عمر بن الخطاب. وتواصوا بالحقِّ: عثمان بن عفان. وتواصوا بالصبر عليّ بن أبي طالب. الرياض النضرة ج ١ : ٣٤ .

قال الأميني: نحن لا نصافق القوم على هذه التأويلات المحرَّفة المزيَّفة، غير أنّا نسردها لإقامة الحجَّة عليهم بما ذهبوا إليه.

١١ -**﴿إنَّ الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قَليلاً أولئك لا خلاق لَهم في الآخرة﴾**. [سورة آل عمران/الآية ٧٧].

نزلت في عيدان بن أسوع الحضرمي، قاله مقاتل في تفسيره. الإصابة ج٣ : ٥١.

١٢ - **﴿يا أيّها الَّذين آمنوا أطيعوا الله وَأطيعوا الرَّسولَ وَأولي الأمر منكم﴾**. [سورة النساء/ الآية ٥٩]. أخرج البخاري في صحيحه في كتاب التفسير ج٧ : ٦٠، وأحمد في مسنده ٣٣٧، ومسلم في صحيحه كما في تاريخ ابن عساكر ج ٧ : ٣٥٢، وتفسير القرطبي ج ٥ : ٢٦٠ وغيرهم أنّها نزلت في عبد الله بن حذافة السهمي.

١٣ - **﴿يَقولونَ هَلْ لنا من الأمر مِنْ شيءٍ، قُلْ إنَّ الأمر كلّه لله، يُخفون في أنفسهم ما لا يُبدونَ لك، يَقولون لو كان مِنَ الأمر شيء ما قتلنا هٰهنا﴾**. [سورة آل عمران/الآية ١٥٤].

القائل هو عبدالله بن أبي مسلول رأس المنافقين وفيه نزلت الآية، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق الزبير أنَّها نزلت في معتب بن قشير.

تفسير القرطبي ج ٤ : ٢٦٢، تفسير ابن كثير ج ١ : ٤١٨، تفسير الخازن ج ١ : ٣٠٦.

١٤ - **﴿الَّذين قال لَهُم النّاسُ إنَّ النّاسَ جمعوا لكم﴾**. [سورة آل عمران/ الآية ١٧٣].

المراد من الناس الأوَّل هو نعيم بن مسعود الأشجعي، قال النسفي في تفسيره[1]: هو جمعٌ أُريد به الواحد، أو: كان له أتباع يثبطون مثل تثبيطه. وقال الخازن: فيكون اللفظ عاماً أُريد به الخاصّ.

وأخرج ابن مردويه بإسناده عن أبي رافع أنّ النبيَّ ﷺ وجّه عليّاً في نفر معه في طلب أبي سفيان فلقيهم أعرابيٌّ من خزاعة فقال: إنَّ القوم قد جمعوا لكم، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، فنزلت فيهم هذه الآية.

تفسير القرطبي ج ٤ : ٢٧٩ ، تفسير ابن كثير ج١ : ٤٣٠ ، تفسير الخازن ج ١ : ٣١٨ .

١٥ ـ ﴿**يستفتونك قُل الله يفتيكُمْ في الكلالةِ**﴾. [سورة النساء/الآية ١٧٦]. نزلت في جابر بن عبدالله الأنصاري. وهو المستفتي، وكان يقول: أُنزلت هذه الآية فيَّ، تفسير القرطبي ج ٦ : ٢٨ ، تفسير الخازن ج ١ : ٤٤٧ ، تفسير النسفي هامش الخازن ج١ : ٤٤٧ .

١٦ ـ ﴿**يَسألونَكَ ماذا يُنفِقونَ قُل ما أنفَقتُم مِن خَير**﴾. [سورة البقرة/الآية ٢١٥].

نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال فقال: يا رسول الله بماذا نتصدَّق؟! وعلى من نُنفق؟! فنزلت الآية. تفسير القرطبي ج٣: ٣٦، تفسير الخازن ج ١ : ١٤٨ .

١٧ ـ ﴿**وَهُمْ يَنهونَ عنهُ وَيَنأونَ عَنهُ**﴾ [سورة الانعام/الآية ٢٦].

ذهب القوم إلى أنَّها نزلت في أبي طالب، وقد فصَّلنا القول فيها في الجزء الثامن ص٢١-٢٦.

١٨ ـ ﴿**لا تَجِدُ قوماً يُؤمِنون بالله واليوم الآخر يُوادّون مَنْ حادّ الله ورسوله**﴾. [سورة المجادلة/الآية ٢٢].

---

(١) المطبوع في هامش تفسير الخازن ج ١ ص ٣١٨.

نزلت في أبي عبيدة الجرّاح حين قتل أباه يوم بدر. أو: في عبدالله بن أُبيّ تفسيرالقرطبي ج١٧ :٣٠٧، نوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ١٥٧.

١٩ ـ ﴿وآخرون اعترفوا بِذنبهم خَلَطوا عَملاً صالحاًوآخَرَ سيِّئاً﴾. [سورة التوبة/الآية ١٠٣].

نزلت في أبي لبابة الأنصاري خاصّة.تفسير القرطبي ج ٨ ٢٤٢٠، لروض الأنف ج ٢: ١٩٦.

٢٠ ـ ﴿يَحلِفونَ بالله لكم ليُرضوكُمْ﴾. [سورة التوبة/الآية ٦٢].

إنّ رجلاً من المنافقين قال: والله إنَّ هؤلاء لخيارنا وأشرافنا، وإن كان ما يقول محمَّدٌ حقّاً لهم شرٌّ من الحمير. فسمعها رجلٌ من المسلمين فقال: والله إنَّ ما يقول محمَّدٌ لحقٌّ ولأنت أشرّ من الحمار، فسعى بها الرجل إلى النبي ﷺ فأخبره فأرسل إلى الرَّجل فدعا، فقال: ما حملك على الذي قلت؟ فجعل يلتعن ويحلف بالله بأنّه ما قال ذلك، وجعل الرَّجل المسلم يقول: اللهمّ صدِّق الصادق، وكذّب الكاذب. فأنزل الله الآية. تفسير القرطبي ج ٨:١٩٣، تفسير ابن كثير ج ٢ : ٣٦٦.

١٢ ـ قال: إنّ الرافضيَّ لا يُمكنه أن يُثبت إيمان عليٍّ وعدالته وأنَّه من أهل الجنّة فضلاً عن إمامته إن لم يُثبت ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وإلاّ فمتى أراد إثبات ذلك لعليٍّ وحده لم تُساعده الأدلَّة، كما أنَّ النصرانيَّ إذا أراد إثبات نبوَّة المسيح دون محمَّد لم تساعده الأدلَّة. ج ١ ص ١٦٢.

وقال ص ١٦٣: الرّافضة تعجز عن إثبات إيمان عليٍّ وعدالته مع كونهم على مذهب الرافضة، ولا يُمكنهم ذلك إلاّ إذا صاروا من أهل السنَّة فإن احتجّوا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده فقد تواتر ذلك عن هؤلاء بل تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أُميَّة وبني العبّاس وصلاتهم وصيامهم وجهادهم لِلكفّار.

ج ـ ما عشت أراك الدهر عجباً.

ليت شعري متى احتاج إيمان عليّ وعدالته إلى البرهنة؟! ومتى كفر هو حتّى يؤمن؟ وهل كان في بدء الإسلام للنبيِّ أخٌ ومُؤازر غيره؟! على حين أنَّ من سمّاهم لم يسلموا بعدُ، وهل قام الإسلام إلّا بسيفه وسنانه؟! وهل هزمت جيوش الشرك إلّا صولته وجولته؟! وهل هتك ستور الشّبه والإلحاد غير بيانه وبرهانه؟! وهل طهَّر الله الكعبة البيت الحرام عن دنس الأوثان إلّا بيده الكريمة؟! وهل طهر الله في القرآن الكريم بيتاً عن الرِّجس غير بيت هو سيِّد أهله بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم؟! وهل كان أحدٌ نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله غيره بنصّ الذِّكر الحكيم؟! وهل أحدٌ شرى نفسه ابتغاء مرصاة الله ليلة المبيت غيره؟! وهل أحدٌ من المؤمنين أولى بهم من أنفسهم كرسول الله غيره؟! لاها الله.

إنّ أحاديث الشيعة في كلِّ هذه متواترة وهي التي ألزمتهم بالإخبات إلى هذه المآثر كلّها غير أنَّهم إذا خاصموا غيرهم احتجُّوا بأحاديث أهل السنَّة لأنّ الحجَّة يجب أن تكون ملزمةً للخصم من دون حاجة لهم إليها في مقام الثبوت، وهذا طريق الحجاج المطَّرد لا ما يراه علماء القوم فإنَّهم بأسرهم يحتجّون في كلِّ موضوع بكتب أعلامهم وأحاديثهم، وهذا خروجٌ عن اصول الحجاج والمناظرة.

وليتني أدري ما الملازمة بين إيمان عليٍّ وعدالته وإيمان من ذكرهم، هل يحسبهم وعليّاً أمير المؤمنين نفساً واحدة لا يُتصوّر التبعيض فيها؟! أو يزعم أنَّ روحاً واحدة سرت في الجميع؟! فأخذت بمفعولها من إيمان وكفر؟! وهل خفيت هذه الملازمة المخترعة وليدة ابن تيميَّة على الصحابة والتابعين الشيعيِّين وبعدهم على أئمَّة الشيعة وعلمائهم وأعلامهم في القرون الخالية في حجاجهم ومناشداتهم ومناظراتهم المذهبيَّة المتكثِّرة في الأندية والمجتمعات؟! أو ذهل عنها مخالفوهم في الذبِّ عنهم والمدافعة عن مبدئهم؟!.

لم يكن ذلك كلّه، ولكن يروق الرَّجل أن يشبِّه الرافضة بالنصارى، ويقرن بين إيمان عليٍّ عليه السّلام وإيمان معاوية الدهاء، ويزيد الفجور؛ والماجنين

من جبابرة بني امية، والمتهتّكين من العبّاسيّين، وهذا مبلغ علمه ودينه وورعه وأدبه.

١٣ - وفي ج ٢ ص ٩٩ قذف شيخ الامّة نصير الملّة والدين الطوسي، وأتباعه والرافضة كلّهم بأنواع من التهتّك والإستهتار من إضاعة الصّلوات وارتكاب المحرّمات واستحلالها وعدم التجنّب عن الخمر والفواحش حتّى في شهر رمضان، وتفضيل الشرك بالله على عبادة الله، ويراها حال الرافضة دائماً، إلى غيرها ممّا علمت البحّاثة أنّها أكاذيب وطامّات أُريد بها إشاعة الفحشاء في الّذين آمنوا بتشويه سمعتهم، والله تعالى هو الحَكم الفصل يوم تُنصب الموازين، ويُسأل كلّ أحدٍ عمّا لفظه من قول، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيبٌ عتيدٌ.

١٤ - قال: أشهر الناس بالردّة خصوم أبي بكر الصّديق رضي الله عنه وأتباعه كمسيلمة الكذّاب وأتباعه وغيرهم، وهؤلاء تتولاهم الرافضة كما ذكر ذلك غير واحد من شيوخهم مثل هذا الإماميّ (يعني العلاّمة الحلّي) وغيره ويقولون: إنّهم كانوا على الحقّ وإنّ الصدّيق قاتلهم بغير حقٍّ ج ٢ ص ١٠٢.

ج - ليت هناك مُسائلٌ هذا الرّجل عن من أخبره بتولّي الرافضة لمسيلمة ونظرائه، وهم لا يفتأون يسمونه بالكذّاب، ويروون الفضائح من أعماله، وكتبهم مفعمةٌ بمخاريقه، وهم لا يحصرون النبوّة إلاّ بخاتمها محمّد سيّد الأنبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم ويكفّرون مَن يدّعيها غيره.

وليته دلّنا على أولئك الشيوخ الّذين نقل عنهم ذلك القول المائن، أوَ هل شافهوه بعقيدتهم؟ إفِلمَ لم يذكر أسماءهم؟! ولِمَ لم يسمّ أشخاصهم؟! على أنّه غير مؤتمن في النقل عنهم، وهو لا يزال يتحرّى الوقيعة فيهم. أو أنّه وجده في كتبهم؟! فما هي تلك الكتب؟! وأين هي؟! ولمن هي؟! وأمّا شيخهم الأكبر العلاّمة الحلّي فهذه كتبه الكلاميّة وفي العقائد بين مخطوط ومطبوع ففي أيٍّ منها توجد هذه الفرية؟! نعم لا توجد إلاّ في علبة عداء ابن تيميّة، وفي عيبة مخازيه، أو في كتاب مفترياته اللهمَّ إليك المشتكى.

١٥ـ قال: ذكر (العلّامة الحلّي) أشياء من الكذب تدلُّ على جهل ناقلها مثل قوله: نزل في حقِّهم (في حقِّ أهل البيت) هل أتى، فإنَّ هل أتى مكيَّةٌ باتِّفاق العلماء، وعليٌّ إنّما تزوَّج فاطمة بالمدينة بعد الهجرة، وولد الحسن والحسين بعد نزول هل أتى، فقوله: إنَّها نزلت فيهم من الكذب الذي لا يخفى على مَن له علمٌ بنزول القرآن وأحوال هذه السادة الأخيار. ج ٢ ص ١١٧.

إنَّ الرَّجل لا ينحصر جهله بباب دون باب فهو كما أنّه جاهلٌ في العقائد جاهلٌ في الفِرق، جاهلٌ في السيرة، جاهلٌ في الأحكام، جاهلٌ في الحديث، كذلك جاهلٌ في علوم القرآن حيث لم يعلم أوّلاً أنَّ كون السورة مكيَّة لا ينافي كون بعض آياتها مدنيَّة وبالعكس، وقد اطرد ذلك في السور القرآنيَّة كما مرَّ ج ١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٦، وهذا معنى قول ابن الحصار: إنَّ كل نوعٍ من المكّي والمدنيِّ منه آيات مستثناة [١].

وثانياً:

إنَّ أوثق الطرق إلى كون السورة أو الآية مكّيَّة أو مدنيَّة هو ما تضافر النقل به في شأن نزولها بأسانيد مستفيضة دون الأقوال المنقطعة عن الإسناد وقد أسلفنا في ص ١٣٤ ـ ١٣٩ من هذا الجزء شطراً مهماً ممَّن خرَّج هذا الحديث وأخبت إليه فليس هو من كذب الرافضة حتّى يدلَّ على جهل ناقله، ولا على شيخنا العلّامة الحلّي من تبعه في نقله، فإن كان في نقله شائبةُ سوء فالعلامة ومشايخ قومه على شرع سواء.

وثالثاً:

إنَّ القول بأنَّها مكيَّةٌ ليس ممّا اتَّفق عليه العلماء بل الجمهور على خلافه كما نقله الخازن في تفسيره ج ٤ ص ٣٥٦ عن مجاهد وقتادة والجمهور.

وروى أبو جعفر النحّاس في كتابه «الناسخ والمنسوخ» من طريق الحافظ أبي حاتم عن مجاهد عن ابن عبّاس حديثاً في تلخيص آي القرآن المدنيِّ من

(١) الاتقان ج ١ ص ٢٣.

المكيِّ وفيه: والمدَّثِّر إلى آخر القرآن إلاّ إذا زلزلت، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد، وقل أعوذ بربِّ الفلق، وقل أعوذ بربِّ الناس، فإنَّهنَّ مدنيّات، وفيها سورة هل أتى. وقال السيوطي في الإتقان ج ١ ص ١٥ بعد نقل الحديث: هكذا أخرجه بطوله وإسناده جيِّدُ رجاله كلّهم ثقات من علماء العربيَّة المشهورين.

وأخرج الحافظ البيهقي في «دلائل النبوَّة» بإسناده عن عكرمة والحسين بن أبي الحسن حديثاً في المكيِّ والمدنيِّ من السور وعدَّ من المدنيّات هل أتى (الإتقان ج ١ ص ١٦).

ويروي ابن الضريس في «فضائل القرآن» عن عطا عدَّ سورة الإنسان من المدنيّات، كما في الإتقان ج ١ ص ١٧.

وعدَّها الخازن في تفسيره ج ١ ص ٩ من السور النازلة بالمدينة.

وهذه مصاحف الدنيا بأجمعها مخطوطها ومطبوعها تخبرك عن جليَّة الحال فإنّها مجمعةٌ على أنَّها مدنيَّةٌ، فهل الامَّة أجمعت فيها على خلاف ما اتَّفق عليه العلماء إن صحَّت مزعمة ابن تيميَّة؟ فما منكم من أحد عنه حاجزين، وإنَّه لتذكرةٌ للمتَّقين، وإنّا لنعلم أنَّ منكم مكذِّبين.

ورابعاً:

انَّ القائلين بأنَّ فيها آية أو آيات مكّيَّة كالحسن وعكرمة والكلبي وغيرهم مصرِّحون بأنَّ الآيات المتعلّقة بقصَّة الإطعام مدنيَّةٌ

وخامساً.

لا ملازمة بين القول بمكيَّتها وبين نزولها قبل الهجرة إذ من الممكن نزولها في حجَّة الوداع، بعد صحّة إرادة عموم قوله: وأسيراً، للمؤمن الداخل فيه المملوك كما قال ابن جُبير، والحسن، والضحّاك، وعكرمة، وعطا، وقتادة، واختاره ابن جرير وجمعٌ آخرون.

١٦ ـ قال: قوله (يعني العلاّمة الحلّي): إيجاب مودَّة أهل البيت بقوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾ غلطٌ وممّا يدلُّ على هذا أنَّ الآية مكيَّةٌ ولم يكن عليٌّ بعدُ قد تزوّج بفاطمة ولا ولد لهما أولاده. ج ٢ ص ١١٨.

وقال في ص ٢٥٠: أمّا قوله (يعني العلاّمة): وأنـزل الله فيهم: ﴿قل لاأسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾. فهذا كذبٌ فإنَّ هذه الآية في سورة الشورى وهي مكيَّةٌ بلا ريب نزلت قبل أن يتزوَّج عليٌّ بفاطمة، وقبل أن يولد له الحسن والحسين (إلى أن قال): وقد ذكر طائفة من المصنِّفين من أهل السنَّة والجماعة والشيعة من أصحاب أحمد وغيرهم حديثاً عن النبيِّ ﷺ: إنَّ هـذه الآية لَمّا نزلت قالوا: يا رسول الله! مَن هؤلاء؟! قال: عليٌّ وفاطمة وابناهما. وهذا كذبٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث، وممّا يبيِّن ذلك أنَّ هذه الآية نزلت بمكَّة باتِّفاق أهل العلم فإنَّ سورة الشورى جميعها مكيّةٌ بل جميـع ال حميم كلّهن مكّيّات.

ثمَّ فصَّل تاريخ ولادة السبطين الحسنين إثباتاً لاطِّلاعه وعلمه بالتاريخ.

ج ـ لو لم يكن في كتاب الـرَّجل إلاّ مـا في هذه الجمـل من التَّدجيل والتمويه على أجر صاحب الرِّسالة، والقول المزوَّر، والفرية الشائنة، والكذب الصريح، لكفى عليه عاراً وشنارا.

لـم يصرِّح أحدٌ بأنَّ الآية مكيَّةٌ فضلاً عن الاتِّفـاق المكذوب على أهـل العلم، وإنَّما حسب الرجل ذلك من إطلاق قولهم: إنّ السـورة مكيَّة. فحقُّ المقال فيه ما قدَّمناه ج ١ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٨ وفي هذا الجزء ص ٦٩ ـ ١٧١.

ودعوى كون جميع سورة الشورى مكيَّةٌ يُكذبها استثناؤهم قوله تعالى: ﴿أم يقولون افترى على الله كذباً﴾. إلى قوله: ﴿خبيرٌ بصيرٌ﴾. وهي أربع آيـات. واستثناء بعضهم قوله ﴿والَّذين إذا أصابهم البغي﴾. إلى قوله. ﴿من سبيل﴾. وهي عدَّة آيات.[1]. فضلاً عن آية المودَّة.

---

(١) تفسير الخازن ج ٥ ص ٩٤، الاتقان ج ١ ص ٢٧.

ونصّ القرطبي في تفسيره ج ١٦ ص ١، والنيسابوري في تفسيره، والخازن في تفسيره ج ٤ ص ٤٩، والشوكاني في «فتح القدير» ج ٤ ص ٥١٠ وغيرهم عن ابن عبّاس وقتادة على أنّها مكيّةٌ إلّا أربع آيات أوّلها: قل لا أسألكم عليه أجراً.

وأمّا حديث أنّ الآية نزلت في عليٍّ وفاطمة وابناهما وإيجاب مودّتهم بها فليس مختصّاً بآية الله العلّامة الحلّي ولا بأُمّته من الشيعة بل أصفق المسلمون على ذلك إلّا شذّاذ من حملة الروح الأمويّة نظراء ابن تيميّة وابن كثير، ولم يقف القارىء ولن يقف على شيء من الاتّفاق المكذوب على أهل المعرفة بالحديث، ليت الرّجل دلّنا على بعضٍ من أولئك المجمعين، أو على شيء من تآليفهم، أو على نزرٍ من كلماتهم وقد أسلفنا في ج ٢ ص ٣٥٥ ـ ٣٦٠ ما فيه بلغةٌ وكفايةٌ نقلاً عن جمع من الحفّاظ والمفسّرين من أعلام القوم وهم:

الإمام أحمد	ابن المنذر	ابن أبي حاتم	الطبري	الطبراني
ابن مردويه	الثعلبي	أبو عبد الله الملاّ	أبو الشيخ	النسائي
الواحدي	أبو نعيم	البغوي	البزّار	ابن المغازلي
الحسكاني	محبّ الدين	الزمخشري	ابن عساكر	أبو الفرج
الحمّويي	النيسابوري	ابن طلحة	الرازي	أبو السعود
أبو حيّان	ابن أبي الحديد	البيضاوي	النسفي	الهيثمي
ابن الصبّاغ	الكنجي	المناوي	القسطلاني	الزرندي
الخازن	الزرقاني	ابن حجر	السمهودي	السيوطي
الصفوري	الصبّان	الشبلنجي	الحضرمي	النبهاني

وقول الإمام الشافعيّ في ذلك مشهورٌ قال:

يا أهل بيت رسول الله حبّكم فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القدر أنّكم من لم يصلِّ عليكم لا صلاة لهُ

ذكرهما له ابن حجر في «الصواعق» ٨٧، الزرقاني في شرح «المواهب»

ج ٧ ص ٧، الحمزاوي المالكي في «مشارق الأنوار» ٨٨، الشبراوي في «الإتحاف» ٢٩، الصبّان في الإسعاف ١١٩.

وقال العجلوني[١] في «كشف الخفاء» ص ١٩ ج ١ : وفي هذا مع زيادة قلت :

لقد حاز آل المصطفى أشرف الفخر ... بنسبهم للطاهر الطيِّب الذِّكرِ
فحبّهمُ فرضٌ على كلِّ مؤمن ... أشار إليه الله في محكم الذِّكرِ
ومَن يدَّعي مِن غيرهم نسبةً له ... فذلك ملعونٌ أتى أقبح الوزرِ
وقد خصَّ منهم نسلُ زهراء الأشرف ... بأطراف تيجان من السندس الخضر
ويُغنيهم عن لبس ما خصَّهم به ... وجوهٌ لهم أبهى من الشمس والبدرِ
ولم يمتنع مِن غيرهم لبس أخضر ... على رأي من يعزى لأسيوط ذي الخبرِ
وقد صحَّحوا عن غيره حرمة الّذي ... رآه مباحاً فاعلم الحكم بالسبرِ

وأمّا أنّ تزويج عليّ بفاطمة عليهما السَّلام كان من حوادث العهد المدنيِّ، وقد ماشينا الرَّجل على نزول الآية في مكّة فإنَّه لا ملازمة بين إطباق الآية بهما وبأولادهما وبين تقدُّم تزويجهما على نزولها كما لا منافاة بينه وبين تأخّر وجود أولادهما على فرضه، فإنَّ ممّا لا شبهة فيه كون كلّ منهما من قُربى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالعمومة والبنوَّة، وأمّا أولادهما فكان من المقدَّر في العلم الأزليّ أن يخلقوا منهما، كما أنَّه كان قد قضى بعلقة التزويج بينهما، وليس من شرط ثبوت الحكم بملاك عامّ يشمل الحاضر والغابر وجود موضوعه الفعليِّ بل إنَّما يتسرَّب إليه الحكم مهما وُجد ومتى وُجد وأنّى وُجد

على أنَّ من الممكن أن تكون قد نزلت بمكّة في حجَّة الوداع وعليٌّ قد تزوَّج بفاطمة وولد الحسنان ولا ملازمة بين نزولها بمكّة وبين كونه قبل الهجرة. ويرى الذين اوتوا العلم الَّذي أُنزل إليك من ربّك هو الحقّ.

١٧ ـ قال: أمّا حديث المؤاخاة (إنَّ عليّاً واخاه رسول الله) فباطلٌ

---

(١) الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي المتوفّى سنة ١١٦٢ توجد ترجمته في «سلك الدرر» للمرادي.

موضوعٌ، فإنَّ النبيَّ لم يُؤاخ أحداً ولا آخى بين المهاجرين بعضهم من بعض ولا بين الأنصار بعضهم من بعض، ولكن آخى بين المهاجرين والأنصار كما آخى بين سعد بن الربيع وعبد الرَّحمن بن عوف، وآخى بين سلمان الفارسي وأبي الدرداء كما ثبت ذلك في الصحيح ج ٢ ص ١١٩.

إنَّ حكم الرَّجل ببطلان حديث المؤاخاة الثابت بين المسلمين على بكرة أبيهم يكشف عن جهله المطبق بالحديث والسيرة، أو عن حنقه المحتدم على أمير المؤمنين عليه السَّلام فلا يسعه أن ينال منه إلاّ بإنكار فضائله، فكأنَّه آلى على نفسه أن لا يمرَّ بفضيلة إلاّ وأنكرها وفنَّدها ولو بالدعوى المجرّدة. فقد أوضحنا في ص ١٤٨ - ١٦٢ أنّ قصَّة المؤاخاة وقعت بين أفراد الصحابة قبل الهجرة مرّة، وبين المهاجرين والأنصار بعدها مرّة أُخرى، وفي كلٍّ منهما، وآخى هو صلّى الله عليه وآله وسلّم أمير المؤمنين عليه السّلام، وحسب الرَّجل ما في فتح الباري ج ٧ ص ٢١٧ للحافظ ابن حجر العسقلاني قال بعد بيان كون المؤاخاة مرَّتين وذكر جملة من أحاديثهما: وأنكر ابن تيميَّة في كتاب الردّ[١] على ابن المطهَّر الرافضي في المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبيِّ لعليٍّ قال: لأنَّ المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبيِّ لأحدٍ منهم ولا لمؤاخاة مهاجريٍّ لمهاجريٍّ. وهذا ردٌّ للنصِّ بالقياس وإغفالٌ عن حكمة المؤاخاة، لأنَّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فآخى بين الأعلى والأدنى، ليرتفقن الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا نظر في مؤاخاته لعليّ لأنَّه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمرَّ، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة لأنَّ زيداً مولاهم فقد ثبت اخوَّتهما وهما من المهاجرين وسيأتي في عمرة القضاة قول زيد بن حارثة: إنَّ بنت حمزة بنت أخي. وأخرج الحاكم وابن عبد البرّ بسند حسن عن أبي الشعثاء عن ابن عبّاس: آخى النبي ﷺ بين الزبير و ابن مسعود وهما من المهاجرين (قلت): وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم

---

(١) هو كتاب منهاج السنة الذي نتكلم حوله.

الكبير للطبراني وابن تيميَّة يصرِّح بأنَّ أحاديث المختارة أصحّ وأقوى من أحاديث المستدرك. وقصة المؤاخاة الاولى (ثمَّ ذكر حديثها الصحيح من طريق الحاكم الذي أسلفناه).

وذكر العلاّمة الزرقاني في شرح «المواهب» ج ١ ص٣٧٣ جملةً من الأحاديث والكلمات الواردة في كلتا المرَّتين من المؤاخاة وقال: وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبيِّ ﷺ لعليٍّ. ثمَّ أوعز إلى مزعمة ابن تيميَّة وردَّ عليه بكلام الحافظ ابن حجر المذكور. إتَّبعوا ما أُنزل إليكم من ربِّكم ولا تتَّبعوا من دونه أولياء.

١٨ ـ قال: الحديث الذي ذكر (العلاّمة) عن النبيّ ﷺ: انَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرَّمها الله وذرِّيّتها على النّار كَذبٌ باتفاق أهل المعرفة بالحديث. ويظهر كذبه لغير أهل الحديث أيضاً فإنَّ قوله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها إلخ باطلٌ قطعاً فإنَّ سارة أحصنت فرجها ولم يحرِّم الله جميع ذرِّيَّتها على النار، وايضاً فصفيّة عمَّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أحصنت فرجها ومن ذرّيَّتها محسنٌ وظالمٌ، وفي الجملة: اللواتي أحصنَّ فروجهنّ لا يُحصي عددهنَّ إلاّ الله ومن ذريَّتهنّ البرّ والفاجر والمؤمن والكافر. وأيضاً ففضيلة فاطمة ومزيَّتها ليست بمجرّد إحصان الفرج فإنَّ هذا تشارك فيه فاطمة وجمهور نساء المؤمنين ج ٢ ص ١٢٦.

ج ـ عجباً لهذا الرَّجل وهو يحسب أنَّ الإجماعات والاتِّفاقات طوع إرادته، فإذا لم يرقه تأويل آية أو حديث أو مسألة أو اعتقاد يقول في كلٍّ منها للملأ العلمي: اتَّفقوا. فتُلبِّيه الأحياء والأموات، ثمَّ يحتجُّ باتِّفاقهم. ولعمر الحقِّ لو لم يكن الإنسان منهيّاً عن الكذب ولغو الحديث لما يأتي منهما فوق ما أتى به الرَّجل.

ليت شعري كيف يكون هذا الحديث متَّفقاً على بطلانه وكذبه؟! وقد أخرجته جماعةٌ من الحفّاظ وصحَّحه غير واحدٍ من أهل المعرفة بالحديث، وليته

أوعز إلى مَن شذَّ منهم بالحكم بكذبه، ودلَّنا على تآليفهم وكلماتهم، غير أنَّه لم يجد أحداً منهم فكوَّن الاتِّفاق بالإرادة كما قلناه . وقد خرَّجه :

الحاكم	الخطيب البغدادي	البزّار	أبويعلى	العقيلي
الطبراني	ابن شاهين	أبو نعيم	المحبُّ الطبري	ابن حجر
السيوطي	المتّقي الهندي	الهيثمي	الزرقاني	الصبّان
البدخشي .				

إذا ثبتت صحَّة الحديث فأيُّ وزن يُقام للمناقشة فيه بأوهام وتشكيكات، واستحسانات واهية، واستبعادات خياليَّة؟! كما هو دأب الرَّجل في كلِّ ما لا يرتضيه من فضائل أهل البيت عليهم السَّلام، وأيّ ملازمة بين إحصان الفرج وتحريم الذريَّة على النّار ، حتّى يُردّ بالنقض بمثل سارة وصفيّة والمؤمنات؟ !غير أنَّ هذه فضيلةٌ اختصَّت بها سيِّدة النساء فاطمة، وكم لها من فضائل تخصّ بها ولم تحظ بمثلها فضليات النساء من سارة إلى مريم إلى حواء وغيرهنَّ، فلا غضاضة إذا تفرَّد ذريَّتها بفضيلة لم يحوها غيرهم، وكم لهم من أمثالها.

وقال العلامة الزرقاني المالكي في شرح «المواهب» ج ٣: ٢٠٣ في نفي هذه الملازمة: الحديث أخرجه أبو يعلى والطبراني والحاكم وصحَّحه عن ابن مسعود وله شواهد، وترتيب التحريم على الإحصان من باب إظهار مزيَّة شأنها في ذلك الوصف مع الإلماح ببنت عمران ولمدح وصف الإحصان، وإلّا فهي محرَّمةٌ على النّار بنصّ روايات أُخر[١] ويؤيّد هذا الحديث بأحاديث اخرى منها حديث ابن مسعود: إنّما سُمِّيت فاطمة لأنَّ الله قد فطمها وذريَّتها عن النّار يوم القيامة[٢].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة:إنَّ الله غير معذِّبكِ ولا أحد من ولدكِ[٣].

(١) يأتي تمام كلام الزرقاني في النقد على كتاب (الصراع بين الإسلام والوثنية).
(٢) تاريخ ابن عساكر، الصواعق ص ٩٦، المواهب اللدنية كما في شرحه للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٣.
(٣) أخرجه الطبراني بسند رجاله ثقات، وابن حجر صححه في الصواعق ص ٩٦، ١٤٠.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إنَّ الله قد غفر لك ولذريّتك. راجع ص ٧٨.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: وعدني ربّي في أهل بيتي: من أقرَّ منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ أنَّه لا يَعذِّبهم[1].

١٩ ـ قال: حديث أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: عليٌّ مع الحقِّ، والحقُّ يدور معه حيث دار، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض من أعظم الكلام كذباً وجهلاً، فإنَّ هذا الحديث لم يروه أحدُ عن النبيِّ ﷺ لا بإسناد صحيح ولا ضعيف، وهل يكون أكذب ممّن يروي (يعني العلاّمة الحلّي) عن الصحابة والعلماء أنَّهم رووا حديثاً والحديث لا يُعرف عن أحد منهم أصلاً؟ بل هذا من أظهر الكذب، ولو قيل: رواه بعضهم وكان يمكن صحّته لكان ممكناً وهو كذبٌ قطعاً على النبيِّ ﷺ فإنَّه كلامٌ ينزَّه عنه رسول الله. ١٦٧، ١٦٨.

ج ـ أمّا الحديث فأخرجه جمعٌ من الحفّاظ والأعلام منهم: الخطيب في التاريخ ج ١٤ ص ٣٢١ من طريق يوسف بن محمّد المؤدّب قال: حدَّثنا الحسن بن أحمد بن سليمان السرّاج: حدَّثنا عبد السّلام بن صالح: حدَّثنا عليُّ بن هاشم بن البريد عن أبيه عن أبي سعيد التميمي عن أبي ثابت مولى أبي ذرّ قال: دخلت على امِّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر عليّاً وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة.

هذه امّ المؤمنين امّ سلمة سيِّدةٌ صحابيَّةٌ، وقد نفى الرجل أن يكون أحد الصحابة قد رواه كما نفى أن يكون أحدُ من العلماء يرويه إلاّ أن يقول: إنّ الخطيب ـ وهو هو ـ ليس من العلماء، أو لم يعتبر امَّ المؤمنين صحابيَّة، وهذا أقرب إلى مبدأ ابن تيميَّة لأنَّها علويَّة النزعة، علويَّة الروح. علويَّة المذهب.

وحديث امّ سلمة سمعه سعد بن أبي وقّاص في دارها قال: سمعت رسول

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥٠ وجمع آخرون نظراء الحافظ السيوطي.

الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ. أو: الحقُّ مع عليٍّ حيث كان. قاله في بيت امّ سلمة فأرسل أحدٌ إلى امِّ سلمة فسألها فقالت: قد قاله رسول الله في بيتي. فقال الرجل لسعد: ما كنتَ عندي قطُّ ألوم منك الآن. فقال وَلِمَ؟! قال: لو سمعتُ من النبيِّ ﷺ لم أزل خادماً لعليٍّ حتّى أموت.

أخرجه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٦ وقال: رواه البزّار وفيه سعد بن شعيب ولم أعرفه وبقيَّة رجاله رجال الصحيح.

(قال الأميني): الرَّجل الذي لم يعرفه الهيثمي وهو سعيد بن شعيب الحضرمي قد خفي عليه لمكان التصحيف، ترجمه غير واحد بما قال شمس الدين إبراهيم الجوزجاني: إنّه كان شيخاً صالحاً صدوقاً. كما في خلاصة الكمال ١١٨، وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٤٨.

وكيف يحكم الرَّجل بأنَّ الحديث لم يروه أحدٌ من الصَّحابة والعلماء أصلاً وهذا الحافظ ابن مردويه في «المناقب» والسمعاني في «فضائل الصحابة» أخرجا بالإسناد عن محمَّد بن أبي بكر عن عائشة أنَّها قالت: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ مع عليٍّ لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

وأخرج ابن مردويه في «المناقب» والديلمي في «الفردوس» أَنه لما عقر جمل عائشة ودخلت داراً بالبصرة أتى إليها محمَّد بن أبي بكر فسلّم عليها فلم تكلِّمه فقال لها: أُنشدكِ لله أتذكرين يوم حدثتيني عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: الحقُّ لن يزال مع عليٍّ وعليٌّ مع الحقِّ لن يختلفا ولن يفترقا؟ فقالت: نعم.

وروى ابن قُتيبة في «الإمامة والسياسة» ج ١ ص ٦٨ عن محمّد بن أبي بكر أنَّه دخل على أُخته عائشة رضي الله عنها قال لها: أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ، والحقُّ مع عليٍّ؟! ثمّ خرجت تُقاتلينه.

وروى الزمخشري في «ربيع الأبرار» قال: استأذن أبو ثابت مولى عليّ على امّ سلمة رضي الله عنها فقالت: مرحباً بك يا أبا ثابت! أين طار قلبك

حين طارت القلوب مطائرها؟ قال: تبع عليَّ بن أبي طالب. قالت: وُفّقت والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ والقرآن، والحقُّ والقرآن مع عليٍّ، ولن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

وبهذا اللفظ أخرجه أخطب الخطباء الخوارزمي في «المناقب» من طريق الحافظ ابن مردويه. وكذا شيخ الإسلام الحمّويي في «فرائد السمطين» في الباب الـ ٣٧ من طريق الحافظين أبي البيهقي والحاكم أبي عبد الله النيسابوري.

وأخرج ابن مردويه في «المناقب» عن أبي ذرّ أنَّه سُئل عن اختلاف النّاس فقال: عليك بكتاب الله والشيخ عليِّ بن أبي طالب عليه السَّلام فإنّي سمعت النبيّ ﷺ يقول: عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه وعلى لسانه، والحقُّ يدور حيثما دار عليٌّ.

ويوقف القارىء على شهرة الحديث عند الصِّحابة احتجاج أمير المؤمنين به يوم الشورى بقوله: أُنشدكم بالله أتعلمون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال: الحقُّ مع عليٍّ وعليٌّ مع الحقِّ يزول الحقُّ مع عليٍّ كيفما زال؟ قالوا: اللهمَّ نعم[1].

وهنا نُسائل الرَّجل عن أنَّ هذا الكلام لِماذا لا يُمكن صحته؟ أفيه شيءٌ من المستحيلات العقليَّة كاجتماع النقيضين أو ارتفاعهما؟ أو اجتماع الضدَّين أو المثلين؟ وكأنَّ الرَّجل يزعم أنَّ الحقيقة العلويَّة غير قابلةٍ لأن تدور مع الحقِّ وأن يدور الحقُّ معها. كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

وقد مرَّ ج ١ ص ٣٥٨، ٣٦١ من طريق الطبراني وغيره بإسناد صحيح قول رسول الله ﷺ يوم غدير خمّ: اللهمَّ وال من والاه، وعاد من عاداه (إلى قوله): وأدر الحقَّ معه حيث دار[2].

وصحَّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم قوله: رحم الله عليّاً،اللّهمَّ أدر الحقَّ

(١) مر الكلام في حديث المناشدة ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.
(٢) وبهذا اللفظ رواه الشهرستاني في نهاية الاقدام ص ٤٩٣.

معه حيث دار[١].

وقال الرازي في تفسيره ج ١ ص ١١١. وأمّا أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان يجهر بالتّسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طالب فقد اهتدى، والدليل عليه قوله عليه السَّلام: اللَّهم أدر الحقَّ مع عليٍّ حيث دار.

وحكى الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ١٣٥، وأخطب خوارزم في «المناقب» ٧٧ عن مسند زيد قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إنَّ الحقَّ معك والحقُّ على لسانك وفي قلبك وبين عينيك، والإيمان مخالطٌ لحمك ودمك كما خالط لحمي ودمي.

وأخرج غير واحد عن أبي سعيد الخدري عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال مشيراً إلى عليٍّ: الحقُّ مع ذا، الحقُّ مع ذا[٢] وفي لفظ ابن مردويه عن عائشة عنه صلّى الله عليه وآله وسلم: الحقُّ مع ذا يزول معه حيثما زال.

وأخرج ابن مردويه والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٤ عن امِّ سلمة أنَّها كانت تقول: كان عليٌّ على الحقِّ، من اتَّبعه اتَّبع الحقَّ، ومَن تركه ترك الحقَّ، عهداً معهوداً قبل يومه هذا[٣].

ومرَّ في ج ١ ص ٢٠٧ من طريق شيخ الإسلام الحمّويي قوله صلّى الله عليه وآله وسلم في أوصيائه: فإنَّهم مع الحقِّ، والحقُّ معهم لا يُزايلونه ولا يُزايلهم.

وليت شعري هذا الكلام لِماذا يُنزَّه عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم؟! ألاشتماله على كلمة إلحاديَّة؟! أو إشراك بالله العظيم؟! أو أمر خارج عن نواميس الدِّين المبين؟!.

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥، جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، الجمع بين الصحاح لابن الأثير، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٧، نزل الأبرار ص ٢٤.

(٢) مسند أبي يعلى، سنن سعيد بن منصور، مجمع الزوائد للحافظ الهيثمي ج ٧ ص ٣٥ وقال: رواه أبو يعلى ورجاله ثقات.

(٣) في لفظ الهيثمي: عهد معهود.

أنا أقول عنه لِماذا: لأنَّه في فضل مولانا أمير المؤمنين والرَّجل لا يروقه شيءٌ من ذلك. ونعم الحَكَم الله، والخصيم محمَّد.

ولا يذهب على القارىء أنَّ هذا الحديث عبارة اخرى لما ثبتت صحَّته عن امّ سلمة من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: عليٌّ مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض[1].

وكلا الحديثين يرميان إلى مغزى الصحيح المتواتر الثابت عنه صلّى الله عليه وآله وسلم من قوله: إنّي تاركٌ أو: مخلّفٌ فيكم الثقلين، أو: الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض.

فإذا كان ما يراه ابن تيميَّة غير ممكن الصدور عن مبدأ الرِّسالة فهذه الأحاديث كلّها ممّا يغزو مغزاه يجب أن ينزَّه صلّى الله عليه وآله وسلم عنها، ولا أحسب أنَّ أحداً يقتحم ذلك الثغر المخوف إلاّ مَن هو كمثل ابن تيميَّة لا يُبالي بما يتهوَّر فيه، فدعه وتركاضه، ولا تتَّبع أهواء الذين لا يعلمون.

٢٠ ـ قال: حديث أنَّ النبيَّ ﷺ قال: يا فاطمة إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاكِ. فهذا كذبٌ منه، ما رووا هذا عن النبيِّ ﷺ ولا يُعرف هذا في شيء من كتب الحديث المعروفة، ولا الإسناد معروفٌ عن النبيِّ ﷺ لا صحيح ولا حسن ج ٢ ص ١٧٠.

ج ـ ليتني عرفت هل المقحم للرَّجل في أمثال هذه الورطة جهله المطبق وضيق حيطته عن الوقوف على كتب الحديث ؟! ثمَّ إنَّ الرعونة تحدوه إلى تكذيب ما لم يجده تكذيباً باتّاً ؟! أو : أنّ حقده المحتدم لآل بيت الوحي يتدهور به إلى هوّة المناوءة لهم بتفنيد فضائلهم ومناقبهم .

أحسب أنَّ كلا الداعين لا يعدوانه.

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٤ صححه هو وأقره الذهبي، المعجم الأوسط للطبراني وحسن سنده، الصواعق ص ٧٤ ـ ٧٥، الجامع الصغير ج ٢ ص ١٤٠، تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١١٦، فيض القدير ج ٤ ص ٣٥٨.

أمّا الحديث فله إسنادٌ معروفٌ عند الحفّاظ والأعلام، صحّحه بعضهم وحسنّه آخر، وأنهوه إلى النبيِّ الأقدس صلوات الله عليه وآله وممّن أخرجه:

١ - الإمام أبو الحسن الرِّضا سلام الله عليه في مسنده كما في «الذخائر» ٣٩.

٢ - الحافظ أبو موسى ابن المثنى البصري المتوفّى سنة ٢٥٢ كما في معجمه.

٣ - الحافظ أبو بكر ابن أبي عاصم المتوفّى سنة ٢٨٧ كما في «الإصابة» وغيره.

٤ - الحافظ أبو يعلى الموصلي المتوفّى سنة ٣٠٧ في سننه.

٥ - الحافظ أبو القاسم الطبراني المتوفّى سنة ٣٦٠ في معجمه.

٦ - الحافظ أبو عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفّى سنة ٤٠٥ في «المستدرك» ج ٣ ص ١٥٤ وصحّحه.

٧ - الحافظ أبو سعيد الخركوشي المتوفّى سنة ٤٠٦ في مؤلّفه.

٨ - الحافظ أبو نعيم الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ في «فضائل الصحابة».

٩ - الحافظ أبو القاسم ابن عساكر المتوفّى سنة ٥٧١ في «تارخ الشام».

١٠ - الحافظ أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ١٧٥.

١١ - الحافظ أبو العباس محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في «الذخائر» ٣٩.

١٢ - الحافظ أبو الفضل ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في «الإصابة» ج ٤ ص ٣٧٨.

١٣ ـ الحافظ شهاب الدين ابن حجر الهيثمي المتوفّى سنة ٩٥٤ في «الصواعق» ١٠٥.

١٤ ـ أبو عبدالله الزرقاني المالكي المتوفّى سنة ١١٢٢ في شرح «المواهب» ج ٣ ص ٢٠٢.

١٥ ـ أبو العرفان الصبّان المتوفّى سنة ١٢٠٦ في «إسعاف الرّاغبين» ١٧١ وقال: رواه الطبراني وغيره بإسناد حسن.

١٦ ـ البدخشي صاحب «مفتاح النجا» في «نزل الأبرار» ص ٤٧.

٢١ ـ قال: حديث رسول الله ﷺ في عليٍّ: هذا فاروق امّتي يفرق بين أهل الحقِّ والباطل. وقول ابن عمر: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبيِّ ﷺ إلّا ببغضهم عليّاً. فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنّهما حديثان موضوعان مكذوبان على النبيّ ﷺ ولم يُرو واحدٌ منهما في كتب العلم المعتمدة ولا لواحد منهما إسنادٌ معروفٌ ج ٢ ص ١٧٩.

ج ـ إنَّ أجمع كلمة تنطبق على هذا المغفَّل هو ما قيل في غيره قبل زمانه: أُعطي مقولاً ولم يعط معقولاً. فتراه في أبحاث كتابه يقول ولا يعقل ما يقول، ويردّ غير القول الذي قد قيل له، فهذا آية الله العلّامة الحلّي يروي عن ابن عمر قوله: ما كنّا نعرف المنافقين. الخ. وهذا يقول: إنّه حديثٌ مكذوبٌ على النبيِّ ﷺ ولم يعقل أنَّ راويه لم يعزه إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم فكان حقّ المقام أن يفنِّد نسبته إلى ابن عمر، على أنَّ ابن عمر لم يتفرَّد بهذا القول وإنّما أصفق معه على ذلك لفيفٌ من الصِّحابة منهم:

١ ـ أبو ذرّ الغفاري فإنّه قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلّا بثلاث: بتكذيبهم الله ورسوله. والتخلّف عن الصّلاة. وبغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الخطيب في «المتّفق»، محبُّ الدين الطبري في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٥، الجزري في «أسنى المطالب» ص ٨ وقال: وحُكي عن الحاكم

تصحيحه. السيوطي في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٠.

٢ - أبو سعيد الخدري قال: كنّا نعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليّاً.

وفي لفظ الزرندي: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ إلّا ببغضهم عليّاً.

جامع الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩، حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٥، الفصول المهمّة ص ١٢٦، أسنى المطالب للجزري ص ٨، مطالب السئول ص ١٧، نظم الدرر للزرندي، الصواعق ٧٣.

٣ - جابر بن عبدالله الأنصاري قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلّا ببغض - أو: ببغضهم - عليٍّ بن أبي طالب.

أخرجه أحمد في «المناقب»، ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٣ ص ٤٦ هامش الإصابة، الحافظ محبّ الدين في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٤، الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٢.

٤ - أبو سعيد محمَّد بن الهيثم قال: إن كنّا لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الحافظ الجزري في «أسنى المطالب» ص ٨.

٥ - أبو الدرداء قال: إن كنّا نعرف المنافقين معشر الأنصار إلّا ببغضهم عليَّ بن أبي طالب.

أخرجه الترمذي كما في «تذكرة» سبط ابن الجوزي ص ١٧.

ولم تكن هذه الكلمات دعاوى مجرَّدة من القوم وإنَّما هي مدعومةٌ بما وعوه عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم في عليٍّ عليه السَّلام وإليك نصوصه:

١ - عن أمير المؤمنين أنَّه قال: والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة إنَّه لعهد

النبيُّ الاُمِّيُّ إليَّ: أنَّه لا يُحبّني إلاّ مؤمنٌ، ولا يُبغضني إلاّ منافق.

مصادره

أخرجه مسلم في صحيحه كما في «الكفاية»، الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢٩٩ من غير قَسَم وقال: حسنٌ صحيحٌ، أحمد في مسنده ج ١ ص ٨٤، ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٥٥، النسائي في سننه ج ٨ ص ١١٧، وفي خصائصه ٢٧، أبو حاتم في مسنده، الخطيب في تاريخه ج ٢ ص ٢٥٥، البغوي في «المصابيح» ج ٢ ص ١٩٩، محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢١٤، ابن عبد البرّ في «الإستيعاب» ج ٣ ص ٣٧، ابن الأثير في «جامع الاصول» كما في تلخيصه «تيسير الوصول» ج ٣ ص ٢٧٢ عن مسلم والترمذي والنسائي، سبط ابن الجوزي في تذكرته ١٧، ابن طلحة في «مطالب السئول» ١٧، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٤ عن الحافظ عبد الرزّاق وأحمد ومسلم وعن سبعة آخرين وقال: هذا هو الصحيح، شيخ الإسلام الحمّوبي في فرائده في الباب الـ ٢٢ بطرق أربعة، الجزري في «أسنى المطالب» ٧ وصحّحه. ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ١٢٤، ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» ٧٣، ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» ج ٧ ص ٥٧، السيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤ عن الحميدي، وابن أبي شيبة، وأحمد، والعدني، والترمذي والنسائي، وابن ماجة، وابن حبّان في صحيحه، وأبي نعيم في الحلية، وابن أبي عاصم في سننه، القرماني في تاريخه هامش «الكامل» ج ١ ص ٢١٦، الشنقيطي في «الكفاية» ٣٥ وصحّحه.

والعجلي في كشف الخفاء ج ٢ ص ٣٨٢ عن مسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة، وقد صدَّقه بدر الدين بن جماعة حين قاله ابن حيّان أبو حيّان الأندلسي: قد روى عليٌّ قال: عهد إليّ النبيُّ. إلخ. هل صدق في هذه الرواية؟ فقال له ابن جماعة: نعم. فقال: فالّذين قاتلوه وسلّوا السيوف في وجهه كانوا يحبّونه أو يبغضونه؟!. الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٠٨.

صورة اخرى:

عن أمير المؤمنين: لعهد النبيّ ﷺ إليَّ: لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ، ولا يُبغضك إلاّ منافقٌ.

(مصادرها) أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ٩٥، ١٣٨. الخطيب في تاريخه ج ١٤ ص ٤٢٦. النسائي في سننه ج ٨ ص ١١٧، وفي خصائصه ٢٧، أبو نعيم في «الحلية» ج ٤ ص ١٨٥ بعدَّة طرق وفي إحدى طرقه: والَّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة وتردَّى بالعظمة إنَّه لعهد النبيُّ الأُمّيُّ ﷺ إلي. إلخ. وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ متَّفقٌ عليه، ابن عبد البرّ في الإستيعاب ج ٣ ص ٣٧ وقال: روته طائفةٌ من الصِّحابة، ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٨٤ وقال: هذا الخبر مرويٌّ في الصِّحاح.

وقال في ج ١ ص ٣٦٤: قد اتَّفقت الأخبار الصحيحة الّتي لا ريب فيها عند المحدِّثين على أنَّ النبيَّ قال له: لا يبغضـك إلاّ منافقٌ، ولا يحبّـك إلاّ مؤمنٌ، شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الـ ٢٢، الهيثمي في «مجمع لزوائد» ج ٩ ص ١٣٣. السيوطي في جامعه الكبير كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، ٤٠٨ من عدَّة طرق، ابن حجر في «الإصابة» ج ٢ ص ٥٠٩.

صورة ثالثة:

قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: لو ضربتُ خيشـوم المؤمن بسيفي هذا على أن يُبغضني ما أبغضني ولو صببت الدنيا بجملتها على المنافـق على أن يُحبَّني ما أحبَّني، وذلك أنَّه قضي فانقضى على لسان النبيِّ الامِّيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال: ياعليُّ! لا يُبغضك مؤمنٌ، ولا يُحبّك منافقٌ.

تجدها في نهج البلاغة، وقال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٤ ص ٢٦٤: مراده عليه السَّلام من هذا الفصل إذكار الناس ما قاله فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم.

صورة رابعة:

في خطبة لأمير المؤمنين عليه السَّلام: قضاءٌ قضاه الله عزَّ وجلَّ على لسان نبيِّكم النبيّ الأُمّيِّ أن لا يُحبّني إلّا مؤمنٌ، ولا يُبغضني إلّا منافقٌ.

أخرجه الحافظ ابن فارس، وحكاه عنه الحافظ محبُّ الدين في «الرِّياض» ج ٢ ص ٢١٤، وذكره الزرندي في «نظم درر السمطين» وفي آخره: وقد خاب من افترى.

(صدر الحديث) عن أبي الطفيل قال: سمعت عليّاً عليه السَّلام وهو يقول: لو ضربت خياشيم المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو نثرت على المنافق ذهباً وفضّة ما أحبَّني، إنَّ الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبِّي وميثاق المنافقين ببغضي، فلا يُبغضني مؤمنٌ، ولا يحبّني منافقٌ أبداً.

صورة اخرى:

عن حبَّة العرني عن عليّ عليه السَّلام أنّه قال: إنَّ الله عزّ وجلَّ أخذ ميثاق كلِّ مؤمن على حبّي، وميثاق كلِّ منافق على بغضي، فلو ضربت وجه المؤمن بالسيف ما أبغضني، ولو صببت الدنيا على المنافق ما أحبَّني.

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦٤.

٢ ـ عن امّ سلمة قالت: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: لا يُحبّ عليّاً المنافق، ولا يُبغضه مؤمنٌ.

الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٣ وصحَّحه ابن أبي شيبة. الطبراني. البيهقي في «المحاسن والمساوي» ج ١ ص ٢٩. محب الدين في رياضه ج ٢ ص ٢١٤. سبط ابن الجوزي في تذكرته ١٥. ابن طلحة في «مطالب السئول» ١٧. الجزري في «أسنى المطالب» ٧. السيوطي في «الجامع الكبير» كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، ١٥٨.

صورة اخرى:

عن امّ سلمة قالت: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعليّ: لا يُبغضك مؤمنٌ، ولا يُحبّك منافقٌ.

الإمام أحمد في «المناقب»، محبّ الدين في «الرياض» ج ٢ ص ٢١٤، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٥٤.

صورة ثالثة:

أخرج ابن عدي في كامله عن البغوي بإسناده عن امّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي لعليٍّ: لا يحبّك إلّا مؤمنٌ، ولا يبغضك إلّا منافقٌ.

٣ - في خطبة للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم: يا أيّها النّاس! أُوصيكم بحبِّ ذي قرنيها أخي وابن عمّي عليِّ بن أبي طالب فإنّه لا يُحبّه إلّا مؤمنٌ، ولا يبغضه إلّا منافقٌ.

مناقب أحمد، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢١٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٥١، تذكرة السبط ١٧.

٤ - عن ابن عبّاس قال: نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلى عليٍّ فقال: لا يحبّك إلّا مؤمنٌ ولا يُبغضك إلّا منافق.

أخرجه الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٣.

وهذا الحديث ممّا احتج به أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم الشورى فقال: أُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له صلّى الله عليه وآله وسلم: لا يُحبّك إلّا مؤمن ولا يبغضك إلّا منافق، غيري؟! قالوا: اللّهم لا[1].

هذا ما عثرنا عليه من طرق هذا الحديث ولعلّ ما فاتنا منها أكثر، ولعلّك بعد هذه كلّها لا تستريب في أنّه لو كان هناك حديثٌ متواترٌ يقطع بصدوره عن مصدر الرِّسالة فهو هذا الحديث أو أنّه من أظهر مصاديقه، كما أنّك لا تستريب

(١) راجع حديث المناشدة ج ١ ص ١٩٩ - ٢٠٣.

بعد ذلك كلّه أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام بحكم هذا الحديث الصادر ميزان الإيمان ومقياس الهدى بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، وهذه صفةٌ مخصوصةٌ به عليه السَّلام وهي لا تبارحها الإمامة المطلقة، فإن من المقطوع به أنَّ أحداً من المؤمنين لم يتحلّ بهذه المكرمة، فليس حبُّ أيٍّ أحد منهم شارة إيمان ولا بغضه سمة نفاق، وإنّما هو نقصٌ في الأخلاق وإعوازٌ في الكمال ما لم تكن البغضاء لإيمانه، وأمّا إطلاق القول بذلك مشفوعاً بتخصيصه بأمير المؤمنين فليس إلّا ميزة الإمامة ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لولاك يا علي ما عُرف المؤمنون بعدي[1]. وقال: والله لا يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلّا وهو خارجٌ من الإيمان[2].

ألا ترى كيف حكم عمر بن الخطاب بنفاق رجل رآه يسبُّ عليّاً وقال: إنّي أظنّك منافقاً؟! أخرجه الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٧ ص ٤٥٣.

وحينئذ يحقّ لابن تيميَّة أن ينفجر بركان حقده على هذا الحديث، فيرميه بأثقل القذائف، ويصعد في تحوير القول ويصوِّب.

(وأمّا الحديث الأوَّل).

فينتهي إسناده إلى ابن عبّاس. وسلمان، وأبي ذرّ، وحذيفة اليماني، وأبي ليلى الغفاري، أخرج عن هؤلاء جمعٌ كثيرٌ من الحفّاظ والأعلام منهم:

الحاكم	أبو نعيم	الطبراني	البيهقي	العدني	البزّار
العقيلي	المحاملي	الحاكمي	ابن عساكر	الكنجي	محبّ الدين
الحمّويي	القرشي	الأيجي	ابن أبي الحديد	الهيثمي	السيوطي
المتّقي الهندي	الصفوري				

(١) مناقب ابن المغازلي، شمس الأخبار ص ٣٧، الرياض ج ٢ ص ٢٠٢، كنز العمال ج ٦ ص ٤٠٢.
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٨.

ولفظ الحديث عندهم[١] :

ستكون بعدي فتنةٌ فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب فإنَّه أوَّل مَن يصافحني يوم القيامة، وهو الصِّديق الأكبر، وهو فاروق هذه الامَّـة يفرق بين الحقِّ والباطل؛ وهو يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين[٢] .

وبعد هذا كلّه تعرف قيمة ما يقوله أو يتقوّ له (ابن تيميَّة) من [أنَّ الحديثين لم يُرو واحدُ منهما في كتب العلم المعتمدة، ولا لواحد منهما إسنادٌ معروفٌ]. فإذا كان لا يرى الصِّحاح والمسانيد من كتب العلم المعتمدة، وما أسنده الحفّاظ والأئمَّة وصحَّحوه إسناداً معروفاً، فحسبه ذلك جهلاً شائناً، وعلى قومه عـاراً وشناراً، وليت شعري بأيِّ شيءٍ يعتمد هو وقومه في المذهب بعد هاتيك العقيدة السخيفة؟! يا قوم اتَّبعونِ أهدكم سبيل الرّشاد.

٢٢ ـ قال: عليٌّ رضي الله عنه لم يكن قتاله يوم الجمل وصفِّين بأمر من رسول الله ﷺ وإنَّما كان رأياً رآه ج ٢ ص ٢٣١ .

ج ـ إنِّي لا أعجب من جهل هذا الإنسان (الَّذي خُلق جهـولاً) بشؤون الإمامة وأنَّ حامل أعبائها كيف يجب أن يكون في ورده وصدره، فإنه في منتأى عن معنى الإمامة التي نرتئيها، ولا أعجب من جهله بموقف مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام وأنَّه كيف كان قيد الأمر ورهن الإشارة من مخلّفه النبيِّ الأعظم، فإنَّه لم تتح له الحيـطة بمكانتـه وفواضله ومجـاري علمه وعمله فـإنّ النُصب المُردي قد أعشى بصره، ورماه عن الحقِّ في مرمى سحيقٍ، وإنَّما كلُّ عجبي من جهله بما أخرجه الحفّاظ والأئمَّـة في ذلك، ولكنَّـه من قوم لهم أعين لا يُبصرون بها.

ونحن نعلم ما توسوس به صدره، غاية الرَّجل من هذا الحكم الباتّ تغرير الامَّة والتمويه على الحقيقة، وجعل تلك الحروب الدامية نتيجة رأي واجتهاد من الطرفين حتّى يسع له القول بـالتساوي بين أميـر المؤمنين ومقاتليـه في الرأي

---

(١) باختلاف يسير عند بعضهم لا يضر المغزى.

(٢) راجع ج ٢ ص ٣٦٣، ٣٦٤ من كتابنا.

والاجتهاد، وأنَّ كلًّا منهما مجتهدٌ وله رأيه مصيباً كان أو مخطئاً، غير أنَّ للمصيب أجرين وللمخطئ أجر واحد، ذاهلاً عن أنَّ المنقِّب لا يخفى عليه هذا التدجيل، ويد التحقيق توقظ نائمة الأثكل، وقلم الحقِّ لا يترك الامَّة سُدى، وينبئهم عن أنَّ اجتهاد القوم (إن صحَّت الأحلام) إجتهادٌ في مقابلة النصِّ النبويِّ الأغرِّ.

وليت شعري كيف يخفى الأمر على أيِّ أحد؟ أو كيف يسع أن يتجاهل أيُّ أحد؟ وبين يدي الملأ العلمي قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لزوجاته: أيّتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب - وهو كثير الشعر - تخرج فينبحها كلاب الحوأب، يُقتل حولها قتلى كثير، وتنجو بعدما كادت تُقتل[1]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: كيف بإحداكنَّ إذا نبح عليها كلاب الحوأب[2]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: أيَّتكنَّ التي تنبح عليها (تنبحها) كلاب الحوأب[3]؟.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لهنَّ: ليت شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب سائرةً إلى الشرق في كتيبة «معجم البلدان ج ٣ ص ٣٥٦».

---

(١) اخرجه البزار. أبو نعيم. ابن أبي شيبة. الماوردي في الأعلام ص ٨٢. الزمخشري في الفائق ج ١ ص ١٩٠. ابن الأثير في النهاية ج ٢ ص ١٠. الفيروز آبادي في القاموس ج ١ ص ٦٥. الكنجي في الكفاية ص ٧١. القسطلاني في المواهب اللدنية ج ٢ ص ١٩٥. شرح الزرقاني ج ٧ ص ٢١٦. الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٨٣. الحلبي في سيرته ج ٣ ص ٣١٣. زيني دحلان في سيرته ج ٣ ص ١٩٣ هامش الحلبية. الصبان في الإسعاف ص ٦٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٥٢، وابن أبي شيبة. نعيم بن حماد في الفتن. وعن الأخيرين السيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٨٤.

(٣) مسند أحمد ج ٦ ص ٩٧. تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٧٨. كفاية الكنجي ص ٧١. جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٨٣، ٨٤، وصححه مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد رجال الصحيح. تذكرة السبط ٣٩. السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣١٣. وفي هامشها سيرة زيني دحلان ج ٣ ص ١٩٣. إسعاف الراغبين ص ٦٧.

وفي لفظ الخفاجي في شرح الشفا ج ٣ ص ١٦٦ : ليت شعري أيّتكنَّ صاحبة الجمل الأزب[1] تنبحها كلاب الحوأب.

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم. لعائشة : كأنّي بإحداكنَّ قد نبحها كلاب الحوأب، وإيّاكِ أن تكوني أنت يا حميراء[2] ! .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لها: يا حميراء! كأنّي بكِ تنبحكِ كلاب الحوأب. تُقاتلين عليّاً وأنت له ظالمة[3].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لها: انظري يا حميراء أن لا تكون أنتِ[4].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: إن وليتَ من أمرها شيئاً. فارفق بها[5].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: سيكون بعدي قومٌ يُقاتلون عليّاً،على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيءٌ. أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٤، و«كنز العمال» ج ٦ ص ١٥٥، وفي ج ٧ ص ٣٠٥ نقلاً عن الطبراني وابن مردويه وأبي نعيم.

وقيل لحذيفة اليماني : حدِّثنا ما سمعت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. قال: لو فعلت لرجمتموني. قلنا: سبحان الله. قال لو حدَّثتكم أنَّ بعض

---

(١) الأزب: كثير شعر الوجه.

(٢) الإمامة والسياسة ج ١ ص ٥٦. تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٥٧. جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٨٤ وصححه.

(٣) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٣.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٩. والبيهقي عن ام سلمة. وراجع مناقب الخوارزمي ص ١٠٧. الإجابة للزركشي ص ١١. سيرة زيني دحلان ج ٣ ص ١٩٤. المواهب للقسطلاني ج ٢ ص ١٩٥. شرح المواهب للزرقاني ج ٧ ص ٢١٦ .

(٥) نفس المصادر السابقة في رقم ٤ .

أُمّهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدّقتموني. قالوا: سبحان الله، ومَن يُصدِّقك بهذا؟ قال: أتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها[١].

وأخرج الطبري وغيره[٢]: لَمّا سمعت عائشة رضي الله عنها نُباح الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟! فقالوا: الحوأب: فقالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، إنّي لهيه، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب؟ فأرادت الرجوع فأتاها عبدالله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إنّ هذا الحوأب. ولم يزل حتّى مضت.

وقال العرني صاحب جمل عائشة: لَمّا طرقنا ماء الحوأب فنبحتنا كلابها قالوا: أيَّ ماء هذا؟ قلت: ماء الحوأب. قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثمّ ضربت عضد بعيرها فأناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقاً ردوني. تقول ذلك ثلاثاً. فأناخت وأناخوا حولها وهم على ذلك وهي تأبى حتّى كانت الساعة التي أناخوا فيها من الغد قال: فجاءها ابن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله عليّ بن أبي طالب. قال: فارتحلوا وشتموني[٣].

وفي حديث قيس بن أبي حازم قال: لمّا بلغت عائشة رضي الله عنها بعض ديار بني عامر نبحت عليها الكلاب فقالت: أيّ ماء هذا؟! قالوا: الحوأب قالت: ما أظنّني إلاّ راجعة. فقال الزبير: لا بعد تقدُّمي ويراكِ الناس ويصلح الله ذات بينهم. قالت: ما أظنّني إلاّ راجعة سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: كيف باحداكنّ إذا نبحتها كلاب الحوأب[٤]؟!.

وفي معجم البلدان ج ٣: ٣٥٦: في الحديث: انّ عائشة لمّا أرادت المضيّ إلى البصرة في وقعة الجمل مرّت بهذا الموضع يعني الحوأب فسمعت

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧١. الخصائص ج ٢ ص ١٣٧.
(٢) تاريخ الطبري ج ٥: ١٧٨، تاريخ أبي الفدا ج ١: ص ١٧٣.
(٣) تاريخ الطبري ج ٥: ص ١٧١.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٣: ص ١٢٠.

نباح الكلاب فقالت: ما هذا الموضع؟! فقيل لها: هذا موضعٌ يقال له: الحوأب، فقالت: إنّا لله، ما أراني إلاّ صاحبة القصّة. فقيل لها: وأيّ قصّة؟! قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه: ليت شعري أيّتكنّ تنبحها كلاب الحوأب سائرةً إلى الشرق في كتيبة. وهمّت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنّه ليس بالحوأب.

قال الأميني: ما كان الله ليضلَّ قوماً بعد إذ هداهم حتّى يُبيِّن لهم ما يتّقون، ليهلك مَن هلك عن بيِّنة، ويحيى من حيَّ عن بيِّنة، وإنَّ الله لسميعٌ عليم، وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره.

وقد صحَّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قوله للزبير: إنَّك تُقاتل عليّاً وأنت ظالمٌ له. وبهذا الحديث احتجَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام على الزبير يوم الجمل وقال: أتذكر لما قال لك رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّك تُقاتلني وأنت ظالمٌ لي؟! فقال: اللهمَّ نعم. الحديث.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج٣: ٣٦٦ وصحَّحه هو والذهبي. والبيهقي في الدلائل. وأبو يعلى. وأبو نعيم. والطبري في تاريخه ج٥: ٢٠٠، ٢٠٤. وأبو الفرج في الأغاني ج ١٦: ١٣١، ١٣٢. وابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢: ٢٧٩. والمسعودي في مروج الذهب ج٢: ١٠ والقاضي في الشفا. وذكره ابن الأثير في الكامل ج٣: ١٠٢. ابن طلحة في المطالب ص ٤١. محبّ الدين في الرِّياض ج٢: ٢٧٣. الهيثمي في المجمع ج٧: ٢٣٥. ابن حجر في فتح الباري ج١٣: ٤٦. القسطلاني في المواهب ج٢: ١٩٥. الزرقاني في شرح المواهب ج ٣: ٣١٨، ج ٧: ٢١٧. السيوطي في الخصائص ج٢: ١٣٧ نقلاً عن جمعٍ من الحفّاظ بطرقهم عن أبي الأسود، وأبي جروة، وقيس، وعبد السَّلام. الحلبي في سيرته ج٣: ٣١٥. الخفاجي في شرح الشفا ج٣: ١٦٥، والشيخ علي القاري في شرحه هامش شرح الخفاجي ج ٣: ١٦٥.

وهذه كلمات الصحابة مبثوثةٌ في طيّات الكتب والمعاجم، وهي تُعرب عن أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يحثُّ أصحابه إلى نصرة أمير المؤمنين في تلك الحروب، ويدعوهم إلى القتال معه، ويأمر عيون أصحابه بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. منهم:

١ ـ أبو أيّوب الأنصاري ذلك الصحابيُّ العظيم، قال أبو صادق: قدم أبو أيّوب العراق فأهدت له الأزد جزراً فبعثوا بها معي فدخلت فسلّمت إليه وقلت له: قد أكرمك الله بصحبة نبيِّه ونزوله عليك فما لي أراك تستقبل الناس تقاتلهم؟! تستقبل هؤلاء مرّة وهؤلاء مرَّة فقال: إنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ الناكثين فقد قاتلناهم، وعهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين فهذا وجهنا إليهم يعني معاوية وأصحابه، وعهد إلينا أن نقاتل مع عليٍّ المارقين فلم أرهم بعدُ[1].

وروى علقمة والأسود عن أبي أيّوب أنه قال: إنَّ الرائد لا يكذب أهله، وإنّ رسول الله ﷺ أمرنا بقتال ثلاثة مع عليٍّ، بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين. الحديث[2].

وقال عتاب بن ثعلبة: قال أبو أيّوب الأنصاري في خلافة عمر بن الخطّاب: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع عليٍّ. ورواه عنه أصبغ بن نباتة غير أنَّ فيه: أمرنا[3].

٢ ـ أبو سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٤١. أربعين الحاكم ولفظه يقرب من هذا. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٦. كنز العمال ج ٦ ص ٨٨.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٧، كفاية الكنجي، ص ٧٠، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٦.

(٣) أخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره السيوطي، ورواه الحاكم في أربعينه، وابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٣.

والمارقين قلنا: يا رسول الله! أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَن؟ قال: مع عليٍّ بن أبي طالب[١].

٣ - أبو اليقظان عمّار بن ياسر قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. أخرجه الطبراني وفي لفظه الآخر من طريق آخر: أمرنا.

أخرجه الطبراني وأبو يعلى وعنهما الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج ٧ ص ٢٣٨.

وأمّا كون قتال أمير المؤمنين نفسه بأمر من رسول الله وأنّه لم يكن رأياً يخصُّ به فتوقفك على حقِّ القول فيه عدّة أحاديث:

١ - خليد العصري قال: سمعت أمير المؤمنين عليّاً يقول يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٢].

٢ - أبو اليقظان عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليُّ! ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحقِّ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس منّي[٣].

٣ - ومن كلام لعمّار بن ياسر خاطب به أبا موسى: أما إنّي أشهد أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أمر عليّاً بقتال الناكثين، وسمّى لي فيهم مَن سمّى، وأمره بقتال القاسطين وإن شئت لأُقيمنَّ لك شهوداً يشهدون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنّما نهاكَ وحدك وحذَّرك من الدخول في الفتنة. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٩٣.

٤ - أبو أيّوب الأنصاري قال في خلافة عمر بن الخطّاب: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليّاً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٤].

---

(١) أخرجه الحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٢، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٠٥.

(٢) الخطيب في تاريخه ج ٨ ص ٣٤٠، وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٠٥.

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخه، والسيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٥، وحكاه الزرقاني عن ابن عساكر في شرح المواهب ج ٣: ٣١٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٩، وذكره السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ١٣٨.

٥ ـ عبدالله بن مسعود قال: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليّاً. الحديث [١].

٦ ـ علي بن ربيعة الوالبي قال: سمعت عليّاً يقول: عهد إليَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أن أُقاتل بعده القاسطين والناكثين والمارقين [٢].

٧ ـ أبو سعيد مولى رباب قال: سمعت عليّاً يقول: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين [٣].

٨ ـ سعد بن عبادة قال: قال عليٌّ عليه السَّلام: أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين [٤].

٩ ـ أخرج ابن عساكر من طريق زيد الشهيد عن عليّ أنَّه قال: أمرني رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٢.

١٠ ـ أنس بن عمرو عن أبيه عن عليّ قال: أُمرت بقتال ثلاثة: المارقين والقاسطين والناكثين. أخرجه ابن عساكر كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥.

١١ ـ عبدالله بن مسعود قال: خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، فأتى منزل امّ سلمة فجاء عليٌّ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا امّ

---

(١) أخرجه الطبراني والحاكم في أربعينه من طريقين، وأبو عمرو في الاستيعاب ج ٣ ص ٥٣، هامش الإصابة، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٨.

(٢) أخرجه البزار والطبراني في الأوسط، والحافظ الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٢٣٨ وقال: أحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان.
وأخرجه أبو يعلى كما في تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٤، وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢١٧ وقال: سند جيد.

(٣) إيضاح الاشكال للحافظ عبد الغني بن سعيد، المناقب للخوارزمي ١٠٦ من طريق الحافظ ابن مردويه.

(٤) أخرجه جمع من الحفاظ من غير طريق راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، وكنز العمال ج ٦ ص ٧٢.

سلمة؟ هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين من بعدي[١].

١٢ ـ ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لأُمّ سلمة في حديث مرّ ج ١ ص٣٩٢ وج ٣ ص ١٠٩ يصف عليّاً بأنّه: يقتل القاسطين والناكثين والمارقين.

١٣ ـ أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ! أنت فارس العرب وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت أخي وليّ كل مؤمن ومؤمنة. شمس الأخبار ٣٨.

١٤ ـ أبو أيّوب الأنصاري قال سمعت النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم يقول لعليٍّ بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين. مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠.

١٥ ـ قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ٢٤٥: قد ثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم أنَّه قال لعلّيٍ عليه السَّلام: تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين.

١٦ ـ وبهذا الحديث احتجَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام يوم الشورى وقال: أُنشدكم الله هل فيكم أحدٌ يُقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين على لسان النبيِّ، غيري؟ قالوا: اللهمَّ لا.

١٧ ـ أبو رافع قال: إنَّ رسول الله ﷺ قال لعليّ: سيكون بينك وبين عائشة أمرٌ: قال: أنا يا رسول الله؟! قال: نعم. قال: أنا؟! قال: نعم. قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟! قال: لا. ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها.

أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٤ وقال: رواه أحمد والبزّار والطبراني ورجاله ثقات. ويوجد في كنز العمال ج ٦ ص ٣٧، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٧.

---

(١) أربعين الحاكم، الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٤٠، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٠٥، مطالب السئول ٢٤ نقلاً عن مصابيح البغوي، فرائد السمطين الباب الـ ٢٧، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩١.

١٨ ـ أخرج أبو نعيم عن الحارث قال: كنت مع عليٍّ بصفِّين فرأيت بعيراً من إبل الشّام جاء وعليه راكبه وثقله فألقى ما عليه وجعل يتخلّل الصفوف إلى عليٍّ فجعل مشفره فيما بين رأس عليٍّ ومنكبه وجعل يحرِّكها بجرانه فقال عليٌّ: والله إنَّها للعلامة التي بيني وبين رسول الله ﷺ (الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٨).

٢٣ - قال: قال الرافضيُّ (يعني العلاّمة الحلّي): وعن عمرو بن ميمون قال: لعليٍّ بن أبي طالب عشر فضائل ليست لغيره قال النبيُّ ﷺ: لأبعثن رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يُحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فاستشرف إليها مَن استشرف فقال: أين عليُّ بن أبي طالب؟ قالوا: هو أرمد في الرحا يطحن، وما كان أحدهم يطحن قال: فجاء وهو أرمد لا يكاد أن يبصر، قال: فنفث في عينيه ثمَّ هزَّ الراية ثلاثاً وأعطاها إيّاه فجاء بصفيّة بنت حيّ. قال: ثمَّ بعث أبا بكر بسورة براءة فبعث عليّاً خلفه فأخذها منه، وقال: لا يذهب بها إلاّ رجلٌ هو منّي وأنا منه. وقال لبني عمِّه: أيّكم يُواليني في الدُّنيا والآخرة. قال: وعليٌّ جالسٌ معهم فأبوا فقال عليٌّ: أنا أُواليك في الدنياوالآخرة. قال: فتركه ثمَّ أقبل على رجل رجل منهم فقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا فقال علي: أنا أُواليك في الدنيا والآخرة. فقال: أنت وليي في الدنيا والآخرة. قال: وكان عليٌّ أوَّل من أسلم من الناس بعد خديجة. قال: وأخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه على عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين فقال: إنَّما يُريد الله ليُذهبَ عَنكم الرِّجس أهل البيت ويطهِّركم تطهيراً. قال: وشرى عليّ نفسه ولبس ثوب رسول الله ﷺ ثمَّ نام مكانه وكان المشركون يرمونه بالحجارة. وخرج رسول الله ﷺ بالنّاس في غزوة تبوك فقال له عليٌّ: أخرج معك؟ فقال: لا فبكى عليٌّ. فقال له: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟! إلاّ أنَّك لستَ بنبيّ، لا ينبغي أن أذهب إلاّ وأنت خليفتي. وقال له رسول الله ﷺ: أنت وليّي في[1] كلِّ مؤمن بعدي. قال: وسدَّ أبواب المسجد إلاّ باب عليٍّ. قال: وكان يدخل المسجد

(١) كذا. والصحيح المحفوظ في اصول الحديث: أنت ولي كل مؤمن بعدي.

جنباً وهو طريقه ليس له طريق غيره. وقال له: مَن كنت مولاه فعليّ مولاه ج ٣ ص ٨ ثمَّ قال ما ملخّصه:

الجواب: إنَّ هذا ليس مسنداً بل هو مرسلٌ لو ثبت عن عمرو بن ميمون. وفيه ألفاظ هي كذبٌ على رسول الله ﷺ كقوله: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي فإنَّ النبيَّ ﷺ ذهب غير مرَّة وخليفته على المدينة غير عليٍّ (ثم ذكر عدَّةً من ولاته على المدينة) فقال: وعام تبوك ما كان الاستخلاف إلّا على النساء والصبيان، ومن عذر الله وعلى الثلاثة الذين خلّفوا أومتَّهم بالنفاق وكانت المدينة آمنةً لا يخاف على أهلها ولا يحتاج المستخلف إلى جهاد.

وكذلك قوله: وسدَّ الأبواب كلّها إلّا باب عليّ. فإنَّ هذا ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة فإنَّ الذي في الصحيح عن أبي سعيد عن النبيِّ ﷺ أنّه قال في مرضه الذي مات فيه: إنَّ أمنَّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر، ولو كنت متَّخذاً خليلاً غير ربِّي لاتَّخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكن اخوَّة الإسلام ومودَّته، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدَّت إلّا خوخة أبي بكر، ورواه ابن عبّاس أيضاً في الصحيحين.

ومثل قوله: أنت وليّي في كلِّ مؤمن بعدي. فإن هذا موضوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث. (ثمَّ أردفه بخرافات وتافهات في بيان عدم اختصاص عليٍّ بهذه المناقب).

كان الأحرى بالرَّجل أن يُحرِّج على العلماء النظر في كتابه فيختصّ خطابه بالرعرة الدهماء ممَّن لا يعقل أيّ طرفيه أطول، لأنَّ نظر العلماء فيه يكشف عن سوءته، ويوضح للملأ إعوازه في العلم، وانحيازه عن الصِّدق والأمانة، ويظهر تدجيله وتزويره وتمويهه على الحقائق، ومن المحتمل جِداً أنَّه قد غالي في عظمة نفسه يوم خوطب بشيخ الإسلام، فحسب أنَّ الامَّة تأخذ ما يقوله كأصول مسلّمة لا تُناقشه فيه الحساب، وإذ أخفق ظنّه وأكدى أمله، فهلمَّ معي نمعن النظرة في هملجته حول هذا الحديث وماله فيه من جلبةٍ وسخبٍ.

.فأوّل ما يتقوّل فيه: أنّه مرسلٌ وليس بمسند.

فكأنَّ عينيه في غشاوة عن مراجعة المسند لإمام مذهبه أحمد بن حنبل فإنّه أخرجه في ج ١ ص ٣٣١ عن يحيى بن حمّاد عن أبي عوانة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس[1].

ورجال هذا السند رجال الصحيح غير أبي بلج وهو ثقةٌ عند الحفّاظ كما مرَّ فـي ترجمته ج ١ ص ١٠٠

وأخرجه بسند صحيح رجاله كلّهم ثقات: الحافظ النسائي في الخصائص ٧، والحاكم فـي المستدرك ج ٣ ص ١٣٢ وصحّحه هو والذهبي، والطبراني كما في المجمع للحافظ الهيثمي وصحّحه، وأبو يعلى كما في البداية والنهاية، وابن عساكر في الأربعين الطوال، وذكره ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وجمعٌ آخرون أسلفناهم في الجزء الأوّل ص ٧٦.

فما عذر الرَّجل في نسبة الإرسال إلى مثل هذا الحديث؟! وإنكار سنده المتّصل الصحيح الثابت؟! أهكذا يُفعل بودائع النبوّة؟! أهكذا تلعب يد الأمانة بالسنّة والعلم والدين؟!.

والأعجب: أنّه عطف بعد ذلك على فقـرات من الحديث وهـو يُحاول تفنيدها ويحسبها من الأكاذيب منها قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي. فآرتآه كذباً مستدلّاً بأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم ذهب غير مرّة وخليفته على المدينة غير عليٍّ.

ومن استشفَّ الحقيقة من هذا الموقف علم أنّها قضيَّةٌ شخصيَّةٌ لا تعدو قصَّة تبوك لما كان صلّى الله عليه وآله وسلم يعلمه من عدم وقوع الحرب فيها، وكانت حاجة المدينة إلى خلافة مثل أمير المؤمنين عليها مسيسة لِما تداخل القوم من عـظمة ملك الـروم (هرقـل) وتقدُّم جحفله الجـرّار، وكانـوا يحسبون أنَّ

---

(١) مر بلفظه ج ١ ص ٧٥.

رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وحشده الملتفّ به لا قِبل لهم به، ومن هنا تخلّف المتخلّفون من المنافقين، فكان أقرب الحالات في المدينة بعد غيبة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم أن يرجف بها المنافقون للفتِّ في عضد صاحب الرِّسالة، والتزلّف إلى عامل بلاد الروم الزّاحف، فكان من واجب الحالة عندئذٍ أن يخلف عليها أمير المؤمنين عليه السَّلام المهيب في أعين القوم، والعظيم في النفوس الجامحة، وقد عرفوه بالبأس الشديد، والبطش الصارم، اتّقاء بادرة ذلك الشرِّ المترقَّب. وإلاّ فأمير المؤمنين عليه السَّلام لم يتخلّف عن مشهد حضره رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إلّا تبوك[1] وعلى هذا اتَّفق علماء السير كما قال سبط. ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١٢.

وفي وسع الباحث أن يستنتج ما بيّناه من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي. فيما أخرجه ابن اسحق بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: لَمّا نزل رسول الله الجرف طعن رجال من المنافقين في إمرة عليٍّ وقالوا: إنّما خلّفه استثقالاً فخرج عليٌّ فحمل سلاحه حتّى أتى النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم بالجرف فقال: يا رسول الله! ما تخلّفت عنك في غزوةٍ قطُّ قبل هذه، قد زعم المنافقون أنك خلّفتني استثقالاً. فقال: كذبوا ولكن خلّفتك لما ورائي. الحديث[2] وممّا صحَّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم حين أراد أن يغزو أنَّه قال: ولا بدَّ من أن أُقيم أو تُقيم. فخلفه[3].

إذا عرفت ذلك كلّه فلا يذهب عليك أنَّ قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا ينبغي أن أذهب إلّا وأنت خليفتي ،ليس له مغزى إلّا خصوص هذه الواقعة، وليس في لفظه عموم يستوعب كل ما غاب صلّى الله عليه وآله وسلم عن

---

(١) الاستيعاب ج ٣ ص ٣٤ هامش الإصابة، شرح التقريب ج ١ ص ٨٥، الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٣، الصواعق ص ٧٢، الإصابة ج ٢ ص ٥٠٧، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨، الإسعاف ص ١٤٩.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٦٢، الامتاع للمقريزي ص ٤٤٩، عيون الأثر ج ٢ ص ٢١٧، السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٤٨، شرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٦٩، سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٣٣٨.

(٣) أخرجه الطبراني بطريق صحيح كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١.

المدينة، فمن الباطل نقض الرجل باستخلاف غيره على المدينة في غير هذه الواقعة، حيث لم تكن فيه ما أوعزنا إليه من الإرجاف، وكانت حاجة الحرب أمسّ إلى وجود أمير المؤمنين عليه السَّلام حيث لم يكن غيره كمثله يكسر صولة الأبطال، ويغير في وجوه الكتائب. فكان صلّى الله عليه وآله وسلم في أخذ أمير المؤمنين معه إلى الحروب واستخلافه في مغيَّبه يتبع أقوى المصلحتين.

ثمَّ: إنَّ الرّجل حاول تصغيراً لصورة هذه الخلافة فقال: وعام تبوك ما كان الاستخلاف. إلخ. غير أنَّ نظّارة التنقيب لا تزال مكبّرة لها من شتّى النَّواحي:

الأُولــى:

قوله: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟!. وهو يُعطي إثبات كلٍّ ما للنبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم من رُتبةٍ وعمـلٍ ومقامٍ ونهضـةٍ وحُكمٍ وإمارةٍ وسيادةٍ لأمير المؤمنين عدا ما أخرجه الاستثناء من النبوَّة كما كان هارون من موسى كذلك، فهو خلافةٌ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم وإنزالٌ لعليٍّ عليه السَّلام منزلة نفسه لا محض استعمال كما يظنَّه الظانّـون، فقد استعمـل صلّى الله عليه وآله وسلم قبل هذه على البلاد اناساً، وعلى المدينة آخرين وأمَّر على السرايا رجالاً لم يقل في أحد منهم ما قاله في هذاالموقـف، فهي منقبةٌ تخصّ أمير المؤمنين فحسب.

الثانية:

قوله صلّى الله عليه وآله وسلم فيما مرَّ عن سعد بن أبي وقّاص: كذبوا ولكن خلّفتـك لِمـا ورائي. لَمّـا طعن رجـالٌ من المنـافقين في إمـرة عليٍّ عليه السَّلام ولا يوعز صلّى الله عليه وآله وسلم به إلاّ إلى ما أشرنا إليه من خشية الإرجاف بالمدينة عند مغيّبه، وإنَّ إبقاءه كان لإبقاء بيضة الدين عن أن تنتهك، وحذار أن يتَّسع خرقها بهملجة المنافقين، لولا هناك من يطأ فورتهم بأخمص بأسه وحجاه، فكان قد خلّفه لمهمَّةٍ لا ينوء بها غيره.

الثالثة:

قوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ عليه السَّلام في حـديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم قالا: قال حين أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يغزو: انَّه لا بدَّ من أن أُقيم أو تقيم فخلّفه. الحديث:[١] وهو يـدلّ على أنَّ بقاء أميـر المؤمنين عليه السَّلام على حدٍّ بقاء رسول الله صلّى الله عليه وآلـه وسلم في كلاءَة بيضة الدين، وإدحاض معرَّة المفسدين، فهو أمرٌ واحدٌ يُقام بكلٍّ منهما على حدٍّ سواء، وناهيك به من منزلةٍ ومقام.

الرابعة:

ما صحَّ عن سعد بن أبي وقّاص من قوله: والله لَئِنْ يكون لي واحدة من خلال ثلاث أحبُّ إليَّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس ، لئن يكون قال لي ما قال له حين ردَّه من تبوك: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هـٰرون من مـوسى؟ إلاّ أنَّه لا نبيَّ بعـدي ، أحبّ إليَّ من أن يكون لي مـا طلعت عليه الشمس. الحديث[٢].

وقال المسعودي في المروج ج ٢ ص ٦١ بعد ذكر الحديث. ووجدت في وجه آخر من الروايات وذلك في كتاب عليٍّ بن محمَّد بن سليمان النوفلي في الاخبار عن ابن عائشة وغيرِه أنَّ سعداً لمّا قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: أُقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، ما كنتَ عندي قطُّ ألام منك الآن فهلاّ نصرته؟ ولِمَ قعدتَ عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيِّ ﷺ مثل الّذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليٍّ ما عشت. فقال سعد: والله إنّي لأحقُّ بموضعك منك. فقال معاوية: يأبى عليك بنو عذرة. وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة. الكلام.

وصحَّ عند الحفّاظ الإثبات أنَّ معاوية أمر سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ

---

(١) أخرجه الطبراني بإسنادين أحدهما رجاله رجال الصحيح إلا ميمون البصري وهو ثقة وثقه ابن حبان كما في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١، راجع ما مر في الجزء الأول ص ١٠٠

(٢) خصائص النسائي ص ٣٢، مروج الذهب ج ٢ ص ٦١.

أبا تراب؟! قال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالها رسول الله ﷺ فلن أسبَّه، لئن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ وخلّفه في تبوك فقال له عليٌّ: يا رسول الله! تخلّفني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله ﷺ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي. الحديث[1]

وورد في حديث أنَّ سعداً دخل على معاوية فقال له: ما لك لم تقاتل معنا؟! فقال: إنّي مرَّت بي ريحٌ مظلمةٌ فقلت: أخ أخ. فأنخت راحلتي حتّى انجلت عنّي ثمَّ عرفت الطريق فسرت. فقال معاوية: ليس في كتاب الله أخ أخ ولكن قال الله تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتّى تفيء إلى أمر الله﴾**. فوالله ما كنت مع الباغية على العادلة ولا مع العادلة على الباغية. فقال سعد: ما كنت لأقاتل رجلاً قال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لا نبيَّ بعدي. فقال معاوية: مَن سمع هذا معك؟! فقال: فلان وفلان وامّ سلمة. فقال معاوية: أما إنّي لو سمعته منه ﷺ لما قاتلت عليّاً. تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٧٧.

فإنَّ هذا الذي كان يستعظمه سعدٌ في عداد حديث الراية والتزويج بالصدّيقة الطاهرة بوحي من الله العزيز اللذين هما من أربى الفضائل، ويراه معاوية لو كان سمعه فيه لما قاتل عليّاً، ولكان يخدم عليّاً ما عاش، لا بدَّ وأن يكون على حدٍّ ما وصفناه حتّى يتسنّى لسعد تفضيله على ما طلعت عليه الشمس أو حمر النعم، ولمعاوية إيجاب الخدمة له، دون الاستخلاف على العائلة لينهض بشئون حياتها كما هو شأن الخدم، أو يُنصب عيناً على المنافقين

---

(١) جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٠٨ وصححه وأقرّه الذهبي وأخرجه باللفظ المذكور مسلم في صحيحه، ونقله عند الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٨، والبدخشاني في نزل الأبرار ص ١٥ عن مسلم والترمذي، وذكره بهذا اللفظ ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩، عن الترمذي، وميرزا مخدوم الجرجاني في الفصل الثاني من «نواقض الروافض» نقلاً عن مسلم والترمذي.

فحسب، ليتجسّس أخبارهم كما هو وظيفة الطبقة الواطئة من مستخدم الحكومات.

الخامسة:

قول سعيد بن المسيِّب بعد ما سمع الحديث عن إبراهيم أو عامر ابني سعد بن أبي وقّاص: فلم أرض فأحببت أن أُشافه بذلك سعداً فأتيته فقلت: ما حديثٌ حدَّثني به ابنك عامر؟ فأدخل أصبعيه في أُذنيه وقال: سمعت من رسول الله وإلّا فاستكّتا[1] فماذا كان سعيد يستعظمه من الحديث حتّى طفق يستحفي خبره من نفس سعد بعد ما سمعه من ابنه؟! فأكّد له سعد ذلك التأكيد، غير أنَّه فهم من مؤدّاه ما ذكرناه من العظمة.

السّادسة:

قول الإمام أبي البسطام شعبة بن الحجّاج في الحديث: كان هارون أفضل امَّة موسى عليه‌السلام فوجب أن يكون عليٌّ عليه‌السلام أفضل من كلّ امَّة محمّد ﷺ صيانةً لهذا النص الصحيح الصريح كما قال موسى لأخيه هارون: اخلفني في قومي وأصلح[2].

السّابعة:

قال الطيبي: منّي خبر المبتدأ ومن اتِّصاليَّةٌ ومتعلق الخبر خاصٌّ والباء زائدةٌ كما في قوله تعالى: ﴿**فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به**﴾. أي فإن آمنوا إيماناً مثل إيمانكم، يعني أنت متَّصلٌ ونازلٌ منّي بمنزلة هارون من موسى، وفيه تشبيهٌ ووجه الشبه مبهمٌ بقوله: إلّا أنَّه لا نبيَّ بعدي. فعرف أنَّ الاتِّصال المذكور بينهما ليس من جهة النبوّة بل من جهة ما دونها وهي الخلافة[3].

وممّا كذَّبه الرَّجل من الحديث قول: وسدّ الأبواب إلّا باب عليٍّ وقال: فإنَّ هذا ممّا وضعته الشيعة على طريق المقابلة. إلخ.

---

(١) أخرجه النسائي في الخصائص بعدة طرق ص ١٥.

(٢) أخرجه الحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٥٠.

(٣) شرح المواهب للعلامة الزرقاني ج ٣ ص ٧٠.

ج ـ لا لنسبه وضع هذا الحديث إلى الشيعة دافعاً إلّا القحّة والصلف، ودفع الحقائق الثابتة بالجلبة والسخب، فإنَّ نصب عيني الرَّجل كتب الأئمَّة من قومه وفيها مسند إمام مذهبه أحمد، قد أخرجوه فيها بأسانيد جمَّة صحاح وحسان عن جمع من الصحابة تربو عدَّتهم على عدد ما يحصل به التواتر عندهم منهم:

١ ـ زيد بن أرقم قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبوابٌ شارعة في المسجد قال: فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلا باب علي. قال: فتكلّم في ذلك الناس قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمّا بعد: فإنّي أمرت بسدّ هذه الأبواب غير باب عليّ. فقال فيه قائلكم، وإنّي ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكنّي أُمرت بشيء فاتبعته.

سند الحديث في مسند الإمام أحمد ج ٤ ص ٣٦٩: حدثنا محمّد بن جعفر حدثنا عوف عن ميمون أبي عبد الله عن زيد بن أرقم. رجاله رجال الصحيح غير أبي عبدالله ميمون وهو ثقةٌ، فالحديث بنصِّ الحفّاظ صحيحٌ رجاله ثقات.

وأخرجه النسائي في السنن الكبرى والخصائص ١٣ عن الحافظ محمّد ابن بشّار بندار الذي انعقد الإجماع على الاحتجاج به «قاله الذهبي» بالإسناد المذكور. والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٥ وصحَّحه. والضياء المقدسي في المختارة ممّا ليس في الصحيحين والكلاباذي في معاني الأخبار كما في القول المسدَّد ١٧. وسعيد بن منصور في سننه. ومحبّ الدين الطبري في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢. والخطيب البغدادي من طريق الحافظ محمَّد بن بشار. والكنجي في الكفاية ٨٨. وسبط ابن الجوزي في التذكرة ٢٤. وابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٤٥١. وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢. وابن حجر في القول المسدَّد ص ١٧ وقال: أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق النسائي وأعلّه بميمون وأخطأ في ذلك خطأً ظاهراً، وميمون وثّقه غير واحد وتكلّم بعضهم في حفظه، وقد صحَّح له الترمذي حديثاً غير هذا. ورواه في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. والسيوطي في جمع الجوامع

كما في الكنز ج ٦ ص ١٥٢ ، ١٥٧ والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤ . والعيني في عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢ . والبدخشي في نزل الأبرار وقال: أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والضياء بإسناد رجاله ثقات .

٢ ـ عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال. لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حمر النعم: زوَّجه رسول الله ﷺ ابنته فولدت له. وسدّ الأبواب إلّا بابه في المسجد. وأعطاه الراية يوم خيبر.

سند الحديث في مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦ :

حدثنا وكيع عن هشام بن سعد عن عمر بن اسيد عن ابن عمر قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠ رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح .

وأخرجه ابن أبي شيبة. وأبو نعيم. ومحبّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢ . وشيخ الإسلام الحمّويي في الفرائد في الباب الـ ٢١ . وابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ ، والصواعق ٧٦ ، وصحَّحه في القول المسدَّد ٢٠ وقال: حديث ابن عمر أعلّه ابن الجوزي بهشام بن سعد وهو من رجال مسلم صدوقٌ تكلّموا في حفظه ، وحديثه يقوى بالشواهد ، ورواه النسائي بسند صحيح . والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٣٩١ . والبدخشي في نزل الأبرار ص ٣٥ وقال. إسنادٌ جيِّدٌ.

٣ ـ عبدالله بن عمر بن الخطّاب قال له العلاء بن عرار: أخبرني عن عليٍّ وعثمان قال: أمّا عليٌّ فلا تسأل عنه أحداً وانظر إلى منزله من رسول الله ﷺ فإنّه سدَّ أبو ابنا في المسجد وأقرّ بابه .

أخرجه الحافظ النسائي من طريق أبي إسحاق السبيعي ، قال ابن حجر في القول المسدَّد ص ١٨ ، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢ : سندٌ صحيحٌ ورجاله رجال الصحيح إلّا العلاء وهو ثقةٌ وثَّقه يحيى بن معين وغيره .

وأخرجه الكلاباذي في معاني الأخبار كما في القول المسدد ١٨. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. والسيوطي في اللآلي ج ١ ص ١٨١ عن ابن حجر مع تصحيحه وكلامه المذكور، والبدخشي في نزل الأبرار ٣٥ وصحّحه مثل ما مرَّ عن ابن حجر.

٤ ـ البراء بن عازب رواه بلفظ زيد بن أرقم المذكور قال أحمد: رواه أبو الأشهب (جعفر بن حيّان البصري) عن عوف عن ميمون أبي عبدالله عن البراء. راجع تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٤٢، والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

٥ ـ عمر بن الخطّاب قال أبو هريرة: قال عمر: لقد أُعطي عليٌّ بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي خصلة منها أحبّ إليَّ من أن أُعطى حمر النعم. قيل: وما هنَّ يا أمير المؤمنين؟ قال: تزوّجه فاطمه بنت رسول الله. وسكناه المسجد مع رسول الله، يحلُّ له ما يحلُّ له. والراية يوم خيبر.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٢٥ وصحّحه. وأبو يعلى في الكبير. وابن السّمان في الموافقة. والجزري في أسنى المطالب ١٢ من طريق الحاكم وذكر تصحيحه له. ومحبُّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ١٩٢. والخوارزمي في المناقب ص ٢٦١. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٠. والسيوطي في تاريخ الخلفاء ١١٦، والخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٣. وابن حجر في الصواعق ص ٧٦.

٦ ـ عبد الله بن عبّاس قال: إنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم أمر بسدِّ الأبواب فسدَّت إلا باب عليٍّ. وفي لفظ له: أمر رسول الله ﷺ بأبواب المسجد فسدَّت إلّا باب عليٍّ.

أخرجه الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٤ عن محمّد بن حميد وإبراهيم ابن المختار كلاهما عن شعبة عن أبي بلج يحيى بن سليم عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس. والإسناد صحيحٌ، رجاله كلّهم ثقات.

وأخرجه النسائي في الخصائص ١٣. أبو نعيم في الحلية ج ٤ ص ١٥٣

بطريقين. محبُّ الدين في الرياض ج ٢ ص ١٩٢. الكنجي في الكفاية ٨٧ وقال: حديثٌ حسنٌ عال. سبط ابن الجوزي في تذكرته ٢٥. ابن حجر في القول المسدَّد ١٧. وفي فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٣. البدخشي في نزل الأبرار ٣٥ وقال: أخرجه أحمد والنسائي بإسناد رجاله ثقات.

٧ - عبدالله بن عبّاس قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ أبواب المسجد غير باب عليٍّ، فكان يدخل المسجد وهو جنبٌ ليس له طريقٌ غيره.

أخرجه النسائي في الخصائص ص ١٤ قال: أخبرنا محمّد بن المثنّى قال: حدّثنا يحيى بن معاذ قال: حدَّثنا أبو وضاح[1] قال: أخبرنا يحيى حدَّثنا عمرو بن ميمون قال: قال ابن عبّاس: أمر رسول الله ﷺ. إلخ. والإسناد صحيحٌ، رجاله كلّهم ثقات.

ورواه ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ وقال: رجاله ثقات. والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ عن أحمد والنسائي ووثّق رجاله. ويوجد في نزل الأبرار ٣٥.

وفي لفظ لابن عبّاس: قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم سدّوا أبواب المسجد كلّها إلّا باب عليٍّ. أخرجه الكلاباذي في معاني الأخبار. وأبو نعيم وغيرهما.

٨ - عبدالله بن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ: انَّ موسى سأل ربَّه أن يطهر مسجده لهارون وذريّته وإنّي سألت الله أن يطهِّر لك ولذريّتك من بعدك، ثمَّ أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك فاسترجع وقال: سمعاً وطاعةً. فسدَّ بابه. ثمَّ إلى عمر كذلك، ثمَّ صعد المنبر فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولا فتحت باب عليٍّ ولكن الله سدَّ أبوابكم وفتح باب عليٍّ. أخرجه النسائي كما ذكره السيوطي.

---

(١) كذا في النسخة والصحيح: أبو عوانة وضاح، وثقه أحمد وأبو حاتم. راجع ج ١ ص ٧٨.

٩ ـ عبدالله بن عبّاس قال: لمّا أخرج أهل المسجد وترك عليّاً قال الناس في ذلك فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي ولا أنا تركته ولكن الله أخرجكم وتركه، إنّما أنا عبدٌ مأمورٌ، ما أُمرت به فعلتُ، إن أتّبع إلّا ما يوحى إليَّ..

أخرجه الطبراني. والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١١٥. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

١٠ ـ أبو سعيد الخدري سعد بن مالك قال عبدالله بن الرقيم الكناني: خرجنا إلى المدينة زمن الجمل فلقينا سعد بن مالك بها فقال: أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ.

أخرجه الإمام أحمد عن حجّاج عن فطر عن عبدالله بن الرقيم. قال الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١١٤: إسنادُ أحمد حسنٌ. ورواه أبو يعلى والبزّار والطبراني في الأوسط وزاد: قالوا: يا رسول الله! سددت أبوابنا كلّها إلّا باب عليّ. قال: ما أنا سددت أبوابكم ولكنَّ الله سدَّها.

١١ ـ سعد بن مالك أبو سعيد الخدري قال: إنَّ عليَّ بن أبي طالب أُعطي ثلاثاً لئن أكون أُعطيت إحداها أحبّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لقد قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم غدير خمّ بعد حمدالله والثناء عليه (إلى أن قال): جيء به يوم خيبر وهو أرمد ما يبصر (إلى أن قال): وأخرج رسول الله عمَّه العبّاس وغيره من المسجد فقال له العبّاس: تُخرجنا ونحن عصبتك وعمومتك وتُسكن عليّاً؟! فقال: ما أنا أخرجتكم وأسكنته ولكنَّ الله أخرجكم وأسكنه.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٧.

١٢ ـ أبو حازم الأشجعي قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم إنَّ الله أمر موسى أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا هو وهارون، وإنَّ الله أمرني أن أبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا أنا وعليّ وابنا عليّ. رواه

السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ٢٤٣ .

١٣ - جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: سدّوا الأبواب كلّها إلّا باب عليٍّ، وأومى بيده إلى باب عليٍّ.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٧ ص ٢٠٥. ابن عساكر في تاريخه. الكنجي في الكفاية ٨٧. السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٨.

١٤ - جابر بن سمرة قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب كلّها غير باب عليٍّ. فقال العبّاس: يا رسول الله قدر ما أدخل أنا وحدي وأخرج. قال: ما أمرت بشيء من ذلك فسدّها غير باب عليٍّ قال: وربما مرَّ وهو جنبٌ.

أخرجه الحافظ الطبراني في الكبير، عن إبراهيم بن نائلة الإصبهاني، عن إسماعيل بن عمرو البجلي، عن ناصح، عن سماك بن حرب عن جابر. والإسناد حسنٌ إن لم يكن صحيحاً لمكان ناصح. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. وابن حجر في القول المسدَّد ١٨، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢. والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤. والبدخشي في نزل الأبرار ص ٣٥.

١٥ - سعد بن أبي وقّاص قال: أمرنا رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب عليٍّ.

أخرجه أحمد في المسند ج ١ ص ١٧٥، وقال ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١١ أخرجه أحمد والنسائي وإسناده قويٌّ. وذكره العيني في عمدة القارىء ج ٧ ص ٥٩٢ وقوّى إسناده.

١٦ - سعد بن أبي وقّاص قال: إنَّ رسول الله ﷺ سدَّ أبواب المسجد وفتح باب عليٍّ فقال النّاس في ذلك. فقال: ما أنا فتحته ولكنَّ الله فتحه.

أخرجه أبو يعلى قال: حدثنا موسى بن محمّد بن حسّان: حدثنا محمّد بن إسماعيل بن جعفر بن الطحان: حدثنا غسّان بن بُسر الكاهلي عن مسلم عن

خيثمة عن سعد. حكاه عنه ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢ من دون غمز في الإسناد.

١٧ ـ سعد بن أبي وقاص قال الحارث بن مالك: أتيت مكّة فلقيت سعد ابن أبي وقّاص فقلت: هل سمعت لعليٍّ بن أبي طالب منقبةً؟ قال: كنّا مع رسول الله ﷺ فنودي فينا ليلاً: ليخرج مَن في المسجد إلاّ آل رسول الله. فلمّا أصبح أتاه عمّه فقال: يا رسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام؟! فقال: ما أنا الذي أمرت بإخراجكم ولا بإسكان هذا الغلام إنَّ الله هو أمر به.

أخرجه النسائي في الخصائص ١٣، وأخرج بإسناد آخر عنه وفيه: إنَّ العبّاس أتى النبيَّ ﷺ فقال: سددتَ أبوابنا إلاّ باب عليّ فقال: ما أنا فتحتها ولا أنا سددتها.

١٨ ـ سعد بن أبي وقّاص قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب إلاّ باب عليٍّ فقالوا: يا رسول الله! سددت أبوابنا كلّها إلاّ باب عليّ. فقال: ما أنا سددت أبوابكم ولكنَّ الله تعالى سدَّها.

أخرجه أحمد والنسائي والطبراني في الأوسط عن معاوية بن الميسرة بن شريح عن الحكم بن عتيبة عن مصعب بن سعد عن أبيه. والإسناد صحيحٌ رجاله كلّهم ثقات.

راجع القول المسدَّد ١٨. فتح الباري ج ٧ ص ١١ وقال: رجال الرواية ثقات. إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ وقال: وقع عند أحمد والنسائي إسنادٌ قويٌّ، وفي رواية الطبراني برجال ثقات، نزل الأبرار ص ٣٤ وقال: أخرجه أحمد والنسائي والطبراني بأسانيد قويّة. عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢.

١٩ ـ أنس بن مالك قال: لمّا سدَّ النبيُّ ﷺ أبواب المسجد أتته قريشٌ فعاتبوه فقالوا: سددت أبوابنا وتركت باب عليٍّ. فقال: ما بأمري سددتها ولا بأمري فتحتها.

أخرجه الحافظ العقيلي عن محمَّد بن عبدوس عن محمّد بن حميد عن تميم بن عبد المؤمن عن هلال بن سويد عن أنس.

٢٠ - بُريدة الأسلمي قال: أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب فشقَّ ذلك على أصحابه فلمّا بلغ ذلك رسول الله ﷺ دعا: الصّلاة جامعة حتّى إذا اجتمعوا صعد المنبر ولم تسمع لرسول الله ﷺ تحميداً وتعظيماً في خطبة مثل يومئذ فقال: يا أيّها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها بل الله فتحها وسدَّها. ثمَّ قرأ: وَالنجم إذا هَوى ما ضلَّ صاحِبكم ومَا غوى ومَا ينطقُ عَن الهوى إنْ هُو إلاّ وحيٌ يوحى. فقال رجلٌ: دع لي كوَّةً في المسجد. فأبى وترك باب عليٍّ مفتوحاً، فكان يدخل ويخرج منه وهو جنبٌ أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة.

٢١ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: لَمّا أمر رسول الله ﷺ بسدِّ الأبواب التي في المسجد خرج حمزة يجرُّ قطيفة حمراء وعيناه تذرفان يبكي فقال: ما أنا أخرجتك وما أنا أسكنته ولكنَّ الله أسكنه. أخرجه الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة.

٢٢ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إنَّ موسى سأل ربَّه أن يطهِّر مسجده بهارون، وإنّي سألت ربّي أن يطهِّر مسجدي بك وبذريَّتك ثمَّ أرسل إلي أبي بكر أن سدّ بابك. فاسترجع، ثمَّ قال: سمعاً وطاعة. فسدَّ بابه، ثمَّ أرسل إلى عمر، ثمَّ أرسل إلى العبّاس بمثل ذلك، ثمَّ قال رسول الله ﷺ: ما أنا سددت أبوابكم وفتحت باب عليٍّ، ولكنَّ الله فتح باب عليّ وسدَّ أبوابكم.

أخرجه الحافظ البزّار. راجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. كنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٨. السيرة الحلبيَّة ج ٣ ص ٣٧٤.

٢٣ - أمير المؤمنين عليه السَّلام قال: قال رسول الله ﷺ: انطلق فمرهم فليسدّوا أبوابهم. فآنطلقت فقلت لهم ففعلوا إلاّ حمزة فقلت: يا رسول الله! فعلوا إلاّ حمزة. فقال رسول الله: قل لحمزة: فليحوِّل بابه. فقلت: إنَّ

رسول الله يأمرك أن تحوِّل بابك فحوَّله فرجعت إليه وهو قائمٌ يصلّي فقال: ارجع إلى بيتك.

أخرجه البزَّار بإسنادرجاله ثقات. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥. والسيوطي في جمع الجوامع كما في الكنز ج ٦ ص ٤٠٨ وضعَّفه لمكان حبَّة العرني وقد مرَّ ج ١ ص ٤٦: انَّه ثقةٌ. والحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

وأنت إذا أحطتَ خُبراً بهذه الأحاديث وإخراج الأئمَّة لها بتلك الطرق الصحيحة وشفعتها بقول ابن حجر في فتح الباري والقسطلاني في إرشاد الساري ج ٦ ص ٨١ من: أنَّ كلَّ طريق منها صالحٌ للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، فهل تجد مساغاً لما يحسبه ابن تيميَّة من أنَّ الحديث من موضوعات الشيعة؟! فهل في هؤلاء أحد من الشيعة؟! أو أنَّ من المحتمل الجائز الذي يرتضيه أصحاب الرَّجل أن يكون في هذه الكتب شيءٌ من موضوعات الشيعة؟! وهل ينقم على الشيعة موافقتهم للقوم في إخراجهم الحديث بطرقهم المختصَّة بهم؟!.

وأنا لا أحتمل أنَّ الرَّجل لم يقف على هذه كلّها غير أنَّ الحنق قد أخذ بخناقه فلم يدع له سبيلاً إلاّ قذف الحديث بما قذف غير مكترث لما سيلحقه من جرّاء ذلك الافك من نقد ومناقشة، والمساءلة غداً عند الله أشدّ وأخزى وتبعه تلميذه المغفَّل ابن كثير في تفسيره ج ١: ٥٠١ فقال بعد ذكر [سدّوا كلَّ خوخة في المسجد إلاَّ خوخة أبي بكر]: ومن روى إلا باب عليّ كما في بعض السنن فهو خطأ والصّواب ما ثبت في الصحيح.

وقد بلغ من إخبات العلماء إلى حديث سدِّ الأبواب أنَّهم تحرّوا[1] وجه الجمع «وإن لم يكن مرضيّاً عندنا» بينه وبين الحديث الذي أورده في أبي بكر

---

(١) منهم: أبو جعفر الطحاوي في مشكل الآثار، ابن كثير في تاريخه، ابن حجر في غير واحد من كتبه، السيوطي في اللئالي، القسطلاني في إرشاد الساري، العيني في عمدة القاري.

ولم يقذفه أحدٌ غير ابن الجوزي «شقيق ابن تيميَّة في المخاريق» بمثل ما قذفه ابن تيميَّة.

وهناك لأئمَّة القوم وحفّاظهم كلماتٌ ضافية حول الحديث وصحّته والبخوع له لا يسعنا ذكر الجميع غير أنّا نقتصر منها على كلمات الحافظ ابن حجر قال في فتح الباري ج ٧ ص ١٢ بعد ذكر ستَّة من الأحاديث المذكورة: هذه الأحاديث يقوي بعضها بعضاً وكلُّ طريق منها صالحةٌ للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، وقد أورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات أخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص، وزيد بن أرقم، وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم؛ وأعلّه ببعض من تكلّم فيه من رواته وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق، وأعلّه أيضاً بأنّه مخالفٌ للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر. وزعم أنّه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر - انتهى - وأخطأ في ذلك خطأً شنيعاً فإنَّه سلك في ذلك ردَّ الأحاديث الصحيحة بتوهّمه المعارضة، مع أنَّ الجمع بين القصَّتين ممكنٌ وقد أشار إلى ذلك البزَّار في مسنده فقال: ورد من روايات أهل الكوفة بأسانيد حسان في قصَّة عليٍّ، وورد من روايات أهل المدينة في قصَّة أبي بكر، فإن ثبتت روايات أهل الكوفة فالجمع بينهما بما دلَّ عليه حديث أبي سعيد الخدري يعني الذي أخرجه الترمذي: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: لا يحلُّ لأحد أن يطرق هذا المسجد جنباً غيري وغيرك. والمعنى: انَّ باب عليٍّ كان إلى جهة المسجد ولم يكن لبيته بابٌ غيره فلذلك لم يُؤمر بسدِّه، ويُؤيِّد ذلك ما أخرجه إسماعيل القاضي في «أحكام القرآن» من طريق المطلب بن عبدالله بن حنطب: أنَّ النبيَّ ﷺ لم يأذن لأحد أن يمرَّ في المسجد وهو جنبٌ إلّا لعليِّ بن أبي طالب لأنَّ بيته كان في المسجد. ومحصَّل الجمع: أنَّ الأمر بسدِّ الأبواب وقع مرَّتين ففي الاولى استثني عليٌّ لما ذُكر وفي الاخرى استثني أبو بكر، ولكن لا يتمّ ذلك إلّا بأن يُحمل ما في قصَّة عليٍّ الباب الحقيقيِّ وما في قصَّة أبي بكر على الباب المجازي والمراد به الخوخة كما صرَّح به في بعض طرقه، وكأنَّهم لَمّا أُمروا بسدِّ الأبواب سدّوها

وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأُمروا بعد ذلك بسدِّها، فهذه طريقةٌ لا بأس بها في الجمع بين الحديثين؛ وبها جمع بين الحديثين المذكورين أبو جعفر الطحاوي في «مشكل الآثار» وهو في أوائل الثلث الثالث منه، وأبو بكر الكلاباذي في «معاني الأخبار» وصرَّح بأنَّ بيت أبي بكر كان له بابٌ من خارج المسجد وخوخة إلى داخل المسجد وبيت عليٍّ لم يكن له بابٌ إلّا من داخل المسجد. والله أعلم.

وقال في القول المسدَّد ص ١٦. قول ابن الجوزي في هذا الحديث: انَّه باطلٌ وانَّه موضوعٌ. دعوى لم يُستدلّ عليها إلّا بمخالفة الحديث الّذي في الصحيحين، وهذا إقدامٌ على ردِّ الأحاديث الصحيحة بمجرَّد التوهّم، ولا ينبغي الإقدام على الحكم بالوضع إلّا عند عدم إمكان الجمع، ولا يلزم من تعذّر الجمع في مثل هذا أن يُحكم على الحديث بالبطلان، بل يُتوقَّف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له، وهذا الحديث من هذا الباب هو حديثٌ مشهورٌ له طرقٌ متعدِّدة كلُّ طريق منها على انفراده لا تقصر عن رتبة الحسن، ومجموعها ممّا يُقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث، وأمّا كونه معارضاً لما في الصحيحين فغير مسلّم ليس بينهما معارضة.

وقال في ص ١٩: هذه الطرق المتظافرة بروايات الثقات تدلُّ على أنَّ الحديث صحيحٌ دلالةً قويَّةً وهذه غاية نظر المحدِّث.

وقال في ص ١٩ بعد الجمع بين القضيَّتين: وظهر بهذا الجمع أن لا تعارض فكيف يُدَّعى الوضع على الأحاديث الصحيحة بمجرّد هذا التوهّم، ولو فُتح الباب لردِّ الأحاديث لادُّعي في كثير من الأحاديث الصحيحة البطلان لكن يأبى الله ذلك والمؤمنون. اهـ.

وأمّا ما استصحّه من حديث الخلّة والخوخة فهو موضوعٌ تجاه هذا الحديث كما قال ابن أبي الحديد في شرحه ج ٣ ص ١٧: إنَّ سدَّ الأبواب كلن لعليٍّ عليه السَّلام فقلّبته البكريَّة إلى أبي بكر. وآثار الوضع فيه لائحةٌ لا تخفى على المنقِّب.

منها:

أنَّ الأخذ بمجامع هذه الأحاديث يُعطي خبراً بأنَّ الأبواب الشارعة في المسجد كان لتطهيره عن الأدناس الظاهريَّة والمعنويَّة فلا يمرُّ به أحدٌ جنباً ولا يجنب فيه أحدٌ. وأمّا ترك بابه صلّى الله عليه وآله وسلم وباب أمير المؤمنين عليه السَّلام فلطهارتهما عن كلِّ رجس ودنس بنصِّ آية التطهير، حتّى انَّ الجنابة لا تُحدث فيهما من الخبث المعنويِّ ما تُحدث في غيرهما كما يُعطي ذلك التنظير بمسجد موسى الذي سأل ربَّه أن يطهِّره لهارون وذريَّته، أو أنَّ ربَّه أمره أن يبني مسجداً طاهراً لا يسكنه إلّا هو وهارون، وليس المراد تطهيره من الأخباث فحسب فإنَّه حكم كلِّ مسجد.

ويُعطيك خبراً بما ذكرناه ما مرَّ في الأحاديث من: أنَّ أمير المؤمنين عليه السَّلام كان يدخل المسجد وهو جنب[١] وربما مرَّ وهو جنبٌ[٢] وكان يدخل ويخرج منه وهو جنب[٣] وما ورد عن أبي سعيد الخدري من قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: لا يحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك[٤].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا إن مسجدي حرامٌ على كلِّ حائضٍ من النساء وكلِّ جنبٍ من الرِّجال إلّا على محمَّد وأهل بيته: عليٍّ وفاطمة والحسن والحسين[٥].

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا لا يحلُّ هذا المسجد لجنب ولا

---

(١) راجع حديث ابن عباس ص ٢٥٦.

(٢) راجع لفظ جابر بن سمرة ص ٢٥٧.

(٣) راجع ما مر عن بريدة الأسلمي ص ٢٥٩.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢١٤، البيهقي في سننه ج ٧ ص ٦٦، البزار، ابن مردويه، ابن منيع في مسنده، البغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٦٧، ابن عساكر في تاريخه، محب الدين في الرياض ج ٢ ص ١٩٣، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٢، سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ٢٥، ابن حجر في الصواعق، ابن حجر في فتح الباري ج ٧ ص ١٢، السيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٥، البدخشي في نزل الأبرار ص ٣٧، الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٤.

(٥) البيهقي في سننه ج ٧ ص ٦٥، الحلبي في السيرة ج ٣ ص ٣٧٥.

لحائض إلّا لرسول الله ولعليّ وفاطمة والحسن والحسين، ألا قد بيَّنت لكم الاسماء أن لا تضلّوا. سنن البيهقي ج ٧ : ٦٥ .

وقوله صلّى الله عليه وآله وسلم لعليٍّ : أمّا أنت فإنّه يحلُّ لك في مسجدي ما يحلُّ لي ويحرم عليك ما يحرم عليَّ. قال له حمزة بن عبد المطلب: يا رسول الله أنا عمّك وأنا أقرب إليك من عليٍّ. قال: صدقت يا عمّ! إنّه والله ما هو عنّي، إنَّما هو عن الله تعالى[١].

وقول المطلب بن عبدالله بن حنطب، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن أذن لأحد أن يمرَّ في المسجد ولا يجلس فيه وهو جنبٌ إلا عليّ بن أبي طالب لأنَّ بيته كان في المسجد[٢].

أخرجه الجصاص بالإسناد فقال: فأخبر في الحديث بحظر النبيِّ ﷺ الاجتياز كما حظر عليهم القعود، وما ذكر من خصوصيَّة عليٍّ رضي الله عنه فهو صحيحٌ، وقول الراوي: لأنّه كان بيته في المسجد ظنٌّ منه لأنَّ النبيّ ﷺ قد أمر في الحديث الأوّل بتوجيه البيوت الشارعة إلى غيره ولم يبح لهم المرور لأجل كون بيوتهم في المسجد وإنَّما كانت الخصوصيَّة فيه لعليّ رضي الله عنه دون غيره، كما خصّ جعفر بأنَّ له جناحين في الجنَّة دون سائر الشهداء، وكما خصّ حنظلة بغسل الملائكة له حين قُتل جنباً، وخُصّ دحية الكلبي بأنَّ جبريل كان ينزل على صورته. وخُصّ الزبير بإباحة ملبس الحرير لَمّا شكا من أذى القمل، فثبت بذلك أنَّ سائر الناس ممنوعون من دخول المسجد مجتازين وغير مجتازين. اهـ.

فزبدة المخض من هذه كلّها :إنَّ إبقاءذلك الباب والإذن لأهله بما أذن الله لرسوله ممّا خصّ به مبتنٍ على نزول آية التطهير النافية عنهم كلَّ نوع من

---

(١) أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة، ومن طريقه الحموي في الفرائد في ب ٤١ .

(٢) أخرجه الجصاص في أحكام القرآن ج ٢ ص ٢٤٨ ، والقاضي إسماعيل المالكي في أحكام القرآن كما في القول المسدد لابن حجر ص ١٩ وقال: مرسل قوي، ويوجد في تفسير الزمخشري ج ١ : ص ٣٦٦ ، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢ ، ونزل الأبرار ص ٣٧ .

الرِّجاسة، ويشهد لذلك حديث مناشدة يوم الشورى وفيه قال أمير المؤمنين عليه السَّلام: أفيكم أحد يطهِّره كتاب الله غيري حتّى سدَّ النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم أبواب المهاجرين جميعاً وفتح بابي إليه حتّى قام إليه عمّاه حمزة والعبّاس وقالا: يا رسول الله! سددت أبوابنا وفتحت باب عليٍّ. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: ما أنا فتحت بابه ولا سددت أبوابكم، بل الله فتح بابه وسدَّ أبوابكم؟ فقالوا: لا.

ولم يكن أبو بكر من أهل هذه الآية حتّى أن يُفتح له بابٌ أو خوخةٌ، فالفضل مخصوصٌ بمن طهَّره الكتاب الكريم.

(ومنها): أنّ مقتضى هذه الأحاديث أنَّه لم يبق بعد قصَّة سدِّ الأبواب بابٌ يُفتح إلى المسجد سوى باب الرَّسول العظيم وابن عمِّه، وحديث خوخة أبي بكر يصرِّح بأنَّه كانت هناك أبوابٌ شارعة وسيوافيك البعد الشاسع[1] بين القصَّتين، وما ذكروه من الجمع بحمل الباب في قصَّة أمير المؤمنين عليه السَّلام على الحقيقة، وفي قصَّة أبي بكر بالتجوز بإطلاقه على الخوخة، وقولهم: كأنَّهم[2] لمّا أُمروا بسدِّ الأبواب سدّوها وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأُمروا بعد ذلك بسدِّها، تبرُّعيٌّ لا شاهد له، بل يُكذِّبه أنَّ ذلك ما كان يتسنّى لهم نصب عين النبيِّ وقد أمرهم بسدِّ الأبواب لأن لا يدخلوا المسجد منها، ولا يكون لهم ممرٌّ به، فكيف يمكنهم إحداث ما هو بمنزلة الباب في الغاية المبغوضة للشارع، ولذلك لم يترك لعمَّيه: حمزة والعبّاس ممراً يدخلان منه وحدهما ويخرجان منه، ولم يترك لمن أراد كوَّةً يُشرف بها على المسجد، فالحكم الواحد لا يختلف باختلاف أسماء الموضوع مع وحدة الغاية، وإرادة الخوخة من الباب لا تُبيح المحظور ولا تُغيِّر الموضوع.

(ومنها): ما مرّ ص ٢٥٥ من قول عمر بن الخطّاب في أيّام خلافته: لقد أُعطي عليُّ بن أبي طالب ثلاث خصال لئن تكون لي خصلةٌ منها أحبّ إليَّ من

(١) يأتي أن الأول في أول الأمر والآخر في مرضه، حين بقي من عمره ثلاثة أيام أو أقل.
(٢) تجد هذه العبارة في فتح الباري ج ٧ ص ١٢. عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢. نزل الأبرار ص ٣٧.

أن أُعطى حمر النعم. الحديث. ومثله قول عبدالله بن عمر في صحيحته التي أسلفناها بلفظه ص ٢٠٣ فتراهما يعدّان هذه الفضائل الثلاث خاصّة لأمير المؤمنين لم يحظ بهنَّ غيره، لا سيّما أنَّ ابن عمر يرى في أوَّل حديثه أنَّ خير الناس بعد رسول الله أبو بكر ثمَّ أبوه لكنّه مع ذلك لا يشرك أبا بكر مع أمير المؤمنين عليه السَّلام في حديث الباب ولا الخوخة.

فلو كان لحديث أبي بكر مقيلٌ من الصحّة في الصحابة المشافهين لصاحب الرِّسالة صلّى الله عليه وآله وسلم والسامعين حديثه لما تأتّى منهما هذا السياق.

على أنَّ هذه الكلمة على فرض صدورها منه صلّى الله عليه وآله وسلم صدرت أيّام مرضه فما الفرق بينهما وبين حديث الكتف والدواة المرويّ في الصحاح والمسانيد، فلماذا يؤمن ابن تيميَّة ببعض ويكفر ببعض؟.

وشتان بين حديث الكتف والدواة وبين فتح الخوخة لأبي بكر فإنَّ الأوَّل كما هو المتسالم عليه وقع يوم الخميس، وحديث ابن عبّاس: يوم الخميس وما يوم الخميس لا يخفى على أيِّ أحد. فأجازوا حوله ما قيل فيه (والنبيُّ يخاطبهم ويقول: لا ينبغي عندي تنازعٌ، دعوني فالَّذي أنا فيه خيرٌ ممّا تدعوني إليه. وأوصى في يومه ذاك بإخراج المشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفد بنحو ما كان يجيزهم[1] فلم يقولوا في ذلك كلّه ما قيل في حديث الكتف والدواة).

وأمّا حديث سدِّ الخوخات ففي اللمعات: لا معارضة بينه وبين حديث أبي بكر لأنَّ الأمر بسدِّ الأبواب وفتح باب عليٍّ كان في أوّل الأمر عند بناء المسجد، والأمر بسدِّ الخوخات إلّا خوخه أبي بكر كان في آخر الأمر في مرضه حين بقي من عمره ثلاثة أو أقل[2] وقال العيني في عمدة القاري ج ٧ ص ٥٩٢: إنّ حديث سدِّ الأبواب كان آخر حياة النبيِّ في الوقت الذي أمرهم أن لا يؤمّهم إلّا أبو بكر. والمتّفق عليه من يوم وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم

---

(١) طبقات ابن سعد ص ٧٦٣.

(٢) راجع هامش جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٤.

الإثنين. فعلى هذا يقع حديث الخوخة يوم الجمعة أو السبت وبطبع الحال إنَّ مرضه صلّى الله عليه وآله وسلم كان يشتدّ كلّما توغّل فيه، فما بال حديث الخوخة لم يحظ بقسطٍ ممّا حظي به حديث الكتف والدواة عند المقدّسين لمن قال قوله فيه؟ أنا أدري لِمَ ذلك، والمنجِّم يدري، والمغفَّل أيضاً يدري، وابن عبّاس أدرى به حيث يقول: الرزيَّة كلُّ الرزيَّة ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم.

وممّا كذَّبه ابن تيميَّة من الحديث. قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي. قال: فإنَّ هذا موضوعٌ باتِّفاق أهل المعرفة بالحديث.

ج - كان حق المقام أن يقول الرَّجل: إنَّ هذا صحيحٌ باتِّفاق أهل المعرفة، غير أنّه راقه أن يموِّه على صحَّته، ويشوِّهه ببهرجته كما هو دأبه، أفهل يحسب الرَّجل أنَّ من أخرج هذا الحديث من أئمَّة فنِّه ليسوا من أهل المعرفة بالحديث؟ وفيهم إمام مذهبه أحمد بن حنبل أخرجه بإسناد صحيح، رجاله كلّهم ثقاتٌ قال:

حدّثنا عبد الرَّزاق حدثنا جعفر بن سليمان حدّثني يزيد الرشك عن مطرف ابن عبدالله عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله سريَّة وأمَّر عليها عليَّ بن أبي طالب فأحدث شيئاً في سفره فتعاقد أربعة من أصحاب محمَّد أن يذكروا أمره إلى رسول الله ﷺ قال عمران: وكنّا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلّمنا عليه قال: فدخلوا عليه فقام رجلٌ منهم فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه. ثمَّ قام الثاني فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا فأعرض عنه. ثمَّ قام الثالث فقال: يا رسول الله! إنّ عليّاً فعل كذا وكذا. ثمّ قام الرّابع فقال: يا رسول الله! إنَّ عليّاً فعل كذا وكذا. قال: فأقبل رسول الله على الرابع وقد تغيَّر وجهه وقال: دعوا عليّاً دعوا عليّاً. دعوا عليّاً إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي.

وأخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي عن عبدالله بن عمر القواريري والحسن بن عمر الحمري والمعلّى بن مهدي كلّهم عن جعفر بن سليمان. وأخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير الطبري وصحّحه. وأبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤. ومحبّ الدين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٧١. والبغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٧٥ ولم يذكر صدره. وابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣٤٤. والسيوطي والمتّقي في الكنز ج ٦ ص ١٥٤، ٣٠٠ وصحّحه. والبدخشي في نزل الأبرار ٢٢.

صورة اخرى:

ما تريدون من عليٍّ؟! ما تريدون من عليٍّ؟! ما تريدون من عليٍّ؟! إنّ عليّاً منّي وأنا منه، وهو وليُّ كلِّ مؤمن بعدي.

أخرجه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه ج ٢ ص ٢٢٢ بإسناد صحيح رجاله كلّهم ثقاتٌ. وكذلك النسائي في الخصائص ٢٣. الحاكم النيسابوري في المستدرك ج ٣ ص ١١١[1] وصحّحه وأقرّه الذهبي. أبو حاتم السجستاني. محبّ الدين في الرِّياض ج ٢ ص ٧١. ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩ وقال: إسنادٌ قويٌّ. السيوطي في الجمع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢. البدخشي في نزل الأبرار ٢٢.

إسناد آخر:

أخرج أبو داود الطيالسي عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس: إنّ رسول الله ﷺ قال لعليٍّ: أنت وليُّ كلِّ مؤمن بعدي. تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٤٥، والإسناد كما مرَّ غير مرّة صحيحٌ رجاله كلّهم ثقاتٌ.

فإن كان هؤلاء الحفّاظ والأعلام خارجين عن أهل المعرفة بالحديث، فعلى إسلام ابن تيميّة السّلام. وإن كانوا غير داخلين في الاتّفاق، فعلى معرفته العفاء. وإن كان لم يُحط خبراً بإخراجهم الحديث حين قال ما قال، فزهٍ بطول

---

(١) لفظة «ما تريدون من علي» في لفظ الحاكم غير مكررة.

باعه في الحديث. وإن لم يكن لا ذاك ولا هذا، فمرحباً بصدقه وأمانته على ودائع النبوَّة.

هذه نبذةٌ يسيرةٌ من مخاريق ابن تيميَّة، ولو ذهبنا إلى استيفاء ما في منهاج بدعته من الضَّلالات والأكاذيب والتحكّمات والتقوُّلات فعلينا أن نعيد استنساخ مجلداته الأربع ونردفها بمجلَّدات في ردِّها، ولم أجد بياناً يُعرب عن حقيقة الرَّجل، ويُمثِّلها للملأ العلميِّ، غير أنِّي أقتصر على كلمة الحافظ ابن حجر في كتابه «الفتاوى الحديثيَّة» ص ٨٦ قال:

ابن تيميَّة عبدٌ خذله الله وأضلَّه وأعماه وأصمَّه وأذلَّه، وبذلك صرَّح الأئمَّة الَّذين بيَّنوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتَّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة وأهل عصرهم وغيرهم من الشافعيَّة والمالكيَّة والحنفيَّة، ولم يقصر اعتراضه على متأخِّري الصوفيَّة بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنهما.

والحاصل: أن لا يُقام لكلامه وزنٌ بل يُرمى في كلِّ وعرٍ وحزن، ويُعتقد فيه أنَّه مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ غالٍ عامله الله بعدله وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله آمين. (إلى أن قال): إنَّه قائلٌ بالجهة وله في إثباتها جزءٌ، ويلزم أهل هذا المذهب الجسميَّة والمحاذاة والاستقرار. أي. فلعلّه في بعض الأحيان كان يصرِّح بتلك اللوازم فنُسبت إليه، سيَّما وممَّن نسب إليه ذلك من أئمَّة الإسلام المتَّفق على جلالته وإمامته وديانته، وإنَّه الثقة العدل المرتضى المحقِّق المدقِّق، فلا يقول شيئاً إلاّ عن تثبّت وتحقّق ومزيد احتياطٍ وتحرٍّ، سيّما إن نسب إلى مسلم ما يقتضي كفره وردَّته وضلاله وإهدار دمه (الكلام).

﴿ويلٌ لكلِّ أفّاكٍ أثيمٍ يسمع آيات الله تُتلى عَليهِ
ثمَّ يُصِرُّ مُستكبِراً كأنْ لم يَسمعها فَبشِّره بِعذابٍ أليمٍ﴾
[سورة الجاثية/الآية ٧ ـ ٨]



٧ - البداية والنهاية

لا تنس ما لهذا الكتاب من التولّع في الفرية والتهالك دون القذائف والشتائم والطعن من غير مبرر، وأن رمية كل هاتيك الطامات الشيعة لا غيرهم؛ وبذلك أخرج كتابه من بساطة التاريخ إلى هملجة التحامل، والنعرات القوميّة والنزول على حكم العاطفة إلى غيرها مما يوجب تعكير الصفو، وإقلاق السلام، وتفريق الكلمة.

زد على ذلك محادّته لأهل البيت عليهم السلام ونصبه العداء لهم حتى إذا وقف على فضيلة صحيحة لأحدهم، أو جرى ذكر أوحديّ منهم، قذف الأولى بالطعن والتكذيب وعدم الصحة، وشنّ على الثاني غارة شأواء. كل ذلك بعد نزعته الأمويّة الممقوتة وإليك نماذج مما ذكر:

١ ـ قال: ذكر ابن إسحق وغيره من أهل السير والمغازي: انَّ رسول الله ﷺ آخى بينه «يعني عليّاً» وبين نفسه وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة لا يصحُّ شيءٌ منها لضعف أسانيدها وركَّة بعض متونها، قاله في (ج ٧ ص ٢٢٣) وقال في ص ٣٣٥ بعد روايته من طريق الحاكم: قلت: وفي صحَّة هذا الحديث نظرٌ.

ج ـ إن القارىء إذ ما راجع ما مرّ في ص ١٤٨ ـ ١٦١ و٢١٩ ووقف هناك على طرق الحديث الكثيرة الصحيحة وثقة رجالها وإطباق الأئمّة والحفّاظ وأرباب السير على إخراجه وتصحيحه يعرف قيمة كلمة الرَّجل ومحلّه من الصِّدق، ويعلم أن لا وجه للنظر فيه إلّا بواعث ابن كثير واندفاعه إلى مناوأة أهل

(*) تأليف الحافظ عماد الدين أبي الفداء ابن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤.

البيت الناشيء عن نزعته الأمويَّة، والمتربّي في عاصمة الأمويِّين المتأثِّر بنزعاتهم الأهوائيَّة، لا ينقطع عن الوقيعة في مناقب سيِّد هذه الامَّة بعد نبيِّها المتسالم عليها، فدعه وتركاضه مع الهوى.

٢ ـ ذكر حديث الطير المتواتر الصحيح الذي خضع لتواتره وصحَّته أئمَّة الحديث ثمَّ تخلّص منه بقوله ص ٣٥٣: وبالجملة ففي القلب من صحّة هذا الحديث نظرٌ وإن كثرت طرقه والله أعلم.

ج ـ هذا قلبٌ طبع الله عليه وإلّا فما وجه ذلك النظر بعد تمام شرائط الصحَّة فيه؟! وليس من البدع أن يكون أيُّ أحدٍ من الناس أحبَّ الخلق إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وليس لأحد حقّ النَّقد ولا الاعتراض عليه فكيف بمثل أمير المؤمنين عليه السَّلام الذي لا تُنكر سابقته وفضائله، وهو نفسه وابن عمِّه وأخوه من دون الناس، وزُلفته إليه وقربه منه ومكانته واختصاصه به وتهالكه دون دينه الحنيف،كلّها من الواضح الذي لا يُجلّله أيُّ ستارٍ، وسنوقفك على الحديث وطرقه المتكثّرة الصحيحة، ونعرِّفك هناك أنَّ النظر في صحَّته شارة الأمويَّة، وسمة رين القلب، واتِّباع الهوى.

٣ ـ قال: وما يتوهَّمه بعض العوام بل هو مشهورٌ بين كثير منهم: أن عليّاً هو السّاقي على الحوض. فليس له أصلٌ ولم يجيء من طريق مرضيٍّ يُعتمد عليه، والذي ثبت: أنَّ رسول الله ﷺ هو الذي يسقي النّاس ج ٧ ص ٣٥٥.

ج ـ لا يحسب القاريء أنّ هذا وهمٌ من رأي العوام فحسب، وقد أفك الرجل في حكمه الباتّ، وقد جاء الحديث بطريق مرضيٍّ يُعتمد عليه، وأخرجه الحفّاظ الأثبات مخبتين إليه، راجع الجزء الثاني من كتابنا ص ٣٧٢.

٤ ـ ذكر في ج ٧ ص ٣٣٤ حديثاً صحيحاً بإسناد الإمام أحمد الترمذي في إسلام أمير المؤمنين وأنَّه أوّل من أسلم وصلّى، ثمَّ أردفه بقوله: وهذا لا يصحُّ من أيِّ وجهٍ كان روي عنه. وقد ورد في أنَّه أوَّل من أسلم من هذه الامَّة أحاديثُ كثيرةٌ لا يصحّ منها شيءٌ الخ.

ج ـ ألا مسائلٌ هذا الرَّجل لِمَ لا يصحُّ شيءٌ منها من أيّ وجهٍ كان؟! والطرق صحيحةٌ، والرِّجال ثقاتٌ، والحفاظ حكموا بصحَّته، وأرباب السير أطبقوا عليه، وكان من المتسالم عليه بين الصَّحابة الأوَّلين والتابعين لهم بإحسان.

ونحن لو نقتصر على كلمتنا هذه يحسبها القارىء دعوى مجرَّدة لدة دعوى ابن كثير (أعاذنا الله عن مثلها) وتخفى عليه جليَّة الحال فيهمّنا ذكرُ نزر ممّا يدلُّ على المدَّعى وإن لم يسعنا إيراد كثير منه روماً للاختصار.

النصوص النبوية:

١ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم: أوَّلكم وارداً ـ وروداً ـ على الحوض أوَّلكم إسلاماً عليُّ بن أبي طالب.

أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ وصحَّحه والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ويوجد في. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

وفي لفظ: أوَّل هذه الامّة وروداً على الحوض أوَّلها إسلاماً عليُّ بن أبي طالب، رضي الله عنه السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٥. سيرة زيني دحلان ج ١ ص ١٨٨ هامش الحلبيَّة.

وفي لفظ: أوَّل الناس وروداً على الحوض أوَّلهم إسلاماً عليُّ بن أبي طالب مناقب الفقيه ابن المغازلي. مناقب الخوارزمي.

٢ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: زوجتكِ خير امَّتي أعلمهم علماً. وأفضلهم حلماً. وأوَّلهم سلماً. راجع ما مرَّ ص١٢٩.

٣ ـ قال صلّى الله عليه وآله وسلم لفاطمة: إنَّه لأوَّل أصحابي إسلاماً. أو: أقدم امَّتي سلماً.

حديث صحيح راجع ص ١٢٩

٤ ـ أخذ صلّى الله عليه وآله وسلم بيد عليٍّ فقال: إنَّ هذا أوَّل من آمن بي، وهذا أوَّل من يُصافحني يوم القيامة، وهذا الصدِّيق الأكبر. راجع الجزء الثاني ص ٣٦٣، ٣٦٤.

٥ ـ عن أبي أيّوب قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: لقد صلّت الملائكة عليَّ وعلى علي سبع سنين لأنّا كنّا نصلّي وليس معنا أحدٌ يُصلّي غيرنا.

مناقب الفقيه ابن المغازلي بإسنادين. اسدالغابة ج ٤ : ١٨ مناقب الخوارزمي وفيه: ولِمَ ذلك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معي من الرجال غيره. كتاب الفردوس للديلمي. شرح ابن أبي الحديد عن رسالة الإسكافي ج ٣ ص ٢٥٨. فرائد السمطين ب ٤٧ .

٦ ـ ابن عبّاس قال: قال النبيُّ صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّ أوَّل من صلّى معي عليٌّ.

[فرائد السمطين الباب الـ ٤٧ بأربع طرق]

٧ ـ معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: يا عليُّ! أخصمك بالنبوَّة ولا نبوَّة بعدي، وتخصم الناس بسبع ولا يُجاحدك فيه أحدٌ من قريش، أنت أوَّلهم إيماناً بالله، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث. (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦).

٨ ـ أبو سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ ـ وضرب بين كتفيه ـ: يا عليُّ لك سبع خصال لا يُحاجّك فيهنَّ أحدٌ يوم القيامة؛ أنت أوَّل المؤمنين بالله إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله. الحديث (حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦).

٩ ـ من حديث أبي بكر الهذلي وداود بن أبي هند الشعبي عن رسول الله ﷺ أنَّه قال لعليّ عليه السَّلام: هذا أوّل من آمن بي وصدَّقني وصلّى معي. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

١٠ ـ إنَّ أبا بكر وعمر خطبا فاطمة فردَّهما رسول الله ﷺ وقال: لم أُومر بذلك. فخطبها عليٌّ فزوَّجه إيّاها وقال لها: زوَّجتكِ أقدم الامَّة إسلاماً. روى هذا الحديث جماعةٌ من الصحابة منهم: أسماء بنت عميس. وامّ أيمن. وابن عبّاس. وجابر بن عبدالله، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٧.

كلمات أمير المؤمنين عليه السَّلام

١ ـ قال عليه السَّلام: أنا عبدالله، وأخو رسول الله، وأنا الصِّديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلّا كاذبٌ؛ ولقد صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين، وأنا أوّل من صلّى معه.

إسناده من طريق ابن أبي شيبة والنسائي وابن ماجة والحاكم والطبري[١] صحيحٌ رجاله ثقات، راجع الجزء الثاني من كتابنا ٣٦٤.

٢ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوَّل رجل أسلم مع رسول الله ﷺ.

أخرجه أبو داوود بإسناده الصحيح كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٣ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوّل من أسلم مع النبيِّ ﷺ.

أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٤ ص ٢٣٤.

٤ ـ قال عليه السَّلام: أنا أوَّل من صلّى مع رسول الله ﷺ.

أخرجه أحمد والحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» وقال: رجاله رجال الصحيح غير حبَّة العرني وقد وثق. وأخرجه أبو عمرو في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. وابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٤ من طريق أبي داود عن شعبة عن سلمة بن كهيل عن حبّة عنه عليه السَّلام. والإسناد صحيحٌ رجاله ثقاتٌ.

٥ ـ قال عليه السَّلام أسلمت قبل أن يسلم النّاس بسبع سنين. «الرِّياض

---

(١) في تاريخه ج ٢ ص ٢١٣.

النضرة» ج ٢ ص ١٥٨.

٦ - قال عليه السَّلام: عبدت الله مع رسول الله ﷺ سبع سنين قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة. «مستدرك الحاكم» ج ٣ ص ١١٢.

٧ - قال عليه السَّلام: عن حكيم مولى زاذان قال: سمعت عليّاً يقول: صلّيت قبل النّاس سبع سنين، وكنّا نسجد ولا نركع، وأوَّل صلاة ركعنا فيها صلاة العصر. شرح (ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨).

٨ - قال عليه السَّلام: عبدت الله قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة خمس سنين. الاستيعاب، ج ٢ ص ٤٤٨. الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨. السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٨.

٩ - قال عليه السَّلام: آمنت قبل الناس سبع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١٠ - قال عليه السَّلام: ما أعرف أحداً من هذه الامَّة عبدالله بعد نبيِّنا غيري، عبدتُ الله قبل أن يعبده أحدٌ من هذه الامَّة تسع سنين. خصائص النسائي ص ٣.

١١ - من خطبة له عليه السَّلام يوم صفِّين: وابن عمِّ نبيِّكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى طاعة ربِّكم، ويعمل بسنَّة نبيِّكم صلّى الله عليه. فلا سواء من صلّى قبل كلِّ ذَكر لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله. كتاب نصر ص ٣٥٥. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٣.

١٢ - قال عليه السَّلام: اللهمَّ لا أعرف عبداً من هذه الأُمَّة عبدك قبلي غير نبيِّك [قاله ثلاث مرّات] ثمَّ قال: لقد صلّيت قبل أن يُصلّي الناس. وفي لفظٍ: قبل أن يُصلّي أحدٌ. أخرجه أحمد. أبو يعلى. البزّار. الطبراني. الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٢ وقال: إسناده حسنٌ. شيخ الإسلام الحمّويي في الفرائد الباب الـ ٤٨.

١٣ - من كتاب له عليه السَّلام كتبه إلى معاوية: إنَّ أولى النّاس بأمر هذه

الامَّة قديماً وحديثاً أقربها من رسول الله، وأعلمها بالكتاب، وأفقهها في الدين، وأوَّلها إسلاماً، وأفضلها جهاداً. كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٦٨ ط مصر.

١٤ ـ في حديث عنه عليه السَّلام: لا والله إن كنت أوَّل من صدَّق به فلا أكون أوَّل من كذب عليه. المحاسن والمساوىء ج ١ ص ٣٦. تاريخ القرماني هامش الكامل لابن الأثير ج ١ ص ٢١٨.

١٥ ـ قال عليه السَّلام: بُعث رسول الله ﷺ يوم الإثنين وأسلمت يوم الثلاثاء.

مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢. تاريخ القرماني ج ١ ص ٢١٥. الصواعق ٧٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ١١٢. إسعاف الراغبين ١٤٨.

١٦ ـ من كتاب كتبه عليه السَّلام إلى معاوية: إنَّ محمَّداً ﷺ لمّا دعا إلى الإيمان بالله والتوحيد كنّا أهل البيت أوَّل من آمن به وصدَّق بما جاء به، فلبثنا أحوالاً مجرَّمة (أي كاملة) وما يعبد الله في ربع ساكن من العرب غيرنا. كتاب صفِّين لابن مزاحم ص ١٠٠.

١٧ ـ قال عليه السَّلام يوم صفِّين مخاطباً أصحاب معاوية: ويحكم أنا أوَّل من دعا إلى كتاب الله، وأوَّل مَن أجاب إليه. كتاب نصر ٥٦١.

١٨ ـ قالت معاذة بنت عبدالله العدويَّة: سمعت عليَّ بن أبي طالب على منبر رسول الله ﷺ يقول: أنا الصدّيق الأكبر آمنت قبل أن يُؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يسلم أبو بكر. راجع الجزء الثاني ص ٣٦٤.

١٩ ـ قال عليه السَّلام في خطبة خطبها في معسكر صفِّين: أتعلمون أنّ الله فضَّل في كتابه السابق على المسبوق، وأنه لم يسبقني إلى الله ورسوله أحدٌ من الأُمَّة؟!؟! قالوا: نعم راجع الجزء الأوَّل ص ٢٠٧.

٢٠ ـ قال عليه السَّلام صلّيت مع رسول الله ﷺ ثلاث سنين قبل أن يُصلّي معه أحدٌ من النّاس. أخرجه أحمد بإسنادين.

٢١ ـ قال عليه السَّلام يوم الشورى في حديث أسلفناه: أمنكم أحدٌ وحَّد الله قبلي؟ قالوا: لا. أمنكم أحدٌ صلّى القبلتين غيري؟ قالوا: لا. راجع ج ١ ص ١٩٩ ـ ٢٠٣، وهذه الفقرة من الحديث عدَّها ابن أبي الحديد ممّا استفاضت به الرِّوايات.

٢٢ ـ مرَّ في الجزء الثاني ص ٤٠ في أبيات له عليه السَّلام كتبها إلى معاوية:

سبقتكمُ إلى الإسلام طرّاً غلاماً ما بلغت أوان حلمي

٢٣ ـ ذكر ابن طلحة الشافعي في مطالب السئول ص ١١ له عليه السَّلام:

أنا أخو المصطفى لا شكَّ في نسبي به رُبيت وسبطاه هما ولدي
صدَّقته وجميع النّاس في بُهمٍ من الضَّلالة والإشراك والنكدِ

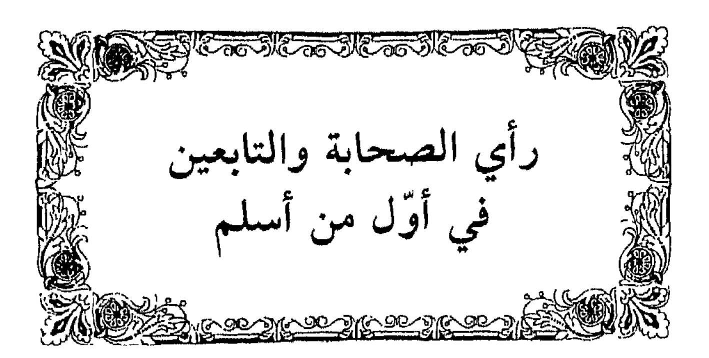
قال: قال جابر: سمعت عليّاً يُنشد بهذا ورسول الله يسمع: فتبسَّم رسول الله وقال: صدقت يا عليّ!.

كلمة الإمام السبط الحسن عليه السَّلام:

٢٤ ـ من خطبة للإمام الحسن عليه السَّلام في مجلس معاوية قوله: أُنشدكم الله أيّها الّهط! أتعلمون أنَّ الذي شتمتموه منذ اليوم صلّى القبلتين كلتيهما؟ وأنت يا معاوية بهما كافرٌ، تراها ضلالة، وتعبد اللات والعزّى غواية؛ وأُنشدكم الله هل تعلمون أنَّه بايع البيعتين كلتيهما: بيعة الفتح وبيعة الرضوان؟ وأنت يا معاوية بإحداهما كافرٌ، وبأُخرى ناكثٌ. وأُنشدكم الله هل تعلمون أنَّه أوَّل الناس إيماناً؟! وأنك يا معاوية وأباك من المؤلَّفة قلوبهم.

شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠١

٢٥ ـ وفي خطبة له عليه السَّلام مرَّت ج ١ ص ٢٤١: فلمّا بعث الله محمّداً للنبوَّة، واختاره للرِّسالة، وأنزل عليه كتابه ثمَّ أمره بالدعاء إلى الله، فكان أبي أوَّل من استجاب لله ولرسوله، وأوَّل من آمن وصدَّق الله ورسوله ﷺ وقد قال الله في كتابه المنزل على نبيِّه المرسل: أفمن كان على بيِّنةٍ من ربِّه ويتلوه شاهدٌ منه. فجدّي الَّذي على بيِّنةٍ من ربِّه، وأبي الذي يتلوه وهو شاهدٌ منه.



رأي الصحابة والتابعين في أوّل من أسلم

١ ـ أنس بن مالك قال: نُبّىء (بُعث) النبيُّ ﷺ يوم الإثنين وأسلم عليٌّ يوم الثُّلاثاء. وفي لفظ له: بُعث رسـول الله ﷺ يوم الإثنين وصلّى عليٌّ يـوم الثُّلاثاء.

أخرجه الترمذي في جـامعه ج ٢ ص ٢١٤. الـطبراني. الحـاكم في المستدرك ج ٣ ص١١٢. ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٣ ص ٣٢. ابن الأثير في جامع الاصول كما في تلخيصه تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١. الحمّويي في فرائد السمطين الباب الـ ٤٧. وأوعز إليه العراقي في التقريب ج ١ ص ٨٥. ويوجد في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨. تذكرة السبط ٦٣. السراج المنير شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٢٤. شرح المواهب ج ١ ص ٢٤١.

٢ ـ بُريدة الأسلمي قال: أُوحي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يـوم الإثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّـلاثاء. أخـرجه الحـاكم في المستـدرك ج ٣ ص ١١٢ وصحّحه هو وأقره الذهبي.

٣ ـ زيد بن أرقم قال: أوَّل من أسلم مع رسول الله عليّ بن أبي طالب.

تاريخ الطبري بإسنادين صحيحين رجالهما ثقات. مسند أحمد ج ٤ ص ٣٦٨. مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٣٦ وصحّحه هو وأقرّه الذهبي. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٤ ـ زيد بن أرقم قال: أوَّل من صلّى مع رسول الله ﷺ عليٌّ.

أخرجه أحمد والطبراني كما في مجمـع الهيثمي ج ٩ ص ١٠٣ وقال: رجال أحمد رجال الصحيحين. أبو عمرو في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩.

٥ - زيد بن أرقم قال: أوَّل من آمن بالله بعد رسول الله ﷺ عليٌّ بن أبي طالب. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩.

٦ - عبدالله بن عبّاس قال: أوَّل من صلّى عليٌّ.

جامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٥. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤١ بإسناد صحيح. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

٧ - عبدالله بن عبّاس قال: لعليٍّ أربع خصال ليست لأحد: هو أوَّل عربيٍّ وأعجميٍّ صلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم. مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧.

٨ - عبدالله بن عبّاس قال مجاهد: إنَّه قال: أوَّل من ركع مع النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم عليٌّ بن أبي طالب فنزلت فيه هذه الآية: ﴿**أقيموا الصَّلاة وآتوا الزَّكوة واركعوا مع الراكعين**﴾. تذكرة السبط ٨.

٩ - عبدالله بن عبّاس قال في خطبة له: إنَّ ابن آكلة الأكباد قد وجد من طعام أهل الشام أعواناً على عليٍّ بن أبي طالب ابن عمّ رسول الله وصهره وأوَّل ذكر صلّى معه.

كتاب صفّين لابن مزاحم ٣٦٠ شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٥٠٤ جمهرة الخطب ج ١ ص ١٧٥.

١٠ - عبدالله بن عبّاس قال: فرض الله تعالى الاستغفار لعليّ في القرآن على كلّ مسلم بقوله تعالى: ﴿**ربَّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾. فكلُّ من أسلم بعد عليٍّ فهو يستغفر لعليٍّ. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٦.

١١ - عبدالله بن عبّاس قال: أوّل من أسلم عليٌّ بن أبي طالب.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢.

١٢ ـ عبدالله بن عبّاس قال: كان عليٌّ أوّل من آمن من النّاس بعد خديجة رضي الله عنهما.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ وقال: قال أبو عمرو رضي الله عنه: هذا إسنادٌ لا مطعن فيه لأحد لصحّته وثقة نقلته. وصحّحه الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢.

١٣ ـ كان ابن عبّاس بمكّة يُحدِّث على شفير زمزم ونحن عنده فلمّا قضى حديثه قام إليه رجلٌ فقال: يا بن عبّاس! إنّي امرؤٌ من أهل الشام من أهل حمص إنّهم يتبرّؤون من علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ويلعنونه. فقال: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدّلهم عذاباً مهيناً. أَلِبُعدِ قرابته من رسول الله ﷺ؟ وأنّه لم يكن أوّل ذكران العالمين إيماناً بالله ورسوله؟ وأوّل من صلّى وركع وعمل بأعمال البرّ؟ قال الشافعي: إنّهم والله ما يُنكرون قرابته وسابقته غير أنّهم يزعمون أنّه قتل الناس. الحديث. المحاسن والمساوىء للبيهقي ج ١ ص ٣٠.

١٤ ـ عفيف قال: جئت في الجاهليّة إلى مكّة وأنا أُريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها فأتيت العبّاس بن عبد المطلب وكان رجلاً تاجراً فأنا عنده جالسٌ حيث أنظر إلى الكعبة وقد حلقت الشمس في السّماء فارتفعت وذهبت إذ جاء شابٌّ فرمى ببصره إلى السّماء ثمّ قام مستقبل الكعبة ثمّ لم ألبث إلّا يسيراً حتّى جاء غلامٌ فقام على يمينه، ثمّ لم يلبث إلّا يسيراً حتّى جاءت امرأةٌ فقامت خلفهما، فركع الشابُّ فركع الغلام والمرأة، فرفع الشابُّ فرفع الغلام والمرأة، فسجد الشابُّ فسجد الغلام والمرأة فقلت: يا عبّاس! أمرٌ عظيمٌ. قال العبّاس: أمرٌ عظيمٌ، أتدري مَن هذا الشابُّ؟ قلت: لا. قال: هذا محمّد بن عبدالله ابن أخي. أتدري مَن هذا الغلام؟ هذا عليٌّ ابن أخي. أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد زوجته، إنّ ابن أخي هذا أخبرني أنّ ربّه ربّ السماء والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على الأرض كلّها أحدٌ على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

خصائص النسائي ٣. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١. الرِّياض النضرة ج ٢

ص ١٥٨ الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٩. عيون الأثر ج ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. السيرة الحلبيَّة ج ١ ص ٢٨٨.

١٥ - سلمان الفارسي قال: أوَّل هذه الامَّة وروداً على نبيِّها الحوض أوَّلها إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧. مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٠٢ وقال: رجاله ثقاتٌ وعدَّه الاسكافي في رسالته على العثمانيَّة. وأبو عمرو في الاستيعاب. والعراقيُّ في شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. والقسطلاني في المواهب ج ١ ص ٤٥ ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم.

١٦ - أبو رافع قال: صلّى النبيُّ ﷺ أوَّل يوم الإثنين وصلّت خديجة آخره وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء من الغد.

أخرجه الطبراني كما في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٠. عيون الأثر ج ١ ص ٩٢. وتجده وسابقه في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٥٨. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

١٧ - أبو رافع قال: مكث عليٌّ يصلّي مستخفياً سبع سنين وأشهراً قبل أن يصلّي أحدٌ. وأخرجه الطبراني. الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٣. الحمّويي في الفرائد ب ٤٧.

١٨ - أبو ذرّ الغفاري، عدَّ ممَّن روى أنَّ عليَّ بن أبي طالب أوَّل من أسلم.

الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. التقريب وشرحه ج ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

١٩ - خباب بن الأرت قال: رأيت عليّاً يُصلّي قبل الناس مع النبيِّ وهو يومئذ بالغٌ مستحكم البلوغ. رسالة الاسكافي. وعُدَّ ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل مَن أسلم في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. والمواهب اللدنية ج ١ ص ٤٥.

٢٠ ـ المقداد بن عمرو الكندي، ممّن روى أنّ عليّاً أوّل من أسلم كما في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. والتقريب وشرحه ج ١ ص ٨٥. والمواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

٢١ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: بُعث النبيُّ ﷺ يوم الإثنين وصلّى عليٌّ يوم الثّلاثاء. الطبري ج ٢ ص ٢١١. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨. وعدَّه أبو عمرو والعراقيُّ والقسطلاني ممَّن روى أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم.

٢٢ ـ أبو سعيد الخدري روى أَنَّ عليَّ بن أبي طالب أوَّل من أسلم. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٦. شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. المواهب اللدنيَّة ج ١ ص ٤٥.

٢٣ ـ حذيفة بن اليمان قال: كنّا نعبد الحجارة ونشرب الخمر وعليّ من أبناء أربع عشرة سنة قائمٌ يصلّي مع النبيِّ ليلاً ونهاراً، وقريش يومئذ تسافه رسول الله ﷺ ما يذبُّ عنه إلاّ عليٌّ. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٢٤ ـ عمر بن الخطاب قال عبدالله بن عبّاس: سمعت عمر وعنده جماعةٌ فتذاكروا السابقين إلى الإسلام فقال عمر: أمّا علي فسمعت رسول الله يقول: فيه ثلاث خصال. لوددت أن تكون لي واحدة منهنَّ، وكانت أحبّ إليَّ ممّا طلعت عليه الشمس، كنت أنا وأبو عبيدة وأبو بكر وجماعة من أصحابه إذ ضرب النبيُّ ﷺ على منكب عليٍّ رضي الله عنه فقال له: يا عليُّ! أنت أوَّل المؤمنين إيماناً، وأوَّل المسلمين إسلاماً. وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى. رسالة الإسكافي. مناقب الخوارزمي. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٢٥ ـ عبد الله بن مسعود قال: أوَّل حديث علمته من أمر رسول الله ﷺ أنّي قدمت مكّة مع عمومة لي (وذكر مثل حديث عفيف المذكور ص ٢٨١) رسالة الإسكافي.

٢٦ ـ أبو أيّوب الأنصاري، أخرج الطبراني عنه أنّه قال: أوَّل الناس

إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب. شرح التقريب ج ١ ص ٨٥. شرح الزرقاني ج ١ ص ٢٤٢.

٢٧ - أبو مرازم يعلى بن مرَّة، عدَّه الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ ممَّن قال: إنَّ عليّاً أوَّل الناس إسلاماً.

٢٨ - هاشم بن عُتبة المرقال قال: أنت يا أمير المؤمنين، أقرب الناس من رسول الله رحماً، وأفضل الناس سابقة وقدماً. كتاب نصر ١٢٥. جمهرة الخطب ج ١ ص ١٥١.

٢٩ - في كلام لهاشم بن عُتبة يوم صفِّين: إنَّ صاحبنا هو أوَّل من صلّى مع رسول الله، وأفقهه في دين الله، وأولاه برسول الله.

كتاب نصر ٤٠٣ تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤. الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ١٣٥. وقال هاشم يوم صفِّين:

مع ابن عمّ أحمد المعلّى فيه الرّسول بالهدى استهلّا
أوّل من صدَّقه وصلّى فجاهد الكفّار حتى أبلى[1]

٣٠ - مالك بن الحارث الأشتر قال في خطبة له: معنا ابن عمّ نبيِّنا وسيفٌ من سيوف الله عليُّ بن أبي طالب، صلّى مع رسول الله لم يسبقه إلى الصلاة ذَكَر، حتّى كان شيخاً لم يكن له صبوةٌ ولا نبوةٌ ولا هفوةٌ، فقيهٌ في دين الله، عالمٌ بحدود الله.

كتاب نصر ٢٦٨. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٤. جمهرة الخطب ج ١ ص ١٨٣.

٣١ - عديّ بن حاتم قال في خطبة له مخاطباً معاوية: ندعوك إلى أفضل الامَّة سابقة، وأحسنها في الإسلام آثاراً.

كتاب نصر ٢٢١. تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢. شرح ابن أبي الحديد ج ١

---

(١) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٣٧١ ط مصر.

ص ٣٤٤. وفي لفظ ابن الأثير في الكامل ج ٣ ص ١٢٤: إنَّ ابن عمِّك سيِّد المسلمين أفضلها سابقةً.

٣٢ ـ عديّ بن حاتم قال في خطبة اخرى له: إن كان له (لعليّ) عليكم فضلٌ فليس لكم مثله فسلّموا وإلاّ فنازعوا عليه، والله لئن كان إلى العلم بالكتاب والسنّة، إنَّه لأعلم الناس بهما. ولئن كان إلى الإسلام، إنّه لأخو نبيِّ الله والرأس في الإسلام. الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٣.

٣٣ ـ محمّد بن الحنفيَّة قال سالم بن أبي الجعد قلت له: أبو بكر كان أوَّلهم إسلاماً؟! قال: لا. الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٨. إذا ثبت أنَّ أبا بكر لم يكن أوَّل الناس إسلاماً فعليٌّ عليه السَّلام هو المتعيَّن سبق إسلامه.

٣٤ ـ طارق بن شهاب الأحمسي في كلام له: ثمَّ قلت: ادع عليّاً وهو أوَّل المؤمنين إيماناً بالله وابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ووصيّه، هذا أعظم، الحديث. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٧٦.

٣٥ ـ عبدالله بن هاشم المرقال قال في خطبة له: يا أيّها النّاس! إنَّ هاشماً جاهد في طاعة ابن عمّ رسول الله، وأوَّل من آمن به؛ وأفقههم في دين الله. كتاب نصر ٤٠٥.

٣٦ ـ عبدالله بن حجل قال: يا أمير المؤمنين، أنت أوَّلنا إيماناً، وآخرنا بنبيِّ الله عهداً. الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٣، كتاب نصر.

٣٧ ـ أبو عمرة بشير بن محصن قال في جمع من أصحاب عليٍّ ومعاوية: إنَّ صاحبي أحقّ البريَّة كلّها بهذا الأمر في الفضل والدين والسابقة في الإسلام والقرابة من رسول الله. كتاب نصر ٢١٠.

٣٨ ـ عبدالله بن خباب بن الأرت قال ابن قتيبة: إنّ الخارجة الّتي خرجت على عليٍّ بينما هم يسيرون فإذا هم برجل يسوق امرأته على حمار له فعبروا إليه الفرات فقالوا له: من أنت؟ قال: أنا رجلٌ مؤمنٌ، قالوا: فما تقول في عليِّ بن أبي طالب؟ قال: أقول: إنَّه أمير المؤمنين وأوَّل المسلمين إيماناً بالله ورسوله.

قالوا: فما اسمك؟ قال: وأنا عبدالله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٢٢.

٣٩ ـ عبدالله بن بُريدة قال: أوَّل الرِّجال إسلاماً عليٌّ بن أبي طالب ثمّ الرهط الثلاث: أبو ذر وبُريدة وابن عمّ لأبي ذرّ. أخرجه محمّد بن إسحق المدني في الجزء الأوَّل من المغازي.

٤٠ ـ محمّد بن أبي بكر كتب إلى معاوية كتاباً منه: فكان أوّل من أجاب وأناب، وصدّق ووافق، وأسلم وسلم أخوه وابن عمّه عليٌّ بن أبي طالب ـ إلى أن قال ـ: أوَّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيَّة ـ إلى قوله ـ يا لك الويل! تعدل نفسك بعليٍّ وهو وارث رسول الله ووصيّه وأبو ولده، وأوّل الناس له اتِّباعاً، وآخرهم به عهداً، يُخبره بسرِّه، ويشركه في أمره. نصر في كتاب صفّين ١٣٣.

٤١ ـ عمرو بن الحمق قال لعليٍّ: أحببتك لخصال خمس: إنَّك ابن عمِّ رسول الله وأوَّل من آمن به. وفي لفظ: وأسبق النّاس إلى الإسلام، أبو الذريَّة التي بقيت فينا من رسول الله، وأعظم رجل من المهاجرين سهماً في الجهاد. كتاب صفِّين ١١٥ جمهرة الخطب ج ١ ص ١٤٩.

٤٢ ـ سعيد بن قيس الهمداني يرتجز في صفِّين بقوله[1].

هذا عليٌّ وابن عمِّ المصطفى　　　أوَّل من أجابه ممَّن دعا

هذا الإمام لا يُبالي من غوى

٤٣ ـ عبدالله بن أبي سفيان قال مجيباً الوليد:

وإنَّ وليَّ الأمر بعد محمّدٍ　　　عليٌّ وفي كلِّ المواطن صاحبه

وصيُّ رسول الله حقّاً وصنوه　　　وأوّل من صلّى ومن لان جانبه

(١) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩، وذكره غيره لقيس بن سعد بن عبادة.

رسالة الإسكافي، وذكرهما الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٤٨ للفضل ابن العبّاس .

٤٤ ـ خزيمة بن ثابت الأنصاري عدّه العراقي في شرح التقريب ج ١ ص ٨٥، والزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ ممّن قال بأنّ عليّاً أوّل الناس إسلاماً. وقالا: أنشد المرزبان له في عليٍّ:

أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعلم النّاس بالقرآن والسنن؟؟

وذكر له الإسكافي في رسالته كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩:

وصيُّ رسول الله من دون أهله وفارسه مذ كان في سالف الزمنْ
وأوّل من صلّى من الناس كلّهم سوى خيرة النسوان والله ذو المننْ

وذكرهما له الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١١٤، وذكر قبلهما:

إذا نحن بايعنا عليّاً فحسبنا أبو حسن ممّا نخاف من الفتنْ
وجدناه أولى النّاس بالنّاس إنّه أطبّ قريش بالكتاب وبالسننْ[1]

٤٥ ـ كعب بن زهير، ذكر الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٢٤٢ له من قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين عليه السَّلام:

إنّ عليّاً لميمون نقيبته بالصّالحات من الأفعال مشهورُ
صهر النبيِّ وخير الناس كلّهمُ فكلّ من رامه بالفخر مفخورُ
صلّى الصلاة مع الامّي أوّلهم قبل العباد وربُّ الناس مكفورُ[2]

٤٦ ـ ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، ذكر جمعٌ من الأعلام له أبيات وذكرها آخرون لغيره وهي:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرفٌ عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسنِ

(١) ولهذه الأبيات بقية توجد في الفصول المختارة ج ٢ ص ٦٧.
(٢) في النسخة تصحيف ذكرناها صحيحة.

أليس أوَّل من صلّى لقبلتهم ؟! وأعلم النّاس بالآيات والسننِ؟!
وآخر الناس عهداً بالنبيّ ومَن جبريل عون له في الغسل والكفنِ؟
مَن فيه ما فيهمُ ما تمترون به؟! وليس في القوم مافيه من الحسنِ
ماذا الذي ردَّكم عنه فنعلمه ها إنَّ بيعتكم من أوَّل الفتنِ

وذكر الإسكافي في رسالته البيتين الأوَّلين منها ونسبهما إلى أبي سليمان بن حرب بن اميَّة بن عبد شمس حين بويع أبو بكر. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩.

٤٧ - الفضل بن أبي لهب قال ردّاً على قصيدة الوليد بن عقبة:

ألا إنَّ خير النّاس بعد محمّدٍ مهيمنه التاليه في العرف والنكرِ
وخيرته في خيبر ورسوله بنبذ عهود الشرك فوق أبي بكرِ
وأوَّل من صلَّى وصنو نبيِّه وأوَّل من أردى الغواة لدى بدرِ
فذاك عليٌّ الخير من ذا يفوقه؟! أبو حسن حلف القرابة والصهرِ

٤٨ - مالك بن عبادة الغافقي حليف حمزة بن عبد المطلب قال:

رأيت عليّاً لا يلبّث قرنه إذا ما دعاه حاسراً أو مسربلا
فهذا وفي الإسلام أوَّل مسلم وأوَّل من صلّى وصام وهلّلا

٤٩ - أبو الأسود الدؤلي يهدِّد طلحة والزبير بقوله:

وإنَّ عليّاً لكم مصحرٌ يماثله الأسد الأسودُ
أما إنَّه أوَّل العابدين بمكّة والله لا يُعبدُ[1]

٥٠ - جندب بن زهير كان يرتجز يوم صفّين بقوله:

هذا عليٌّ والهدى حقّاً معه يا ربِّ فاحفظه ولا تضيِّعه
فإنَّه يخشاك ربّي فارفعه نحن نصرناه على مَن نازعه
صهر النبيِّ المصطفى قد طاوعه أوَّل من بايعه وتابعه[2]

---

(١) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩.
(٢) كتاب نصر بن مزاحم ص ٤٥٣.

٥١ - زفر بن يـزيد[١] بن حذيفة الأسدي قال:

فحوطوا عليّاً فانصروه فإنّه ... وصيٌّ وفي الإسلام أوّل أوّلُ
وإن تخذلوه والحوادث جمّة ... فليس لكم عن أرضكم متحوّل[٢]

٥٢ - النجاشي بن الحارث بن كعب قال:

فقـل للمضلّل من وائـل ... ومن جعل الغثّ يوماً سمينا
جعلت ابن هنـد وأشياعـه ... نظير عليٍّ أما تستحونـا؟!
إلى أوّل النّاس بعد الرسول ... أجـاب النبيّ من العالمينـا
صهر النبيّ المصطفى قد طاوعـه ... أوّل من بـايعـه وتـابعـه[٢]

٥٣ - جرير بن عبدالله البجلي قال:

فصلّى الإلّـه على أحمـد ... رسول المليك تمـام النعمْ
وصلّى على الطهر من بعده ... خليفتنـا القـائم المـدّعمْ
عليّـاً عنيت وصيّ الـنبيّ ... يجـالـد عنـه غـواة الامم
له الفضل والسبق والمكرما ... ت وبيت النبوّة لا المهتضمْ

٥٤ - عبدالله بن حكيم التميمي قال:

دعـانـا الـزبيـر إلى بيعـة ... وطلحـة من بعد أن أثقـلا
فقلنـا: صفقنـا بـأيمـاننـا ... فـإن شئتما فخـذا الأشملا
نكثتم عـليّـاً على بـيعـة ... وإسـلامـه فـيكـمُ أوّلا

٥٥ - عبد الرحمن بن حنبل [جعل] الجمحي حليف بني الجمح قال:

لعمري لئن بايعتمُ ذا حفيـظة ... على الدين معروف العفاف موفّقا
عفيفاً عن الفحشاء أبيض ماجداً ... صدوقاً وللجبّار قِدمـا مصـدِّقـا
أبا حسنٍ فارضـوا به وتبـايعوا ... فليس كمن فيه يرى العيب منطقا

---

(١) في بعض المصادر: زفير بن زيد.
(٢) رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٩.
(٣) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٦٦.

عليٌّ وصيُّ المصطفى ووزيره وأوّل من صلّى لذي العرش واتّقى[1]

٥٦ - أبو عمرو عامر الشعبي الكوفي قال: أوّل من أسلم من الرِّجال عليّ ابن أبي طالب وهو ابن تسع سنين. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٥٧ - أبو سعيد الحسن البصري قال: عليٌّ أوّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد عن عبد الرَّزاق عن معمر عن قتادة عنه. ورواه الإسكافي في رسالته عن عبد الرَّزاق كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

وقال الحجّاج للحسن وعنده جماعةٌ من التابعين وذكر عليّ بن أبي طالب: ما تقول أنت يا حسن؟ فقال: ما أقول هو: أوّل من صلّى إلى القبلة، وأجاب دعوة رسول الله. وإنَّ لعليٍّ منزلة من ربِّه وقرابة من رسوله، وقد سبقت له سوابق لا يستطيع ردَّها أحدٌ، فغضب الحجّاج غضباً شديداً وقام عن سريره فدخل بعض البيوت.

وقال رجل للحسن: ما لنا لا نراك تثني على عليٍّ وتقرظه؟ قال كيف؟! وسيف الحجّاج يقطر دماً، إنَّه أوَّل من أسلم، وحسبكم بذلك. رسالة الإسكافي كما في شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٥٨.

٥٨ - الإمام محمّد بن عليٍّ الباقر قال: أوَّل من آمن بالله عليٌّ بن أبي طالب وهو ابن إحدى عشرة سنة. شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠.

٥٩ - قتادة بن دعامة الأكمه البصري قال: عليٌّ أوَّل من أسلم بعد خديجة. أخرجه أحمد كما سمعت، والقسطلاني عدّه ممّن قال به في المواهب ج ١ ص ٤٥، وأقرّه الزرقاني في شرحه ج ١ ص ٢٤٢.

٦٠ - محمّد بن مسلم المعروف بابن شهاب[2] عدَّه القسطلاني في المواهب ج ١ ص ٤٥، وأقرّه الزرقاني في شرحه ج ١ ص ٢٤٢ من القائلين بأنّ

---

(١) كفاية الطالب للحافظ الكنجي ص ٤٨.

(٢) نسبة إلى جد جده.

عليّاً أوَّل مَن أسلم.

٦١ ـ أبو عبدالله محمّد بن المكندر المدني قال: عليٌّ أوَّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٦٢ـ أبو حازم سلمة بن دينار المدني قال: عليٌّ أوَّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣ . الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢ .

٦٣ ـ أبو عثمان ربيعة بن أبي عبد الرَّحمن المدني قال: عليٌّ أوَّل من أسلم.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٢.

٦٤ ـ أبو النضر محمّد بن السائب الكلبي قال: عليّ أوَّل من أسلم، أسلم وهو ابن تسع سنين. تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. الكامل لابن الأثير ج٢ ص ٢٢.

٦٥ ـ محمَّد بن إسحاق قال: كان أوّل ذَكر آمن برسول الله ﷺ. وصلّى معه وصدَّقه بما جاءه من عند الله عليٌّ بن أبي طالب وهو يومئذ ابن عشر سنين[1] وكان ممّا أنعم الله به على عليٍّ بن أبي طالب أنه كان في حجر رسول الله ﷺ قبل الإسلام.

وقال: وذكر بعض أهل العلم أنَّ رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصَّلاة خرج إلى شعاب مكّة وخرج معه عليٌّ بن أبي طالب، مستخفياً من عمِّه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه فيصلّيان الصَّلوات فيها، فإذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا، ثمَّ إنَّ أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلِّيان فقال لرسول الله ﷺ: يا بن أخي ما هذا الدين؟ الحديث.

تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٤، ٢٦٥. سيرة ابن سيِّد الناس ج ١ ص ٩٣. الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٢٢. شرح ابن

(١) في الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٣٢: إحدى عشرة سنة. نقلاً عن ابن إسحاق.

أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٠. السيرة الحلبيّة ج١ ص ٢٨٧.

٦٦ - جُنيد بن عبد الرَّحمن قال: أتيت من حوران إلى دمشق لآخذ عطائي فصلَّيت الجمعة ثمَّ خرجت من باب الدرج فإذا عليه شيخٌ يقال له: أبو شيبة القاصّ يقصُّ على الناس، فرغَّب فرغبنا، وخوَّف فبكينا، فلمّا انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب. فلعنوا أبا تراب عليه السَّلام فالتفت إليَّ من على يميني فقلت له: فمن أبو تراب؟ فقال: عليُّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله، وزوج ابنته، وأوَّل النّاس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين. فقلت: ما أصاب هذا القاصّ؟! فقمت إليه وكان ذا وفرة فأخذت وفرته بيدي وجعلت ألطم وجهه وأبطح برأسه الحائط، فصاح فاجتمع أعوان المسجد فوضعوا ردائي في رقبتي وساقوني حتّى أدخلوني على هشام بن عبد الملك وأبو شيبة يقدمني فصاح يا أمير المؤمنين! قاصّك وقاصّ آبائك وأجدادك أتى إليه اليوم أمرٌ عظيمٌ. قال: من فعل ذلك؟ فقال: هذا. فالتفت إليَّ هشام وعنده أشراف النّاس فقال: يا أبا يحيى! متى قدمت؟ فقلت: أمس وأنا على المصير إلى أمير المؤمنين فأدركتني صلاة الجمعة فصلَّيت وخرجت إلى باب الدرج فإذا هذا الشيخ قائم يقصّ فجلست إليه فقرأ فسمعنا، فرغَّب مَن رغَّب، وخوّف مَن خوّف؛ ودعا فأمّنا، وقال في آخر كلامه: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فسألت مَن أبو تراب؟ فقيل: عليٌّ بن أبي طالب، أوَّل الناس إسلاماً، وابن عمِّ رسول الله، وأبو الحسن والحسين، وزوج بنت رسول الله. فوالله يا أمير المؤمنين! لو ذكر هذا قرابة لك بمثل هذا الذكر ولعنه بمثل هذا اللعن لأحللت به الذي أحللت، فكيف لا أغضب لصهر رسول الله وزوج ابنته؟! فقال هشام: بئس ما صنع.

(تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٤٠٧)

هذه جملةٌ من النصوص النبويَّة، والكلم المأثورة عن أمير المؤمنين والصحابة والتابعين في أنَّ عليّاً أوَّل من أسلم ،وهي تربو على مائة كلمة، أضف إليهما ما مرَّ ج ٢ ص ٣٢١ من أنَّ أمير المؤمنين سبّاق هذه الامَّة. واشفع الجميع بما أسلفناه ج ٢ ص ٣٥٥ من أنَّه صلوات الله عليه صدِّيق هذه الامَّة،

وهو الصدِّيق الأكبر.

فهل تجد عندئذ مساغاً لمكابرة ابن كثير تجاه هذه الحقيقة الراهنة وقوله: وقد ورد في أنَّه أوَّل من أسلم. إلخ؟!؟! فإذا لا يصحُّ مثل هذه فما الذي يصحّ؟ وإن كان لا يصحّ شيءٌ منها فما قيمة تلك الكتب المشحونة بها؟! كلّا، إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخٌ إلى يوم يبعثون.

وأنت ترى الرجل يزيف هذه الكلم والنصوص الكثيرة الصحيحة بحكم الحفّاظ الأثبات بكلمة واحدة قارصة، ويعتمد في إثبات أيِّ أمر يروقه في تاريخه على المراسيل والمقاطيع والآحاد، ونقل المجاهيل وأفناء الناس.

تذييلٌ

قال المأمون في حديث احتجاجه على أربعين فقيهاً ومناظرته إيّاهم في أنّ أمير المؤمنين أولى الناس بالخلافة: يا إسحاق إيُّ الأعمال كان أفضل يوم بعث الله رسوله؟ قلت: الإخلاص بالشهادة. قال: أليس السبق إلى الإسلام؟ قلت: نعم قال: اقرأ ذلك في كتاب الله يقول: والسابقون السابقون أُولئك المقرَّبون إنَّما عُني من سبق إلى الإسلام، فهل علمت أحداً سبق عليّاً إلى الإسلام؟ قلت يا أمير المؤمنين! إنَّ عليّاً أسلم وهو حديث السنِّ لا يجوز عليه الحكم، وأبو بكر أسلم وهو مستكملٌ يجوز عليه الحكم. قال: أخبرني أيّهما أسلم قبلُ؟ ثمَّ أُناظرك من بعده في الحداثة والكمال. قلت: عليٌّ أسلم قبل أبي بكر على هذه الشريطة. فقال: نعم فأخبرني عن إسلام عليٍّ حين أسلم، لا يخلو من أن يكون رسول الله ﷺ دعاه إلى الإسلام أو يكون إلهاماً من الله. قال فأطرقت فقال لي: يا إسحاق! لا تقل إلهاماً فتقدِّمه على رسول الله ﷺ لأنَّ رسول الله لم يعرف الإسلام حتى أتاه جبرائيل عن الله تعالىٰ. قلت: أجل بل دعاه رسول الله إلى الإسلام. قال: يا إسحاق! فهل يخلو رسول الله ﷺ حين دعاه إلى الإسلام من إن يكون دعاه بأمر الله أو تكلّف ذلك من نفسه؟ قال: فأطرقت. فقال: يا إسحاق لا تنسب رسول الله إلى تكلّف فإنَّ رسول الله الله يقول: وما أنا من المتكلّفين.

قلت : أجل ، يا أمير المؤمنين ! بل دعاه بأمر الله . قال : فهل من صفة الجبّار جلَّ ذكره أن يكلّف رسله دعاء مَن لا يجوز عليه حكمٌ ؟ قلت : أعوذ بالله . فقال : أفتراه في قياس قولك يا إسحاق إنَّ عليّاً أسلم صبيّاً لا يجوز عليه الحكم قد تكلّف رسول الله ﷺ من دعاء الصبيان ما لا يطيقون ، فهل يدعوهم الساعة ويرتدّون بعد ساعة ، فلا يجب عليهم في إرتدادهم شيءٌ ولا يجوز عليهم حكم الرَّسول عليه السَّلام ؟ أترى هذا جائزاً عندك أن تنسبه إلى رسول الله ﷺ ؟ ! قلت أعوذ بالله . الحديث العقد الفريد ج ٣ ص ٤٣ .

وقال أبو جعفر الإسكافي المعتزلي المتوفّى سنة ٢٤٠ في رسالته : قد روى الناس كافّة افتخار عليٍّ عليه السَّلام بالسبق الى الاسلام وأنّ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم استنبىء يوم الإثنين وأسلم عليٌّ يوم الثّلاثاء ، وأنه كان يقول : صلّيت قبل النّاس سبع سنين وأنّه ما زال يقول ، أنا أوّل من أسلم . ويفتخر بذلك ويفتخر له به أولياؤه ومادحوه وشيعته في عصره وبعد وفاته ، والأمر في ذلك أشهر من كلِّ شهير ، وقد قدَّمنا منه طرفاً وما علمنا أحداً من النّاس فيما خلا استخفَّ بإسلام عليٍّ عليه السَّلام ولا تهاون به ، ولا زعم أنَّه أسلم إسلام حدث غرير وطفل صغير ، ومن العجب أن يكون مثل العبّاس وحمزة ينتظران أبا طالب وفعله ليصدّوا عن رأيه ، ثمَّ يخالفه عليٌّ ابنه لغير رغبة ولا رهبة ، يؤثر القلّة على الكثرة والذل على العزَّة من غير علم ولا معرفة بالعاقبة ، وكيف ينكر الجاحظ والعثمانيَّة أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الإسلام وكلّفه التصديق .

ورُوي في الخبر الصحيح[1] أنّه كلفه في مبدأ الدعوة قبل ظهور كلمة الإسلام وانتشارها بمكّة أن يصنع له طعاماً وأن يدعو له بني عبد المطلب . فصنع له الطعام ودعاهم له فخرجوا ذلك اليوم ولم ينذرهم صلى الله عليه وآله وسلم لكلمة قالها عمّه أبو لهب فكلّفه اليوم الثاني أن يصنع مثل ذلك الطعام وأن يدعوهم ثانية . فصنعه ودعاهم فأكلوا ثمَّ كلّمهم صلى الله عليه وآله وسلم

(١) مر هذا الحديث الصحيح بألفاظه وطرقه في ج ٢ ص ٣٢٣

فدعاهم إلى الدين ودعاه معهم لأنَّه من بني عبد المطلب ، ثمَّ ضمن لمن يُوازره منهم وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيَّه بعد موته وخليفته من بعده ، فأمسكوا كلّهم وأجابه هو وحده وقال : أنا أنصرك على ما جئت به أوازرك وأبايعك . فقال لهم لمّا رأى منهم الخذلان ومنه النصر ، وشاهد منهم المعصية ومنه الطاعة ، وعاين منهم الإباء ومنه الإجابة : هذا أخي ووصيِّي وخليفتي من بعدي فقاموا يسخرون ويضحكون ويقولون لأبي طالب : أطع ابنك فقد أمَّره عليك .

فهل يكلّف عمل الطعام ودعاء القوم صغيرٌ غير مميِّز ؟ وغرٌّ غير عاقل ؟ وهل يؤتمن على سرِّ النبوَّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع ؟ وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلاّ عاقلٌ لبيبٌ؟ وهل يضع رسول الله ﷺ يده في يده ويُعطيه صفقة يمينه بالأُخوَّة والوصيَّة والخلافة إلاَّ وهو أهلٌ لذلك ، بالغٌ حدَّ التكليف ، محتملٌ لولاية الله وعداوة أعدائه ؟[1] .

وقال الحاكم النيسابوري صاحب «المستدرك» على الصحيحين في كتاب «المعرفة» ص ٢٢ : ولا أعلم خلافاً بين أصحاب التواريخ أنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه أوَّلهم إسلاماً وإنّما اختلفوا في بلوغه .

وقال ابن عبد البّر في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٥٧ : اتَّفقوا على أنَّ خديجة أوَّل من آمن بالله ورسوله وصدَّقه فيما جاء به ثمَّ عليٌّ بعدها .

وقال المقريزي في الإمتاع ص ١٦ ما ملخَّصه : وأمّا عليٌّ بن أبي طالب ، فلم يُشرك بالله قطُّ ، وذلك أنَّ الله تعالىٰ أراد به الخير فجعله في كفالة ابن عمّه سيّد المرسلين محمَّد ﷺ فعندما أتى رسول الله ﷺ الوحيُ وأخبر خديجة وصدَّقت ، كانت هي وعليّ بن أبي طالب وزيد بن حارثة يُصلّون معه ، «إلى أن قال» : فلم يحتج عليٌّ رضي الله عنه أن يُدعى ، ولا كان مشركاً حتّى يُوحِّد فيقال : أسلم، بل كان عندما أوحى الله إلى رسوله ﷺ عمره ثماني سنين ، وقيل : إحدى عشرة سنة ، وكان مع

---

(١) مرت جملة من بقية الكلام ج ٢ ص ٣٣٣.

رسول الله ﷺ في منزلـه بين أهله كأحـد أولاده يتبعه في جميـع أحوالـه . إلخ .

وأنت تجد أوّليّة أمير المؤمنين في الإسلام في شعر كثير من السلف مثل قول مسلم بن الوليد الأنصاري :

أذكـرت سيف رسـول اللّه سنّتـه   وسيف أوّل من صلّى ومن صاما؟!

قـال أبـو الفـلاح الحنبلي في شـذراتـه ج ١ ص ٣٠٨ : يعني عليّـاً رضي الله عنه إذ كان هو الضرّاب به [بسيف النبيِّ] .

هذا ما اقتضته المسالمة مع القوم في تحديد مبدأ إسلامه عليه السَّلام، وأمّا نحن فلا نقول: إنّه أوّل من أسلم بالمعنى الذي يُحاوله ابن كثير وقومه لأنَّ البدءَة به تستدعي سبقاً من الكفر ومتى كفـر أمير المؤمنين حتّى يسلم؟ ومتى أشرك بالله حتّى يؤمن؟ وقد انعقدت نطفته على الحنيفيَّـة البيضاء، واحتضنـه حجر الرِّسالة، وغذَّته يد النبوَّة، وهذَّبه الخلق النبويُّ العظيم، لم يزل مقتصّاً أثر الرَّسول قبل أن يصدع بالدين الحنيف وبعده، فلم يكن له هوى غير هواه، ولا نزعة غير نزعته، وكيف يمكن لِخصمٍ أن يقذفه بكفر قبل الدَّعوة؟! وهو يقول (وإن لم نر صحَّة ما يقول): إنَّه كان يمنع امَّه من السّجود للصنم وهو حملٌ[1] أيكون إمام الامَّة هكذا في عالم الأجنَّة ثمَّ يُدنِّسه درن الكفر في عالم التكليف. فلقد كان صلوات الله عليه مؤمناً جنيناً ورضيعاً وفطيماً ويافعاً وغـلاماً وكهـلاً وخليفةً .

ولــولا أبــو طــالـب وابـنــه   لما مثل الـدين شخصاً وقـاما

بل نحن نقول: إنَّ المراد من إسلامه وإيمانه وأوَّليَّته فيهمـا وسبقه إلى النبيِّ في الإسـلام هو المعنى المـراد من قـولـه تعـالى عن إبـراهيم الخليـل عليه السَّلام: ﴿**وأنا أوّل المسلمين**﴾. وفيما قال سبحانه عنه: ﴿**إذ قـال ربّه أسلم قال أسلمت لربِّ العالمين**﴾ وفيما قال سبحانه عن موسى عليه السَّلام:

(١) ذكر حديثه في السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥، سيرة زيني دحلان، نور الأبصار ص ٧٦، نزهة المجالس ج ٢ ص ٢١٠.

﴿وأنا أوَّل المؤمنين﴾. وفيما قال تعالى عن نبيِّه الأعظم: ﴿آمن الرَّسول بما أُنزل إليه من ربِّه﴾. وفيما قال: ﴿قل إنّي أُمرت أن أكون أوَّل من أسلم﴾. وفي قوله: ﴿أُمرت أن أُسلم لربِّ العالمين﴾.

وفي وسع الباحث أن يتَّخذ دروساً راقية حول ما نرتئيه من خطبةٍ لأمير المؤمنين عليه السَّلام وقد ذكرها الشريف الرضي في نهج البلاغة ج ١ ص ٣٩٢ ألا وهي:

أنا وضعت في الصغر بكلاكل العرب، وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر، وقد علمتم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا وليد يضمّني إلى صدره ويكنفني في فراشه، ويُمسّني جسدَه، ويُشمّني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثمَّ يُلقمنيه، وما وجد لي كذبةً في قول، ولا خَطلة في فعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله وسلم من لدن أن كان فطيماً أعظم مَلَكٍ من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسنَ أخلاق العالَم، ليله ونهاره، ولقد كنتُ أتّبعه اتّباع الفصيل أثر امِّه، يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه عَلَماً ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحِراء فأراهُ ولا يَراه غيري، ولم يجمع بيتٌ واحدٌ يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرِّسالة، وأشمُّ ريحَ النبوَّة، ولقد سمعت رنَّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلّى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله! ما هذه الرنَّة؟ قال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنَّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلاّ أنَّك لستَ بنبيٍّ، ولكنَّك وزيرٌ؛ وإنَّك لعلى خيرٍ.

وأمّا الكلام في إسلام أبي بكر، فلايسعني أن أحوم حول هذا الموضوع وبين يديَّ صحيحة محمَّد بن سعد بن أبي وقاص التي أخرجها الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٥ بإسناد صحيح رجاله ثقات قال ابن سعد: قلت لأبي: أكان أبو بكر أوَّلكم إسلاماً فقال: لا. ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين، ولكن كان أفضلنا إسلاماً.

وما عساني أن أقول وأبو جعفر الإسكافي المعتزلي البعيد عن عالم التشيّع يقول: أمّا ما احتجَّ به الجاحظ بإمامة أبي بكر بكونه أوَّل الناس، فلو كان هذا احتجاجاً صحيحاً لاحتجَّ به أبو بكر يوم السقيفة وما رأيناه صنع ذلك لأنَّه أخذ بيد عمر ويد أبي عبيدة بن الجرّاح، وقال للناس: قد رضيت لكم أحد هذين الرَّجلين فبايعوا منهما مَن شئتم. ولو كان هذا احتجاجاً لما قال عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتةً وقى الله شرَّها. ولو كان احتجاجاً صحيحاً لادّعى واحدٌ من النّاس لأبي بكر الإمامة في عصره أو بعد عصره بكونه سبق إلى الإسلام، وما عرفنا أحداً ادَّعى له ذلك، على أن جمهور المحدِّثين لم يذكروا أنَّ أبا بكر أسلم إلاّ بعد عدَّة من الرِّجال منهم: عليّ بن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذرّ الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت، وإذا تأمَّلنا الرِّوايات الصحيحة والأسانيد القويَّة الوثيقة وجدناها كلّها ناطقةً بأنَّ عليّاً عليه السَّلام أوَّل من أسلم.

فأمّا الرِّواية عن ابن عبّاس: أنّ أبا بكر أوَّلهم إسلاماً. فقد روي عن ابن عبّاس خلاف ذلك بأكثر ممّا رووا وأشهر فمن ذلك ما رواه يحيى بن حمّاد (ثمّ ذكر أحاديث صحيحة ممّا مرَّ عن ابن عبّاس) فقال: فهذا قول ابن عبّاس في سبق عليّ عليه السَّلام إلى الإسلام وهو أثبت من حديث الشعبي وأشهر، على أنَّه قد روى عن الشعبي خلاف ذلك من حديث أبي بكر الهذلي. ثمَّ ذكر حديثه وأحاديث اخرى ممّا ذكر نقلاً عن الكتب الصحاح والأسانيد الموثوق بها[١]. هذا. ومن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً أو كذَّب بالحقِّ لمّا جاءه.

لفت نظر:

لعلَّ الباحث يرى خلافاً بين كلمات أمير المؤمنين المذكورة ص ٢٧٥ - ٢٧٨ في سني عبادته وصلاته مع رسول الله بين ثلاث وخمس وسبع وتسع سنين فنقول: أمّا ثلاث سنين فلعلَّ المراد منه ما بين أوَّل البعثة إلى إظهار الدَّعوة

---

(١) مرت بقية الكلام ج ٢ ص٣٣٣. وللإسكافي في المقام كلمات ضافية نحيل الحيطة بها إلى رسالته في الرد على الجاحظ.

من المدَّة وهي ثلاث سنين[١] فقد أقام صلّى الله عليه وآله وسلم بمكَّة ثلاث سنين من أوّل نبوَّته مستخفياً ثمَّ أعلن في الرابعة.

وأمّا خمس سنين فلعلَّ المراد منها سنتا[٢] فترة الوحي من يوم نزول ﴿اقرأ باسم ربِّك الذي خلق﴾ إلى نزول يا أيّها المدَّثر. وثلاث سنين من أوَّل بعثته بعد الفترة إلى نزول قوله: ﴿فاصدع بما تُؤمر وأعرض عَن المُشركين﴾. وقوله: ﴿وأنذرْ عَشيرتك الأقربين﴾، سني الدعوة الخفيَّة التي لم يكن فيها معه صلّى الله عليه وآله وسلم إلاّ خديجة وعليّ. وأحسب أنَّ هذا مراد من قال: إنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان مُستخفياً أمره خمس سنين كما في الإمتاع ص ٤٤.

وأمّا سبع سنين فإنَّها مضافاً إلى كثرة طرقها وصحَّة أسانيدها معتضدةٌ بالأحاديث النبويّة المذكورة ص ٢٧٤ وبحديث أبي رافع المذكور ص ٢٨١ وهي سني الدَّعوة النبويَّة من أوّل بعثته صلى الله عليه وآله وسلم إلى فرض الصَّلاة المكتوبة.

وذلك أنَّ الصَّلاة فُرضت بلا خلاف ليلة الإسراء وكان الإسراء كما قال محمَّد بن شهاب الزهري قبل الهجرة بثلاث سنين، وقد أقام صلّى الله عليه وآله وسلّم في مكّة عشر سنين فكان أمير المؤمنين خلال هذه المدَّة السنين السبع يعبد الله ويُصلّي معه صلّى الله عليه وآله وسلّم فكانا يخرجان ردحاً من الزَّمن إلى الشعب وإلى حِراء للعبادة ومكثا على هذا ما شاء الله أن يمكثا[٣] حتّى نزل قوله تعالى: ﴿وَاصدع بما تُؤمرْ وأعرض عَن المشركين﴾. وقوله: ﴿وأنذرْ عشيرتك الأقربين﴾. وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه الشريف، فتظاهر عليه السَّلام بإجابة الدَّعوة في منتدى الهاشميِّين المعقود لها ولم يلبِّها غيره، ومن يوم

---

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٦، ٢١٨. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٤. طبقات ابن سعد ص ٢٠٠. الامتاع ص ١٥، ٢١.

(٢) عدهما المقريزي أحد الأقوال في أيام فترة الوحي في الامتاع ص ١٤.

(٣) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٣. سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٦٥. راجع ص ٢٩١ من هذا الجزء.

ذاك اتّخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أخاً ووصيّاً وخليفة ووزيراً[١] ثمّ لم يُلبّ الدعوة إلى مدّة إلّا آحاد هم بالنسبة إلى عامّة قريش والناس المرتطمين في تمرّدهم في حيّز العدم.

على أنّ إيمان من آمن وقتئذٍ لم يكن معرفةً تامّةً بحدود العبادات حتّى تدرّجوا في المعرفة والتهذيب، وإنّما كان خضوعاً للإسلام وتلفّظاً بالشّهادتين ورفضاً لعبادة الأوثان. لكن أمير المؤمنين خلال هذه المدّة كان مقتصاً أثر الرّسول من أوّل يومه فيشاهده كيف يتعبّد، ويتعلّم منه حدود الفرائض ويقيمها على ما هي عليه، فمن الحقّ الصحيح إذن توحيده في باب العبادة الكاملة، والقول بأنّه عبدالله وصلّى قبل الناس بسبع سنين.

ويحتمل أن يراد السنين السبع الواردة في حديث ابن عبّاس قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أقام بمكّة خمس عشرة سنة سبع سنين يرى الضوء والنور ويسمع الصوت، وثماني سنين يوحى إليه[٢] وأمير المؤمنين كان معه من أوّل يومه يرى ما يراه صلّى الله عليه وآله وسلم ويسمع ما يسمع إلّا أنّه ليس بنبيٍّ كما مرّ في ص ٢٩٨.

فإن تعجب فعجبٌ قول الذهبي في تلخيص المستدرك ج ٣ ص ١١٢: إنّ النبيَّ من أوّل ما اوحي إليه آمن به خديجة، وأبو بكر، وبلال وزيد، مع عليّ قبله بساعات أو بعده بساعات وعبدوا الله مع نبيِّه فأين السبع السنين؟!.

قال الأميني: هذه السنين السبع، ولكن أين تلك الساعات المزعومة عند الذهبي؟ ومَن ذا الذي يقولها؟ ومتى خُلق قائلها؟ وأين هو؟ وأيُّ مصدر ينصّ عليها؟ وأيُّ راوٍ رواها؟ بل نتنازل معه ونرضى بقصّيص يقصّها، غير ما في علبة مفكّرة الذهبي، أو عيبة أوهامه، ومتى كان أبو بكر من تلك الطبقة؟ وقد مرّ في صحيحة الطبري ص ٢٤٠: أنّه أسلم بعد أكثر من خمسين رجلاً. فكأنّ الرّجل قرويٌّ من البعداء عن تاريخ الإسلام، أو أنّه عارف به غير أنّه يروقه الإفك

---

(١) راجع الجزء الثاني من كتابنا ص٣٢٣ - ٣٢٩

(٢) طبقات ابن سعد ص ٢٠٩ ط مصر.

والزور.

وأمّا تسع سنين فيمكن أن يُراد منها سنتا الفترة والسنين السبع من البعثة إلى فرض الصَّلوات المكتوبة. والمبنيُّ في هذه كلّها على التقريب لا على الدقَّة والتحقيق كما هو المطَّرد في المحاورات، فالكلُّ صحيحٌ لا خلاف بينها ولا تعارض هناك.

٥ ـ ذكر في ج ٧ ص٣٥٧حديثتصدُّقأمير المؤمنين خاتمه في الصَّلاة وهو راكعٌ ونزول آية: ﴿**إنَّما وليّكم الله ورسوله والَّذين آمنوا**﴾. الآية. من طريق أبي سعيد الأشجّ الذي أسلفناه ص ١٩٩ ثمَّ أردفه بقوله: وهذا لا يصحُّ بوجهٍ من الوجوه لضعف أسانيده، ولم ينزل في عليٍّ شيءٌ من القرآن بخصوصيَّته وكلّ ما يريدونه[1] في قوله تعالى: ﴿**إنَّما أنت منذرٌ ولكلّ قوم هاد**﴾. وقوله: ﴿**ويُطعمون الطَّعام على حُبِّه مسكيناً ويتيماً وأسيراً**﴾. وقوله: ﴿**أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر**﴾. وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في أنَّها نزلت في عليٍّ لا يصحُّ شيءٌ منها.

﴿**كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلاّ كَذبا**﴾. كيف يحكم الرَّجل بعدم صحّة نزول آية إنَّما وليّكم الله في عليّ عليه السَّلام ويستدلُّ بضعف أسانيده وهو بنفسه يرويه في تفسيره ج ٢ ص ٧١ من طريق ابن مردويه عن الكلبي ويقول: قال: هذا إسنادٌ لا يُقدح به؟! ونحن أوقفناك ص ١٩٩: على أنَّ حديث أبي سعيد الأشجّ الذي ذكره صحيحٌ رجاله ثقاتٌ.

ثمَّ إن كان ما ورد في هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة المتكثِّرة من نزولها في مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام، أنَّها مُؤَوّلة به، أو أنَّه عليه السَّلام أحد المصاديق الظاهرة لعمومها كما حسبه المغفَّل ممّا لا يصحُّ شيءٌ منها، فمن واجب الباحث أن يشطب على هذه التفاسير المعتمدة عليها والصحاح والمسانيد ومدوَّنات الحديث المعتبرة بقلمٍ عريض يمحو ما سطَّروه فيها، وما تكون عندئذ

---

(١) كذا في النسخة ولعله: يروونه.

قيمة هاتيك الكتب المشحونة بما لا يصحّ؟ !وما غناء هؤلاء العلماء الذين يعتمدون على الأباطيل؟ ! وهم يقضون أعمارهم في جمعها، ويدّخرونها للأُمّة لتعمل بها وتخبت إلى مفادها، وإذا ذهب هذا ضحيّة هوى ابن كثير فأيّ كتاب يحقّ أن يكون مرجعا لرُوّاد العلم، وموئلاً يقصده الباحث؟ !؟ !.

نعم: هذه الكتب هي المصدر والموئل لا غيرها وابن كثير نفسه لا يرد إلاّ إليها، ولا يصدر إلاّ منها في كلّ مورد، إلاّ في باب فضائل أمير المؤمنين فعندها تغلي مراجل حقده فيؤمها بلسانٍ بذيءٍ وقلم جريء.

ونحن قد أوقفناك على مصادر نزول هذه الآيات الكريمة في كتابنا هذا ج ٢ ص ٧٠ - ٧٣ وج ٣ ص ١٤٢ - ١٤٧ و١٩٨ - ٢٠٥ وسنوقفك على حقّ القول في قوله تعالى: ﴿**إنّما أنت منذرٌ ولكلّ قومٍ هاد**﴾. فإلى الملتقى.

٦ - ذكر في ج ٧ ص ٣٥٦ عن الإمام أحمد عن وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن زيد بن يُثيع عن أبي بكر حديث البراءة ثمّ أردفه بقوله: وفيه نكارةٌ من جهة أمره بردّ الصدّيق فإنّ الصدّيق لم يرجع بل كان هو أمير الحجّ. إلخ.

إقرأ واضحك من هذا الإجتهاد البارد في مقابل النصّ الثابت الصحيح المجمع على صحّته، وسيوافيك الحديث بطرقه المتكثّرة.

٧ - ذكر في ج ٧ ص ٣٤٣ من طريق الإمام أحمد عن ابن نُمير عن الأجلح الكندي عن عبدالله بن بُريدة حديثاً فيه: فقال رسول الله ﷺ: لا تقع في عليٍّ فإنّه منّي وأنا منه وهو وليّكم بعدي. ثمّ أردفه بقوله: هذه اللفظة منكرةٌ والأجلح شيعيٌّ، ومثله لا يُقبل إذا تفرّد بمثلها. وقد تابعه فيها من هو أضعف منه والله أعلم، والمحفوظ في هذا رواية أحمد عن وكيع عن الأعمش عن سعد بن عُبيدة عن عبدالله بن بُريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: مَن كنت مولاه فعليٌّ وليّه.

هل يرى عربيٌّ غير أمويّ في هذه اللفظة نُكراً؟ ! وهو ذلك القول العربيُّ

المبين السهل الممتنع. أو هل يرى عربيٌّ ـ لم تَشُبْهُ عوامل العصبيَّة ـ في معناه شيئاً منكراً؟ وهو ذلك المعنى الصحيح الثابت الصادر عن مصدر الوحي بأسانيد صحيحة المدعوم بما في معناه من الأحاديث الكثيرة الصِّحاح[1] وهل النكر الَّذي حسبه ابن كثير في إسناده إلى قائلهﷺ؟ وهو لا يفتأ يشيد بأمثال هذا الذِّكر الحكيم. أم في المقول فيه صلوات الله عليه؟ فيراه غير لائق بمثل هذه الكلمة، إذن فما ذا يصنع ابن كثير بأمثالها المتكثِّرة التي ملأت بين المشرق والمغرب؟! وهي لا تدافع بغمز في اسناد أو بوقيعةٍ في دلالة.

وهل سمعتْ أُذناك من محدِّثٍ ديني ردَّ ما أخرجه أئمَّة الحديث في الصِّحاح والمسانيد وفي مقدّمها الصحيحان إذا تفرَّد به شيعيٌّ؟ وما ذنب شيعيٍّ إذا كان ثقةً عند أئمَّة الحديث؟ كأجلح فقد وثَّقه مثل ابن معين.

والحديث أخرجه أحمد في المسند ج ٥ ص ٣٥٥ بالإسناد المذكور. والترمذي باختصار. والنسائي في الخصائص ٢٤. وابن أبي شيبة كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٤. ومحبُّ الدين الطبري في الرِّياض النضرة ج ٢ ص ١٧١. والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ وغيرهم، وإسناد أحمد المذكور صحيحٌ رجاله رجال الصحيح إلّا الأجلح وهو ثقةٌ كما سمعت.

وقول الرَّجل: والمحفوظ في هذا رواية أحمد. إلخ. يكشف عن قصور باعه في الحديث، وحسبانه الحديثين واحِداً لانتهاء سندهما إلى بريدة، وإفادة كليهما الولاية، وعدم معرفته بأنَّ حديث (لا تقع) قضيَّةٌ في واقعة شخصيَّة لدة قصَّة عمران بن الحصين المذكورة ص ٢٦٨ وأمّا (مَن كنت مولاه) فهو لفظ حديث الغدير العامّ، وليس هو محفوظ هذه القضيَّة كما لا يخفى على النابه البصير.

٨ ـ يعزو إلى الشيعة في ج ٢ ص ١٩٦ مشفوعاً ذلك بالتكذيب منه أنَّ منهم من زعم أنَّ الإبل البخاتي إنَّما نبتت لها الأسنمة من ذلك اليوم (يوم سبي

(١) راجع حديث الغدير في الجزء الأول من كتابنا وفي هذا الجزء ص ٢٦٨، ٢٦٩.

عقائل بيت الوحي يوم كربلا) لتستر عوراتهنَّ من قُبلهنَّ ودُبرهن.

لا أحسب أنَّ في الشيعة معتوهاً يزعم أنَّ الأسنمة الموجودة في الإبل بخاتيّها وعرابيّها منذ كُوِّنت حدثت بعد واقعة الطفّ، الشيعة لا تقول ذلك وإنَّما يأفك بهم من أفك، وهو يريد الوقيعة فيهم بإسناد التافهات إليهم، ولا يعتقد الشيعيُّ أنّ حرائر النبوَّة وإن سلبن الحليّ، والحلل، والأُزر، والأخمرة، مضين في السبي عراة؛ واستقبلهنّ شيءٌ من مظاهر الخزي، فإنَّ عطف المولى لهنَّ كان يأبى ذلك كلّه.

نعم: إنتابتهنَّ محنٌ ونوائب وكوارث وشدائد في سبيل جهادهنَّ كما انتابت رجالهنَّ في سبيل جهادهم،وكل ما ينتاب المجاهد بعين الله وفي سبيله فيه مأثرةٌ له لا مخزاة فإنَّهن شاركن الرِّجال في تلك النهضة المقدَّسة التي أسفرت عن فضيحة الأمويِّين ومكائدهم ونواياهم السيِّئة على الدين والمسلمين، وإضمارهم إرجاع الملأ الدينيِّ إلى الجاهليَّة الاولى.

لكن حسين الدين والهدى، المفوَّض إليه كلاءة دين جدِّه عن عادية أعدائه، الناظر إلى هاتيك الأحوال من أمم، وقف هو وآله وأصحابه ونساؤه ذلك الموقف الرَّهيب، فأنهوا إلى الجمعة الدينيَّة مقاصد القوم، وأبصروهم المعاول الهدّامة لتدمير الشريعة في أيدي آل اميَّة، وإنَّ ذلك المقعي على أنقاض الخلافة الإسلاميَّة لا صلة له برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم، ولا نصيب له من الخلافة عنه، ولم يزل عليه السَّلام يتلو هاتيك الصحيفة السوداء لبني صخر حتّى لفظ نفسه الأخير في مشهد يوم الطفّ؛ وحتى انتهى السير بنسائه وذراريه إلى الشام.

هنالك مجّت النفوس آل حرب وأشياعهم، وتعاقبت عليهم الثورات، حتّى اكتسح الله سبحانه معرَّتهم عن أديم الأرض أيّام مروان الحمار، ذلك بما كَسَبْتْ أيديهم وما الله بظلاّمٍ للعبيد. وهذا مغزى ما يُقال: من أنَّ دين الإسلام كما أنَّه محمَّديُّ الحدوث فهو حسيني البقاء.

هذه حقيقةٌ راهنةٌ مدعمةٌ بالبراهين لكن ابن كثير ونظرائه من حملة الرّوح الأمويَّة لا ينقطعون عن تحاملهم على شيعة الحسين عليه السَّلام بنسبة الأكاذيب إليهم، وقذفهم بالقوارص.

هذه نماذج يسيرة من جنايات ابن كثير، على العلم وودائع الإسلام، وتمويهه على الحقائق، ولا يسعنا استيعاب ما أودع في طيِّ كتابه من عُجره وبُجره، ولو أردنا أن نسرد كلَّ ما فيه أو جلَّه من المخاريق والتافهات والإضافات المفتعلة إلى الأبرياء، والسباب المقذع لرجال الشيعة عند ذكر تاريخهم من دون أيِّ مبرِّر، و التحامل عليهم بما يستقبحه الوجدان والعقل السليم، لجاء منه كتابٌ حافلٌ، لكنّا نمرُّ عليها كراماً.

﴿وَمَن يُشاقِقِ الرَّسول مِنْ بَعدِ ما تَبيَّنَ لهُ الهدى ويتَّبعْ غَيرَ سبيلِ المؤْمِنين نولِّه ما تَوَلّى ونُصلِهِ جَهَنَّم وساءتْ مَصيرا﴾

سورة النساء ؛ الآية : ١١٥ .

قــال الأميني

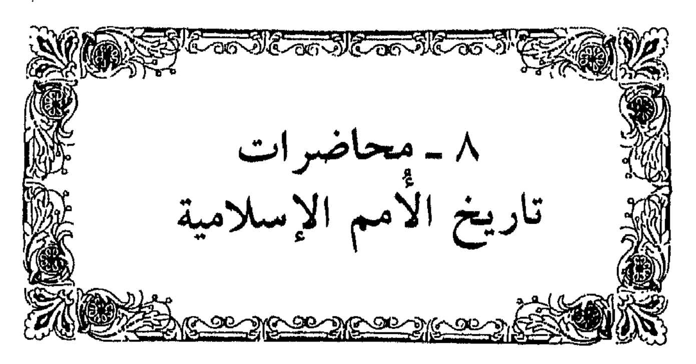
هذه نماذج ممّا في الكتب من التافهات ولم نقصد استقصاءها لأنَّه يكلّفنا تأليف مجلّدات صخمة، وإنّـما أردنا إيقاظ شعور الامَّة إلى عوامل الحقـد والإحن الممتزجين بنفسيّـات ناصبي العـداوة لأهل البيت عليهم السَّلام وأتباعهم، حتّى لا تكبو بتلك المدوَّنات المزخرفة تجاه الطائفة الكبيرة (شيعة آل الله) مثل ما كبـا أولئك المهملجون إلى البهرجة والضلال.

وإذا عرف القارىء هذه النزعة منهم ففي وسعه أن يتفحَّص عن بقيَّة ما هنالك من المخازي والطامّات والقذائف، ويحرى بنا الآن أن نوعز إلى شيءٍ ممّا جاء به متأخِّرو القوم من مؤلّفي اليوم ممَّن اقتصّوا إثر قدمائهم في العصبيَّة العمياء التي فـرَّقت الكلم، وشتّتت جمـع الامم، وأحدثت في القلوب ضغائن، وأورثت في الأفئدة نار العداء؛ وأثمرت الفتق، وأوجـدت الكوارث، وجـرّت على الامَّة كلَّ سوء، وفتحت عليها باب الضِّعة بمصراعيه، وألبستها شيـة العار، ووسمـة الشنار، فـأصبحت والأخلّاء يـومئذٍ بعضهم لبعضٍ عـدوٌّ إلّا المتَّقين، ﴿إنّما يُـريد الشيـطان أن يوقـع بينكم العداوة والبغضاء﴾ سورة المائدة: آية ٩١

﴿والله يدعوا إلى دار السَّلام﴾. سورة يونس: آية ٢٥.

﴿يـا أيّها الَّـذين آمنوا ادخُلوا في السّلم كـافَّة ولا تتَّبعـوا خطواتِ الشيطان إنَّه لكم عدوٌّ مُبينٌ﴾. سورة البقرة: آية ٢٠٨

﴿إنَّ الَّذين اتَّقوا إذا مسَّهم طائفٌ من الشَّيطان تذكَّروا فإذا هم مُبصرون﴾. سورة الأعراف: آية ٢٠١



٨ ـ محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية

تأليف الشيخ محمد الخضري

لقد أخرج الرجل هذا الكتاب بصفة التاريخ لكنه لم يجر على بساطته، وإنما أودع فيه نزعاته الأموية فترى في كل ثنية منه هملجة، وفي كل فجوة منه تركاضاً، فلا هو كتاب تاريخ يسكن إلى نقله، ولا كتاب عقيدة ينظر في نقده، وإنما هو هياج ولغط يعكر الصفو، ويقلق الطمأنينة، فكان الأحرى بنا الاعراض عنه وعن أغلاطه، لكن لم نجد بداً من لفت القارىء إلى نزر من سقطاته.

١ ـ قال في ج ٢ ص ٦٧: وممّا يزيد الأسف أنّ هذه الحرب (صفّين) لم يكن المراد منها الوصول إلى تقرير مبدأ دينيٍّ أو رفع حيفٍ حلّ بالأُمّة، وإنّما كانت لنصرة شخص على شخصٍ، فشيعة عليٍّ تنصره لأنّه ابن عم رسول الله ﷺ وأحقُّ النّاس بولاية الأمر، وشيعة معاوية تنصره لأنّه وليّ عثمان وأحقُّ النّاس بطلب دمه المسفوك ظلماً، ولا يرون أنّه ينبغي لهم مبايعة من آوى إليه قتلته.

ج ـ ليت الرَّجل بيّن لنا المبادىء الدينيَّة عنده حتّى ننظر في انطباقها على هذه الحرب، وحيث لم يبيّن فنحن نقول: أيُّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من أن تكون الحرب والمناصرة لتنفيذ كلمة رسول الله يوم أمر أمير المؤمنين عليه السَّلام بقتال القاسطين ـ وهم أصحاب معاوية ـ وأمر أصحابه بمناصرته يومئذٍ[١] ورأى من واجبهم جهاد مقاتليه وقال: سيكون بعدي قومٌ يُقاتلون عليّاً على الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيءٌ[٢].

---

(١) راجع ص ٢٣٦ - ٢٤٤

(٢) أخرجه الطبراني وابن مردويه وأبو نعيم كما مر في ص ٢٣٨.

وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من نصرة الرَّجل مَن يراه أولى الناس بالأمر كما يلهج به الخضري نفسه؟! وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من مناصرة أمير المؤمنين الذي قال رسول الله فيه وفي آله وذويه: حربكم حربي[1]؟! وقال له: يا عليُّ ستقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحقّ، فمن لم ينصرك يومئذٍ فليس منّي[2] وهل يسع المسلم التقاعد عن نصرته عليه السَّلام بعد ما سمع قول نبيِّه صلّى الله عليه وآله وسلم؟!.

وأيّ مبدأ دينيٍّ هو أقوى من مقاتلة الفئة الباغية بنصٍّ من الرَّسول الأمين يوم قال لعمّار: تقتلك الفئة الباغية[3] ويوم قال: ويح عمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنَّة ويدعونه إلى النّار[4].

وأي مبدأ دينيٍّ هو أقوى من المقاتلة تحت راية خليفة الوقت الذي انعقدت له بيعة أهل الحلِّ والعقد، وتمتَّ شروطها عند من يرى الخلافة بالاختيار، وثبت له النصُّ الجليُّ وتواتر عند من لا يختار إلّا المنصوص عليه، وبطبع الحال أنَّ الخارج عليه خارجٌ على إمام الوقت باغٍ عليه يجب مقاتلته بنصٍّ من الكتاب المبين حيث قال: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾[5].

وليت شعري أيّ حيف يحلّ بالأُمَّة أعظم من تغلّب مثل معاوية على بيضة الإسلام ورياسة أهله، واستحوازه الخلافة التي ليست له لا بنصٍّ ولا بيعة ممَّن تقرَّر بيعته الخليفة؟ فلم يعقد له إجماعٌ، ولا أثبتته شورى أو وصيَّة، ولا هو وليُّ

---

(١) راجع الجزء الأول من كتابنا ص٣٩١.

(٢) راجع ص ٢٤٢ من هذا الجزء.

(٣) راجع الجزء الأول ص٣٨٣، ٣٨٥، قال السيوطي في الخصائص ج ٢ ص ١٤٠: هذا الحديث متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر كما بينت ذلك في الأحاديث المتواترة. وستوافيك في الجزء التاسع من كتابنا هذا ألفاظه وطرقه وهي خمسة وعشرون طريقاً.

(٤) قال العلامة الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٣٦٦: رواه البخاري في بعض نسخه ومسلم والترمذي وغيرهم. ويوجد في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧.

(٥) سورة الحجرات: آية ٨.

دم عثمان حتّى ينهض بثـاره إن لـم نقل: هو المثبِّط جند الشام والمتثاقل عن نصره حتّى قُتل، ولم يكن له سابقةٌ في الإسلام تُشرفه، ولا علمٌ يُسدّده، ولا تقوى تكبحه عن مساقط الشهوات، وإنّما هي ملوكيّةٌ ارتادها ليملك الأزمّـة، وتُلقى عنده الأعنّة، ويحتنك أمر الامّة، وفي الأخير تمَّ له ذلك تحت رواعد الإرهاب، ولوائح الأطماع في مُنتأى عن الدين والإصلاح، فثبت عرش ملوكيّته بين مهراق الدِّماء ومنتهك الشرائع، ومضلّات الفتن، ولو لم يكن له بائقةٌ إلّا استخلاف يزيد الفجور على الامّـة بالتـرهيب والإطماع لكفـاه حيفاً يجب أن يكتسح عن مستوى الإسلام وبلاد المسلمين.

٢ ـ قال: أمّـا معاوية فإنّه بدون ريب يرى نفسه عظيماً من عظماء قريش لأنّه ابن شيخها أبي سفيان بن حرب وأكبـر وُلد اميّـة بن عبد شمس بن عبـد مناف، كما أنَّ عليّاً أكبر ولد هاشم بن عبد مناف، فهما سيّان في الرفعة النسبيّة (ج ٢ ص ٦٧).

ج ـ ماذا أقول لمغفَّل؟! يرى عنصر النبوَّة، وآصرة القداسة المنتقلة بين أصلابٍ طاهرة، وأرحام زكيَّة؛ من نبيّ إلى وصيٍّ إلى وليٍّ إلى حكيم إلى عظيم إلى شريفٍ إلى خاتم الرِّسالة إلى وصيِّه صاحب الولاية الكبرى، لدة العنصر الأبشميِّ، ويراهما في الرفعة والشرف سيَّان، وشتّان بين الشجرتين: شجـرة طيّبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السَّماء. وشجرة خبيثة اجتثَّت من فوق الأرض مالها من قرار. وما أبعد ما بين الشجرتين: شجرة مباركة زيتونة، **والشجرة الملعونة في القرآن**[1] بتأويل من النبيِّ الأعظم[2] بلا اختلاف بين اثنين في أنَّهم هم المراد من الشجرة الملعونة كما في تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦.

وكيف يراهما الرَّجل سيّان؟! والنَّبيُّ الأعظم يقول: إنَّ الله اختار من بني آدم العرب، واختار من العرب مضر، واختار من مضر قريشاً، واختار من قريش

(١) سورة الإسراء: اية ٦٠.

(٢) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦، تاريخ الخطيب ج ٣ ص ٣٤٣، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٦، تفسير النيسابوري ج ١٥ ص ٥٥ هامش تفسير الطبري.

بني هاشم، واختارني من بني هاشم[١].

وكيف يراهما سيّان؟! وقد استاء رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من ثمار هذه الشجرة الملعونة طيلة حياته فما رؤي ضاحكاً من يوم رأى في منامه أنَّهم ينزون على منبره نزو القردة والخنازير[٢]. فأنزل الله: **﴿وما جَعلنا الرُّؤيا التي أريناك إلاّ فتنةً للناس﴾**.

وكيف يراهما سيّان؟!! وبنو أُميَّة هم الذين اتَّخذوا عبادالله خولا، ومال الله نحلا، وكتاب الله دغلا. كما أخبر به النبيُّ الصّادق الأمين[٣].

وكيف يرى أبا سفيان شيخ قريش؟! وهو عارها وشنارها وهو الملعون بنصِّ النبيِّ الأعظم بقوله: اللهمَّ العن التابع والمتبوع، اللهمَّ عليك بالأُقيعس[٤] يوم رأى أبا سفيان ومعه معاوية. وبقوله: اللهمّ العن القائد والسائق والراكب. يوم نظر إليه وهو راكبٌ ومعه معاوية وأخوه أحدهما قائدٌ والآخر سائق[٥].

وكيف يراه شيخ قريش لدة شيخ الأبطح؟! وفيه قال علقمة:

إنَّ أبا سفيان من قبله ... لم يك مثل العُصبة المسلمةْ
لكنَّه نافق في دينه ... من خشية القتل على المرغمةْ
بُعداً لصخرٍ مع أشياعه ... في جاحم النّار لدى المضرمةْ[٦]

وليت الخضري يقرأ كلمة المقريزي في النزاع والتخاصم ص ٢٨ وهي:

---

(١) أخرجه البيهقي، ابن عدي، الحكيم، الطبراني، ابن عساكر، راجع كنز العمال ج ٦ ص ٢٠٤.

(٢) تفسير الطبري ج ١٥ ص ٧٧، تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٦، تاريخ الخطيب ج ٩ ص ٤٤ ج ٨ ص ٢٨٠، تفسير النيسابوري هامش الطبري ج ١٥ ص ٥٥، تفسير القرطبي ج ١٠ ص ٢٨٣، النزاع والتخاصم ص ٥٢، اسد الغابة ج ٣ ص ١٤ من طريق الترمذي، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٨ عن الترمذي والحاكم والبيهقي، تفسير الخازن ج ٣ ص ١٧٧.

(٣) النزاع والتخاصم ص ٥٢، ٥٤، الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١١٨.

(٤) قال البراء بن عازب: يعني معاوية.

(٥) كتاب نصر بن مزاحم في حرب صفين ص ٢٤٤، ٢٤٨، تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٧.

(٦) كتاب نصر ص ٢١٩.

أبو سفيان قائد الأحزاب الذي قاتل رسول الله ﷺ يوم أُحد، وقتل من خيار أصحابه سبعين ما بين مهاجريّ وأنصاريّ منهم: أسد الله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم، وقاتل رسول الله ﷺ في يوم الخندق أيضاً وكتب إليه:

باسمك اللهمّ أحلف باللاّت، والعزّى، وساف، ونائلة، وهبَل، لقد سرت إليك أُريد استئصالكم. فأراك قد اعتصمت بالخندق فكرهت لقائي ولك منّي كيوم أُحد.

وبعث بالكتاب مع أبي سلمة الجشمي فقرأه للنبي ﷺ أبيّ بن كعب رضي الله عنه فكتب إليه رسول الله ﷺ: (قد أتاني كتابك وقديماً غرَّك يا أحمق بني غالب وسفيههم بالله الغرور وسيحول الله بينك وبين ما تُريد، ويجعل لنا العاقبة، وليأتينَّ عليك يومٌ أكسر فيه اللاّت والعزّى وساف ونائلة وهبَل يا سفيه بني غالب).

ولم يزل يُحادّ الله ورسوله حتى سار رسول الله ﷺ لفتح مكّة فأتى به العبّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه رسول الله ﷺ وقد أردفه، وذلك أنَّه كان صديقه ونديمه في الجاهليَّة، فلمّا دخل به على رسول الله ﷺ سأله أن يؤمنه فلمّا رآه رسول الله ﷺ قال له: ويلك يا أباسفيان! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله؟ فقال: بأبي أنت وامّي ما أوصلك وأجملك وأكرمك، والله لقد ظننت أنَّه لو كان مع الله غيره لقد أغنى عنّي شيئاً. فقال يا أبا سفيان! ألم يأن لك أن تعلم أنّي رسول الله؟ فقال: بأبي أنت وامّي ما أوصلك وأجملك وأكرمك، أمّا هذه ففي النفس منها شيءٌ. فقال له العبّاس: ويلك! إشهد لشهادة الحقّ قبل أن تُضرب عنقك. فشهد وأسلم. فهذا حديث إسلامه كما ترى، واختلف في حسن إسلامه فقيل: إنه شهد حُنيناً مع رسول الله ﷺ وكانت الأزلام معه يستقسم بها، وكان كهفاً للمنافقين، وأنّه كان في الجاهليَّة زنديقاً، وفي خبر عبدالله بن زبير أنه رآه يوم اليرموك قال: فكانت الروم إذا ظهرت قال أبو سفيان: ايه بني الأصفر، فإذا كشفهم المسلمون قال أبو سفيان:

وبنـو الأصفـر الملوك ملوم الـرّ   وم لـم يبـق منـهمُ مـذكـورُ[١]

فحدَّث به الزبير أباه فلمّا فتح الله على المسلمين قال الزبير: قاتله الله يأبى إلاّ نفاقاً، أو لسنا خيراً من بني الأصفر؟.

وذكر المدائني عن أبي زكريّا العجلاني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: حجَّ أبو بكر رضي الله عنه ومعه أبو سفيان بن حرب فكلّم أبو بكر أبا سفيان فرفع صوته فقال أبو قحافة: اخفض صوتك يا أبا بكر عن ابن حرب. فقال أبو بكر: يا أبا قحافة إنَّ الله بنى بالإسلام بيوتاً كانت غير مبنيَّة، وهدم به بيوتاً كانت في الجاهليَّة مبنيَّة وبيت أبي سفيان ممّا هدم. اهـ.

وكان يوم بويع أبو بكر يثير الفتن ويقول: إنّي لأرى عجاجةً لا يطفئها إلاّ دم، يا آل عبد مناف! فيمَ أبو بكر من اموركم؟ أين المستضعفان؟ أين الأذلّان عليٌّ وعبّاس؟ ما بال هذا الأمر في أقلِّ حيٍّ من قريش؟ ثمَّ قال لعليّ: ابسط يدك اُبايعك، فوالله لئن شئت لأملأنّها عليه خيلاً ورجلاً، فأبى عليٌّ عليه السَّلام عليه فتمثل بشعر المتلمس[٢]:

ولن يُقيم على خسف يُراد به   إلاّ الأذلّان غير الحيِّ والوتـدُ
هذا على الخسف مربوطٌ برمَّته   وذا يشـجُّ فلا يبكي لـه أحـدُ

فزجره عليٌّ وقال: والله ما أردت بهذا إلاّ الفتنة، وإنّك والله طالما بغيت للإسلام شرّاً، لا حاجة لنا في نصحـك[٣]. وجعل يـطوف في أزقَّة المـدينة ويقول:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكمُ   ولا سيّما تيم بن مرَّة أو عدي
فمـا الأمـر إلاّ فيكمُ وإليكمُ   وليس لهـا إلاّ أبو حسن علي

---

(١) هذا البيت من جملة أبيات للنعمان بن امرىء القيس.

(٢) هو جرير بن عبد المسيح من بني ضبيعة، توجد ترجمته في «الشعر والشعراء» لابن قتيبة، و«معجم الشعراء».

(٣) الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٥.

فقال عمر لأبي بكر: إنَّ هذا قد قدم وهو فاعلٌ شرّاً، وقد كان النبيُّ ﷺ يستألفه على الإسلام فدع له ما بيده من الصَّدقة. ففعل فرضي أبو سفيان وبايعه[1].

وقد سبق الخضري في رأيه هذا معاوية فقال فيما كتب إلى عليٍّ أمير المؤمنين: نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضلٌ. فأجاب عنه أمير المؤمنين بقوله: لعمري إنّا بنو أبٍ واحدٍ ولكن ليس اميَّة كهاشم. ولا حربٌ كعبد المطلب. ولا أبو سفيان كأبي طالب. ولا المهاجرُ كالطَّليق. ولا الصَّريح كاللصيق. ولا المحقُّ كالمبطل. ولا المؤمن كالمدغل. ولبئس الخلف خلَفٌ يتبع سلفاً هوى في نار جهنَّم، وفي أيدينا بعدُ فضل النبوَّة[2].

قال الأميني: ﴿ألم يأتهم نبأ الّذين من قبلهم قل: هو نبأ عظيمٌ أنتم عنه معرضون﴾. سورة ص؛ الآيتان: ٦٧، ٦٨.

٣ ـ قال: نقول إن فكر معاوية في اختيار الخليفة بعده حسنٌ جميلٌ، وإنَّه ما دام لم توضع قاعدةٌ لانتخاب الخلفاء، ولم يعيِّن أهلَ الحلِّ والعقد الّذين يُرجع إليهم، فأحسن ما يُفعل هو أن يختار الخليفة وليّ عهد قبل أن يموت، لأنَّ ذلك يبعد الاختلاف الذي هو شرٌّ على الامّة من جور إمامها ص ١١٩.

وقال: وممّا انتقد الناس معاوية أنّه اختار ابنه للخلافة وبذلك سنَّ في الإسلام سنَّة الملك المنحصر في اسرةٍ معيَّنة بعد أن كان أساسه الشورى ويختار من عامّة قريش وقالوا: إنَّ هذه الطريقة التي سنّها معاوية تدعو في الغالب إلى انتخاب غير الأفضل الأليق من الامّة، وتجعل في اسرة الخلافة الترف والانغماس في الشهوات والملاذ والرفعة على سائر الناس.

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٥٣٨، ٥٣٩، الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٠٠، مروج الذهب ج ٢ ص ٦١، نهج البلاغة ج ٢ ص ١٢، شرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٢٤، ربيع الأبرار للزمخشري باب ٦٦.

أمّا رأينا في ذلك فإنَّ هذا الانحصار كان أمراً حتماً لا بدَّ منه لصلاح أمر المسلمين وألفتهم ولمّ شعثهم، فإنّه كلّما اتّسعت الدائرة التي منها يُختار الخليفة كثر الذين يرشّحون أنفسهم لنيل الخلافة، وإذا انضمَّ إلى ذلك اتّساع المملكة الإسلاميَّة، وصعوبة المواصلات بين أطرافها، وعدم وجود قوم معيَّنين يرجع إليهم الانتخاب، فإنَّ الانتخاب واقع، ونحن نشاهد أنَّه مع تفوُّق بني عبد مناف على سائر قريش، واعتراف الناس لهم وهم جزءٌ صغيرٌ من قريش فإنَّهم تنافسوا الأمر وأهلكوا الامّة بينهم، فلو رضي الناس عن اسرةٍ ودانوا لها بالطاعة واعترفوا باستحقاق الولاية لكان هذا خير ما يُفعل لضمِّ شعث المسلمين ص ١٢٤.

إنَّ أعظم مَن ينتقد معاوية في تولية ابنه هم الشيعة مع أنّهم يرون انحصار ولاية الأمر في آل عليّ، ويسوقون الخلافة في بنيه، بتركها الأب منهم للابن، وبنو العبّاس أنفسهم ساروا على هذه الخطّة.

ج - لم ينتقد معاوية مَن ينتقده لمحض اختياره وإنّما انتقده من ناحيتين: الاولى عدم لياقته للتفرد وهو كما قال أمير المؤمنين في كلام له: لم يجعل الله عزَّ وجلَّ له سابقة في الدين، ولا سلف صدق في الإسلام، طليق ابن طليق، حزبٌ من هذه الأحزاب لم يزل لله عزَّ وجلَّ ولرسوله ﷺ وللمسلمين عدوّاً هو وأبوه حتّى دخلا في الإسلام كارهين[1] وفي الامّة أهل الحلِّ والعقد الذين اختاروا خلافة أبي بكر، ثمَّ وافقوا على الوصيَّة إلى عمر وأقرّوها؛ وأصفقوا مع أهل الشورى على خلافة عثمان، وأطبقوا على البيعة طوعاً ورغبة لمولانا أمير المؤمنين فثبتت خلافته، ووجبت طاعته، ولزمت معاوية بيعته، فكان هؤلاء موجودين بأعيانهم أو بنظرائهم وهم الَّذين نقموا على معاوية ذلك العقد المشوم.

الثانية: عدم لياقة من عيَّنه من بعده وهو ذلك الماجن المتخلّع المتظاهر بالفجور إن لم نقل بالكفر والإلحاد.

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤.

أمّا عدم تعيين أهل الاختيار فإن أراد عدم تعيّنهم فذلك بهتانٌ عظيمٌ لأنَّ الموجودين في الصدر الأوّل في عاصمة الإسلام المدينة المنوَّرة الذين تصدَّوا لتعيين الخليفة هم أهل الحلِّ والعقد، وكان أكثرهم موجودين إلى ذلك العهد، وأمّا من توفي منهم فقد قيَّضت الظروف من بعدهم مَن يسدُّ مسدَّهم، فإن يكن هؤلاء مفوَّضاً إليهم أمر الخلافة بادىءبدء فهم المفوض إليهم أمرها مهما تناقلت الخلافة، فليس لأحد أن يختار من دون رضاً منهم، وإنَّ هؤلاء القوم تُعيِّنهم الظروف والأحوال والمقتضيات المكتنفة بهم، ولا يُعيِّنهم نصٌّ من الكتاب أو السنَّة.

وإن أراد عدم تعيين هؤلاء الخليفة من بعد معاوية فإنَّ ظرف التعيين ساعة موت الخليفة لا قبله. نعم: قد تنعقد الضمائر على انتخاب من يرون له الأهليَّة في أبّان الانتخاب، وما أدرى معاوية أنَّهم سوف يهملون أمر الامَّة ساعة هلاكه؟ ولماذا تفرَّد بالانتخاب من دون رضى منهم؟ ولماذا خضَّع أفراداً من القوم بالتخويف وآخرين بالتطميع؟ ومتى أبعد انتخابه الاختلاف الذي هو شرٌّ على الامَّة؟ وفي الملأ الدينيِّ اممٌ ينقمون منه ذلك، وجموعٌ ينتقدونه، وشراذم يضمرون السخط ويتظاهرون به حذار بادرته. نعم: هناك زعانفةٌ اشتروا رضى المخلوق بسخط الخالق، وأعمتهم الصرر والبدر، فأبدوا الرضا.

ولو كانت هذه الفكرة حسنةً جميلةً فلماذا فاتت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حين دنت منه الوفاة؟ فلم يرحض عن امَّته معرَّة الخلاف، وترك المراجل تغلي حتّى اليوم. وهل ترى لو كان أوصى إلى معيَّن من امَّته بالخلافة يوجد هناك لأحد مطمع غير المنصوص عليه؟ ودعا سعد بن عبادة إلى نفسه؟ وقال قائل الأنصار: منّا أميرٌ، ومنكم أميرٌ؟ وهتف هاتفٌ أنا جُذيلها المحكّك وعُذيقها المرجَّب؟ وازدلف المهاجرون إلى أبي بكر؟ واجتمع ناسٌ إلى العبّاس؟ وبنو هاشم ومن يمتُّ بهم وينتمي إليهم يقولون: إنَّها لأمير المؤمنين صلوات الله عليه؟ هذه أسئلةٌ حافلةٌ ليس للخضري عنها جوابٌ إلّا أن يدَّعي أنَّ معاوية كان أشفق بالأُمَّة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وأيّ خلاف رفعه تعيين يزيد وعلى عهده كانت واقعة الطفّ، وتلاها فاجعةُ الحرَّة، وأعقبهما أمر ابن الزبير، وقصّة البيت المعظّم؟! كلُّ ذلك من جرّاء ذلك الاختيار، وثمرة تلك الفكرة الفاسدة، وفي الناقمين سبط النبوّة حسين العظمة صلوات الله عليه وبقيَّة بني عبد مناف وعامّة المهاجرين والأنصار في المدينة المنوَّرة.

ثمَّ إن كان معاوية لم يجد بُدّاً من الاختيار فلماذا لم يختر صالحاً من صلحاء الصَّحابة؟ وفي مقدَّمهم سبط رسول الله الإمام الطاهر، ولا معدل عنه في حنكة أو علم أو تقوى أو شرف.

وكيف راق «الخضري» أن يرى هذا الاختيار حسناً جميلاً صالح الامّة ولم يره حيفاً وجنايةً عليها وعلى إسلامها ورسولها وكتابها وسنّتها؟! ورسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوقظ شعور امَّته قبل ذلك بأعوام بقوله: إنَّ أوّل من يُبدِّل سنّتي رجلٌ من بني اميّة[1] وقوله: لا يزال هذا الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتّى يثلمه رجلٌ من بني اميّة يقال له يزيد[2].

وأخرج ابن أبي شيبة وأبو يعلى: إنَّ يزيد لمّا كان أبوه أمير الشام غزا المسلمون فحصل لرجل جارية نفيسة فأخذها منه يزيد فاستعان الرجل بأبي ذرّ فمشى معه إليه وأمره بردِّها ثلاث مرّات وهو يتلكّأ فقال: أما والله لئن فعلت سمعت رسول الله ﷺ يقول: أوّل من يُبدِّل سنَّتي لرجل من بني اميّة: ثمّ ولّى، فتبعه يزيد فقال: أذكرك بالله أنا هو؟ فقال: لا أدري، وردَّها يزيد.

قال ابن حجر في تطهير الجنان هامش الصواعق ص ١٤٥: لا يُنافي هذا الحديث المذكور المصرِّح بيزيد إمّا لأنّه بفرض كلام أبي ذر على حقيقته لكون أبي ذر لم يعلم بذلك المبهم، فقوله: لا أدري أي في علمي وقد بيّن إبهامه في الرِّواية الاولى، والمفسِّر يقضي على المبهم. وإمّا لأنَّ أبا ذر علم أنّه يزيد

(١) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٩، تطهير الجنان في هامش الصواعق ص ١٤٥ .

(٢) الخصائص الكبرى ج ٢ ص ١٣٩، تطهير الجنان في هامش الصواعق ص ١٤٥ وقال: مسند رجاله رجال الصحيح إلاّ أن فيه انقطاعاً.

ولكنه لم يصرِّح له بذلك خشية الفتنة، لا سيّما وأبو ذر كان بينه وبين بني اميَّة امورٌ تحملهم على أنَّهم ينسبونه إلى التحامل عليهم.

وأمّا رأيه في حصر الخلافة بأُسرة فإنّا لا نناقشه إلّا من عدم جدارة الاسرة التي يجنح إليها «الخضري» للخلافة. نعم: لا بأس به إذا حُصِرت بأُسرةٍ كريمةٍ تتحلّى باللباقة والحذق من النّاحية الدينيَّة والسياسيَّة، ونحن لا نقول بلزوم الحصر المذكور مع عدم اللياقة، فإنَّه غير وافٍ لقمِّ جذور الفساد، وقمع جذوم الاختلاف، فالأُمَّة متى وجدت من خليفتها الحيف والجنف تثور عليه وتخلعه، وبطبع الحال يطمع في الخلافة عندئذ من هو أزكى منه نفساً، وأطيب أرومةً، وأكرم خلقاً، وحتّى مَن يُساويه في الغرائز، فأيّ مفسدةٍ اكتسحها حصر الخلافة والحالة هذه؟!.

ج ـ إذا حصرت بمن ذكرناه وشاهدت الامَّة منهم التأهّل، فإنَّ فيه منقطع أطماع الخارجين عن الاسرة من ناحية خروجهم عن البيت المعيَّن لها، ودحض معاذير الثوّار والمشاغبين من ناحية عدم وجود أحداث توجب الثورة والخروج، وعندئذ تتأكّد خضوع الامَّة لخليفة شأنه ما ذكرناه، فتعظم شوكته، وتتَّسق اموره، وتمتثل أوامره، فلا يدع معرَّة إلّا اكتسحها، ولا صلاحاً إلّا بثّه، والشيعة لا تقول بحصر الخلافة في آل عليٍّ عليهم السَّلام إلّا بعد إخباتها إلى سريان ناموس العصمة في رجالات بيتهم المعيّنين للخلافة المدعومة بالنصوص النبويَّة المتواترة راجع ص ١٠٨ ـ ١١١ من هذا الجزء.

٤ ـ قال: وعلى الجملة فإنَّ الحسين أخطأ في خروجه هذا الذي جرَّ على الامَّة وبال الفرقة والاختلاف، وزعزع عماد الفتها إلى يومنا هذا، وقد أكثر الناس من الكتابة في هذه الحادثة لا يُريدون بذلك إلّا أن تشتعل النيران في القلوب فيشتدُّ تباعدها، غاية ما في الأمر أنَّ الرجل طلب أمراً لم يُهيَّأ له، ولم يعدّ له عدَّته، فحيل بينه وبين ما يشتهي وقُتل دونه، وقبل ذلك قُتل أبوه، فلم يجد من أقلام الكاتبين ومن يبشع أمر قتله ويزيد به نار العداوة تأجيجاً، وقد ذهب الجميع إلى ربِّهم يُحاسبهم على ما فعلوا والتاريخ يأخذ من ذلك عبرةً

وهي: إنّه لا ينبغي لمن يـريد عظائم الامور أن يسير إليها بغير عدَّتها الطبيعيَّة، فلا يرفع سيفه إلاّ إذا كان معه من القوَّة ما يكفل النجاح أو يقرب من ذلك، كما أنّه لا بدَّ أن تكون هناك أسباب حقيقيَّة لمصلحة الامَّة، بأن يكون جورٌ ظاهرٌ لا يحتمل، وعسفٌ شديدٌ ينوء الناس بحمله، أمّـا الحسين فإنَّه خالف يزيد وقد بايعه الناس، ولم يظهر منه ذلك الجور ولا العسف عنـد إظهار هـذا الخلاف ١٢٩ ـ ١٣٠. وقبل هذه الجمل يبرِّر ساحة يزيد عن الظلم والجور ويراه قرَّب عليَّ بن الحسين إليه وأكرمه ونعَّمه.

ج ـ ليت الرَّجل كتب ما كتب بعد الحيـطة بشؤون الخـلافة الإسـلاميَّة وشـروطها، ومـا يجب أن يكتنفه من حنكـة لتدبيـر الشؤون، وملكـة لتهذيب النفوس، ونزاهةٍ عن الرذائل ليكون قدوةً للأُمَّة، ولا ينقض ما يدعو إليه ببوائقه، إلى أمثالها من غرائز يجب أن يكون حامل ذلك العبء الثقيل متحلّياً بها، لكنَّه كتب وهو يجهل ذلك كلّه، وكتبه على حين أنه لم يحمل إلاّ نفساً ضئيلة تقتنع بما يحسبه دعةً تحت نير الاضطهاد، وعلى حين أنَّ ضعف الرأي ودقَّة الخطر يُحبذان له راحةً مزعومة في ظل الاستعباد، فلا نفس كبيرة تدفعه إلى الهرب من حياة الذلِّ، ولا عقلٌ سليمٌ الضِّعة، ولا إحاطة بتعاليم الإسلام تُلقِّنه دروس الإباء والشهامة، ولا معرفة بعناصر الرِّجال ليعلم من نفسيّـاتهم الكمَّ والكيف، فلا عرف يزيد الطاغية حتى يعلم أنّه لا مقيل له في مستوى الخلافة. ولا عرف حسين السؤدد والشرف والإباء والشهامة، حسين المجد والإمامة، حسين الدين واليقين، حسين الفضل والعظمة، حسين الحقّ والحقيقة، حتّى يخبت إلى أنَّ مَن يحمل نفساً كنفسه لا يمكنه البخوع ليزيد الخلاعة والمجون، يزيد الاستهتار والفسوق، يزيد النهمة والشره، يزيد الكفر والإلحاد.

لم ينهض بضعة المصطفى إلاّ بواجبه الدينيِّ، فإنَّ كلّ معتنقٍ للحنيفيّة البيضاء يرى في أوَّل فرائضه أن يُـدافع عن الـدين بجهاد مَن يـريد أن يعبث بنواميسه، ويعيث في طقوسه، ويُبدِّل تعاليمـه، ويُعطِّل أحكـامه، وانّ أظهـر مصـــداق تنطبـــق عليـه هذه الجمل هو: يزيد الجور والفجور والخمور، الذي

كان يُعرف بها على عهد أبيه كما قال مولانا الحسين عليه السَّلام لمعاوية لمّا أراد أخذ البيعة له: تريد أن توهم الناس؟! كأنَّك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تُخبر عمّا كان ممّا احتويته بعلم خاصّ، وقد دلَّ يزيد من نفسه على موقع رأيه فخذ يزيد فيما أخذ به من استقرائه الكلاب المهارشة[١] عند التحارش، والحمام السبّق لأترابهنَّ، والقينات ذوات المعازف[٢] وضروب الملاهي، تجده ناصراً، دع عنك ما تُحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر ممّا أنت لاقيه[٣].

وقال عليه السَّلام لمعاوية أيضاً: حسبك جهلك آثرت العاجل على الآجل. فقال معاوية: وأمّا ما ذكرت من أنَّك خيرٌ من يزيد نفساً. فيزيد والله خيرٌ لأمَّة محمَّد منك. فقال الحسين: هذا هو الإفك والزور، يزيد شارب الخمر ومشتري اللهو خيرٌ منّي[٤]؟.

وفي كتاب المعتضد الذي تُلي على رؤوس الأشهاد في أيّامه ما نصّه: ومنه: إيثاره (يعني معاوية) بدين الله، ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير صاحب الديوك والفهود والقرود، وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسطوة والتوعيد والإخافة والتهدّد والرهبة، وهو يعلم سفهه. ويطّلع على خبثه ورهقه، ويُعاين سكرانه وفجوره وكفره، فلمّا تمكّن منه ما مكّنه منه ووطّأه له وعصى الله ورسوله فيه، طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين، فأوقع بأهل الحرَّة الوقيعة التي لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش ممّا ارتكب من الصالحين فيها، وشفى بذلك عبَد نفسه وغليله، وظنَّ أن قد انتقم من أولياء الله، وبلغ النوى لأعداء الله فقال مجاهراً بكفره ومظهراً لشركه:

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسلْ

---

(١) المهارشة: تحريش بعضها على بعض.

(٢) المعازف ج معزف: آلات يضرب بها كالعود.

(٣) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٣.

(٤) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٥٥.

قد قتلنا القرم من ساداتهم　　وعدلنا ميل بدرٍ فاعتدلْ
فأهلّوا واستهلّوا فرحاً　　ثمَّ قالوا: يا يزيدُ لا تشلْ
لستُ من خندف إن لم أنتقم　　من بني أحمد ما كان فعلْ
لعبت هاشم بالملك فلا　　خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزلْ

هذا هو المروق من الدين، وقول من لا يرجع إلى الله وإلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله، ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله، ثمَّ من أغلظ ما انتهك، وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع موقعه من رسول الله ﷺ ومكانه منه ومنزلته من الدين والفضل وشهادة رسول الله له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنَّة اجتراءً على الله، وكفراً بدينه، وعداوةً لرسوله ومجاهدةً لعترته، واستهانةً بحرمته، فكأنَّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل الترك والديلم، لا يخاف من الله نقمةً، ولا يرقب منه سطوةً، فبتر الله عمره، واجتثَّ أصله وفرعه، وسلبه ما تحت يده، وأعدَّ له من عذابه وعقوبته ما استحقَّه بمعصيته. الخ.

راجع تاريخ الطبري ج ١١ ص ٣٥٨

وقبل هذه كلّها ما مرَّ ص ٣١٥ من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من أنّ أوَّل من يُبدِّل سنَّته رجلٌ من بني اميَّة، ولا يزال الأمر معتدلاً قائماً بالقسط حتّى يثلمه رجلٌ من بني اميَّة يُقال له: يزيد.

وإلى مثل هذه كان يرمي كلُّ من ينقم بيعة يزيد، فخلافة مثله وهو على هذه الحالة خطرٌ عظيمٌ على الدين والمسلمين من شتّى النواحي:

١ - فقومٌ تتضعضع ضمائرهم عن الدين لِما تمركز في الأدمغة من أنّ الخليفة يجب أن يكون مسانخاً لمن يتخلّف عنه، والناشئة الذين لم يدركوا عصر النبوَّة ولم يكهربهم التعاليم الصحيحة في العصور المظلمة، تخالجهم هذه الشبهة بأسرع ما يكون، فيحسبون أنَّ قداسة النبيِّ الأعظم كانت ملوَّثة (العياذ بالله) بأمثال هذه الأدناس من دون علم بأنَّ الرَّجل خليفة أبيه لا خليفة

رسول الله، وإنّما سنّمه ذلك العرش المطامع والشره من جانب، والتخويف والإرهاب من جانب.

٢ ـ قومٌ يروقهم اقتصاص أثر الخليفة في تهتّكه لميل النفوس إلى الاستهتار ورفض القيود تارة، ومن جهة حبِّ التشبّه بالعظماء والساسة طوراً، (والناس على دين مليكهم) والناس إذا استهوتهم الشهوات لا يقفون على حدّ، فتكثر فيهم الموبقات، وتشيع الفواحش، فمن فجورٍ إلى مثله، ومن فاحشةٍ إلى اخرى، فلا يمرُّ يسيرٌ من الزّمن إلّا ومملكة الإسلام مباءَة للمنكرات، ومستوىً للفواحش، حتى لا تبقى من نواميس الدين عينٌ ولا أثرٌ.

٣ ـ وهناك أقوامٌ يُنكرون هذه المظاهر وقد أفلتت من أيديهم المظاهر الدينيَّة، فهم بين حائر لا يدري اين يولّي وجهه وممَّن يأخذ معالم دينه، وبين مَن تتسرَّب إليه الشبه خلال هاتيك الظلمات الدامسة، فلا يشعر حتّى يرى نفسه في هلكة الجاهليَّة الاولى.

٤ ـ إذا سادت الخلاعة بين أيِّ امَّة من ملوكها وسوقتها وأمرائها وزعمائها فهي بطبع الحال تلتهي عن الشؤون الاجتماعيَّة والإداريَّة ودحض الفوضى، ومقاومة القلاقل الداخليَّة، فهنالك يسود فيها الضعف اختلال نظامها، فتنبو عن الدفاع عن ثغورها واستقلالها، فتطمع فيها الأجانب، وتكثر عليها الهجمات، فلا يمرُّ عليها ردحٌ قصيرٌ من الزمن إلّا وهي فريسة الضاري، وأُكلة الجشع، وطعمة كلِّ مخالف.

٥ ـ إنَّ نواميس الإسلام كانت بطبع الحال تبلغ إلى أمم نائية عن مملكته فيروقها جمالها البهيج، وحكمتها البالغة، وموافقتها العقل والمنطق، وأعمال رجالها المخلصين، فيكون فيهم من يتأثر بجاذبتها، أو يكون على وشك من اعتناقها، ولا أقلَّ من الحبّ الممتزج لنفسيّاتهم، لكن بينما القوم على هذه الحالة إذا تعاقب تلك الأنباء ما يُضادّها من عادات هذا الدور الجديد الحالك، وأخبارها الموحشة تحت راية تلك الخلافة الجائرة، ووبلغهم أنَّ هاتيك التعاليم

الوضيئة قد هجرت، والمطَّرد في مملكة الإسلام غيرها بشهوةٍ من الخليفة، وانهماكٍ من القوّاد. وتهالكٍ من الزَّعامة، وتفانٍ من السوقة، فسرعان ما تعود تلك السمعة مشوَّهة، ويعود ذلك الحبّ بغضاً من غير تمييز بين الأصيل والدخيل من الأعمال، فتكون الحالة معثرة في سبيل سير الإسلام وتسرّيه إلى الأجانب.

٦ - أضف إلى هذه كلّها ما كان يظهر من فلتات السنة الأمويِّين، ويُرى في فجوات أعمالهم من نواياهم السيِّئة على الدين والمسلمين، وقد علمنا من ذلك أنَّهم لم يقلعهم عن دينهم الوثنيّ الأوَّل إلّا خشية السيف، والطمع في الزَّعامة، فأقلّ شيءٍ ينتظر منهم على ذلك عدم اهتمامهم بنشر معالم الدين إن لم يردَّ الامَّة عن سيرها الدينيّ القهقرى، فتبقى مرتطمة بين هذه وبين تهالكها في الفجور وسيِّىء الخلق، فتعود دولةً قيصريَّةً ومملكةً جاهليَّةً.

ثمَّ إنَّ نفس الخليفة إذا شاهد من استحوذ عليهم من الامم على هذه الأحوال، وعلم أنَّه قد ملك الرقاب ولا منكر عليه من بينهم على مآثم يرتكبها أو سيِّئات يجترحها فإنّه بالطبع يتوغَّل في غلوائه، ويزداد في انهماكه، ويشتدُّ في التفرعن والاستعباد.

فأيّ خطرٍ (أيّها الخضري) أعظم على المجتمع الدينيِّ من هذه الأحوال؟! وأيّ مصلحة أعظم من اكتساح هذه المعرَّة تدفع كل دينيّ غيور إلى النهوض في وجه هذه السلطة القاسية، وأيّ (عسف شديد ينوء الناس بحمله) أو (جور ظاهر لا يحتمل) أشدّ ممّا ذكرنا؟! الذي يترك كلّ متديِّن أن يرى من واجبه الإنكار عليه، والنهضة تجاهه ولو بمفرده، وإن علم أنّه مقتولٌ لا محالة، فإنّه وإن يُقتل في يومه لكن حياته الأبديَّة في سبيل الدين والشريعة لا تزال مُضعضعةً لأركان الدولة الظالمة، وهو فيها يتلو على الملأ صحيفة صاحبها السوداء، وانّه كان مغتصباً ذلك العرش المقدَّس، وانّه إنّما وئد هذا الإنسان دون إنكاره على جرائمه، ويتَّخذ الملأ الواقف على حديثه درساً راقياً من التضحية، والمفادات دون المبدأ الصحيح، فيقتصّون أثره، ويحصل هناك قومٌ يـرِقّون لهذا المضحّي

فينهضون لثاراته؛ وفي الامَّة بقيَّةٌ ساخطةٌ لمآثم المتغلّب، وفتكه بالمنكر عليه، فتلتقي الروحان: الثائرة والساخطة، فتنهك هذه قوى الدولة الغاشمة، وتتثبَّط الاخرى عن مناصرتها، فيكون هناك بوار الظلم، وظهور الصالح العام.

وهكذا أثَّرت نهضة الحسين المقدَّسة حتّى أجهزت على دولة الأمويِّين أيّام حمارهم، وهكذا علّمت الامَّة دروسها الراقية، لكنَّ «الخضريّ» ومن يلفُّ لفَّه قد أعشى الجهل أبصار بصائرهم.

لم يكن حسين التضحية يُريد ملكاً عضوضاً حتّى كان خروجه قبل الأُهبة خطا عظيماً كما يحسبه «الخضريُّ» فيقول بملء فمه: فحيل بينه وبين ما يشتهي وقتل دونه...

وإنَّما أراد الفادي الكريم والمجاهد الظافر التضحية في سبيل الدين، ليُعلم الامَّة بفظاظة الأمويِّين، وقسوة سياستهم، وابتعادهم عن الناموس البشريِّ فضلاً عن الناموس الدينيِّ، وتوغلهم في الغلظة الجاهليَّة وعادات الكفر الدفين، ليعلم الملأ الدينيُّ أنَّهم كيف لم يوقروا كبيراً ولم يرحموا صغيراً، ولم يرقّوا على رضيع؛ ولم يعطفوا على امرأة، فقدَّم إلى ساحات المفادات أغصان الرِّسالة، وأوراد النبوَّة، وأنوار الخلافة، ولم تبق جوهرة من هاتيك الجواهر الفردة، فلم يعتم هو ولا هؤلاء إلّا وهم ضحايا في سبيل تلك الطلبة الكريمة.

سل كربلا كم من حشاً لمحمّدٍ   نهبت بها وكم استجزَّت من يدِ
أقمارُ تُمٍّ غالها خسف الرَّدى   واغتالها بصروفه الزّمن الرَّدي

وما كان حسين العظمة بالذي تذهب أعماله أدراج الرِّياح لما هو المعلوم بين امَّة جدِّه من شموخ مكانته، ورفعة مقامه، وعلمه المتدفِّق، ورأيه الأصيل، وعدله الواضح، وتقواه المعلومة، وأنَّه ريحانة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم المستقي من تيّار فضله، فلن تجد بين المسلمين من يُنكر عليه شيئاً من هذه المآثر وإن كان ممّن لا يدين بخلافته، فما كانت الامّة تفوه بشيءٍ حول نهضته القدسيَّة قبل التنقيب والنظر، وقد نقّبوا وتروَّوا فيها فوجدوها طبقاً لصالح

المجتمع، فلم يُسمع من أحدهم غير تقديس أو إكبار، ولذلك لم تسمع أُذن الدهر من أيّ أحدٍ ما تجرَّأ به «الخضريُّ» بقوله: أخطأ.

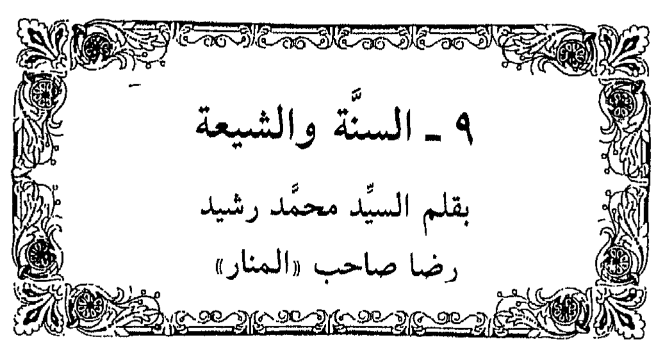
إنّهم يقولون منكراً من القول وزوراً.

فالذي نستفيده من تاريخ السبط المفدىّ هو وجوب النهوض في وجه كلِّ باطلٍ ومناصرة كلِّ حقّ، ولإبقاء هيكل الدين، ونشر تعاليمه، وبثِّ أخلاقه، نعم: يُعلمنا هذا التاريخ المجيد النزوع إلى إيثار الخلود في البقاء ولو باعتناق المنيَّة على الحياة المخدجة تحت نير الاستعباد، والمبادرة إلى الانتهال من مناهل الموت لتخليص الامَّة من مخالب الجور والفجور، ويلزمنا بسلوك سنن المفاداة دون الحنيفيَّة البيضاء، والنزول على حكم الإباء دون مهاوي الذل، هذا غيضٌ من فيض من دروس سيِّدنا الحسين عليه السَّلام التي ألقاها على امَّة جدِّه، لا ما جاء في مزعمة (الخضريِّ) من أنَّ التاريخ... الخ.

وللخضريِّ من ضرائب ما ذُكر بوائق جمَّة ضربنا عنها صفحاً، وإنَّما أردنا إيقاظ شعور الباحث بما ذُكر إلى سنخ آرائه الأمويَّة.

﴿يَسْتَخفون مِنَ النّاسِ وَلاَ يَستَخفون مِنَ الله وَهُوَ مَعهُمْ
إذ يُبيِّتونَ ما لا يَرضى مِنَ القَوْلِ وَكانَ
الله بما يَعمَلونَ مُحيطا﴾

سورة النساء: آية ١٠٨



٩ ـ السنّة والشيعة

بقلم السيِّد محمَّد رشيد
رضا صاحب «المنار»

لم يقصد صاحب هذه الرسالة نقداً نزيهاً، أو حجاجاً صحيحاً وإن كان قد صبغها بصبغة الرد على العلامة الحجة في علوية الشيعة السيد محسن الأمين العاملي (حياه الله وبياه) لكنه لم يتهجم على حصونه المنيعة إلا بسباب مقذع، أو إهانة قبيحة، أو تنابز بالألقاب، أو هتك شائن، ومعظم قصده إغراء الدول الثلاث العربية: العراقية والحجازية واليمانية بالشيعة بأكاذيب وتمويهات، وعليه فليس من خطة الباحث نقد أمثالها، غير أنه لم نجد منتدحاً من الإيعاز إلى شيء من الأكاذيب والمخاريق المودعة فيها من وليدة فكرته أو ما نقله عن غيره متطلباً من علماء الشيعة تخطئة ما يرونه فيها خطأً، وهو يعلم أن الإعراض عنها هو الحزم لما فيه من السياسة الدولية الخارجة عن محيط العلم والعلماء.

١ ـ بدأ رسالته بتاريخ التشيّع ومذاهب الشيعة فجعل مبتدع اصوله عبدالله بن سبأ اليهودي، ورأى خليفة السبئيِّين في إداراة دعاية التفرُّق بين المسلمين بالتشيّع والغلوّ زنادقة الفرس، وعدَّ من تعاليم غلاة الشيعة بدعة عصمة الأئمَّة، وتحريف القرآن، والبدع المتعلّقة بالحجَّة المنتظر، والقول بأُلوهيَّة بعض الأئمَّة والكفر الصريح.

وقسَّم الإماميَّة على المعتدلة القريبة من الزيديَّة، والغلاة القريبة من الباطنيَّة وقال: هم الذي لقَّحوا ببعض تعاليمهم الإلحاديَّة كالقول بتحريف القرآن وكتمان بعض آياته، وأغربها في زعمهم سورةٌ خاصَّةٌ بأهل البيت يتناقلونها بينهم حتّى كتب إلينا سائحٌ سنِّيٌّ مرَّة: أنَّه سمع بعض خطبائهم في بلد من بلاد إيران يقرؤها يوم الجمعة على المنبر، وقد نقلها عنهم بعض دعاة النصرانيَّة المبشِّرين، فهؤلاء الإماميَّة الإثنى عشريَّة ويلقَّبون بالجعفريَّة درجات.

وعدَّ من الإماميَّة بدعة البابيَّة ثمَّ البهائيّة الذين يقولون بألوهيَّة البهاء ونسخه لدين الإسلام وإبطاله لجميع مذاهبه. ومن وراء هذه الكلم المثيرة للفتن والإحن يرى نفسه الساعي الوحيد في توحيد الكلمة والإصلاح بعد السيِّد جمال الدين الأفغاني، ثمَّ بسط القول الخرافيَّ، والكلم القارصة.

والباحث يجد جواب كثير ممّا لفّقه من المخاريق فيما مرَّ من هذا الجزء من كتابنا، والسائح السنّي الذي أخبر صاحب «المنار» من خطيب إيران لم يولد بعدُ، ومثله الخطيب الذي كان يهتف بتلك السورة المختلقة في الجمعات، ولا أنَّ الشيعة تُقيم لتلك السورة المزعومة وزناً، ولا تراها بعين الكتاب العزيز؛ ولا تجري عليها أحكامه، ويا ليت الرجل راجع مقدّمات تفسير العلّامة البلاغي (آلاء الرَّحمان) وما قاله في حقِّ هذه السورة وهو لسان الشيعة، وترجمان عقائدهم ، ثمَّ كتب ما كتب حولها.

ونحن نرحِّب بهذا الحجاج الذي يستند فيه إلى المبشر النصرانيِّ، ومن جهله الشائن عدُّ البابيَّة والبهائيَّة من فرق الشيعة، والشيعة على بكرة أبيها لا تعتقد إلّا بمروقهم عن الدين وبكفرهم وضلالهم ونجاستهم، والكتب المؤلَّفة في دحض أباطيلهم لعلماء الشيعة أكثر من أن تُحصى وأكثرها مطبوعٌ منشورٌ.

٢ - قال: اختلال العراق دائماً إنَّما هو من الأرفاض، فقد تهرى أديمهم من سمِّ ضلالهم، ولم يزالوا يفرحون بنكبات المسلمين حتّى انَّهم اتَّخذوا يوم انتصار الروس على المسلمين عيداً سعيداً، وأهل إيران زيَّنوا بلادهم يومئذ فرحاً وسروراً ص ٥١[١].

ج - عجباً للصلافة. أيحسب هذا الإنسان أنَّ لبلاد العراقية والإيرانيّة غير مطروقةٍ لأحد؟ أو أنَّ أخبارهم لا تصل إلى غيرهما؟ أو أنَّ الأكثريَّة الشيعيَّة في العراق قد لازمها العمى والصمم عمّا تفرَّد برؤيته أو سماعه هذا المتقوِّل؟ أو أنَّهم معدودون من الامم البائدة الّذين طحنهم مرُّ الحقب والأعوام؟ فلم يبق لهم

---

(١) نقلها وما بعدها عن الالوسي في كتاب نسبه إليه كتبها إلى الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي.

من يُدافع عن شرفهم، ويُناقش الحساب مع من يبهتهم، فيسائل هذا المختلق عن أولئك النفر الذين يفرحون بنكبات المسلمين، أهم في عراقنا هذه مجرى الرافدين؟ أم يُريد قارّة لم تُكتشف تُسمّى بهذا الإسم؟ ويُعيد عليه هذا السؤال بعينه في إيران.

أمّا المسلمون القاطنون في تينك المملكتين ومن طرقهما من المستشرقين والسوّاح والسفراء والموظّفين فلا عهد لهم بهاتيك الأفراح، والشيعة جمعاء تحترم نفوس المسلمين ودماءَهم وأعراضهم وأموالهم مطلقاً من غير فرق بين السنيِّ والشيعيِّ فهي تستاء إذا ما انتابت أيَّ أحد منهم نائبةٌ، ولم تقيِّد الاخوَّة الإسلاميّة المنصوص عليها في الكتاب الكريم بالتشيّع، ويُسائل الرجل أيضاً عن تعيين اليوم، أيُّ يوم هو هذا العيد؟ وفي أيِّ شهر هو؟ وأيُّ مدينة ازدانت لأجله؟ وأيُّ قوم ناؤا بتلك المخزاة ؟ .

لا جواب للرَّجل إلّا الاستناد إلى مثل ما استند إليه صاحب الرِّسالة من سائح سنِّيٍ مجهول أو مبشِّر نصرانيٍّ.

٣ ـ قال تحت عنوان: بُغض الرافض لبعض أهل البيت:

إنَّ الروافض كاليهود يُؤمنون ببعض ويكفرن ببعض (إلى أن قال): ويبغضون كثيراً من أولاد فاطمة رضي الله عنها بل يسبّونهم كزيد بن عليِّ بن الحسين.

وكذا يحيى ابنه فإنّهم أيضاً يُبغضونه.

وكذا إبراهيم وجعفر ابنا موسى الكاظم رضي الله عنهم. ولقّبوا الثاني بالكذّاب، مع أنّه كان من أكابر الأولياء وعنه أخذ أبو زيد البسطامي.

ويعتقدون أنَّ الحسن بن الحسن المُثنّى، وابنه عبدالله المحض، وابنه محمّد الملقَّب بالنّفس الزكيّة ارتدّوا (حاشاهم) عن دين الإسلام.

وهكذا اعتقدوا في إبراهيم بن عبدالله.

وزكريّا بن محمّد الباقر

ومحمّد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن.

ومحمّد بن القاسم بن الحسن.

ويحيى بن عمر الذي كان من أحفاد زيد بن عليٍّ بن الحسين.

وكذلك في جماعة حسنيِّين وحسينيِّين كانوا قائلين بإمامة زيد بن عليٍّ بن الحسين، إلى غير ذلك ممّا لا يسعه المقام، وهم حصروا حبّهم بعدد منهم قليل ،كلّ فرقةٍ منهم تخصُّ عدداً وتلعن الباقين، هذا حبّهم لأهل البيت والمودَّة في القربى المسؤول عنها ٥٢ ـ ٥٤ .

ج ـ هذه سلسلة أوهام حسبها الآلوسي حقائق ، أو أنَّه أراد تشويه سمعة الشيعة ولو بأشياء مفتعلة ، فذكر أحكاماً بعضها باطلٌ بانتفاء موضوعة ، وجملةٌ منها لأنَّها أكاذيب .

أمّا زيد بن عليّ. الشهيد فقد مرّ الكلام فيه وفي مقامه وقداسته عند الشيعة جمعاء راجع ص ٩٧ـ١٠٥

وأمّا يحيى بن زيد. الشهيد ابن الشهيد فحاشا أن يُبغضه شيعيٌّ، وهو ذلك الإماميّ البطل المجاهد، يروي عن أبيه الطاهر أنَّ الأئمَّة إثنا عشر، وسمّاهم بأسمائهم وقال: إنَّه عهدٌ معهودٌ عهده إلينا رسول الله[1]. ورثاه شاعر الإماميَّة دعبل الخزاعي في تائيّته السائرة وقرأها للإمام عليٍّ بن موسى الرِّضا عليه السَّلام.

ولم توجد للشيعة حوله كلمة غمز فضلاً عن بغضه، وغاية نظر الشيعة فيه كما في كتاب زيد الشهيد ص ١٧٥ : أنَّه كان معترفاً بإمامة الإمام الصّادق ، حسن العقيدة، متبصِّراً بالأمر، وقد بكى عليه الصّادق عليه السَّلام، وترحم له. فسلام الله عليه وعلى روحه الطاهرة.

وفي وسع الباحث أن يستنتج ولاء الشيعة ليحيى بن زيد ممّا أخرجه أبو

---

(١) مقتضب الأثر في الأئمّة الإثني عشر.

الفرج في «مقاتل الطالبيّين» ص ٦٢ ط إيران قال: لمّا أُطلق يحيى بن زيد وفُكَّ حديده صار جماعة من مياسير الشيعة إلى الحدّاد الذي فكَّ قيده من رجله فسألوه أنِ يبيعهم إيّاه وتنافسوا فيه وتزايدوا حتّى بلغ عشرين ألف درهم، فخاف أن يشيع خبره فيُؤخذ منه المال فقال لهم: اجمعوا ثمنه بينكم. فرضوا بذلك وأعطوه المال فقطعه قطعةً قطعةً وقسَّمه بينهم فاتَّخذوا منه فصوصاً للخواتيم يتبرَّكون بها.

وقد أقرَّت الشيعة هذا في أجيالها المتأخِّرة وحتّى اليوم ولم ينقم ذلك أحدٌ منهم.

وأمّا إبراهيم بن موسى الكاظم فليتني أدري وقومي بغض أيِّ إبراهيم يُنسب إلينا؟ هل إبراهيم الأكبر أحد أئمة الزيديَّة الذي ظهر باليمن أيّام أبي السرايا، والشيعة تروي عن الإمام الكاظم: أنَّه أدخله في وصيَّته وذكره في مقدَّم أولاده المذكورين فيها وقال: إنَّما أردت بإدخال الذين أدخلتهم معه (يعني الإمام عليّ بن موسى) من ولدي التنويه بأسمائهم والتشريف لهم[1] وترجمه شيخنا الأكبر المفيد في الإرشاد بالشيخ الشجاع الكريم وقال: ولكلِّ واحدٍ من وُلد أبي الحسن موسى عليه السَّلام فضلٌ ومنقبةٌ مشهورة، وكان الرِّضا المقدَّم عليهم في الفضل. وقال سيِّدنا تاج الدين بن زهرة في «غاية الاختصار»: كان سيِّداً أميراً جليلاً نبيلاً عالماً فاضلاً يروي الحديث عن آبائه عليهم السَّلام. وفذلكة رأي الشيعة فيه ما في «تنقيح المقال» ج ١ ص ٣٤، ٣٥: أنّه في غاية درجة التقوى وهو خيِّرٌ دِيِّنٌ.

أم إبراهيم الأصفر الملقَّب بالمرتضى؟ والشيعة تراه كبقيَّة الذريَّة من الشجرة الطيِّبة وتتقرَّب إلى الله بحبِّهم، وحكى سيِّدنا الحسن صدر الدين الكاظمي عن شجرة ابن المهنّا: أنَّ إبراهيم الصغير كان عالماً عابداً زاهداً وليس هو صاحب أبي السّرايا، وإنّي لم أجد لشيعيٍّ كلمة غمز فيه لا في كتب الأنساب

(١) اصول الكافي ص ١٦٣ في باب الإشارة والنص على الإمام أبي الحسن الرضا.

ولا في معاجم الرِّجال حتّى يستشمّ منها بغض الشيعة إيّاه، وهذا سيِّدنا الأمين العاملي عدَّهما من أعيان الشيعة وترجمهما في «الأعيان»ج ٥ ص٤٧٤ ـ ٤٨٢ .

فنسبة بُغض أيٍّ منهما إلى الشيعة فريةٌ واختلاقٌ.

وأمّا جعفر بن موسى الكاظم فإنّي لم أجد في تآليف الشيعة بسط القول في ترجمته، ولم أقرأ كلمة غمز فيه حتى تكون آية بغضهم إيّاه، ولم أرقظْ أحداً من الشيعة لقَّبه بالكذّاب، ليت المفتري دلَّنا على من ذكره، أو على تأليف يوجد فيه، والشيعة إنَّما تلقّبه بالخواري وولده بالخواريِّين والشجريِّين كما في «عمدة الطالب» ٢٠٨ . وليتني أدري ممّن أخذ عدّ جعفر من أكابر الأولياء؟ ومن الذي ذكر أخذ أبي يزيد البسطامي عنه؟ .

إنّما الموجود في المعاجم تلمّذ أبي يزيد البسطامي طيفور بن عيسى بن آدم المتوفّى سنة٢٦١ على الإمام جعفر بن محمّد الصّادق، وهذا اشتباه من المترجمين كما صرَّح به المنقّبون منهم، إذ الإمام الصّادق توفّي سنة ١٤٨ وأبو يزيد في ٢٦١/ ٢٦٤ ولم يعدّ من المعمّرين، ولعلّه أبو يزيد البسطاميّ الأكبر طيفور بن عيسى بن شروسان الزاهد[1] فالرجل خبط خَبْطَ عشواء في فريته هذه.

وأمّا الحسن بن الحسن المثنّى فهو الذي شهد مشهد الطفِّ مع عمّه الإمام الطاهر وجاهد وأبلى وارتثَّ بالجراح فلمّا أرادوا أخذ الرؤوس وجدوا به رمقاً فحمله خاله أبو حسّان أسماء بن خارجة الفزاري إلى الكوفة وعالجه حتى برىء. ثمَّ لحق بالمدينة[2] ويُعرب عن عقيدة الشيعة فيه قول شيخهم الأكبر الشيخ المفيد في إرشاده: كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً، وكان يلي صدقات أمير المؤمنين في وقته، وله مع الحجّاج خبرٌ ذكره الزبير بن بكار. إلخ . وعدَّه العلاّمة الحجَّة السيِّد محسن الأمين العاملي (الذي ردَّ عليه الآلوسي بكلمته هذه) من أعيان الشيعة وذكر له ترجمة ضافية في ج ٢١ ص ١٦٦ ـ ١٨٤ .

فالقول بأنَّ الرافضة تعتقد بارتداده عن دين الإسلام قذفٌ بفريةٍ مقذعةٍ

---

(١) راجع معجم البلدان ج ٢ ص ١٨٠ .

(٢) إرشاد المفيد، عمدة الطالب ص ٨٦ .

تندى منها جبهة الإنسانيَّة.

أما عبدالله المحض بن الحسن المثنّى فقد عدَّه شيخ الشيعة أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصّادق عليه السَّلام، وزاد أبو داود الباقر عليه السَّلام، وقال جمال الدين المهنّا في «العمدة» ٨٧: كان يشبه رسول الله، وكان شيخ بني هاشم في زمانه، يتولّى صدقات أمير المؤمنين بعد أبيه الحسن.

والأحاديث في مدحه وذمّه وإن تضاربت غير أنَّ غاية نظر الشيعة فيها ما اختاره سيِّد الطائفة السيِّد ابن طاوس في إقباله ص ٥١ من صلاحه وحسن عقيدته وقبوله إمامة الصّادق عليه السَّلام. وذكر من أصل صحيح كتاباً للإمام الصّادق وصف فيه عبدالله بالعبد الصالح ودعا له ولبني عمِّه بالأجر والسعادة، ثمَّ قال: وهذا يدلُّ على أنَّ الجماعة المحمولين [يعني عبدالله وأصحابه الحسنيِّين] كانوا عند مولانا الصّادق معذورين وممدوحين ومظلومين وبحقِّه عارفين، وقد يوجد في الكتب: أنّهم كانوا للصّادقين عليهم السَّلام مفارقين. وذلك محتملٌ للتقيَّة لئلاّ يُنسب إظهارهم لإنكار المنكر إلى الأئمَّة الطاهرين، وممّا يدلك على أنَّهم كانوا عارفين بالحقِّ وبه شاهدين ما رويناه (وقال بعد ذكر السند وإنهائه إلى الصّادق): ثمّ بكى عليه السَّلام حتّى علا صوته وبكينا ثمَّ قال: حدّثني أبي عن فاطمة بنت الحسين عن أبيه أنّه قال: يُقتل منك أو يُصاب نفرٌ بشطِّ الفرات ما سبقهم الأوّلون ولا يعدلهم الآخرون. ثمَّ قال:

أقول: وهذه شهادةٌ صريحةٌ من طرق صحيحةٍ بمدح المأخوذين من بني الحسن عليه وعليهم السَّلام وأنَّهم مضوا إلى الله جلَّ جلاله بشرف المقام، والظفر بالسعادة والإكرام.

ثمَّ ذكر أحاديث تدلّ على حسن اعتقاد عبدالله بن الحسن ومن كان معه من الحسنيِّين فقال: أقول: فهل تراهم إلاّ عارفين بالهدى، وبالحقِّ اليقين، ولله متّقين؟! اهـ.

فأنت عندئذٍ جدُّ عليم بأنَّ نسبة القول بردَّته وردَّة بقيَّة الحسنيِّين إلى

الشيعة بعيدةٌ عن مستوى الصِّدق.

وأمّا محمّد بن عبدالله بن الحسن الملقب بالنفس الزكيَّة فعدَّه الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب الصّادق عليه السَّلام. وقال ابن المهنّا في «عمدة الطالب» ٩١: قُتل بأحجار الزيت، وكان ذلك مصداق تلقيبه «النفس الزكيَّة» لأنَّه رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: تُقتل بأحجار الزيت من وُلدي نفسٌ زكيَّةٌ.

وذكر سيِّدنا ابن طاووس في «الإقبال» ص ٥٣ تفصيلاً برهن فيه حسن عقيدته وأنَّه خرج للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنَّه كان يعلم بقتله ويُخبر به، ثمَّ قال: كلُّ ذلك يكشف عن تمسّكهم بالله والرَّسول صلّى الله عليه وآله وسلم.

هذا رأي الشيعة في النفس الزكيَّة، وهم مخبتون إلى ما في «مقاتل الطالبيِّين» ص ٨٥ من أنّه أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له، وفقهه في الدين وشجاعته وجوده وبأسه، والإماميَّة حاشاهم عن قذفه بالردَّة عن الدين، والمفتري عليهم به قد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً.

وأمّا إبراهيم بن عبدالله قتيل «باخمرى» المكنّى بأبي الحسن، فعدَّه شيخ الطائفة من رجال الصّادق، وقال جمال الدين بن المهنّا في «العمدة» ٩٥: كان من كبار العلماء في فنونٍ كثيرة، وذكره دعبل الخزاعي شاعر الشيعة في تائيَّته المشهورة بـ«مدارس آيات» الّتي رثى بها شهداء الذريَّة الطاهرة بقوله:

قبورٌ بكوفانٍ واخرى بطيبةٍ ... واخرى بفخٍّ نالها صلواتي
واخرى بأرض الجوزجان محلّها ... وقبرٌ بباخمرى لدى الغرباتِ

فلولا شهرة إبراهيم عند الشيعة بالصّلاح وحسن العقيدة، واستيائهم بقتله؛ وكونه مرضيّاً عند أئمّتهم صلوات الله عليهم، لم يرثه دعبل ولم يقرأ رثاءه للإمام عليّ بن موسى سلام الله عليه. ونحن نقول بما قال أبو الفرج في «المقاتل» ١١٢: كان إبراهيم جارياً على شاكلة أخيه محمّد في الدين والعلم والشجاعة والشدَّة. وعدَّه السيِّد الأمين العاملي من أعيان الشيعة وبسط القول في

ترجمته ج ٥ ص ٣٠٨ ـ ٣٢٤. فنسبة القول بردته عن الدين الى الشيعة بهتان عظيم.

وأمّا زكريّا : بن محمّد الباقر فإنّه لم يولد بعدُ ، وهو من مخلوقات عالم أوهام الآلوسي ؛ إذ مجموع أولاد أبي جعفر محمّد الباقر عليه السّلام الذكور ستّةٌ باتّفاق الفريقين ، ولم نجد فيما وقفنا عليه من تآليف العامّة والخاصّة غيرهم ، وهم : جعفر ، عبد الله ، إبراهيم . عليّ ، زيد ، عبيد الله[١] فنسبة القول بردّة زكريّا إلى الشيعة باطلةٌ بانتفاء الموضوع .

وأمّا محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن فإن كان يريد حفيد الحسين الأثرم ابن الإمام المجتبى فلم يذكر النّسّابة فيه إلا قولهم: إنقرض عقبه سريعاً. ولم يسمّوا له ولداً ولا حفيداً. وإن أراد غيره فلم نجد في كتب الأنساب له ذكراً حتّى تُكفّره الشيعة أو تُؤمن به، ولم نجد في الإماميَّة مَن يُكفِّر شخصاً يسمّى بهذا الإسم حسنيّاً كان أو حسينيّاً.

وأمّا محمَّد بن القاسم بن الحسن فهو ابن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام يُلقَّب بالبطحاني[٢]، عدَّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الصّادق سلام الله عليه؛ وقال جمال الدين ابن المهنّا في «العمدة» ٥٧ : كان محمَّد البطحاني فقيهاً، ولم نجد لشيعيٍّ كلمة غمزٍ فيه حتّى تكون شاهداً للفرية المعزوّة إلى الشيعة.

أمّا يحيى بن عمر : فهو أبو الحسين يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب سلام الله عليهم، أحد أئمّة الزيديَّة، فحسبك في الإعراب عن رأي الشيعة فيه ما في «عمدة الطالب» لابن المهنّا ص ٢٦٣ من قوله: خرج بالكوفة داعياً إلى الرِّضا من آل محمَّد، وكان من أزهد الناس، وكان مثقل الظهر بالطالبيّات يجهد نفسه في

---

(١) كذا في «المجدي» للنسابة العمري وجملة من المصادر وفي بعضها: عبدالله . مع التعدد.

(٢) يروى بفتح الموحدة منسوباً إلى «البطحاء»، وبالضم منسوباً إلى «بُطحان» واد بالمدينة(عمدة الطالب ص ٥٧).

بِرِّهِنّ ـ إلى أن قال ـ: فحاربه محمَّد بن عبدالله بن طاهر فقُتل وحُمل رأسه إلى سامرّاء ولمّا حُمل رأسه إلى محمَّد بن عبدالله بن طاهر جلس بالكوفة «كذا» للهنا فدخل عليه أبو هاشم داود بن القاسم الجعفري وقال: إنَّك لتهنأ بقتيلٍ لو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم حيّاً لعزّي فيه[1] فخرج وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه مريئاً ... إنَّ لحم النبيِّ غير مريٍّ
إنَّ وتراً يكون طالبه اللّـ ... ـه لوترٌ بالفوت غير حريٍّ اهـ

ورثاه جمعٌ من شعراء الشيعة الفطاحل منهم: أبو العبّاس بن الرومي رثاه بقصيدتين إحداهما ذات ١١٠ أبيات توجد في «عمدة الطالب» ص ٢٢٠ مطلعها:

أمامك فانظر أيّ نهجيك ينهج ... طريقان شتّى مستقيم وأعوج

وجيميَّةٌ اخرى أوّلها:

حييت ربع الصبا والخرَّد الدعجِ ... الآنسات ذوات الدلِّ والغنجِ

ومنهم: أبو الحسين عليُّ بن محمَّد الحِمّاني الأفوه رثاه بشعر كثير مرَّت جملةٌ منه في هذا الجزء ص ٨٨، ٨٩.

هذا صحيح رأي الشيعة في هؤلاء السّادة الأئمَّة، ولم تقل الشيعة ولا تقول ولن تقول بارتداد أحدٍ منهم عن الدين ولا بارتداد الحسنيِّين والحسينيِّين القائلين بإمامة زيد بن عليٍّ بن الحسين المنعقدة على الرِّضا من آل محمَّد سلام الله عليهم. كبرتْ كلمةً تخرج مِنْ أفواههم إنْ يَقولون إلّا كذباً.

ونحن نُسائل الرَّجل عن هؤلاء الذين يُدافع عن شرفهم وجلالتهم من ذا الذي قتلهم؟ واستأصل شأفتهم؟ وحبسهم في غيابة الجبِّ وأعماق السّجون؟ أهم الشيعة الذين اتَّهمهم بالقول بردَّتهم؟ أم قومه الذين يزعم أنهم يُعظِّمونهم؟ هلُمَّ معي واقرأ صفحة التاريخ فهو نعم المجيب.

أمّا زيد الشهيد فعرَّفناك قاتله وقاطع رأسه ص ١٠٤

(١) وذكره اليعقوبي في تاريخه ج ٣ ص ٢٢١.

وأمّا يحيى بن زيد فقتله الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥، وقاتله سلم بن أحوز الهلالي، وجهز إليه الجيش نصر بن سيَّار، ورماه عيسى مولى عيسى بن سليمان الغزي وسلبه[1].

والحسن بن الحسن المثنّى، كتب وليد بن عبد الملك إلى عامله عثمان بن حيّان المري: أُنظر إلى الحسن بن الحسن فاجلده مائة ضربة، وقفّه للناس يوماً، ولا أراني إلاّ قاتله، فلمّا وصله الكتاب بعث إليه فجيء به والخصوم بين يديه فعلّمه عليٌّ بن الحسين عليه السَّلام بكلمات الفرج ففرَّج الله عنه وخلّوا سبيله[2] فخاف الحسن سطوة بني اميَّة فأخفى نفسه وبقي مختفياً إلى أن دسَّ إليه السمّ سليمان بن عبد الملك وقتله سنة ٩٧[3].

وعبدالله المحض كان المنصور يسميه: عبدالله المذلَّة، قتله في حبسه بالهاشميَّة سنة ١٤٥ لمّا حبسه مع تسعة عشر من ولد الحسن ثلاث سنين، وقد غيَّرت السياط لون أحدهم وأسالت دمه، وأصاب سوطٌ إحدى عينيه فسالت، وكان يستسقي الماء فلا يُسقى، فردم عليهم الحبس فماتوا[4] وفي تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٦: إنَّهم وُجدوا مسمَّرين في الحيطان.

ومحمَّد بن عبدالله النفس الزكيَّة قتله حميد بن قحطبة سنة ١٤٥، وجاء برأسه إلى عيسى بن موسى وحمله إلى أبي جعفر المنصور فنصبه بالكوفة وطاف به البلاد[5].

وأمّا إبراهيم بن عبدالله فندب المنصور عيسى بن موسى من المدينة إلى قتاله فقاتل بباخمرى حتّى قُتل سنة ١٤٥، وجيء برأسه إلى المنصور فوضعه بين

---

(١) تاريخ الطبري ج ٨، مروج الذهب ج ٢، تاريخ اليعقوبي ج ٣.

(٢) تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٦٤.

(٣) الزينبيات.

(٤) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٩٦، تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٢٦، مقاتل الطالبيين ص ٧١، ٨٤ ط إيران.

(٥) تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٢٩.

يديه، وأمر به فنُصب في السّوق. ثم قال للربيع: احمله إلى أبيه عبدالله في السجن. فحمله إليه[١] وقال النسّابة العمري في المجدي: ثمَّ حمل ابن أبي الكرام الجعفري رأسه إلى مصر.

ويحيى بن عمر أمر به المتوكّل فضُرب دِرَراً ثمَّ حبسه في دار الفتح بن خاقان فمكث على ذلك ثمَّ أُطلق فمضى إلى بغداد فلم يزل بها حتّى خرج إلى الكوفة في أيّام المستعين فدعا إلى الرِّضا من آل محمَّد فوجَّه المستعين رجلاً يُقال له: كلكاتكين. ووجَّه محمَّد بن عبدالله بن طاهر بالحسين بن إسماعيل فاقتتلوا حتّى قُتل سنة ٢٥٠ وحُمل رأسه إلى محمَّد بن عبدالله فوضع بين يديه في تُرس ودخل الناس يهنّونه، ثمَّ أمر بحمل رأسه إلى المستعين من غدٍ[٢].

٤ - قال: إنَّ الرَّوافض زعموا أنَّ أصحَّ كتبهم أربعة: الكافي. وفقه من لا يحضره الفقيه. والتهذيب. والاستبصار، وقالوا: إنَّ العمل بما في الكتب الأربعة من الأخبار واجبٌ، وكذا بما رواه الإماميُّ ودوَّنه أصحاب الأخبار منهم، ونصَّ عليه المرتضى وأبو جعفر الطوسي وفخر الدين الملقَّب عندهم بالمحقِّق المحلّي[٣] ص ٥٥.

ج - تعتقد الشيعة أنَّ هذه الكتب الأربعة أوثق كتب الحديث، وأمّا وجوب العمل بما فيها من الأخبار، أو بكلِّ ما رواه إماميٌّ ودوَّنه أصحاب الأخبار منهم فلم يقل به أحدٌ؛ وعَلَم الهدى المرتضى وشيخ الطائفة أبو جعفر ونجم الدين المحقِّق الحلّي أبرياء ممّا قذفهم به، وهذه كتبهم بين أيدينا لا يوجد في أيٍّ منها هذا البهتان العظيم، وأهل البيت أدرى بما فيه.

ويشهد لذلك ردُّ علماء الشيعة لفريق ممّا رُوي من أحاديثهم لطعنٍ في إسناد أو مُناقشة في المتن. ويشهد لذلك تنويعهم الأخبار على أقسامٍ أربعة:

(١) تاريخ الطبري ج ٩ ص ٢٦٠، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١١٢ - ١١٤، تذكرة السبط ص ٢٣٠.
(٢) تاريخ الطبري ج ١١ ص ٨٩، تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٢١.
(٣) فخر الدين لقب شيخنا محمد بن الحسن العلامة الحلّي. وأما المحقق فيلقب بنجم الدين وينسب إلى الحلة الفيحاء لا المحل.

الصحيح. الحسن. الموثّق. الضعيف. منذ عهد العلَمين جمال الدين السيِّد أحمد بن طاوس الحسني، وتلميذه آية الله العلاّمة الحلّي.

وليت الرَّجل يقف على شروح هذه الكتب وفي مقدِّمها « مرآة العقول» شرح الكافي للعلاّمة المجلسي ويُشاهده كيف يحكم في كلِّ سندٍ بما يُؤدّي إليه اجتهاده من أقسام الحديث. أو كان يُراجع الجزء الثالث من المستدرك لِلعَلم الحجَّة النوريِّ حتّى يُرشده إلى الحقِّ ويُعلمه الصواب وينهاه عن التقوُّل على امَّةٍ كبيرةٍ «الشيعة» بلا علمٍ وبصيرةٍ في أمرها.

ثمَّ زيَّف الكتب الأربعة المذكورة بما فيها من الآحاد، واشتمال بعض أسانيدها برجال قذفهم بأشياء هم بُرآء منها، وآخرين لا يقدح انحرافهم المذهبي في ثقتهم في الرِّواية، وأحاديث هؤلاء من النوع الذي تُسمِّيه الشيعة بالموثَّق، وهناك اناسٌ يُرمون بالضعف لكن خصوص رواياتهم تلك مكتنفةٌ بإمارات الصحَّة، وعلى هذا عمل المحدِّثين من أهل السنَّة والشيعة في مدوَّناتهم الحديثيَّة، فالرجل جاهلٌ بدراية الحديث وفنونه، أو: راقه أن يتجاهل حتّى يتحامل بالوقيعة، ولو راجع مقدمة «فتح الباري» في شرح صحيح البخاري لابن حجر، وشرحه للقسطلاني، وشرحه للعيني، وشرح مسلم للنووي وأمثالها لوجد فيها ما يشفي غلّته، وكفَّ عن نشر الأباطيل مَدَّته(١).

٥ ـ قال: يروي[الطوسي]عن ابن المعلّم وهو يروي عن ابن مابويه الكذوب صاحب الرقعة المزوَّرة، ويروي عن المرتضى أيضاً. وقد طلبا العلم معاً وقرءا على شيخهما محمَّد بن النعمان، وهو أكذب من مسيلمة الكذّاب، وقد جوَّز الكذب لنصرة المذهب. ص ٥٧.

ج ـ إنَّ صاحب التوقيع الذي حسبه الرَّجل رقعةً مزوَّرة هو عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه «بالباءين الموحَّدتين لا المصدَّرة بالميم» وهو الصدوق الأوَّل توفي ٣٢٩ قبل مولد الشيخ المفيد ابن المعلّم بسبع أو تسع سنين، فإنّه ولد سنة

(١) المدة: غمس القلم في الدواة مرة للكتابة.

٨/٣٣٦ فليس من الممكن روايته عنه، نعم له رواية عن ولـده الصدوق أبي جعفر محمَّد بن عليّ وليس هو صاحب التوقيع.

وليتني علمت مَن ذا الذي أخبر الآلوسي بأنَّ شيخ الامَّة المفيد [المدفون في رواق الإمامين الجوادين صاحب القبَّة والمقام المكين] أكذب من مسيلمة الكذّاب الكافر بالله؟!.

ما أجرأه على هذه القارصة الموبقة! وكيف أحفَّه؟![1] وهـذا اليافعي يعرِّفه في مرآته ج ٣ ص ٢٨ بقوله: كان عالم الشيعة وإمام الرافضة صاحب التصانيف الكثيرة شيخهم المعروف بالمفيـد وبابن المعلّم أيضـاً، البارع في الكلام والجدل والفقه، وكان يُناظر أهل كلِّ عقيدةٍ مع الجلالة والعظمـة في الدَّولة البويهيَّة، وقال ابن أبي طيّ: كان كثير الصدقات، عظيم الخشوع، كثير الصلاة والصوم، خشن اللباس.

وقول ابن كثير في تأريخه ج ١٢ ص ٢٥ : كان مجلسه يحضره كثيرٌ من العلماء من سائر الطوائف. ينمُّ عن أنّه شيخ الامّة الإسلاميَّة لا الإماميّة فحسب، فيجب إكباره على أيِّ معتنق بالدين.

أَهكذا أدب العلم والدين؟ أفي الشريعة والأخلاق مساغٌ للنَّيل من أعراض العلماء والوقيعة فيهم، والتحامل عليهم بمثل هذه القارصة؟ أفي ناموس الإسلام ما يُستباح به أن يُحطَّ بمسلم إلى حضيض يكون أخفض من الكافر مهما شجر الخلاف واحتدمت البغضاء فضلاً عن مثل الشيخ المفيد الذي هـو من عمد الدين وأعلامه، ومن دُعاة الحقِّ وأنصاره، وهو الذي أسَّس مجد العراق العلميّ وأيقظ شعور أهليها، وما ذا عليه؟غير أنَّه عرف المعروف الذي أنكره الآلوسي، وتسنَّم ذروةً من العلم والعمل التي تقاعس عنها المتهجِّم.

وليته أشار إلى المصدر الذي أخذ عنه نسبة تجويز الكذب لنصرة المذهب إلى الشيخ المفيد من كتبه أو كتب غيره، أو إسناد متصل إليه، أمّا مؤلَّفاته فكلّها

---

(١) أحف الرجل: ذكره بالقبيح.

خاليةٌ عن هذه الشائنة، ولا نسبها إليه أحدٌ من علمائنا، وأمّا الإسناد فلا تجد أحداً أسندة إليه متّصلاً كان أو مرسلاً، فالنسبة غير صحيحة، وتعكير الصفو بالنسب المفتعلة ليس من شأن المسلم الامّي فضلاً عن مدّعي العلم.

٦ ـ قال تحت عنوان [تعبّد الإماميّة بالرُّقاع الصادرة من المهديِّ المنتظر]: نعم: إنّهم أخذوا غالب مذهبهم كما اعترفوا من الرُّقاع المزوَّرة التي لا يشكُّ عاقلٌ في أنّها افتراءٌ على الله، والعجب من الروافض أنّهم سمّوا صاحب الرُّقاع بالصَّدوق وهو الكذوب، بل: انّه عن الدين المبين بمعزلٍ.

كان يزعم أنَّه يكتب مسألة في رقعةٍ فيضعها في ثُقب شجرة ليلاً فيكتب الجواب عنها المهديّ صاحب الزَّمان بزعمهم، فهذه الرُّقاع عند الرافضة من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم، فتبّاً....

واعلم أنَّ الرُّقاع كثيرةٌ منها: رقعة عليٍّ بن الحسين بن موسى بن مابويه القمّي فإنّه كان يُظهر رقعةً بخطِّ الصاحب في جواب سؤاله ويزعم أنّه كاتب أبا القاسم بن أبي الحسين ابن روح أحد السفرة على يد عليٍّ بن جعفر بن الأسود أن يوصل له رقعته إلى الصاحب [أي المهديِّ] وأرسل إليه رقعةً زعم أنَّها جواب صاحب الأمر له.

ومنها: رقاع محمَّد بن عبدالله بن جعفر بن حسين بن جامع بن مالك الحريري أبو جعفر القمّي، كاتب صاحب الأمر سأله مسائل في الشريعة قال: قال لنا أحمد بن الحسين: وقفت على هذه المسائل من أصلها والتوقيعات بين السطور، ذكر تلك الأجوبة محمَّد بن الحسن الطوسي في كتابه «الغيبة» وكتاب «الاحتجاج».

والتوقيعات خطوط الأئمَّة بزعمهم في جواب مسائل الشيعة، وقد رجَّحوا التوقيع على المرويِّ بإسناد صحيح لدى التعارض، قال ابن ما بويه في الفقه بعد ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدَّسة في [باب الرَّجل يوصي إلى الرَّجلين]: هذا التوقيع عندي بخطِّ أبي محمَّد بن الحسن بن عليّ، وفي

الكافي للكليني روايةٌ بخلاف ذلك التوقيع عن الصّادق، ثمَّ قال: لا أفتي بهذا الحديث بل أفتي بما عندي من خطِّ الحسن بن علي.

ومنها: رقاع أبي العبّاس جعفر بن عبدالله بن جعفر الحميري القميّ.

ومنها: رقاع أخيه الحسين ورقاع أخيه أحمد.

وأبو العبّاس هذا قد جمع كتاباً في الأخبار المرويَّة عنه وسمّاه [قرب الإسناد إلى صاحب الأمر].

ومنها: رقاع عليٍّ بن سليمان بن الحسين بن الجهم بن بُكير بن أعين أبو الحسن الرازي، فإنَّه كان يدَّعي المكاتبة أيضاً ويُظهر الرِّقاع.

هذه نبذةٌ ممّا بنوا عليه أحكامهم ودانوا به، وهي نغبةٌ من دأماء[1]، وقد تبيَّن بها حال دعوى الرافضيِّ في تلقّي دينهم عن العترة. إلخ. ص ٥٨، ٦١.

كان حقّاً على الرَّجل نهي جمال الدين القاسمي عن أن يُظهر كتابه إلى غيره، كما كان على السيِّد محمّد رشيد رضا أن يُحرِّج على الشيعة بل أهل النصفة من قومه أيضاً أن يقفوا على رسالته،إذ الأباطيل المبثوثة في طيِّهما تكشف عن السوءة، وتُشوِّه السمعة، ولا تخفى على أيِّ مُثقَّفٍ، ولا يسترها ذيل العصبيَّة، ولا تُصلحها فكرةُ المدافع عنها، مهما كان القارىء شريف النفس، حرّاً في فكرته وشعوره.

كيف يخفى على الباحث.. أنَّ الإماميَّة لا تتعبَّد بالرّقاع الصادرة من المهديِّ المنتظر؟! وكلام الرَّجل ومَن لفَّ لفَّه كما يأتي عن القصيمي في [الصراع بين الإسلام والوثنيَّة] أو ضح ما هناك من السرِّ المستسرِّ في عدم تعبّدهم بها، وعدم ذكر المحامدة الثلاثة[2] مؤلِّفي الكتب الأربعة التي هي عمدة مراجع الشيعة الإماميَّة في تلكم التآليف شيئاً من الرِّقاع والتوقيعات الصادرة من الناحية

(١) النغبة: الجرعة. الدأماء: البحر.

(٢) أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.

المقدَّسة، وهذا يوقظ شعور الباحث إلى أنَّ مشايخ الإماميَّة الثلاثة كانوا عارفين بما يؤول أمر الامَّة من البهرجة وإنكار وجود الحجة، فكأنَّهم كانوا منهيِّين عن ذكر تلك الآثار الصادرة من الناحية الشريفة في تآليفهم مع أنَّهم هم رُواتها وحملتها إلى الامّة، وذلك لئلّا يخرج مذهب العترة عن الجعفريَّة الصادقة إلى المهدويَّة، حتّى لا يبقى لرجال العصبيَّة العمياء مجال للقول بأنَّ مذهب الإماميَّة مأخوذٌ من الإمام الغائب الذي لا وجود له في مزعمتهم، وأنَّهم يتعبَّدون بالرّقاع المزوَّرة في حُسبانهم، وهذا سرٌّ من أسرار الإمامة يُؤكِّد الثقة بالكتب الأربعة والاعتماد عليها.

هذا ثقة الإسلام الكليني مع أنَّ بيئته (بغداد) تجمع بينه وبين سفراء الحجَّة المنتظر الأربعة، ويجمعهم عصرٌ واحدٌ، وقد توفِّي في الغيبة الصغرى سنة ٣٢٣، وألَّف كتابه خلال عشرين سنة، تراه لم يذكر قطُّ شيئاً من توقيعات الإمام المنتظر في كتابه «الكافي» الحافل المشتمل على ستَّة عشر ألف حديث ومائة وتسعة وتسعين حديثاً، مع أنَّ غير واحد من تلك التوقيعات يُروى من طرقه، وهو يذكر في كتابه كثيراً من توقيعات بقيَّة الأئمّة من أهل بيت العصمة سلام الله عليهم.

وهذا أبو جعفر بن بابويه الصّدوق مع روايته عدَّة من تلك الرّقاع الكريمة في تأليفه [إكمال الدين] وعقده لها باباً فيه ص ٢٦٦ لم يذكر شيئاً منها في كتابه الحافل [مَن لا يحضره الفقيه].

نعم: في موضع واحد منه [على ما وقفت] يذكر حديثاً في مقام الأعتضاد من دون ذكر وتسميةٍ للإمام عليه السَّلام وذلك في ج ٢ ص ٤١ ط لكهنو قال: الخبر الذي رُوي فيمن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمِّداً أنَّ عليه ثلاث كفارات فإنّي أفتي به فيمن أفطر بجماع محرَّم عليه أو بطعام محرَّم عليه لوجود ذلك في روايات أبي الحسين الأسدي رضي الله عنه فيما ورد عليه من الشيخ أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري قدَّس الله روحه.

وبعدهما شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي فإنه مع روايته توقيعات الأحكام

الصادرة من الناحية المقدَّسة إلى محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري في كتاب «الغيبة ص ١٨٤ - ٢١٤ و٢٤٣ - ٢٥٨ لم يورد شيئاً منها في كتابيه [التهذيب والاستبصار] اللذين يُعدّان من الكتب الأربعة عمُد مصادر الأحكام.

ألا تراهم أجمعوا برواية توقيع إسحاق بن يعقوب عن الناحية المقدَّسة ؟ ورواه أبو جعفر الصّدوق عن أبي جعفر الكليني في الإكمال ص ٢٦٦، والشيخ أبو جعفر الطوسي بإسناده عن الكليني أيضاً في كتاب «الغيبة» ص ١٨٨، وفيه أحكام مسائل ثلاث عنونوها في كتبهم الأربعة واستدلّوا عليها بغير هذا التوقيع وليس فيها منه عينٌ ولا أثر ألا وهي :

١ - حرمة الفقّاع :

عنونها الكليني في الكافي ج ٢ ص ١٩٧. والشيخ في التهذيب ج ٢ ص ٣١٣. وفي الإستبصار ج ٢ ص ٢٤٥. وتوجد في الفقيه ج ٣ ص ٢١٧، ٣٦١، ولها عنوان في الوافي جمع الكتب الأربعة في الجزء الحادي عشر ص ٨٨. وتوجد من أدلّة الباب خمسة توقيعات للإمامين: أبي الحسن الرِّضا وأبي جعفر الثاني. وليس فيها عن التوقيع المهدويِّ ذكرٌ.

٢ - تحليل الخمس للشيعة :

عنونها الكليني في الكافي ج ١ ص ٤٢٥. والشيخ في التهذيب ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٥٩ والاستبصار في الجزء الثاني ص ٣٣ - ٣٦ وذكرها الصدوق في الفقيه في الجزء الثاني ص ١٤؛ وهي معنونةٌ في الوافي في الجزء السادس ٤٥ - ٤٨، ومن أدلَّة الباب مكاتبة الإمامين: أبي الحسن الرِّضا وأبي جعفر الجواد عليهما السَّلام، وليس فيها ذكرٌ عن توقيع الحجَّة.

٣ - ثمن المغنِّية :

المسألة معنونةٌ في الكافي ج ١ ص ٣٦١. وفي التهذيب ج ٢ ص ١٠٧. وفي الإستبصار ج ٢ ص ٣٦. وتوجد في الفقيه ج ٣ ص ٥٣. وهي معنونة في

جمعها الوافي في الجزء العاشر ص ٣٢. ولا يوجد فيها إيعازٌ إلى توقيع الإمام المنتظر.

فكلمة الآلوسي هـذه أرشدتنـا إلى جانبٍ مهمّ، وعـرّفتنا بـذلك السرّ المكتوم، وأرتنا ما هناك من حكمة صفح المشايخ عن تلكم الأحاديث الصادرة من الإمام المنتظر وهي بين أيديهم وأمام أعينهم. فأنت جِدُّ عليم بأنّه لو كان هناك شيءٌ مذكورٌ منها في تلكم الاصول المدوّنة لكان باب الـطعن على المذهب الحقّ (الإماميّة) مفتوحاً بمصراعيه، ولكان تطول عليهم ألسنة المتقوّلين، ويكثر عليهم الهوس والهياج ممّن يروقه الوقيعة فيهم والتحامل عليهم.

إذن فهلمّ معي نُسائل الرّجل عن همزه ولمزه بمخاريقه وتقوُّلاته وتحكّماته وتحرُّشه بالوقيعة. نسائله متى أخذت الإماميّة غالب مذهبهم من الرُّقاع وتعبّدوا بها؟ ومَن الّذي اعترف منهم بذلك؟ وأنّى هو؟ وفي أيِّ تأليفٍ اعترف؟ أم بأيّ راوٍ ثبت عنده ذلك؟.

وأنّى للصّدوق رُقاعٌ؟ ومتى كتبها؟ وأين رواها؟ ومَن ذا الذي نسبها إليه؟ وقد جهل الرجل بأنّ صاحب الرقعة هو والده الـذي ذكره بقـوله: منهـا رقعة عليِّ بن الحسين.

ومَا المسوِّغ لتكفيره؟ وهو من حملة علم القـرآن والسنّة النبـويّة، ومن الهُداة إلى الحقِّ ومعالم الدين، دع هذه كلّهـا ولا أقلَّ من أنّـه مسلمٌ يتشهّد بالشهادتين، ويُؤمن بالله ورسوله والكتاب الذي أُنزل إليه واليوم الآخر، أهكذا قرّر أدب الدين، أدب العلم، أدب العفة، أدب الكتاب، أدب السنّة؟ أم تأمره به أحلامه؟ أبهذا السباب المقذع، والتحرُّش بالبذاء والقذف، يتأتّى الصالـح العام وتسعد الامّة الإسلاميّة، وتجد رُشدها وهُداها؟..

ثمَّ مَن الّذي أخبره عن مزعمة الصّدوق بنيل حاجته من ثُقب الأشجار؟ والصدوق متى سأل؟ وعمّا ذا سأل؟ حتّى يكتب ويضع في ثقب شجرة أو غيرها ليلاً أو نهاراً ويجد جوابه فيها. ومَن الّـذي روى عنه تلك الأسئلة؟ ومَن رأى

أجوبتها؟ ومَن حكاها؟ ومتى ثبتت عند الرافضة حتّى تكون من أقوى دلائلهم وأوثق حججهم؟ نعم: فتبّاً . . . .

وليتني أقف وقومي على تلك الرُّقاع الكثيرة وقد جمعها العلاّمة المجلسي في المجلّد الثالث عشر من «البحار» في اثنتي عشرة صحيفة من ص ٢٣٧ - ٢٤٩ والتي ترجع منها إلى الأحكام إنَّما تُعدُّ بالآحاد ولا تبلغ حدَّ العشرات، فهل مستند تعبّد الإماميّة من بدء الفقه إلى غايته هذه الصحائف المعدودة؟ أم يحقُّ أن تكون تلك المعدودة بالآحاد هي مأخذ غالب مذهبهم؟. أنا لا أدري لكن القارىء يدري، إنَّما يفتري الكذب الَّذين لا يُؤمنون بآيات الله.

وليته كان يذكر رقعة عليٍّ بن الحسين بن بابويه بنصِّها حتّى تعرف الامَّة أنَّها رقعةٌ واحدة ليست إلاّ، وليس فيها ذكرٌ من الأحكام حتّى تتعبد بها الإماميَّة، وإليك لفظها برواية الشيخ في كتاب «الغيبة».

كتب عليُّ بن الحسين إلى الشيخ أبي القاسم حسين بن روح على يد عليٍّ بن جعفر أن يسأل مولانا الصاحب أن يرزقه أولاداً فقهاء. فجاء الجواب: إنّك لا تُرزق من هذه وستملك جاريةً ديلميّةً وتُرزق منها ولدين فقيهين[1]. أترى هذه الرُّقعة ممّا يؤخذ منه المذهب؟! أو فيها مسّةٌ بالتعبّد؟

وأمّا رقاع محمّد بن عبدالله بن جعفر الحميري التي توجد في كتابي «الغيبة» و«الاحتجاج» فليست هي إلاّ رقاعاً أربعاً ذكر الشيخ في «الغيبة» منها اثنين في ص ٢٤٤ - ٢٥٠ تحتوي إحداهما تسع مسائل والاخرى خمسة عشر سؤالاً، وزادهما الطبرسي في «الاحتجاج» رقعتين، ولو كان المفتري منصفاً لكان يشعر بأنَّ عدم إدخال الشيخ هذه المسائل في كتابيه: [التهذيب والاستبصار] إنّما هو لدحض هذه الشّبهة، وقطع هذه المزعمة.

وقد خفي على الرَّجل أنَّ كتاب «الاحتجاج» ليس من تآليف الشيخ الطوسي محمّد بن الحسن وإنّما هو للشيخ أبي منصور أحمد بن عليٍّ بن أبي

---

(١) وقد وُلد له أبو جعفر محمد وأبو عبدالله الحسين من ام ولد.

طالب الطبرسي.

وفي قوله: والتوقيعات... الخ. جنايةٌ كبيرةٌ وتمويهٌ وتدجيلٌ فإنّه بعدما ادّعى على الإماميَّة ترجيح التوقيع على المرويِّ بالإسناد الصحيح لدى التعارض استدلَّ عليه بقوله: قال ابن مابويه في الفقه: بعد ذكر التوقيعات الواردة من الناحية المقدَّسة في باب [الرَّجل يوصي إلى رجل]: هذا التوقيع عندي بخطٍّ أبي محمّد بن الحسن بن عليّ، الخ.

فإنَّك لا تجد في الباب المذكور من الفقيه توقيعاً واحداً ورد من الناحية المقدَّسة فضلاً عن التوقيعات، وإنَّما ذكر في أوَّل الباب توقيعاً واحداً عن أبي محمَّد الحسن العسكري، وقد جعله الرَّجل أبا محمّد بن الحسن ليوافق فريته ذاهلاً عن أنَّ كنية الإمام الغائب أبو القاسم لا أبو محمّد، فلا صلة بما هناك لدعوى الرَّجل أصلاً، وها نحن نذكر عبارة الفقيه حتّى يتبيَّن الرُّشد من الغيِّ.

قال في الجزء الثالث ص ٢٧٥: باب الرجلين يوصى إليهما فينفرد كلٌّ واحد منهما بنصف التركة. كتب محمَّد بن الحسن الصفّار رضي الله عنه إلى أبي محمد الحسن بن عليّ عليهما السَّلام: رجلٌ أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة والآخر بالنصف؟ فوقَّع عليه السَّلام: لا ينبغي لهما أن يخالفا الميّت، ويعملان على حسب ما أمرهما إن شاء الله. وهذا التوقيع عندي بخطِّه عليه السَّلام.

وفي كتاب محمَّد بن يعقوب الكليني رحمه الله عن أحمد بن محمّد عن عليٍّ بن الحسن الميثمي عن أخويه محمّد وأحمد عن أبيهما عن داود بن أبي يزيد عن بُريد بن معاوية قال: إنَّ رجلاً مات وأوصى إلى رجلين فقال أحدهما لصاحبه: خُذ نصف ما ترك وأعطني النصف ممّا ترك. فأبى عليه الآخر، فسألوا أبا عبدالله عليه السَّلام عن ذلك فقال: ذاك له. قال مصنِّف هذا الكتاب رحمه الله: لست أفتي بهذا الحديث، بل: أفتي بما عندي بخطِّ الحسن بن عليٍّ عليه السَّلام. اهـ. إقرأ واحكم.

وأمّا رقاع أبي العبّاس، والحسين، وأحمد، وعليّ، فإنها لم توجد قطُّ في مصادر الشيعة، ولا يُذكر منها شيءٌ في اصول الأحكام، ومراجع الفقه الإماميَّة، ولعمري لو كان المفتري يجد فيها شيئاً منها لأعرب عنه بصراحة .

وأبو العبّاس كنية عبدالله بن جعفر الحميري وهو صاحب «قرب الإسناد» لا جعفر بن عبدالله كما حسبه المغفَّل، وإنَّما جعفر ومحمَّد الذي ذكره قبلُ [ولم يعرفه] والحسين وأحمد إخوان أربعة أولاد أبي العبّاس المذكور، ولم يُر في كتب الشيعة برمَّتها لغير محمَّد بن عبدالله المذكور أثرٌ من الرُّقاع المنسوبة إليهم، ولم يحفظ التاريخ لهم غير كلمة المؤلِّفين في تراجمهم: إنَّ لهم مكاتبة. هذه حال الرُّقاع عند الشيعة وبطلان نسبة ابتناء أحكامهم عليها.

وهناك أغلاطٌ للرَّجل في كلمته هذه تكشف عن جهله المطبق وإليك ما يلي:

موسى بن مابويه (في غير موضع)	والصحيح: موسى بن بابويه
أبا القاسم بن أبي الحسين	والصحيح: أبا القاسم الحسين
مالك الحريري. الفقه	والصحيح: مالك الحميري. الفقيه
أبي العبّاس جعفر بن عبدالله	والصحيح: أبي العبّاس عبدالله
سليمان بن الحسين	والصحيح: سليمان بن الحسن
أبو الحسن الرّازي	والصحيح: أبو الحسن الزُّراري

عجباً للرَّجل حين جاء ينسب وينقد ويردّ ويُفنِّد وهو لا يعرف شيئاً من عقائد القوم وتعاليم مذهبهم ومصادر أحكامهم، وبرهنة عقائدهم، ولا يعرف الرِّجال وأسماءهم، ويجهل الكتب ونسبها، ولا يفرِّق بين والد ولا وَلد، ولا بين مولود وبين مَن لم يولد بعدُ، ولو كان يروقه صيانة ماء وجهه لكفَّ القلم فهو أستر لعورته.

٧ ـ ذكر في ص ٦٤، ٦٥ عدّةً من عقائد الشيعة، جملةٌ منها مكذوبةٌ عليهم كشتمهم جمهور أصحاب رسول الله وحكمهم بارتدادهم إلّا العدد

اليسير، وقولهم: بأنَّ الأئمّة يوحى إليهم[١]. وأنَّ موت الأئمّة باختيارهم. وأنَّهم اعتقدوا بتحريف القرآن ونقصانه وأنَّهم يقولون: بأنَّ الحجَّة المنتظر إذا ذُكر في مجلس حضر فيقومون له[٢] وإنكارهم كثيراً من ضروريّات الدين.

قال الأميني: نعم: الشيعة لا يحكمون بعدالة الصحابة أجمع، ولا يقولون إلّا بما جاء فيهم في الكتاب والسنَّة وسنوقفك على تفصيله في النقد على كتاب (الصراع بين الإسلام والوثنيَّة). وأمّا بقيَّة المذكورات فكلّها تحاملٌ ومكابرةٌ بالإفك، ثمَّ جاء بكلمة عوراء، وقارصة شوهاء، ألا وهي قوله في ص ٦٥، ٦٦:

وما تكلّم (يعني السيِّد محسن الأمين) به في المتعة يكفي لإثبات ضلالهم، وعندهم متعةٌ اخرى يسمّونها [المتعة الدوريَّة] ويروون في فضلها ما يروون، وهي: أن يتمتَّع جماعةٌ بامرأةٍ واحدةٍ، فتكون لهم من الصبح إلى الضحى في متعة هذا؛ ومن الضحى إلى الظهر في متعة هذا، ومن الظهر إلى العصر في متعة هذا، ومن العصر إلى المغرب في متعة هذا. ومن المغرب إلى العشاء في متعة هذا، ومن العشاء إلى نصف الليل في متعة هذا، ومن نصف الليل إلى الصبح في متعة هذا. فلا بدع ممّن جوَّز مثل هذا النكاح أن يتكلّم بما تكلّم به ويسميه «الحصون المنيعة» الخ[٣].

ج ـ نسبةالمتعةالدوريَّةوقل: الفاحشة المبيّنة إلى الشيعة إفكٌ عظيمٌ تقشعرُّ منه الجلود، وتكفهرُّ منه الوجوه، وتشمئزُّ منه الأفئدة، وكان الأحرى بالرَّجل حين أفك أن يتّخذ له مصدراً من كتب الشيعة ولو سواداً على بياض من أيِّ ساقطٍ منهم، بل نتنازل معه إلى كتاب من كتب قومه يسند ذلك إلى الشيعة، أو سماعٍ عن أحدٍ لهج به، أو وقوف منه على عمل ارتكبه اناسٌ ولو من أوباش الشيعة

---

(١) يأتي البحث عن هذا وما يليه في الجزء الخامس إن شاء الله تعالى.

(٢) قيام الشيعة عند ذكر الإمام ليس لحضوره كما زعمه الالوسي وإنما هو لما جاء عن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام من قيامهما عند ذكره وهو لم يولد بعد، وليس هو إلاّ تعظيماً له كالقيام عند ذكر رسول الله المندوب عند أهل السنّة كما في «السيرة الحلبية» ج ١ ص ٩٠.

(٣) يوافيك بسط القول في المتعة في الجزء السادس إن شاء الله تعالى.

وأفنائهم، لكنّ المقام قد أعوزه عن كلّ ذلك لأنّه أوّل صارخ بهذا الإفك الشائن، ومنه أخذ القصيمي في [الصراع بين الإسلام والوثنيّة] وغيره.

وليت الشيعة تدري متى كانت هذه التسمية؟ وفي أيِّ عصر وقعت؟ ومَن أوّل مَن سمّاها؟ ولِمَ خَلت عنها كتب الشيعة برمّتها؟ أنا أقول «وعند جُهينة الخبر اليقين» : هو هذا العصر الذهبيّ ، عصر النور ، عصر الآلوسي ، وهو أوّل من سمّاها بعد أن اخترعها ، والشيعة لم تعلمها بعدُ .

وليت الرَّجل ذكر شيئاً من تلك الرِّوايات التي زعم أنَّ الشيعة ترويها في فضل المتعة الدوريّة؛ وليته دلّنا على مَن رواها، وعلى كتابٍ أو صحيفةٍ هي مودعةٌ فيها، نعم: الحق معه في عدم ذكر ذلك كلّه لأنَّ الكذب لا مصدر له إلاّ القلوب الخائنة، والصدور المملوكة بالوسواس الخناس.

وأمّا العَلَم الحجّة سيِّدنا المحسن الأمين (صاحب الحصون المنيعة) الذي يزعم الرَّجل أنّه يجوِّز مثل هذا النكاح ففي أيٍّ من تآليفه جوَّز ذلك؟ ولِمَن شافهه به؟ ومتى قاله؟ وأنّى نوَّه به؟ وها هو حيٌّ يُرزق (مدَّ الله في عمره) وهل هو إلاّ رجلٌ هَمٌّ[1] عَلمٌ من أعلام الشريعة، وإمامٌ من أئمّة الإصلاح. لا يتنازل إلى الدَّنايا، ولا يقول بالسفاسف، ولا تُدنّس ساحة قدسه بهذه القذائف والفواحش؟ .

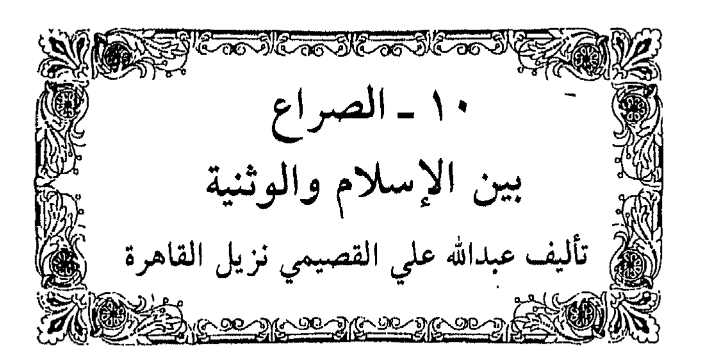
هذه نبذةٌ يسيرةٌ من الأفائك المودعة في رسالة (السنّة والشيعة) وهي مع أنّها رسالةٌ صغيرةٌ لا تعدو صفحاتها ١٣٢ لكن فيها من البوائق ما لعلَّ عدَّتها أضعاف عدد الصفحات، وحسبك من نماذجها ما ذكرناه.

﴿إنَّ الّذينَ جاءوا بالإفك عُصبَةٌ مِنكمْ لا تَحسبوهُ شَرّاً لَكُمْ
بَلْ هُوَ خيرٌ لكم لِكلِّ امرىءٍ مِنهُمْ ما اكتسب مِنَ الإثم
والّذي تَوَلّى كِبرهُ مِنهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظيمٌ﴾

سورة النور: آية ١١

---

(١) أي ذو همة بطلب معالي الامور.



١٠ ـ الصراع
بين الإسلام والوثنية
تأليف عبدالله علي القصيمي نزيل القاهرة

لعلّ في نفس هذا الاسم دلالة واضحة على نفسيات مؤلفه وروحياته وما أودعه في الكتاب من الخزايات؛ فأول جنايته على المسلمين عامة تسميته بالوثنية أُمماً من المسلمين يُعد كل منها بالملايين، وفيهم الأئمة والقادة والعلماء والحكماء والمفسرون والحفاظ والأدلاء على دين الله الخالص، وفي مقدَّمهم أُمَّة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فهل ترى هذه التسمية تدع بين المسلمين أُلفة؟ وتذر فيهم وِئاماً؟ وتبقي بينهم مودة؟ وهل تجد لو اطردت أمثالها كلمة جامعة تتفيّأ الامّة بظلها الوارف؟ نعم: هي التي تبذر بين الملأ الديني بذور الفرقة، وتبثّ فيهم روح النفرة، تتضارب من جرائها الآراء، وتتباين الفكر، وربما انقلب الجدال جلاداً، كفى الله المسلمين شرها.

فإلى الدعة والسلام، وإلى الإخاءوالوحدة أيها المسلمون جميعاً من غير اكتراث لصخب هذا المعكر للصفو، والمقلق للسلام، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء لا تتبعوا خطوات الشيطان، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر.

وأمّا ما في الكتاب من السباب المقذع والتهتك والقذائف والطامات والأكاذيب والنسب المفتعلة فلعلها تربو على عدد صفحاته البالغة ١٦٠٠ وإليك نماذج منها:

١ ـ قال: من الطرائف أنّ شيخاً من الشيعة اسمه بيان كان يزعم أنَّ الله يعنيه بقوله: هذا بيانٌ للنّاسِ. وكان آخر منهم يلقّب بالكسف فزعم هو وزعم له

أنصاره أنّه المعنيّ بقول الله: ﴿وإن يروا كسفاً مِنَ السّماء﴾. الآية. ص ع و٥٣٨.

ج - إن هي إلاّ أساطير الأوّلين التي اكتتبها قلم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث ص٨٧، وإن هي إلاّ من الفرق المفتعلة التي لم تكن لها وجودٌ وما وجدت بعدُ، وإنّما اختلقتها الأوهام الطائشة، ونسبتها إلى الشيعة أَلْسِنةُ حملة العصبيّة العمياء نظراء ابن قتيبة والجاحظ والخيّاط، ممّن شوّهت صحائف تآليفهم بالإفك الفاحش، وعرّفهم التاريخ للمجتمع بالاختلاق والقول المزوّر، فجاء القصيمي بعد مضيّ عشرة قرون على تلك التافهات والنسب المكذوبة يجدّدها ويردُّ بها على الإماميّة اليوم، ويتّبع الذين قد ضلّوا من قبلُ وأضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواءِ السبيل، فذرهم وما يفترون.

هب أنّ للرجلين [بيان وكسف] وجوداً خارجيّاً ومعتقداً كما يزعمه القائل وأنّهما من الشيعة - وأنّى له بإثبات شيءٍ منها - فهل في شريعة الحجاج، وناموس النصفة، وميزان العدل، نقد امّة كبيرةٍ بمقالة معتوهين يُشكُّ في وجودهما أوّلاً، وفي مذهبهما ثانياً، وفي مقالتهما ثالثاً؟...

٢ - قال: ذكر الأمير الجليل شكيب أرسلان في كتاب [حاضر العالم الإسلامي][١] أنّه التقى بأحد رجال الشيعة المثقّفين البارزين فكان هذا الشيعيُّ يمقت العرب أشدَّ المقت ويُزري بهم أيّما إزراء، ويغلو في عليٍّ بن أبي طالب وولده غلواً يأباه الإسلام والعقل فعجب الأمير الجليل لأمره وسأله كيف تجمع بين مقت العرب هذا المقت وحبّ عليٍّ ووُلده هذا الحبّ؟ وهل عليٌّ وولده إلاّ من ذروة العرب وسنامها الأشمّ؟ فانقلب الشيعيُّ ناصبيّاً واهتاج وأصبح خصماً لعليٍّ وبنيه وقال ألفاظاً في الإسلام والعرب مستكرهة ص ١٤.

ج - هذا النقل الخرافيُّ يُسِفُّ بأمير البيان إلى حضيض الجهل والضعة،

---

(١) كتاب يفتقر جداً إلى نظارة التنقيب. ينم عن قصور باع مؤلفه، وعدم عرفانه بمعتقدات الشيعة، وجهله بأخبارهم وعاداتهم، غير ما لفقه قومه من أباطيل ومخاريق فأخذه حقيقة راهنة، وسود به صحائف كتابه بل صحائف تاريخه.

حيث حكم بثقافة إنسان وبروزه والى اناساً وغلا في حبّهم ردحاً من الزمن وهو لا يعرف عنصرهم، أو كان يَحسب أنّهم من الترك أو الديلم وهل تجد في المسلمين جاهلاً لا يعرف أنَّ محمَّداً وآله صلوات الله عليه وعليهم من ذروة العرب وسنامها الأشمّ؟ وقد منَّ عليه الأمير حيث لم يُخبره بأنَّ مشرِّف العترة الرَّسول الأعظم هو المُحتبي على تلك الذِّروة وذلك السنام لئلاّ يرتدَّ المثقّف إلى المجوسيَّة، ولا أرى سرعة انقلاب المثقّف البارز إلاّ معجزةً للأمير في القرن العشرين (لا القرن الرابع عشر).

هذا عند مَن يصدِّق القصيميَّ «المصارع» في نقله، وأمّا المراجع كتاب الأمير [حاضر العالم الإسلامي] فيجد في الجزء الأوَّل ص ١٦٤ ما نصّه:

كنت أُحادث إحدى المرار رجلاً من فضلائهم [يعني الشيعة] ومن ذوي المناصب العالية في الدولة الفارسيّة، فوصلنا في البحث إلى قضيّة العرب والعجم، وكان محدِّثي على جانب عظيم من الغلوِّ في التشيّع إلى حدّ أنّي رأيت له كتاباً مطبوعاً مصدَّراً بجملة [هو العليُّ الغالب] فقلت في نفسي: لا شكَّ أنَّ الرَّجل لشدَّة غلوِّه في آل البيت، ولعلمه أنّهم من العرب، لا يمكنه أن يكره العرب الّذين آل البيت منهم. لأنّه يستحيل الجمع بين البغض والحبِّ في مكان واحدٍ، ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفه، ولقد أخطأ ظنّي في هذا أيضاً، فإنّي عندما سُقت الحديث إلى مسألة العربيّة والعجميّة وجدته انقلب عجميّاً صرفاً ونسي ذلك الغلوّ كلّه في عليّ عليه السَّلام وآله، بل قال لي هكذا وكان يحدِّثني بالتركيّة: [إيران بر حكومت إسلاميّة دكلدر يالكز دين إسلامي اتخاذ ايتمش برحكومتدر] أي إيران ليست بحكومة إسلاميّة وإنّما هي حكومةٌ اتخذت لنفسها دين الإسلام.

اقرأ واعجب من تحريف الكلم عن مواضعه، هكذا يفعل القصيميُّ بكلمات قومه فكيف بما خطّته يد من يُضادُّه في المبدأ.

والقارىء جِدُّ عليم بأنّ الأمير [شكيب أرسلان] قد غلت أيضاً في فهم ما

صدّر الشيعيُّ الفاضل به كتابه من جملة [هو العليُّ الغالب] واتّخاذه دليلاً على الغلوِّ في التشيّع، فإنّها كلمةٌ مطّردة تُكتب وتُقال كقولهم: [هو الواحدُ الأحد] وما يجري مجراه، تُقصد بهـا أسماء الله الحسنى؛ وهي كـالبسملة في التيمّن بافتتاح القول بها.

وأنت لا تجد في الشيعة من يبغض العروبة، وهو يعتنق ديناً عربيّاً صدع به عربيّ صميمٌ، وجاء بكتاب عربيّ مبينٍ وفي طيِّه:﴿أأعجميٌّوعربيّ﴾[١]؟وقد خلفـه على أمر الـدين والامّة سـادات العرب، ولا يستنبط أحكـام الـدين إلّا بالمأثـورات العربيّـة عن اولئك الأئمَّـة الطاهـرين صلوات الله عليهم المنتهية علومهم إلى مؤسِّس الدعوة الإسلاميَّة صلّى الله عليه وآله وسلم، وهو يدعو الله في آناء الليل وأطراف النّهار بالأدعية المأثورة عنهم بلغة الضاد، ويطبع وينشر آلافاً من الكتب العربيَّة في فتونها؛ فالشيعيُّ عربيٌّ في دينه، عربيٌّ في هواه، عربيٌّ في مذهبه، عربيٌّ في نزعته، عربيٌّ في ولائه، عربيٌّ في خلائقه، عربيٌّ عربيٌّ عربيٌّ...

نعم: يبغض الشيعيُّ زعانفةً بخسوا حقوق الله، وضعضعوا أركان النبوَّة، وظلموا أئمَّة الدين، واضطهدوا العترة الطاهرة؛ وخانوا على العروبة، عُرباً كانوا أو أعاجم وهذه العقيدة شرعٌ سواءٌ فيها الشيعيُّ العربيُّ والعجميُّ.

ولكن شاء الهوى، ودفعت الضغائن أصحابه إلى تلقين الامَّة بأنَّ التشيّع نزعةٌ فارسيَّةٌ والشيعيُّ يمقت العرب. شقّاً لِلعصا، وتفريقاًللكلم، وتمزيقاً لجمع الامَّة، وأنا أرى أنَّ القصيمي والأمير قبله في كلمات اخرى يُريدان ذلك كلّه، وما أُريكم إلَّا ما أرى وما أهديكم إلَّا سبيل الرَّشاد.

٣ ـ قال: إن الشيعة في إيران نصبوا أقواس النصر، ورفعوا أعلام السرور والابتهاج في كلِّ مكان من بلادهم لمَّا انتصر الروس على الدولة العثمانيَّة في حروبها الأخيرة ص ١٨.

---

(١) سورة فصّلت آية ٤٤.

ج ـ هذه الكلمة مأخوذةٌ من الآلوسي الآنف ذكره وذكر فريته والجواب عنها ص ٣٢٦ غير أنَّ القصيمي كساها طلاءً مبهرجةً ؛ وكم ترك الأوَّل للآخر.

٤ ـ قال: الشيعة قائلون في عليٍّ وبنيه قول النصارى في عيسى بن مريم سواءً مثلاً من القول بالحلول والتقديس والمعجزات ومن الاستغاثة به ونداءه في الضرَّاء والسرّاء والانقطاع إليه رغبةً ورهبةً وما يدخل في هذا المعنى ، ومَن شاهد مقام عليٍّ أو مقام الحسين أو غيرهما من آل البيت النبوي وغيرهم في النَّجف وكربلا وغيرهما من بلاد الشيعة وشاهد ما يأتونه من ذلك هناك علم أنَّ ما ذكرناه عنهم دون الحقيقة ، وأن العبارة لا يمكن أن تفي بما يقع عند تلك المشاهد من هذه الطائفة ، ولأجل هذا فإن هؤلاء لم يزالوا ولن يزالوا من شرِّ الخصوم للتوحيد وأهل التوحيد ص ١٩ .

ج ـ أمّا الغلوُّ بالتأليه والقول بالحلول فليس من معتقد الشيعة، وهذه كتبهم في العقائد طافحةٌ بتكفير القائلين بذلك، والحكم بارتدادهم، والكتب الفقهيَّة بأسرها حاكمةٌ بنجاسة أسآرهم .

وأمّا التقديس والمعجزات فليسا من الغلوِّ في شيءٍ فإنَّ القداسة بطهارة المولد ، ونزاهة النفس عن المعاصي والذنوب ؛ وطهارة العنصر عن الدَّنايا والمخازي لازمةُ منصَّة الأئمَّة وشرط الخلافة فيهم كما يُشترط ذلك في النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وأمّا المعجزات فإنها من مثبتات الدعوى، ومتمّات الحجَّة، ويجب ذلك في كلِّ مدَّعٍ للصلة بينه وبين ما فوق الطبيعة، نبيّاً كان أو إماماً، ومعجز الإمام في الحقيقة معجزٌ للنبيِّ الذي يخلفه على دينه وكرامةٌ له، ويجب على المولى سبحانه في باب اللطف أن يحقق دعوى المحقِّ بإجراء الخوارق على يديه، تثبيتاً للقلوب، وإقامةً للحجَّة؛ حتّى يقرِّبهم إلى الطاعة ويبعِّدهم عن المعصية، لدة ما في مدَّعي النبوَّة من ذلك، كما يجب أيضاً أن ينقض دعوى المبطل إذا تحدّى بتعجيزه كما يؤثر عن مسيلمة وأشباهه.

وإنَّ من المفروغ عنه في علم الكلام كرامات الأولياء، وقد برهنت عليها

الفلاسفة بما لا معدل عنه ويضيق عنه المقام، فإذا صحّ ذلك لكلّ وليٍّ، فلماذا يُعدُّ غلوّاً في حجج الله على خلقه؟ وكتب أهل السنّةوتآليفهممفعمةٌ بكرامات الأولياء، كما أنّها معترفةٌ بكرامات مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه.

وأمّا الاستغاثة والنداء والانقطاع وما أشار إليها فلا تعدو أن تكون توسّلاً بهم إلى المولى سبحانه، واتّخاذهم وسائل إلى نُجح طلباتهم عنده جلّت عظمته، لقربهم منه، وزلفتهم إليه، ومكانتهم عنده، لأنّهم عبادٌ مكرمون، لا لأنّ لذواتهم القدسيّة دخلاً في إنجاح المقاصد أوّلاً وبالذّات، لكنّهم مجاري الفيض، وحلقات الوصل، ووسائط بين المولى وعبيده [كما هو الشأن في كلّ متقرّب من عظيم يُتوسّل به إليه] وهذا حكمٌ عامٌّ للأولياء والصالحين جميعاً، وإن كانوا متفاوتين في مراحل القرب، كلّ هذا مع العقيدة الثابتة بأنّه لا مُؤَثِّر في الوجود إلّا الله سبحانه، ولا تقع في المشاهد المقدّسة كلّها من وفود الزائرين إلّا ما ذكرناه من التوسّل[1]، فأين هذه من مضادّة التوحيد؟! وأين هؤلاء من الخصومة معه ومع أهله؟! فذرهم وما يفترون إنّما يفتري الكذب الّذين لا يُؤمنون بآيات الله وأولئك هُمُ الكاذبون.

٥ ـ قال: تذهب الشيعة تبعاً للمعتزلة إلى إنكار رؤية الله يوم القيامة، وإنكار صفاته، وإنكار أن يكون خالقاً أفعال العباد لشبهات باطلةٍ معلومةٍ، وقد أجمع العلماءمن أهل الحديث والسنّة والأثر كالأئمّة الأربعة على الإيمان بذلك كلِّه، ليس بينهم خلافٌ في أنّ الله خالقُ كلِّ شيءٍ حتّى العباد وأفعالهم، ولا في رؤية الله يوم القيامة.

ومن عجب أن تُنكر الشيعة ذلك خوف التشبيه وهم يقولون بالحلول والتشبيه الصريح وبتأليه البشر ووصف الله بصفات النقص، وأهل السنّة يعدّون الشيعة والمعتزلة مبتدعين غير مهتدين في جحدهم هذه الصفات. ج ١ ص ٦٨.

---

(١) فصلنا القول في ذلك في الجزء الخامس من كتابنا هذا.

ج ـ إنَّ الرَّجل قلّد في ذات الله وصفاته ابن تيميَّـة وتلميذه ابن القيِّم، ومذهبهما في ذلك كما قال الزرقاني المالكي في شرح المواهب ج ٥ ص ١٢: إثبات الجهة والجسميَّة وقال: قال المناوي: أمّـا كونهما من المبتدعة فمسلّم. والقصيمي يقدّسهما ورأيهما ويصرِّح بالجهة ويعيِّنها، وله فيها كلماتٌ كثيرةٌ في كتابه، ونحن لا نناقشه في هذا الرأي الفاسد، ونحيل الوقوف على فساده إلى الكتب الكلاميَّة من الفريقين، والذي يُهمنا إيقاف القارىء على كذبه في القول واختلاقه في النسب.

إنَّ الشيعة لم تتَّبع المعتزلة في إنكار رؤية الله يوم القيامة بل تتّبع برهنة تلك الحقيقة الراهنة من العقل والسمع، وحاشاهم عن القول بالحلول والتشبيه وتأليه البشر وتوصيف الله بصفات النقص وإنكار صفات الله الثابتة له، بل إنهم يقولون جمعاء بكفر من يعتقد شيئاً من ذلك، راجع كتبهم الكلاميَّة قديماً وحديثاً، وليس في وسع الرجل أن يأتي بشيءٍ ممّا يدلّ على ما باهتهم، ولعمري لو وجد شيئاً من ذلك لصدح به وصدع.

نعم: تُنكر الشيعة أن تكون لله صفاتٌ ثبوتيَّةٌ زائدة على ذاته وإنَّما هي عينها، فلا يقولون بتعدّد القدماء معه سبحانه، وإنّ لسان حالهم ليناشد مَن يخالفهم بقوله:

إخواننا الأدنين منّا أرفقوا ... لقد رقيتم مرتقى صعبا
إن ثلّثت قومٌ أقانيمهم ... فإنّكم ثمّنتمُ الربّا

وللمسألة بحثٌ ضاف مترامي الأطراف تتضمنه كتب الكلام.

وأمّا أفعال العباد فلو كانت مخلوقةً لله سبحانه خلق تكوين لبطل الوعد والوعيد والثواب والعقاب، وإنَّ من القبيح تعذيب العاصي على المعصية وهو الَّذي أجبره عليها وهذه من عويصات مسائل الكلام قد أُفيض القول فيها بما لا مزيد عليه، وإنَّ من يقول بخلق الأفعال فقد نسب إليه سبحانه القبيح والظلم غير شاعر بهما، وما استند إليه القصيمي من الإجماع وقول القائلين لا يكاد يجديه

نفعاً تجاه البرهنة الدامغة.

وأمّا قذف أهل السنّة الشيعة والمعتزلة بما قذفوه وعدُّهم من المبتدعين فإنّها شنشنةٌ أعرفها من أخزم.

٦ - قال في عدّ معتقدات الشيعة: وذرِّيَّة النبيِّ جميعاً محرَّمون على النّار معصومون من كلِّ سوء. في الجزء الثاني صحيفة ٣٢٧ من كتاب «منهاج الشريعة» زعم مؤلِّفه أنّ الله قد حرَّم جميع أولاد فاطمة بنت النبيِّ على النّار، وأنَّ من فاته منهم أوّلاً فلا بدَّ أن يوفّق إليه قبل وفاته. قال: ثمَّ الشفاعة من وراء ذلك.

وقال في «أعيان الشيعة» الجزء الثالث صفحة ٦٥: إنَّ أولاد النبيِّ عليه الصَّلاة والسَّلام لا يخطئون ولا يذنبون ولا يعصون الله الى قيام الساعة ج ٢ ص ٢٠.

ج - إنَّ الشيعة لم تكس حلة العصمة إلّا خلفاء رسول الله الاثني عشر من ذرّيته وعترته وبضعته الصِّديقة الطاهرة بعد أن كساهم الله تعالى تلك الحلّة الضافية بنصِّ آية التطهير في خمسةٍ أحدهم نفس النبيِّ الأعظم، وفي البقيَّة بملاك الآية والبراهين العقليَّة المتكثرة والنصوص المتواترة، وعلى هذا أصفق علماؤهم والامّة الشيعيَّة جمعاء في أجيالهم وأدوارهم، وإن كان هناك ما يوهم إطلاقاً أو عموماً فهو منزَّلٌ على هؤلاء فحسب. وإن كان في رجالات أهل البيت غيرهم أولياء صدّيقون أزكياء لا يجترحون السيّئات إلّا أنَّ الشيعة لا توجب لهم العصمة.

وأمّا ما استند إليه الرَّجل من كلام صاحب «منهاج الشريعة» فليس فيه أيّ إشارة إلى العصمة، بل صريح القول منه خلافها لأنّه يثبت أنَّ فيهم من تفوته ثمَّ يتدارك بالتوبة قبل وفاته، ثمَّ الشفاعة من وراء ذلك، فرجلٌ يقترف السيّئة، ثمَّ يوفَّق للتوبة عنها، ثمَّ يُعفى عنها بالشفاعة لا يُسمّى معصوماً، بل هذه خاصة كلِّ مؤمن يتدارك أمره بالتوبة، وإنّما الخاصّة بالذريَّة التمكّن من التوبة على أيِّ حال.

قال القسطلاني في «المواهب» والزرقاني في شرحه ج ٣ ص ٢٠٣: (روي) عن ابن مسعود رفعه (إنّما سُمِّيت فاطمة) بإلهام من الله لرسوله إن كانت ولادتها قبل النبوَّة، وإن كانت بعدها فيحتمل بالوحي «لأنَّ الله قد فطمها» من الفطم وهو المنع ومنه فطم الصبيّ «وذرِّيّتها عن النار يوم القيامة» أي منعهم منها، فأمّا هي وابناها فالمنع مطلقٌ، وأمّا مَن عداهافالممنوع عنهم نار الخلود فلا يمتنع دخول بعضهم للتطهير، ففيه بشرى لآله ﷺ بالموت على الإسلام، وأنّه لا يختم لأحد منهم بالكفر نظيره ما قاله الشريف السمهودي في خبر الشفاعة لمن مات بالمدينة، مع أنّه يشفع لكلِّ من مات مسلماً، أو أنَّ الله يشاء المغفرة لمن واقع الذنوب منهم إكراماً لفاطمة عليها السلام أو يوفِّقهم للتوبة النصوح ولو عند الموت ويقبلها منهم [أخرجه الحافظ الدمشقي] هو ابن عساكر.

«وروى الغسّاني والخطيب» وقال: فيه مجاهيل (مرفوعاً) إنّما سُميت فاطمة «لأنَّ الله فطمها ومحبّيها عن النار» ففيه بشرى عميمة لكلِّ مسلم أحبَّها وفيه التأويلات المذكورة. وأمّا ما رواه أبو نعيم والخطيب: أنَّ عليّاً الرِّضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصّادق سُئل عن حديث: إنَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرَّمها الله وذريَّتها على النار. فقال: خاصٌّ بالحسن والحسين. وما نقله الأخباريّون عنه من توبيخه لأخيه زيد حين خرج على المأمون. وقوله: ما أنت قائلٌ لرسول الله؟ أغرَّك قوله: إنَّ فاطمة أحصنت؟ الحديث. إنّ هذا لِمن خرج من بطنها لا لي ولا لك، والله ما نالوا ذلك إلّا بطاعة الله، فإن أردت أن تنال بمعصيته ما نالوه بطاعته إنّك إذاً لأكرم على الله منهم. فهذا من باب التواضع والحثِّ على الطاعات وعدم الاغترار بالمناقب وإن كثرت، كما كان الصحابة المقطوع لهم بالجنّة على غايةٍ من الخوف والمراقبة، وإلّا فلفظ «ذريَّة» لا يخصُّ بمن خرج من بطنها في لسان العرب ﴿ومن ذريّته داود وسليمان﴾. الآية. وبينه وبينهم قرونٌ كثيرةٌ، فلا يُريد بذلك مثل عليِّ الرِّضا مع فصاحته ومعرفته لغة العرب، على أنَّ التقييد بالطائع يبطل خصوصيّة ذريَّتها ومحبِّيها إلّا أن يُقال: لله تعذيب

الطائع فالخصوصيَّة أن لا يُعذِّبه إكراماً لها. والله أعلم[١].

وأخرج الحافظ الدمشقي بإسناده عن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة رضي الله عنها: يا فاطمة تدرين لِم سُمِّيت فاطمة؟ قال عليٌّ رضي الله عنه لِمَ سُمّيت؟ قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد فطمها وذريّتها عن النار يوم القيامة. وقد رواه الإمام عليّ بن موسى الرِّضا في مسنده ولفظه: إنَّ الله فطم ابنتي فاطمة وولدها ومن أحبّهم من النار[٢].

أيرى القصيميُّ بعدُ أنَّ الشيعة قد انفردوا بما لم يقله أعلام قومه؟ أو رووا بحديث لم يروه حفّاظ مذهبه؟ أو أتوا بما يخالف مبادىء الدين الحنيف؟ وهل يسعه أن يتهم ابن حجر والزرقاني ونظرائهما من أعلام قومه، وحفّاظ نحلته المشاركين مع الشيعة في تفضيل الذريَّة؟! ويرميهم بالقول بعصمتهم؟! ويتحامل عليهم بمثل ما تحامل على الشيعة؟.

وليس من البِدْع تفضّل المولى سبحانه على قوم بتمكينه إيّاهم من النزوع من الآثام، والندم على ما فرَّطوا في جنبه، والشفاعة من وراء ذلك، ولا ينافي شيئاً من نواميس العدل ولا الاصول المسلّمة في الدين، فقد سبقت رحمته غضبه ووسعت كلَّ شيءٍ.

وليس هذا القول المدعوم بالنصوص الكثيرة بأبدع من القول بعدالة الصحابة أجمع والله سبحانه يعرِّف في كتابه المقدَّس اناساً منهم بالنفاق وانقلابهم على أعقابهم بآيات كثيرة رامية غرضاً واحداً، ولا تنس ما ورد في الصِّحاح والمسانيد ومنها: ما في صحيح البخاري من أنَّ اناساً من أصحابه ﷺ يُؤخذ بهم ذات الشمال فيقول: أصحابي أصحابي فيقال: إنَّهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم منذ فارقتهم.

وفي صحيح آخر: ليرفعنَّ رجالٌ منكم ثمَّ ليختلجنَّ دوني فأقول: يا ربِّ

---

(١) بقية العبارة مرت ص ٢٢٢. ما بين القوسين لفظ المواهب.

(٢) عمدة التحقيق تأليف العبيدي المالكي المطبوع في هامش روض الرياحين لليافعي ص ١٥.

أصحابي فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي صحيح ثالث: أقول أصحابي فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك.

وفي صحيح رابع: أقول إنَّهم منّي فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول سُحقاً لمن غيَّر بعدي.

وفي صحيح خامس: فأقول: يا ربِّ أصحابي. فيقول: إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى.

وفي صحيح سادس: بينا أنا قائمٌ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنّهم ارتدّوا على أدبارهم القهقرى. ثمَّ إذا زمرةٌ حتى إذا عرفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلمَّ. قلت: أين؟ قال. إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنَّهم ارتدّوا بعدك على أدبارهم القهقرى، فلا أراه يخلص منهم إلّا مثل هَمَل النعم[1] قال القسطلاني في شرح صحيح البخاري ج ٩ ص ٣٢٥ في هذا الحديث: همَل بفتح الهاء والميم: ضوالُّ الإبل واحدها: هامل. أو: الإبل بلا راع. ولا يقال ذلك في الغنم، يعني: أنَّ الناجي منهم قليلٌ في قلّة النعم الضالَّة، وهذا يشعر بأنّهم صنفان كفّارٌ وعُصاةٌ. اهـ.

وأنت من وراء ذلك كلّه جِدُّ عليمٍ بما شجر بين الصحابة من الخلاف الموجب للتباغض والتشاتم والتلاكم والمقاتلة القاضية بخروج أحد الفريقين عن حيِّز العدالة، ودع عنك ما جاء في التاريخ عن الأفراد منهم من ارتكاب المآثم والإتيان بالبوائق.

فإذا كان هذا التعديل عنده وعند قومه لا يستتبع لوماً ولا يعقِّب هماجة، فأيّ حزارةٍ في القول بذلك التفضّل الّذي هو من سنّة الله في عباده؟! ولن تجد لسنّة الله تبديلاً.

---

(١) راجع صحيح البخاري ج ٥ ص ١١٣، ج ٩ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٧.

وأمّـا ما أردفه في الاستناد من كلام سيِّدنا الأمين في «أعيان الشيعة» ج ٣ ص ٦٥ فإنّي ألفت نظر القارىء إلى نصِّ عبارته حتّى يعرف مقدار الرَّجل من الصِّدق والأمانة في النقل، ويرى محلّه من الأرجاف وقـذف رجل عـظيم من عظماء الامَّة بفاحشةٍ مبيَّنة واتِّهامه بالقول بعصمة الذريَّة وهو ينصُّ على خلافه، قال بعد ذكر حديث الثقلين[1] بلفظ مسلم وأحمد وغيرهما من الحفّاظ ما نصّه:

دلت هـذه الأحاديث على عصمـة أهل البيت من الـذنـوب والخطأ، لمسـاواتهم فيها بـالقرآن الثـابت عصمته في أنَّـه أحد الثقلين المخلّفين في الناس، وفي الأمر بالتمسّك بهم كالتمسك بالقرآن، ولو كان الخطأ يقع منهم لَما صحَّ الأمر بالتمسّك بهم الـذي هو عبـارةٌ عن جعل أقـوالهم حجَّةً، وفي أنَّ المتمسِّك بهم لا يضلُّ كما لا يضلُّ المتمسِّك بالقرآن، ولو وقع منهم الذنوب أو الخـطأ لكان المتمسِّـك بهم يضلّ، وإنَّ في اتِّبـاعهم الهدى والنـور كما في القرآن، ولو لم يكونوا معصومين لكان في اتِّباعهم الضّلال، وأنَّهم حبلٌ ممدودٌ من السَّماء إلى الأرض كالقرآن، وهو كناية عن أنَّهم واسطةٌ بين الله تعالى وبين خلقه، وأنَّ أقوالهم عن الله تعالى، ولو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك. وفـي أنَّـهم لم يُفارقوا القرآن ولن يُفارقهم مدَّة عمر الدُّنيا، ولو أخطأوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن وفارقهم، وفي عدم جواز مفارقتهم بتقدُّم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم أو تقصير عنهم وائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدُّم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه أو التقصير عنه باتِّباع أقوال مخالفيه، وفي عدم جواز تعليمهم وردِّ أقوالهم، ولو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم ولم يُنه عن ردِّ قولهم.

ودلَّت هذه الأحاديث أيضاً على أنَّ منهم مَن هذه صفته في كلِّ عصـر وزمانٍ بدليل قوله صلّى الله عليه وآله وسلم: إنَّهما لن يفتـرقا حتّى يـردا عليّ الحوض وأنَّ اللطيف الخبير أخبر بذلك، وورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمانٌ من أحدهما لم يَصدق أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.

---

(١) اني تارك فيكم الثقلين أو الخليفتين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي.

إذا عُلم ذلك ظهر أنّه لا يمكن أن يُراد بأهل البيت جميع بني هاشم، بل هو من العامّ المخصوص بمن ثبت اختصاصهم بالفضل والعلم والزهد والعفّة والنزاهة من أئمة أهل البيت الطاهر وهم الأئمّة الإثنا عشر وامّهم الزهراء البتول، للإجماع على عدم عصمة مَن عداهم، والوجدان أيضاً على خلاف ذلك، لأنّ مَن عداهم مِن بني هاشم تصدر منهم الذنوب ويجهلون كثيراً من الأحكام، ولا يمتازون عن غيرهم من الخلق، فلا يمكن أن يكونوا هم المجعولين شركاء القرآن في الامور المذكورة بل يتعيّن أن يكون بعضهم لا كلّهم ليس إلاّ مَن ذكرنا، أمّا تفسير زيد بن أرقم لهم بمطلق بني هاشم[1] إن صحَّ ذلك عنه فلا تجب متابعته بعد قيام الدليل على بطلانه.

إقرأ واحكم. حيّاالله الأمانة والصِّدق. هكذا يكون عصر النور.

٧ ـ قال: من آفات الشيعة قولهم: إنَّ عليّاً يذود الخلق يوم العطش فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه، وإنّه قسيم النار وإنّها تطيعه يُخرج منها من يشاء ج ٢ ص ٢١.

ج ـ لقد أسلفنا في الجزء الثاني ص ٣٧٢، أسانيد الحديث الأوَّل عن الأئمّة والحفّاظ وأوقفناك على تصحيحهم لغير واحد من طرقه، وبقيّتها مؤكِّدةٌ لها، فليس هو من مزاعم الشيعة فحسب، وإنّما اشترك معهم فيه حملة العلم والحديث من أصحاب الرِّجل، لكنَّ القصيمي لجهله بهم وبما يروونه، أو لحقده على من رُوي الحديث في حقِّه يحسبه من آفات الشيعة.

وأمّا الحديث الثاني فكالأوَّل ليس من آفات الشيعة بل من غرر الفضائل عند أهل الإسلام فأخرجه الحافظ أبو إسحاق ابن ديزيل المتوفى سنة ٢٨٠/ ٢٨١ عن الأعمش عن موسى بن ظريف عن عباية قال: سمعت عليّاً وهو يقول: أنا قسيم النار يوم القيامة، أقول: خذي ذا، وذري ذا.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج١ ص ٢٠٠ والحافظ ابن عساكر في

(١) فيما أخرجه مسلم في صحيحه.

تاريخه من طريق الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي.

وهذا الحديث سُئل عنه الإمام أحمد كما أخبر به محمّد بن منصور الطوسي قال: كنّا عند أحمد بن حنبل فقال له رجلٌ: يا أبا عبدالله ما تقول في هذا الحديث الذي يُروى: إنَّ عليّاً قال: أنا قسيم النار؟ فقال أحمد: وما تُنكرون من هذا الحديث؟ أليس رُوينا أن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال لعليٍّ: لا يحبّك إلاّ مؤمنٌ ولا يُبغضك إلاّ منافق؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النّار. قال: فعليٌّ قسيم النار. كذا في طبقات أصحاب أحمد، وحكى عنه الحافظ الكنجي في الكفاية ص ٢٢، فليت القصيمي يدري كلام إمامه.

هذه اللفظة أخذها سلام الله عليه من قول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم له فيما رواه عنترة عنه صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: أنت قسيم الجنَّة والنار في يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي وهذا لك. وبهذا اللفظ رواه ابن حجر في «الصواعق» ص ٧٥.

ويُعرب عن شهرة هذا الحديث النبويِّ بين الصحابة احتجاج أمير المؤمنين عليه السَّلام به يوم الشورى بقوله: أُنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يا عليُّ! أنت قسيم الجنّة يوم القيامة غيري؟ قالوا: اللهمَّ لا. والأعلام يرى هذه الجملة من حديث الاحتجاج صحيحاً وأخرجه الدارقطني كما في الإصابة ٧٥، ويرى ابن أبي الحديد استفاضة كلا الحديثين النبويّ والمناشدة العلويّة فقال في شرحه ج ٢ ص ٤٤٨:

فقد جاء في حقِّه الخبر الشائع المستفيض: أَنه قسيم النار والجنة، وذكر أبو عبيد الهروي في الجمع بين الغريبين: انَّ قوماً من أئمَّة العربيّة فسَّروه فقالوا: لأنّه لَمّا كان محبّه من أهل الجنّة ومبغضه من أهل النار. كان بهذا

الاعتبار قسيم النار والجنّة. قال أبو عُبيد: بل هو قسيمها بنفسه في الحقيقة يُدخل قوماً إلى الجنّة وقوماً إلى النّار، وهذا الذي ذكره أبو عبيد أخيراً هو ما يطالب الأخبار الواردة فيه: يقول للنار: هذا لي فدعيه، وهذا لكِ فخُذيه.

وذكره القاضي في الشفا: إنّه قسيم النار. وقال الخفاجي في شرحه ج ٣: ١٦٣: ظاهر كلامه أنَّ هذا ممّا أخبر به النبيُّ ﷺ إلّا أنّهم قالوا: لم يروه أحد من المحدِّثين إلَّا ابن الأثير قال في النهاية: إلَّا أنَّ عليّاً رضي الله عنه قال: أنا قسيم النار. يعني أراد أنَّ الناس فريقان: فريقٌ معي فهم على هدى، وفريقٌ عليٌّ فهم على ضلال، فنصفٌ معي في الجنّة، ونصفٌ عليَّ في النّار. انتهى. قلت: ابن الأثير ثقةٌ، وما ذكره عليٌّ لا يُقال من قبل الرأي فهو في حكم المرفوع، إذ لا مجال فيه للاجتهاد، ومعناه: أنا ومن معي قسيم لأهل النار، أي مقابلٌ لهم، لأنَّه من أهل الجنّة، وقيل: القسيم: القاسم كالجليس والسمير، وقيل. أراد بهم الخوارج ومن قاتل كما في النهاية.

٨ ـ قال: جاءت رواياتٌ كثيرةٌ في كتبهم [يعني الشيعة] أنَّه [يعني الإمام المنتظر] يهدم جميع المساجد، والشيعة أبداً هم أعداء المساجد، ولهذا يقلّ أن يشاهد الضّارب في طول بلادهم وعرضها مسجداً ج ٢ ص ٢٣.

ج ـ لم يُقنع الرَّجل كلّ ما في علبة مكره من زور واختلاق، ولم يقنعه إسناد ما يفتعله إلى رواية واحدةٍ يسعه أن يُجابه المنكر عليه بأنَّه لم يقف عليه حتّى عزاه إلى روايات كثيرة جاءت في كتب الشيعة، وليته إن كان صادقاً [وأنّى؟ وأين؟] ذكر شيئاً من أسماء هاتيك الكتب، أو أشار إلى واحدةٍ من تلك الروايات، لكنَّه لم تسبق له لفتةٌ إلى أن يفتعل أسماء ويضع أسانيد قبل أن يكتب الكتاب فيذكرها فيه.

إن الحجَّة المنتظر سيِّد مَن آمن بالله واليوم الآخر، الَّذين يعمرون مساجد الله وأين هو عن هدمها؟ وإنَّ شيعيّاً يعزو إليه ذلك لم يُخلق بعدُ.

وأمّا ما ذكره عن بلاد الشيعة فلا أدري هل طرق هو بلاد الشيعة؟ فكتب ما

كتب، وكذب ما كذب، أو أنَّه كان رجماً منه بالغيب؟ أو استند كصاحب المنار إلى سائحٍ سنّي مجهولٍ أو مُبشّرٍ نصرانيّ لم يُخلقا بعدُ؟ وأيّاً ما كان فهو مأخوذٌ بإفكه الشائن، وقد عرف من جاس خلال ديار الشيعة، وحلَّ في أوساطهم وحواضرهم وحتى البلاد الصغيرة والقرى والرساتيق، ما هنالك من مساجد مسيَّدة صغيرة أو كبيرة، وما في كثير منها من الفرش والأثاث والمصابيح، وما تُقام فيها من جمعة وجماعة، وليس من شأن الباحث أن يُنكر المحسوس، ويكذب في المشهور، وينصر المبدأ بالتافهات.

٩ - قال: قد استفتى أحد الشيعة إماماً من أئمَّتهم لا أدري أهو الصادق أم غيره؟ في مسألة من المسائل فأفتاه فيها، ثمَّ جاءه من قابلٍ واستفتاه في المسألة نفسها فأفتاه بخلاف ما أفتاه عام أوَّل، ولم يكن بينهما أحدٌ حينما استفتاه في المرَّتين فشكَّ ذلك المستفتي في إمامه وخرج من مذهب الشيعة وقال: إن كان الإمام إنّما أفتاني تقيَّة، فليس معنا مَن يُتَّقى في المرَّتين، وقد كنتُ مخلصاً لهم عاملاً بما يقولون، وإن كان مأتيُّ هذا هو الغلط والنسيان، فالأئمَّة ليسوا معصومين إذن والشيعة تدَّعي لهم العصمة، ففارقهم وانحاز إلى غير مذهبهم، وهذه الرِّواية مذكورةٌ في كتب القوم ج ٢ ص ٣٨.

ج - أنا لا أقول لهذا الرَّجل إلَّا ما يقوله هو لمن نسب إلى إمام من أئمَّته لا يشخص هو أنّه أيٌّ منهم، مسألةً فاضحةً مجهولة لا يعرفها؛ عن سائلٍ هو أحد النكرات، لا يُعرّف بسبعين (ألف لامٍ) وأسند ما يقول إلى كتب لم تؤلَّف بعدُ، ثمَّ طفق يشنُّ الغارة على ذلك الإمام وشيعته على هذا الأساس الرصين، فنحن لسنا نردُّ على القصيميِّ إلّا بما يردُّ هو على هذا الرَّجل، ولعمري لو كان المؤلِّف (القصيمي) يعرف الإمام أو السائل أو المسألة أو شيئاً من تلك الكتب لذكرها بهوس وهياج لكنّه لا يعرف ذلك كلَّه، كما أنّا نعرف كذبه في ذلك كلِّه، ولا يخفى على القارىء همزه ولمزه.

١٠ - قال: من نظر في كتب القوم علم أنَّهم لا يرفعون بكتاب الله رأساً، وذلك أنّه يقلّ جداً أن يستشهدوا بـآية من القرآن فتأتي صحيحةً غير ملحونةٍ

مغلوطةٍ، ولا يُصيب منهم في إيراد الآيات إلّا المخالطون لأهل السنَّة العائشون بين أظهرهم، على أنَّ إصابة هؤلاء لا بدَّ أن تكون مصابة؛ أمّا البعيدون منهم عن أهل السنّة فلا يكاد أحدٌ منهم يورد آيةً فتسلم عن التحريف والغلط، وقد قال مَن طاف في بلادهم: إنّه لا يوجد فيهم مَن يحفظون القرآن، وقالوا: إنّه يندر جدّاً أن توجد بينهم المصاحف.

ج ـ بلاءٌ ليس يشبهه بــلاء　　　عداوة غير ذي حسب ودينِ
يبيعك منه عِرضاً لم يصنه　　　ويرتع منك في عِرض مصونِ

ليتني كنت أعلم أن هذه الكلمة متى كتبت؟ أفي حال السّكر أو الصحو؟ وأنَّها متى رُقمت أعند اعتوار الخبل أم الإفاقة؟ وهل كتبها متقوِّلها بعد أن تصفّح كتب الشيعة فوجدها خلاءً من ذكر آية صحيحة غير ملحونة؟ أم أراد أن يصممهم فافتعل لذلك خبراً؟ وهل يجد المائن في الطليعة من أئمّـة الأدب العربيِّ إلّا رجالاً من الشيعة ألَّفوا في التفسير كُتباً ثمينة، وفي لغة الضّاد أسفاراً كريمة هي مصادر اللغة، وفي الأدب زبراً قيِّمة هي المرجع للملأ العلميِّ والأدبيِّ، وفي النحو مدوَّنات لها وزنها العلميّ، وإنَّك لو راجعت كُتب الإماميّة لوجدتها مفعمةً بالاستشهاد بالآيات الكريمة كأنّها أفلاكٌ لتلك الأنجم الطوالع غير مُغشّاة بلحن أو غلط.

وكما كنّا نعرف حتّى اليوم أنَّ مقيـاس التلاوة صحيحـة أو ملحونـةً هو النزعات والمذاهب التي هي عقودٌ قلبيّة لا مدخل لها في اللسان وما يلهج به، ولا أنَّ لها مِساساً باللغة، وسرد الكلمات، وصياغة الكلام، وحكاية ما صيغ منها من قرآن أو غيره.

وليت شعري ما حاجة الشيعة في إصابـة القرآن وتـلاوته صحيحـة إلى غيرهم؟ الإعـواز في العربيّة؟ أو لجهل بأساليب القرآن؟ لاها الله ليس فيهم من يتّسم بتلك الشية، أمّا العربيُّ منهم فالتشيّع لم ينأبهم عن لغتهم المقدَّسة، ولا عن جبليّات عنصرهم أو هل ترى أنَّ بلاد العراق وعاملة وما يشابههمـا وهي مفعمةٌ بالعلماء الفطاحل، والعباقرة والنوابغ، أقلُّ حظّاً في العربيّة من أعراب

بادية نجدٍ والحجاز أكّالة الضبِّ، ومساورة الضباع؟! وأمّا غير العربيِّ منهم فما أكثر ما فيهم من أئمّة العربيّة والفطاحل والكتّاب والشعراء، ومن تصفّح السير علم أن الأدب شيعيٌّ، والخطابة شيعيَّةٌ، والكتابة شيعيَّةٌ، والتجويد والتلاوة شيعيَّان. ومن هنا يقول ابن خلكان في تاريخه في ترجمة عليٍّ بن الجهم ج ١ ص ٣٨: كان مع انحرافه من عليٍّ بن أبي طالب عليه الصلاة والسّلام وإظهاره التسنّن مطبوعاً مقتدراً على الشعر عذب الألفاظ. فكأنّه يرى أنَّ مطبوعيّة الشعر وقرضه بألفاظ عذبة خاصَّةٌ للشيعة وأنّه المطّرد نوعاً.

وهذه المصاحف المطبوعة في إيران والعراق والهند منتشرةٌ في أرجاء العالم والمخطوطة منها التي كادت تُعدُّ على عدد مَن كان يحسن الكتابة منهم قبل بروز الطبع، وفيهم من يكتبه اليوم تبرُّكاً به، ففي أيّ منها يجد ما يحسبه الزاعم من الغلط الفاشي؟ أو خلّة في الكتابة؟ أو ركّة في الاسلوب؟ أو خروج عن الفنّ؟ غير طفائف يزيغ عنه بصر الكاتب الذي هو لازم كلِّ إنسان شيعيٍّ أو سنيٍّ عربيٍّ أو عجميٍّ.

وأحسب أنَّ الذي أخبر القصيميَّ بما أخبر من الطائفين في بلاد الشيعة لم يولد بعدُ لكنَّه صوَّره مثالاً وحسب أنّه يُحدِّثه، أو أنّه لَمّا جاس خلال ديارهم لم يزد على أن استطرق الأزقّة والجوادّ فلم يجد مصاحف ملقاةً فيما بينهم وفي أفنية الدور، ولو دخل البيوت لوجدها موضوعةً في عياب وعلب، وظاهرةً مرئيَّةً في كلِّ رفٍّ وكوَّة على عدد نفوس البيت في الغالب، ومنها ما يزيد على ذلك، وهي تُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

هذه غير ما تتحرَّز به الشيعة من مصاحف صغيرة الحجم في تمائم الصبيان وأحراز الرِّجال والنساء. غير ما يحمله المسافر للتلاوة والتحفظ عن نكبات السفر. غير ما يوضع منها على قبور الموتى للتلاوة بكرةً وأصيلا وإهداء ثوابها للميِّت. غير ما تحمله الأطفال إلى المكاتب لدراسته منذ نعومة الأظفار. غير ما يُحمل مع العروس قبل كلِّ شيء إلى دار زوجها، ومنهم من يجعل ذلك المصحف جزءاً من صداقها تيمّناً به في حياتها الجديدة. غير ما يُؤخذ إلى

المساكن الجديدة المتَّخذة لِلسكنى قبل الأثاث كلِّه. غير ما يوضع منهـا إلى جنب النساء لتحصينها عن عادية الجنِّ والشياطين الذين يوحون إلى أوليائهم (ومنهم القصيميُّ مخترع الأكاذيب) زخرف القول غروراً.

أفهؤلاء الذين لا يرفعون بالقرآن رأساً؟ أفهؤلاء الذين يندر جدّاً أن توجد بينهم المصاحف؟ وأمّا ما أخبر به الرَّجل شيطانه الطائف بلاد الشيعة من عدم وجود من يحفظ القرآن منهم فسـل حديث هـذه الاكذوبـة عن كتب التراجم ومعـاجم السير، وراجـع كتـاب «كشف الاشتبـاه»[1] في ردِّ مـوسى جـار الله ص ٤٤٤ ـ ٥٣٢ تجد هناك من حفَّاظ الشيعة وقُرّائهم مائة وثلاثة وأربعين.

١١ ـ قال: هل يستطيع أن يجيء (الشيعيُّ) بحرف واحد من القرآن؟ يدلُّ على قول الشيعة بتناسخ الأرواح، وحلول الله في أشخـاص أئمَّتهم، وقولهم بالرجعة، وعصمة الأئمَّة، وتقديم عليٍّ على أبي بكر وعمر وعثمان، أو يدلُّ على وجود عليٍّ في السحاب وأنَّ البرق تبسّمه والرَّعد صوته كما تقول الشيعة الإماميَّة ج ١ ص ٧٢.

ج ـ إن تعجب فعجبٌ أن الـرجل ومن شـاكله من المفترين بهتـوا الشيعة الإماميّة بأشياءهم بُـراء منها على حين تـداخل الفـرق، وتداول المـواصلات، وسهولة استطراق الممالك والمدن بالوسائل النقليّة البخاريّة في أيسر مدَّةٍ، ومن المستبعد جدّاً إن لم يكن من المتعذِّر جهل كـلِّ فرقـةٍ بمعتقدات الاخـرى، فمحاول الوقيعة اليوم والحالة هذه على أيِّ فرقة من الفرق قبل الفحص والتنقيب المتيسِّرين بسهولة مستعملٌ للوقاحة والصلافة، وهو الأفّاك الأثيم عند من يطالع كتابه، أو يُصيخ إلى قيله.

ولو كان الرَّجل يتدبّر في قوله تعالى: **﴿ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيبٌ عتيدٌ﴾**. أو يصدِّق ما أوعد الله به كلَّ أفّاكٍ أثيمٍ همّاز مشّاء بنميم، لكفَّ مدَّته عن البهت، وعرف صالحه، ولكان هو المجيب عن سؤال شيطانه بأنَّ الشيعة

---

(١) تأليف العلم الحجة شيخنا المحقق الشيخ عبد الحسين الرشتي النجفي.

الإماميّة متى قالت بالتناسخ وحلول الله في أشخاص أئمّتهم؟ ومَن الذين ذهب منهم قديماً وحديثاً إلى وجود عليٍّ في السحاب. إلخ. حتّى توجد حرفٌ واحدٌ منها في القرآن.

نعم: [عليٌّ في السَّحاب] كلمةٌ للشيعة تأسِّياً للنبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلم بالمعنى الذي مرّ في الجزء الأوّل ص ٣٤٤ غير أنّ قوّالة الإحنة حرَّفتها عن موضعها وأوّلتها بما يشوِّه الشيعة الإماميّة].

أليس عاراً على الرَّجل وقومه أن يكذب على امّةٍ كبيرةٍ إسلاميّةٍ ولا يبالي بما يباهتهم؟ وينسبهم إلى الآراء المنكرة أو التافهة؟ ولا يتحاشى عن سوء صنيعه؟ أليست كتب الشيعة الإماميّة المؤلّفة في قرونها الماضية ويومها الحاضر وهي لسانهم المعرب عن عقائدهم مشحونة بالبراءة من هذه النسب المختلَقة بألسنة مناوئيهم؟!

فإن كان لا يدري فتلك مصيبةٌ وإن كان يدري فالمصيبة أعظمُ

نعم: له أن يستند في أفائكه إلى شاكلته طه حسين، وأحمد أمين، وموسى جار الله، رجال الفرية والبذاءة.

وقول الإماميّة بالرجعة نطق به القرآن غير أنَّ الجهل أعشى بصر الرَّجل كبصيرته فلم يره ولم يجده فيه، فعليه بمراجعة كتب الإماميّة، وأفردها بالتأليف جماهير من العلماء، فحبّذا لو كان الرَّجل يراجع شيئاً منها.

كما أنّ آية التطهير ناطقةٌ بعصمة جمعٍ ممّن تقول الإماميّة بعصمتهم وفي البقيّة بوحدة الملاك والنصوص الثابتة، وفيما أخرجه إمام مذهبه أحمد بن حنبل في الآية الشريفة في مسنده ج ١ ص ٣٣١، ج ٣ ص ٢٨٥، ج ٤ ص ١٠٧، ج ٦ ص ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠٤، ٣٢٣ مقنعٌ وكفايةٌ.

وكيف لم يقدِّم القرآن عليّاً على غيره؟ وقد قرن الله ولايته وولاية نبيِّه بقوله

العزيز: ﴿إنّما وَلِيّكم الله ورسولُه وَالّذين آمنوا الّذِينَ يُقيمون الصّلاة ويُؤتُون الزَّكاةَ وَهُمْ راكعون﴾. وقد مرَّ في هذا الجزء ص ١٩٨ - ٢٠٤: إطباق الفقهاء والمحدِّثين والمتكلّمين على نزولها في عليٍّ أمير المؤمنين عليه السَّلام.

والباحث إن أعطى النصفة حقّها يجد في كتاب الله آياً تُعدُّ بـالعشرات نزلت في عليّ أمير المؤمنين عليه السَّلام وهي تدلّ على تقديمه على غيره، ولا بِدع وهو نفس النبيِّ صلّى الله عليه وآله وسلم بنصّ القرآن، وبولايته أكمل الله دينه، وأتمَّ علينا نعمه، ورضي لنا الإسلام دينا.

ونحن نُعيد السؤال هاهنا على «القصيميِّ» فنقول: هل يستطيع أن يجيء هو وقومه بحرف واحدٍ من القرآن يدلُّ على تقديم أبي بكر، وعمر، وعثمان، على وليِّ الله الطاهر أمير المؤمنين عليه السَّلام؟!.

١٢ - قال: والقوم (يعني الإماميّة) لا يعتمـدون في دينهم على الأخبار النبويّة الصحيحة، وإنّما يعتمدون على الرُّقاع المزورة المنسوبة كذباً إلى الأئمّة المعصومين في زعمهم وحدهم ج ١ ص ٨٣.

ج - عرفت الحال في التوقيعات الصادرة عن الناحية المقدَّسة، والرَّجل قد أتى من شيطانه بوحيٍ جديد فيرى توقيعات بقيّة الأئمّة أيضاً مكذوبة على الأئمَّة، ويرى عصمتهم مزعومةً للشيعة فحسب، إذ لم يجدها في طامور أوهامه، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرّسول.

١٣ - المتعة التي تتعاطاها الرافضة أنواعٌ: صغرى وكبرى. فمن أنواعها: أن يتَّفق الرَّجل والمرأة المرغوب فيها على أن يدفع إليها شيئاً من المال أو من الطعام والمتاع وإن حقيراً جدّاً على أن يقضي وطره منها ويشبع شهوته يوماً أو أكثر حسب ما يتّفقان عليه، ثمَّ يذهب كلٌّ منهما في سبيله كأنّما لم يجتمعا ولم يتعارفا، وهذا من أسهل أنواع هذه المتعة.

وهناك نوعٌ آخر أخبث من هذا يُسمّى عندهم بالمتعة الدوريَّة وهي أن يحوز جماعةٌ امرأةً فيتمتّع بها واحدٌ من الصبح إلى الضحى، ثمَّ يتمتّع بها آخر

من الضحى إلى الظهر، ثمَّ يتمتّع بها آخر من الظهر إلى العصر، ثمَّ آخر إلى المغرب، ثمَّ آخر إلى العشاء، ثمّ آخر إلى نصف الليل، ثمَّ آخر إلى الصبح، وهم يعدّون هذا النوع ديناً لله يُثابون عليه وهو من شرِّ أنواع المحرَّمات ج ١ ص ١١٩.

ج - إنّ المتعة عند الشيعة هي الّتي جاء بها نبيُّ الإسلام، وجعل لها حدوداً مقرَّرة، وثبتت في عصر النبيِّ الأعظم وبعده إلى تحريم الخليفة عمر بن الخطاب، وبعده عند مَن لم ير للرأي المحدث في الشرع تجاه القرآن الكريم وما جاء به نبيُّ الإسلام قيمةً ولا كرامةً، وقد أصفقت فِرَق الإسلام على اصول المتعة وحدودها المفصَّلة في كتبها، ولم يختلف قطُّ إثنان فيها ألا وهي:

١ : الاجرة.

٢ : الأجل.

٣ : العقد المشتمل للإيجاب والقبول.

٤ : الافتراق بانقضاء المدَّة أو البذل.

٥ : العدَّة أمةً وحرَّة حائلاً وحاملاً.

٦ : عدم الميراث.

وهذه الحدود هي الّتي نصَّ عليها أهل السنَّة والشيعة، راجع من تآليف الفريق الأوَّل. صحيح مسلم. سنن الدارمي. سنن البيهقي. تفسير الطبري. أحكام القرآن للجصّاص. تفسير البغوي. تفسير ابن كثير. تفسير الفخر الرّازي. تفسير الخازن. تفسير السيوطي. كنز العمّال[1].

ومن تآليف الفريق الثاني مَن لا يحضره الفقيه الجزء الثالث ص ١٤٩. المقنع للصَّدوق كسابقه. الهداية له أيضاً. الكافي ج ٢ ص ٤٤. الانتصار للشريف علم الهدى المرتضى. المراسم لأبي يعلى سلّار الديلمي. النهاية

(١) يأتي تفصيل كلماتهم في هذا الجزء بعيد هذا.

للشيخ الطوسي. المبسوط للشيخ أيضاً. التهذيب له أيضاً ج ٢ ص ١٨٩. الإستبصار له ج ٢ ص ٢٩. الغنية للسيد أبي المكارم. الوسيلة لعماد الدين أبي جعفر. نكت النهاية للمحقق الحلّي. تحرير العلاّمة الحلّي ج ٢ ص ٢٧. شرح اللمعة ج ٢ ص ٨٢. المسالك ج ١. الحدائق ج ٦ ص ١٥٢. الجواهر ج ٥ ص ١٦٥.

والمتعة المعاطاة بين الامّة الشيعيَّة ليست إلاّ ما ذكرناه،وليست إلاَّ نوعاً واحداً، والشيعة لم تر في المتعة رأياً غير هذا، ولم تسمع اذن الدنيا أنواعاً لِلمتعة تقول بها فرقةٌ من فرق الشيعة، ولم تكن لأيِّ شيعيٍّ سابقة تعارف بانقسامها على الصغرى والكبرى، وليس لأيِّ فقيه من فقهاء الشيعة ولا لعوامهم من أوَّل يومها إلى هذا العصر، عصر الكذب والإختلاق،عصر الفرية والقذف (عصر القصيميِّ) إلماماً بهذا الفقه الجديد المُحْدَث، فقه القرن العشرين لا القرون الهجريَّة.

وأمَّا القصيميُّ [ومن يُشاكله في جهله المطبق] فلا أدري ممَّن سمع ما تخيَّله من الأنواع؟ وفي أيّ كتابٍ من كُتب الشيعة وجده؟ وإلى فتوى أيِّ عالمٍ من علمائها يستند؟ وعن أيِّ إمام من أئمَّتها يروي؟ وفي أيِّ بلدة من بلادها أو قرية من قراها أو بادية من بواديها وجد هذه المعاطاة المكذوبة عليها؟ أيم الله كلُّ ذلك لم يكن. لكنَّ الشياطين يوحون إلى أوليائهم زخرف القول غرورا.

١٤ ـ قال: إنَّ أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين من يأتون بشاة مسكينةٍ وينتفون شعرها ويعذِّبونها أفانين العذاب موحياً إليهم ضلالهم وجرمهم أنَّها السيِّدة عائشة زوج النبيِّ الكريم وأحبُّ أزواجه إليه.

ومَن يأتون بكبشين وينتفون أشعارهما ويعذِّبونهما ألوان العذاب مشيرين بهما إلى الخليفتين: أبي بكر وعمر، وهذا ما تأتيه الشيعة الغالية.

وإنَّ أغبى الأغبياء وأجمد الجامدين هم الَّذين غيَّبوا إمامهم في السرداب، وغيَّبوا معه قرآنهم ومصحفهم، ومَن يذهبون كلَّ ليلة بخيولهم وحميرهم إلى

ذلك السرداب الذي غيبوا فيه إمامهم ينتظرونه ويُنادونه ليخرج إليهم، ولا يزال عندهم ذلك منذ أكثر من ألف عام.

وإنَّ أغبى الأغبياءوأجمد الجامدين هم الَّذين يزعمون أنَّ القرآن محرَّفٌ مزيدٌ فيه ومنقوصٌ منه ج ١ ص ٣٧٤.

ج - يكاد القلم أن يرتج عليه القول في دحض هذه المفتريات لأنَّها دعاوٍ شهوديَّة بأشياء لم تظلّ عليها الخضراء ولا أقلّتها الغبراء، فإنَّ الشيعة منذ تكوَّنت في العهد النبويِّ يوم كان صاحب الرِّسالة يلهج بذكر شيعة عليٍّ عليه السَّلام والصحابة تسمّي جمعاً منهم بشيعة عليٍّ إلى يومها هذا لم تسمع بحديث الشاة والكبشين، ولا أبصرت عيناها ما يُفعل بهاتيك البهائم البريئة من الظلم والقساوة، ولا مُدَّت إليها تلك الأيادي العادية، غير أنَّهم شاهدوا القصيميَّ متَّبعاً لابن تيميَّة يُدنِّس برودهم النزيهة عن ذلك الدَّرَن.

وليت الرَّجل يعرِّفنا بأحدٍ شاهد شيعيّاً يفعل ذلك، أو بحاضرةٍ من حواضر الشيعة اطَّردت فيها هذه العادة، أو بصقع وقعت فيه مرَّة واحدة ولو في العالم كلِّه.

وليتني أدري وقومي هل أفتى شيعيٌّ بجواز هذا العمل الشنيع؟ أو استحسن ذلك الفعل التافه؟ أو نوَّه به ولو قصِّيصٌ في مقاله؟ نعم يوجد هذا الإفك الشائن في كتاب القصيميِّ وشيخه ابن تيميَّة المشحون بأمثاله.

وفرية السرداب أشنع وإن سبقه إليها غيره من مؤلِّفي أهل السنَّة لكنَّه زاد في الطمّور نغمات بضمِّ الحمير إلى الخيول وادِّعائه اطِّراد العادة في كلِّ ليلة واتِّصالها منذ أكثر من ألف عام، والشيعة لا ترى أنَّ غيبة الإمام في السِّرداب، ولا هم غيَّبوه فيه ولا أنَّه يظهر منه، وإنَّما اعتقادهم المدعوم بأحاديثم أنَّه يظهر بمكّة المعظمة تجاه البيت، ولم يقل أحدٌ في السرداب: انَّه مغيب ذلك النور، وإنَّما هو سرداب دار الأئمَّة بسامرَّاء، وإنَّ من المطَّرد إيجاد السراديب في الدور وقايةً من قايظ الحرِّ، وإنَّما اكتسب هذا السرداب بخصوصه الشرف الباذخ

لانتسابه إلى أئمَّة الدين، وإنّه كان مبوَّءاً لثلاثة منهم كبقيَّة مساكن هذه الدار المباركة، وهذا هو الشأن في بيوت الأئمة عليهم السَّلام ومشرِّفهم النبيُّ الأعظم في أيِّ حاضرة كانت، فقد أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه.

وليت هؤلاء المتقوِّلون في أمر السرداب اتَّفقوا على رأي واحد في الاكذوبة حتّى لا تلوح عليها لوائح الافتعال فتفضحهم، فلا يقول ابن بطوطة[1] في رحلته ج ٢ ص ١٩٨: إنَّ هذا السرداب المنوَّه به في الحلّة. ولا يقول القرماني في «أخبار الدُّول» إنّه في بغداد. ولا يقول الآخرون: إنّه بسامراء. ويأتي القصيميُّ مِن بعدهم فلا يدري أين هو فيطلق لفظ السرداب ليستر سوءته.

وإنّي كنت أتمنّى للقصيميِّ أن يحدِّد هذه العادة بأقصر من (أكثر من ألف عام) حتّى لا يشمل العصر الحاضر والأعوام المتَّصلة به، لأنَّ انتفاءها فيه وفيها بمشهدٍ ومرأى ومسمع من جميع المسلمين، وكان خيراً له لو عزاها إلى بعض القرون الوسطى حتّى يجوِّز السامع وجودها في الجملة، لكنَّ المائن غير مُتحفِّظ على هذه الجهات.

وأمّا تحريف القرآن فقد مرّ حقُّ القول فيه ص١١٦وغيرها.

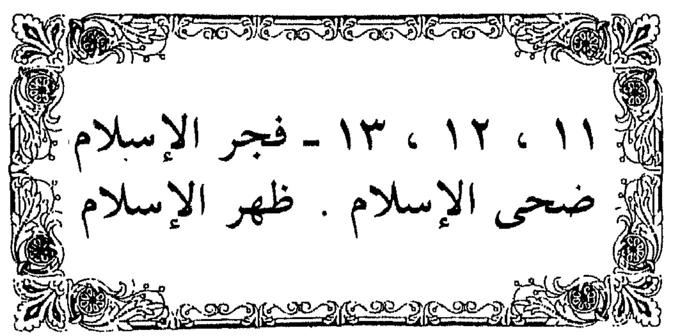
هذه نبذٌ من طامّات «القصيميِّ» وله مئاتٌ من أمثالها، ومَن راجع كتابه عرف موقفه من الصِّدق، ومبوَّأه من الأمانة، ومقيله من العلم، ومحلّه من الدين، ومستواه من الأدب.

﴿الّذين يُجادلون في آيات الله بغيرِ سُلطانٍ أتاهم كَبُر
مَقتاً عند الله وَعند الّذين آمنوا كذلك يطبَع
الله على كلِّ قلبِ متكبِّرٍ جبّار﴾

سورة غافر: آية ٣٥

---

(١) وهكذا ابن خلدون في مقدمة تاريخه ج ١ ص ٣٥٩، وابن خلكان في تاريخه ص ٥٨١.



هذه الكتب ألَّفها الاستاذ أحمد أمين المصريّ لغايةٍ هو أدرى بها، ونحن أيضاً لا يفوتنا عرفانها، وهذه الأسماء الفخمة لا تغرُّ الباحث النابه مهما وقف على ما في طيّها من التافهات والمخازي، فهي كاسمه [الأمين] لا تُطابق المسمّى، وأيم الله إنّه لو كان أميناً لكان يتحفَّظ على ناموس العلم والدين والكتاب والسنّة، وكفَّ القلم عن تسويد تلك الصحائف السوداء، ولم يكن يُشوِّه سمعة الإسلام المقدَّس قبل سمعة مصره العزيزة بلسانه اللسّابة السَّلاقة، وكان لم يتَّبع الهوى فيُضلَّ عن السبيل، ولم يطمس الحقائق ولم يُظهرها للناس بغير صورها الحقيقيَّة المبهجة، ولم يُحرِّف الكلم عن مواضعها، ولم يقذف امَّةً كبيرةً بنسبٍ مفتعلة؛ ولم يتقوَّل عليهم بما يُدنِّس ذيل قدسهم.

كما أنّ تآليفه هذه لو كانت إسلاميَّة [كما توهمها أسماؤها] لما كانت مشحونةً بالضَّلال والإفك وقول الزّور، ولما بعدت عن أدب الإسلام، عن أدب العلم، عن أدب العفَّة، عن أدب الإخاء الذي جاء به القرآن، فالإسلام الذي جاء به أمين القرن العشرين (لا القرن الرابع عشر) يضادُّ نداء القرآن البليغ، نداء الإسلام الذي صدع به أمين وحي الله في القرن الأوّل الهجريِّ، فإن كان الإسلام هذا كتابه وهذا أمينه، فعلى الإسلام السَّلام، وإن كان الجامع المصريُّ الأزهر هذا علمه وهذا عالمه، فعليه العفا.

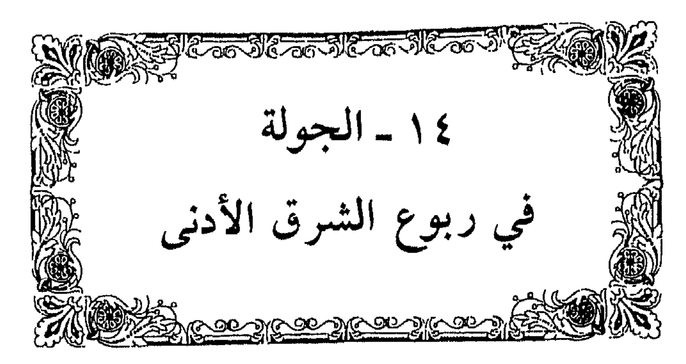
وقد نوَّه غير واحدٍ من محقِّقي الإماميَّة[1] بما فيها من البهرجة والباطل في تآليفهم القيِّمة، وفي [تحت راية الحق[2]] غنىً وكفاية لمريد الحقّ وإلى الله المشتكى.

﴿بَلْ كذَّبوا بالحقِّ لَمّا جاءَهم فَهُمْ في أمرٍ مريج﴾ سورة ق: آية ٥

---

(١) كالحجج الفطاحل السيد شرف الدين، والسيد الأمين، وشيخنا كاشف الغطاء.

(٢) تأليف العلامة الشيخ عبدالله السبيتي.



١٤ ـ الجولة في ربوع الشرق الأدنى

تأليف محمد ثابت المصري مدرس أول العلوم الاجتماعية بمدرسة القبة الثانوية.

النـاموس المـطَّرد في السيّاح أنَّ أكثـر ما يتحـرّى مشاهـدته في البـلاد والأصقاع يكون ملائماً لما انطبعت عليه نفسيَّته، ولذلك تـراهم مختلفين في النزعات، فصـاحب رحلةٍ يكاد أن لا يـذكر فيهـا سوى مـا تلقاه من العلمـاء والادباء، وآخر تجد فيه نزوعاً إلى السّاسة ونظريّاتهم، وثالث يبغي وصف البقاع من ناحية المعيشة والاقتصاد والهواء الطلق والماء العذب النميـر وفواكـه ممّا يشتهون، وعارف يذكر بدائع الصّنع وإتقان حكمة الباري سبحانه من مشهوداته، وهناك ماجنٌ لا يروقه إلّا الشهوات والمخازي، فيصف المواخير؛ ويلمُّ بحانات الخمور، ويحدِّث عن المومسات، وأفّاكٌ أثيمٌ يمين في أكثر ما يحدِّث، ويدنِّس بفـاحش القول سـاحة قـدس مَن لم يُحسن قِراه، وانَّ صـاحب هذه الـرِّحلة [الجولة] من القسمين الأخيرين، وكان الحريّ بنا أن نشطب على اسمه وعلى رحلته بقلمٍ عريضٍ لكنّا نُلمس القارىء ما ادَّعيناه فيه بطفيفٍ ممّا شوَّه به سمعة الرِّحلة والتاريخ.

١ ـ قال: يقول العلماء هناك [في النجف]: إنَّ المدافن فيها عشرة آلاف لا تزيد ولا تنقص لأنَّ سيِّدنا عليّاً يُرسل ما زاد من الجثث بعيداً فلا يعرف أحدٌ مقرَّها ص ١٠٥.

كم مِن جثثٍ كانت تحملها السيّارات وافدة من كلِّ فجٍّ، وبعد الغسل يُطاف بها حول الحرم وبعد الصَّلاة عليها تُدفن وتظلُّ كذلك حتّى يتراءى لسيِّدنا

عليٍّ أن يكشف عن مكنونها فتختفي ويُدفن في مكانها غيرها ص ١٠٦ .

ج ـ لقد فتّشنا علب العطارين، وأوعية أهل الحرف، وجوالق المكارين، ومدوّنات القصص الروائيّة، فلم تُعطنا خبراً بشيء من هذه المفتريات، ولا دلّنا أصحابنا إلى شيء من ذلك، وإنّما قدّمناها وإيّاهم بالتفتيش والسؤال بعد اليأس عن العلماء وكتبهم، فإنّهم يُجلّون كما أنّ كتبهم تجلّ عن الإشادة بالمخازي والأكاذيب، وليت [السائح] ذكر عالماً من اولئك العلماء الذين شافهوه بذلك الخيال، أو ذكر طرقهم إلى آرائهم، أو ذكر الليلة التي أوحاه إليه شيطانه فيها، لكنّه لم يفعل كلّ ذلك تحفّظاً على ناموس شيطانه؛ فقال ولم يخجل.

من أين تخجل أوجهٌ أمويّةٌ   سكبت بلذّات الفجور حياءها؟!

٢ ـ قال: هي [النجف] مقرُّ أوّل خليفةٍ للنبيِّ ﷺ، وفي زعم بعضهم (يعني الشيعة) هي مقرّ مَن كان أحقُّ بالرِّسالة من النبيِّ نفسه ١٠٤ .

ج ـ ليس في الشيعة قديماً وحديثاً مَن يزعم أنَّ أمير المؤمنين حقُّ بالرِّسالة من النبيِّ وإنّما هو إفكٌ مفترى اختلقه أضداد الشيعة تشويهاً لسمعتها، ولذلك لا تجد في أيٍّ من كتبهم، ولا يُؤثر عن أيٍّ منهم إيعازاً إلى هذه الشائنة فضلاً عن التّصريح.

٣ ـ قال: قُتل عليٌّ بيد ابن ملجم ـ بايع الناس الحسن بن عليّ وكان معاوية قد بويع في الشام فزحف لقتال الحسن، وتأهّب الحسن للقتال في العراق، ولكن ثار عليه جنوده وانفضّوا من حوله، فهادن معاوية وتنازل عن الخلافة وفرَّ وقُتل، ثمَّ بايع الجميع معاوية إلّا الخوارج والشيعة [شيعة آل البيت أو آل عليّ] وقد اجتمعوا حول الحسين بن عليّ في مكّة فقتله جنودُ معاوية في كربلا هو وأفراد أُسرته وأتباعه جميعاً إلّا ابنٌ واحدٌ للحسين أمكنه الهرب ص ١١٠ .

ج ـ هذا معرفة الرَّجل بالتاريخ الإسلامي وهو استاذ العلوم الاجتماعيّة في مدرسة القبّة الثانويّة بالقاهرة، ولا أحسب أن المقام يستدعي ترسّلاً في تصحيح

أغلاطه التاريخيَّة، وإنّما أثبتناه في هذا المقام لإيقاف القارىء على مقدار علمه، ولكنَّني أتمنّى أنَّ سائلاً يُسائله عن الموجب للكتابة فيما لا يعلم، أهو بترجيح من طبيب؟ أم تحبيذ من مهندس؟ أم إشارة من سياسي أم أن الرعونة حدَته إلى ذلك؟ وهو يحسب أنَّه يحسن صنعاً، ونحن لا نُقابله هنا إلاّ بالسَّلام كما قال سبحانه تعالى: ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما**﴾.

وما أشبه أساطير رحّالة مصر هذا في كتابه أساطير الرَّحالة الأفرنسيَّة المنشورة في مجلّة الأحرار البيروتيّة ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٠ م ملخَّصها: إنَّ على أساس ذبح الحسين وأولاده في كربلاء قرب بغداد قامت الشيعة في الإسلام، ذلك لأنَّ أقرباء عليٍّ وحلفاءه وتلاميذه وعلماء الشيعة وفلاسفتها لم يطيقوا خلافة عمر، الّذي بسببه أُريق دم عليٍّ وأولاده، فافترقوا عن السنَّة واجتازوا جزيرة العرب إلى العجم، تسير في طليعتهم أرملة عليٍّ فاطمة؟

اقرأ واضحك:

هكذا فليكن رحّالة مصروفرانسة، وللذَّكر مثل حظِّ الأُنثيين.

٤ ـ قال: من فرق الشيعة من يقول: بأنَّ الصحابة كلّهم كفروا بعد موت النبيِّ إذ جحدوا إمامة عليٍّ، وإنَّ عليّاً نفسه كفر لتنازله لأبي بكر، لكنَّه عاد له إيمانه لَمّا تولّى الإمامة وهذه فرقة الإماميَّة. ومن الشيعة قسمٌ أوجب النبوَّة بعد النبيِّ فقالوا بأنَّ الشَبه بين محمَّد وعليٍّ كان قريباً لدرجة أنَّ جبرئيل أخطأ، وتلك فئة [الغالية أو الغلاة] ومنهم مَن قال بأنَّ جبريل تعمَّد ذلك فهو إذن ملعونٌ كافرٌ ص ١١٠.

ج ـ الإماميَّة لا تقول في الصحابة إلاّ بما قدَّمناه في هذا الجزء ص ٣٥٨، ٢٩٧ عن صحيح البخاري وغيره، وهي لا تزال تُوالي أمير المؤمنين عليّاً صلوات الله عليه وتقول بعصمته وتحقّق الإيمان بولائه منذ بدء خلقته إلى أن لفظ نفسه الأخير، وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، وإلى أمدٍ لا مُنتهى له، وتقول بإمامته منذ قبض الله نبيَّه الأمين إليه، سواءٌ سُلّم إليه الأمر أو ابتزَّ منه. وتقول أيضاً بشمول آية التطهير له منذ نزلت إلى آخر الأبد، ولا يتزحزح الشيعيُّ

عن هذه العقائد آناً ما في أدوار الخلافة العلويَّة سواءٌ تصدّى لها أو مُنع عنها، وقد اتَّفق على ذلك علماء الشيعة ومؤلّفاتها، وتطامنت عليه الأفئدة، وانحنت عليه الأضالع، وأخبتت إليه القلوب، فإن كانت هناك نسبةٌ غير هذا إليهم فعزوٌ مُختلقٌ من جاهلٍ بعقائدهم، أو متحرّ بالوقيعة فيهم، ولدة هذا نسبة خطأ جبرئيل إلى بعضهم أو تعمّده إلى بعض آخر وما إليها من المخازي.

٥ - قد استرعى نظري في النَّجف كثيرٌ من الأطفال الذين يلبسون آذانهم حلقات خاصَّة هي علامة أنَّهم من ذرَّية زواج المتعة المنتشر بين الشيعة جميعاً وبخاصَّة في بلاد فارس، ففي موسم الحجّ[1] إذا ما حلَّ زائرٌ فُندقاً لاقاه وسيطٌ يعرض عليه أمر المتعة مقابل أجرٍ معيّن، فإن قبل أحضر له الرَّجل جمعاً من الفتيات لينتقي منهنَّ، وعندئذٍ يقصد معها إلى عالم لقراءة صيغة عقد الزَّواج وتحديد مدّته، وهي تختلف بين ساعاتٍ وشهورٍ وسنواتٍ؛ وللفتاة أن تتزوّج مرّات في الليلة الواحدة، والعادة أن يدفع الزّوج نحو خمسة عشر قرشاً للساعة، وخمسة وسبعين قرشاً لليوم، ونحو أربع جنيهات للشهر، ولا عيب على الجميع في ذلك العمل لأنَّه مشروعٌ، ولا يلحق الذريَّة أيّ عار مطلقاً؛ وعند انتهاء مدَّة الزّواج يفترق الزَّوجان ولا تنتظر المرأة أن تعتدّ بل تتزوَّج بعد ذلك بيومٍ واحدٍ، فإن ظهر حملٌ فللوالد أن يدّعي الطفل له ويأخذه من امّه إذا بلغ السابعة. إلخ ص ١١١، ١١٢.

ج - ليتني كنت أُشافه الرَّجل فأُسائله عن أنَّه هل تفرَّد هو بالهبوط إلى النجف الأشرف في أجيالها المتطاولة؟ أو شاركه في ذلك غيره من سوّاح وزوّار وسابلة؟ نعم هذه النجف الأعلى مهبط القداسة ومرقد سيِّد الوصيِّين أمير المؤمنين صلوات الله عليه تأتيها في كلِّ سنة آلاف مؤلَّفة من أقطار الدنيا للتّزوُّد من زورة ذلك المشهد المقدَّس فيمكثون فيها أيّاماً وليالي وأسابيع وأشهراً وفيهم البحّاثة والمنقِّبون، فِلمَ لم يحدِّث أحدهم عن أولئك الأطفال الكثيرين في مخيَّلة هذا

---

(١) يعني أيام زيارة أمير المؤمنين عليه السلام المخصوصة به.

الزاعم؟ وعن الحَلقات الخاصَّة في آذانهم؟ وعن هاتيك الفنادق المخترقة [١] وعن ذلك الوسيط الموهوم؟ وهاتيك الفتيات المعروضة على الوافد؟ وعن تلك العادة المفتراة الشائنة؟ والأسعار المختلقة؟ وعن تواصل المتع من دون تخلّل عدَّة؟ وجلُّ اولئك الوافدين يتحرَّون غرائب ما في النجف من العادات والأطوار شأن كلِّ باحثٍ يرد حاضرةً من الحواضر المهمَّة، ولِمَ لم يشهد هذه الأحوال أحدٌ من أهل النجف الَّذين وُلدوا فيها، وفيها ينشأون، وفيها يموتون وهي وفنادقها وأطفالها وزوّارها بمرأى منهم ومسمع؟! ولعلَّ [الرائد الكذّاب] يحسب أنَّ مشهوداته هذه لا تُدرك بعين البصر وإنَّما أدركها بعين البصيرة فهلمَّ واضحك.

٦ ـ قال: فهم «يعني الإيرانيِّين» يبغضون أهل العراق ويطمحون إلى تملّك بلادهم يوماً، وهم جميعاً يمقتون العرب المقت كلّه، ويتبرَّأون منهم ويقولون بأنَّ العرب رغم أنّهم أدخلوا الإسلام في بلادهم واحتلّوها طويلاً فإنّ فارس حافظت على شخصيَّتها ولغتها، وهم ينظرون إلى العرب نظرة احتقار ويفاخرون بأنَّهم من أصل آري لا سامي ص ١٣٦.

ج ـ لا أحسب وأيم الله إلاَّ أنَّ هذا الرَّجل يُريد تفريق كلمة المسلمين، وتفخيذ امَّةٍ عن امّةٍ بأباطيله، والواقف على ما بين العراقيّين والإيرانيِّين ـ من الجوار وحقوقه المتبادلة بين الامَّتين، واختلاف كلٍّ منهما إلى بلاد الاخرى، ونزول الإيراني ضيفاً عند العراقيِّ وعكسه كالنازل في أهله، وما يجري هنالك من الحفاوة والتبجيل، وما جمع بينهما من الوحدة الدينيّة والجامعة المذهبيّة إلى غيرهما من أواصر الالفة والوداد، ونظر الإيرانيِّ إلى كلِّ عراقيٍّ يرد بلاده من المشاهد المقدَّسة نظر تقديس وإكبار، فلا يستقبله إلاّ بالمصافحة والمعانقة والتقبيل، وما يقدِّسه كلُّ مسلم وفيهم الإيرانيّون من لغة الضاد ـ بما أنَّها لغة كتابهم العزيز ـ جدُّ عليم بأنَّ الرَّجل أكذب ناهضٍ لشقِّ عصا المسلمين،

(١) لم يكن يوم ورود الرجل النجف الأشرف أي فندق فيها وإنما أُسست نفنادق بعد يومه.

ولعمري لم تسمع أُذني ولا أُذن أحدٍ غيري تلك المفاخرة التافهة من أيٍّ إيرانيٍّ عاقلٍ .

٧ ـ قال : السيّارات الكبيرة تمرُّ تباعاً (بين طهران وخراسان) ذهاباً ورجعةً في كثرةٍ هائلةٍ كلّها جماهير الحجّاج ، ويقولون : بأنَّ هذاالخطّ على وعورته أكثر البلاد حركةً في نقل المسافرين لأنَّ مشهد خيرٌ لديهم من مكّة المكرَّمة تُغنيهم عن بيت الله الحرام في زعمهم ص ١٥٢ .

وقال ص ١٦٢ : والّذي شجّع الفرس على اتِّخاذ مشهد كعبةً مقدَّسةً الشاه عبّاس أكبر الصفويّين ، هناك صرف قومَه عن زيادة مكّة المكرَّمة لكراهتهم للعرب .ولكي يوفِّر على قومه ما كانوا يُنفقون من أموال طائلة في بلاد يكرهونها ، وكثيرٌ من الحجّاج كانوا من السّراة ، فاتَّخذ مشهد كعبةً وجّه إليها الشعب ، ولكي يزيدها قدسيّة حجَّ إليها بنفسه ماشياً على قدميه مسافة تفوق ١٢٠٠ كيلو متر فتحوّل إليها الناس جميعاً ، ويندر من يزور الحجاز اليوم ، وهم يحترمون كلمة (مشهدي) عن كلمة [حجي] لأنَّ من زار مشهد لا شكَّ أكثر قدسيّة واحتراماً ممّن زار مكّة .

ج ـ اللَّهُمَّ ما أجرأ هذا (الكذْبان) على المفتريات التي لم تطرق سمع أحد من الشيعة ولا وقع عليها نظر أيٍّ منهم ولو في اسطورة كاذبةٍ حتّى وجدها في كتاب هذا المائن ، وليس في الشيعة أحدُ يعتقد في خراسان غير أنّه مرقد خليفة من خلفاء رسول الله ، ومثوى إمام من أئمّتهم ، ولذلك عاد مهبطاً للفيوض الإلَهية ، وأمّا القول بإغنائه عن البيت الحرام وأَن زيارته مسقطةٌ للحجِّ فبهتانٌ عظيمٌ ، والشاه الصفويُّ المغفور له لم يتّخذه كعبةً ولا قصد زيارته ماشياً إلّا للتزلّف إلى المولى سبحانه بزيارة وليٍّ من أوليائه ، والتوسّل إليه بخليفةٍ من خلفائه ، ولم يصرف قومه عن الحجِّ لذلك ، ولم يأت برأيٍ جديد يُضادّ رأي الشيعة من أوّل يومهم ، والشيعة إنّما تقصد زيارته بداعي الولاء للعترة الطاهرة الذي هو أجر

الرِّسالة، ورغبة في المثوبات الجزيلة المأثورة عن أئمّتهم عليهم السّلام.

ولم يكن الشاه ولا شعبه الإيرانيّون بـالّذين يشحّـون على الأموال دون الفرائض الّتي من أعظمها الحجُّ إلى الكعبة المعظّمة، ولا يرون لهذه الفريضة أيَّ بدل من زيارة أو عبـادةٍ، وهذه الحقب والأعـوام تشهد لآلاف مؤلّفـة من الإيرانيّين الذين كانوا يحجّون البيت في كلِّ عام.

نعم: في السنين الأخيرة قلَّ عددهم لما هنالك من عدم الطمأنينة على الأحكام والدماء، فالشيعيُّ يرى أن أغلب الحجّاج غير متمكِّنين من أداء المناسك كما ينبغي، وغير آمنين على دمائهم بأدنى فريةٍ يفتريها عدوٌ من أعداء الله، ويشهد عليها آخرون أمثاله، فيحكم على إراقة دمه قاض بالجور.

وإن ننس لا ننسى ما جرى فـي سنة ١٣٦٢ هـ من إزهاق حاج مسلمٍ إيرانيّ (يُسمّى طالب) بين الصفا والمروة ببهتان عظيم، وهو يتشهّد الشهادتين وقد حجَّ البيت واعتمر وأتى بالفرائض كلّها، فقُتل مظلوماً ولا مانع ولا وازع ولا زاجر ولا مدافع، ودع عنك ما يُلاقي الشيعة بأسرها عراقيِّين وإيرانيِّين من هتك وهوان والخطاب بمثل قول الحجازيِّ إيّاهم: يا كافر، يا مشرك. وأمثالهما من الكلم القارصة، وتحرّي الحجج التافهة لهذه المخازي كلِّها ولإراقة دمائهم، فمن هنا خارت العزائم، وقلّت الرغبات، ومنعت الحكومة الإيرانيَّة شعبها عن السفر إلى الحجاز كلاءَةً لأُمَّتها، مستندةً على حكم ديني لعدم التمكّن من أداء الفريضة غالباً، لا لِما أفرغه السائح المتحذلق في بوتقة إفكه ممّا سطره من اتِّخاذ المشهد كعبةً، ومن الكراهـة المحتدمـة بين الإيرانيِّين والعـرب، ذينك الفريقين المتواخيين على الدين والمذهب، إلى جوامع كثيرة يعرفها مَن جاس خلال ديارهما بقلب طاهر متجرِّداً عن النَّعـرات الطائفيَّـة غير متحيِّـز إلى فئة (لا كسائحنا الثابت على غيّه) وقد قدَّمنا ما بين العـرب والعجم المسلمين من التحابب والموادَّة.

٨ ـ قال: في نيسابور قبَّةٌ أنيقةٌ عني بإقامتها ونقشها العناية كلّها، فدخلتها

وإذا هي مدفن محمّد المحروق من سلالة الحسين، وقد أسموه بالمحروق لأنّه نزل ضيفاً على أحد سراة القرية وَلمّا أن خيم الليل اعتدى على بنت مضيفه فأحرقه الناس في مكانه هذا، ورغم جرمه هذا شيد قبره وقدّسه الناس لأنّه من سلالة طاهرة ص ١٥٥.

ج - لا ينقطع الرّجل يُريد الوقيعة على أهل البيت الطاهر فيختلق لهم قصصاً لا يوجد لها مصدرٌ ولو من أضعف المصادر، ويُلفّق لهم تاريخاً من عند نفسه لا يعلمه إلاّ شيطانه، فإنّ ذلك المدفن قد يُنسب إلى محمد بن زيد بن عليّ الإمام زين العابدين عليه السّلام ترجمه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين ص٥٤٢ وقال: بايعه أبو السرايا بالكوفة بعد موت محمّد بن إبراهيم بن إسماعيل طباطبا واستولى على العراقين وفرّق فيهما عمّاله من بني هاشم إلى أن جهّز الحسن بن سهل ذو الرّياستين له جيشاً مع هرثمة بن أعين فأُسر وحُمل إلى خراسان إلى المأمون فحبسه أربعين يوماً في دار جعل له فيها فرشاً وخادماً فكان فيها على سبيل الاعتقال، دسّ إليه شربة سمٍّ فجعل يختلف كبده وحشوته حتّى مات.

لكنَّ الرجل لم يستسهل أن يمرَّ على هذا العلويِّ المظلوم ولا يخزه بشيء من وخزاته، فجاء يقذفه بعد قرون من شهادته بهذه الشائنة والبهتان العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون.

٩ - قال: إنَّ الحسين تزوَّج (شهر بانو) بنت آخر الملوك الساسانيِّين، وبذلك ورث الحسين العظمة الإلّهيَّة التي ورثها من قِبل الساسانيِّين ٢٠٨ .

ج - حسين العظمة ورث ما ورثه من جدِّه النبيِّ الأعظم، وإن كان فارس خيرة العجم والعائلة المالكة أشرف عائلات فارس، وقد ازدادت شرفاً ومنزلةً بمصاهرة بيت الرِّسالة، فإنَّ شرف النبوَّة تندكُّ عنده الفضائل كلّها.

وليت شعري ما الصلَة بين مصاهرة الفرس والعظمة الإلّهيَّة ومؤسِّسها نبيُّ العظمة، وقد ورثها منه آله العظماء، وملوك الفرس إن تمكنوا بشيء من المنزلة والمكانة فعن قهر وتغلّب من دون دخل لها في النفسيّات الراقية والمنازل الإلّهيَّة

والعظمة الروحيَّة القدسيَّة.

نعم: هذا شأن كلِّ جاهلٍ فإنَّه لمّا لم يعرف قدره، ويتعدّ طوره، هكذا يكثر لغبه، ويطول لسانه، ويُبتلى بفضول الكلام، وهو يخبط خبْطَ عشواء.

هنا نختم البحث عن عورات الرَّجل غير أنَّها لا تنتهي، وإنّا نضنُّ بالورق واليراع بعد الوقت الثمين عن إتلافها بذكر سقطاته التي تندى منها جبهة الإنسانيَّة، راجع من كتابه ص ١٢٥، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٥٠، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٦، ١٨٣، ٢٠٦، ٢١٠.

والرَّجل قد تعلَّم في بلاد فارس ألفاظاً من لغتهم فجاء يذكرها في كتابه مع ترجمة بعضها بالعربيَّة إثباتاً لثقافته غير أنَّ كلَّ ما تعلّمه كآرائه ومعتقداته غلطٌ بعد غلط وإليك نماذج منها مع ذكر صحيحها:

مدر:	أُمّ	مـادر	دِر:	باب	دَر
باد:	رديء.	بَد	جرم:	دافىء	كرم.
فاردا:	غداً.	فردا	بسيتون:	الصواب	بي ستون.
دوك:	الصواب.	دوغ	الانجور:	الصواب	انگور.
جوهر شاه	الصواب	گوهر شاد	الداشت	الصواب	دشت
ناخير	الصواب	نه خير	الجوشت	الصواب	كَوشت
الروغان	الصواب	روغن	الملاه	الصواب	ملاّ
المولاه	الصواب	ملاّ	صبركون	الصواب	صبركن
ياخ	الصواب	يخ	صموار	الصواب	سماور
آلي قابو	الصواب	عالي قابو	البازار	الصواب	بازار

شربت باشا   شراب الأطفال   شربت بچه

بردن   يحمل   بردَن بفتح الدال مصدر

كرافان سراي   [في عدَّة مواضع] كاروان سراي

زنده رود   الصواب   زاينده رود   أنزبلي   الصواب   أنزلي

شارود	الصواب	شاهرود	سابزوار	الصواب	سبزوار
هيرات	الصواب	هرات	بوشهر	الصواب	أبو شهر
الفولجة	الصواب	الفلوجه	تشهل ستون	الصواب	چهل ستون

تشهل منار: أي ذات العمادالصواب چهل منار. أربعون منارة

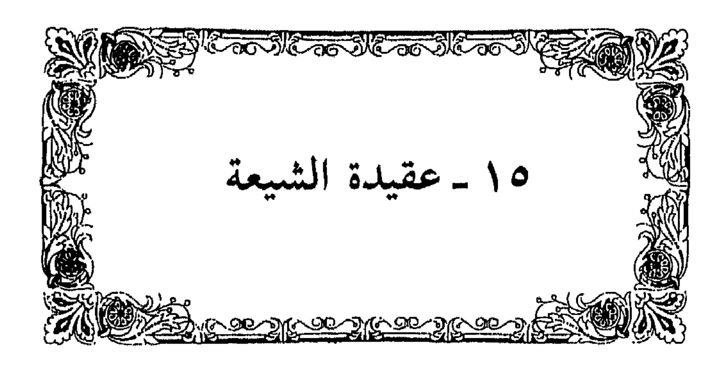
شهل ستون الصواب: چهل ستون راحات: الصواب راحت

حظرة عبد العظيم [في غير موضع] حضرت عبد العظيم. انظر إلى ثقافته العربيَّة.

وهذه الجمل تُعطينا صورةً من تضلّعه بالعربيَّة بإكثاره لإدخال اللام في الألفاظ الفارسيَّة.

﴿ما كَتَبناها عَلَيهِمْ إلا ابْتغاءَ رِضوانِ الله﴾

سورة الحديد: آية ٢٧



١٥ ـ عقيدة الشيعة

تأليف المستشرق روايت م. رونلد سن

قد يحسب الباحث رمزاً من النزاهة في هذا الكتاب، وخلاءً من القذف والسباب المقذع، غير أنّه مهما أمعن النظر فيه يراه معرباً عن جهل مؤلّفه المطبق، وقصر باعه في آراء الشيعة ومعتقداتهم، وعدم عرفانه برجالهم وتراجمهم وتآليفهم؛ ويجده مع ذلك: ذلك الأفّاك الأثيم، ذلك الهمّاز المائن، يخبط خبط عشواء، أو كحاطب ليل لا يدري ما يجمع في حزمته، فجاء يكتب عن أُمّة عظيمة كهذه ويبحث عن عقائدهم ويستند فيها كثيراً إلى كتب قومه المشحونة بالطامّات والآراء الساقطة والمخازي التافهة، والمشوّهة بأساطيرهم المائنة، أو إلى تآليف أهل السنّة المؤلّفة بيد اناس دجّالين محدّثين الذين كتبوا بأقلامهم المسمومة ما شاءت لهم أهواؤهم وأغراضهم الاستعمارية. فكشف عن سوءاته بمثل قوله في ص ٢٥:

يذكر Hlghes في كتابه (قاموس الإسلام) ص ١٢٨ قضيّةً طريفةً عن عيد الغدير قال: وللشيعة عيدٌ في الثامن من ذي الحجّة يصنعون به ثلاثة تماثيل من العجين يملأون بطونها بالعسل، وهي تمثّل أبا بكر وعمر وعثمان ثمّ يطعنونها بالمدى فيسيل العسل تمثيلاً لدم الخلفاء الغاصبين؛ ويُسمّى هذا العيد بعيد الغدير.

وبمثل قوله في ص ١٥٨: يذكر برتن (Burton) أنّ الفرس تمكّنوا في بعض الأحيان أن يُنجّسوا المكان الكائن قرب قبري أبي بكر وعمر

بقذف النجاسة الملفوفة بقطعة من الشّال ، يدلّ ظاهرها على أنّها هديّة من الشبّاك .

وبمثل قوله في ص ١٦١ : أمّا الشيعة الإثنى عشرية فيؤكّدون أنَّ الإمام جعفر الصّادق نصَّ على إمامة ابنه الأكبر إسماعيل بعده، غير أنَّ إسماعيل كان سكّيراً، فنقلت الإمامة إلى موسى، وهو الوليد الرابع من بين سبعة أولاد، وكان الخلاف الناجم عن ذلك سبباً في حدوث انقسامٍ كبير بين الشيعة كما أشار إلى ذلك ابن خلدون.

وبمثل قوله في ص ١٢٨ : ادّعى عبدالله بن عليّ بن عبدالله بن الحسين[1] الإمامة، ويُروى أن وفداً مؤلَّفاً من اثنين وسبعين رجلاً جاء إلى المدينة من خراسان، ومعهم أموال يحملونها إلى الإمام وهم لا يعرفونه، فذهبوا إلى عبدالله أوّلاً فأخرج لهم درع النبيِّ ﷺ وخاتمه وعصاه وعمامته، فلمّا خرجوا من عنده على أن يرجعوا غداً لقيهم رجلٌ من أتباع محمّد الباقر فخاطبهم بأسمائهم ودعاهم إلى دار سيِّده فلمّا حضروا كلّهم طلب الإمام محمّد الباقر من ابنه جعفر أن يأتيه بخاتمه فأخذه بيده وحرَّكه قليلاً وتكلّم بكلمات فإذا بدرع الرَّسول وعمامته وعصاه تسقط من الخاتم، فلبس الدرع ووضع العمامة على رأسه وأخذ العصا بيده فاندهش النّاس، فلمّا رأوها نزع العمامة والدرع وحرَّك شفتيه فعادت كلّها إلى الخاتم، ثمَّ التفت إلى زوّاره وأخبرهم أنّه لا إمام إلاّ وعنده مال قارون فاعترفوا بحقِّه في الإمامة ودفعوا له الأموال. وقال في تعليقه: انظر دائرة المعارف[2] الإسلاميَّة. مادة قارون.

ج - سبحانك اللَّهُمَّ ما كنّا نحسب أنَّ رجلاً يسعه أن يكتب عن أُمَّة كبيرة ويأخذ معتقداتها عمَّن يُضادُّها في المبدأ، ويتقوَّل عليها هذه الترهات من دون أيِّ مصدر، وينسب إليها بمثل هذه المخازي من دون أيِّ مبرِّر، فما عساني أن

(١) ليته دلنا على مدّعي الإمامة هذا من ولد الحسين من هو؟ ومتى ولد؟وأين ولد؟وأين عاش؟ وأين مات؟ وأين دفن؟ ومتى كان دعواه؟ لم يكن ممن عاصر الإمام الباقر من ولد جده الحسين غير أخيه عبدالله بن علي بن الحسين، وكان فقيهاً فاضلاً مخبتاً إلى إمامة أخيه الباقر فالقضية بهذا الاسم سالبة بانتفاء الموضوع، وفيها ما ينافي اصول الشيعة وقد خفي على الواضع.

(٢) هذا الكتاب فيه من البهرجة والباطل شيء هائل يحتاج جداً إلى نظارة التنقيب.

أكتب عن مؤلِّف حائر بائر ساح بلاد الشيعة، وجاس خلال ديارهم، وحضر في حواضرهم وعاش بينهم (كما يقول في مقدِّمة كتابه) ستّ عشرة سنةً، ولم ير منهم في طيلة هذه المدَّة أثراً ممّا تقوَّل عليهم، ولم يسمع منه ركزاً، ولم يقرأه في تآليف أيِّ شيعيٍّ ولو لم يكن فيهم وسيطاً[1]. ولم يجد في طامور قصّاص، فجاء يفصم عرى الاخوَّة الإسلاميَّة، ويُفرِّق صفوف أهل القرآن، بما لفَّقته يد الإفك والزور من شاكلته، ويبهت أرقى الامم بما هُمُ بعداء منه، ويعزو إليهم بما يُكذِّبه أدب الشيعة وتُحرِّمه مبادئهم الصحيحة، ويقذفهم بما وضعته يد الإحن والشحناء من أمثال هذه الأفائك الشائنة، فكأنَّ في أُذنيه وقراً لم تسمع ذكراً ممّا ألَّفه أعلام الشيعة قديماً وحديثاً في اصول عقائدهم، وكأنَّ في بصره غشاوة لم ير شيئاً من تلك التآليف التي ملأت مكتبات الدنيا. نعم: إنَّ الذين لا يُؤْمِنونَ في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى. فأتعس الله حظَّ مؤلِّف هذا شأنه، وجَدع أنفه ويُريه وبال أمره في الدنيا قبل عذاب الآخرة.

والخطب الفظيع أنَّ هذا الكيذبان [وليد عالم التمدُّن] مهما ينقل عن تأليف شيعيٍّ تجده تارةً يمين في نقله كقوله في ترجمة الكليني ص ٢٨٤: يقال إنَّ قبره فتح فوُجد في ثيابه وعلى هيئته لم يتغيَّر وإلى جابنه طفلٌ كان قد دفن معه فبني على قبره مُصلّى. ويذكر في التعليق أنَّه كذلك ص ٢٠٧ فهرست الطوسي رقم ٧٠٩. ولم يوجد في فهرست الطوسي من هذه القيلة أثرٌ.

وتارةً تراه يحرف الكلم عن مواضعها ويشوّه صورتها كما فعل فيما ذكره من زيارة مولانا أمير المؤمنين ص ٨٠ ناقلاً عن الكافي للكليني ج ٢[2] ص ٣٢١ فإنَّه أدخل فيها من عند نفسه ألفاظاً لم توجد قطُّ فيها لا فيه ولا في غيره من كتب الشيعة.

أضف إلى هذه فظيعة جهله برجال الشيعة وتاريخهم. قال في ترجمة الصحابيِّ الشيعيِّ العظيم سلمان الفارسيِّ: يزور كثيرٌ من الشيعة قبره عند عودتهم

(١) وسيط القوم: أرفعهم مقاماً وأشرفهم نسباً. ومن هنا يقال: الحكمة الوسطى.

(٢) والصحيح: ج ١.

من كـربلاء وهـوفي قـريـة اسبنـدور من المـدائن ويقـول بعضهم[١] : إنّـه دُفن في جوار إصفهان. وقال ص ٢٦٨ : والمقداد الذي تُوفّي في مصر ودفن بالمدينة. وحذيفة بن اليمان الذي قُتل مع أبيه وأخيه في غزوة أُحد ودُفن في المدينة. وقال ص ٢٦٨ : إنَّ الكليني مات في بغداد ودفن بالكوفة[٢]، وأكثر النقل عن تبصرة العوام للسيِّد المرتضى الرازي، أحد أعلام القرن السابع ونسبه في ذلك كلّه إلى السيِّد الشريف علم الهدى المرتضى، مؤرِّخاً وفاته ٤٣٦.

ولعلّنا نبسط القول حول ما في طيِّه من أباطيـل ومخاريق بتـأليف مفرد ونبرهن فساد ما هنالك في ص ٢٠، ٢١، ٢٤، ٣٤، ٣٦، ٤٣، ٤٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ٨٣، ٩١، ٩٢، ١٠٠، ١٠١، ١١٠، ١١١، ١١٤، ١١٥، ١٢٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٥١، ١٥٨، ١٦١، ١٧٠، ١٧٤، ١٨٥، ١٩٢، ٢٠٨، ٢١١، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٢٠، ٣٢٩، وغيرها.

ولا يفوت المترجم عرفاننا بأنَّ يده الأمينة على ودائع العلم لعبت بهذا الكتاب وأنّه زاد شوهاً في شوهه، وبذل كلّه في تحريفه، وأخنى عليه ورمَّجه، وقلّب له ظهر المجن، وأدخل فيه ما حبَّذته نفسيَّته الضئيلة، فتعساً لمترجم راقه ما في الكتاب من التحامل على الشيعة والوقيعة فيهم، فجاء يحمل أثقال أوزار الغرب وينشرها في الملأ ولم يهمّه التحفظ على نامـوس الإسلام، وعصمـة الشرق، وكيان العرب ودينه.

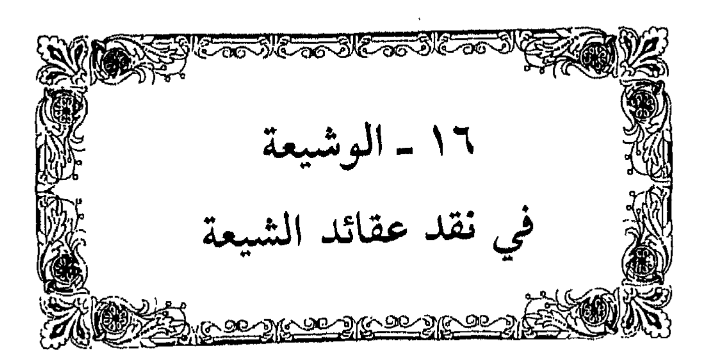
﴿وَلَيحملنَّ أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم، وَلَيُسئلنَّ يوم القيٰـمة عمّا كانوا يَفترون﴾

سورة العنكبوت: آية ١٣

---

(١) ليته دلنا على ذلك البعض.

(٢) خفي عليه أنه (باب الكوفة) وهو من محلات بغداد.



١٦ - الوشيعة في نقد عقائد الشيعة

تأليف موسى جارالله

كنت أودُّ أن لا أُحدث لهذا الكتاب ذكراً، وأن لا يسمع أحد منه ركزاً، فإنَّه في الفضائح أكثر منه في عداد المؤلَّفات، لكن طبع الكتاب وانتشاره حداني إلى أن أوقف المجتمع على مقدار الرَّجل، وعلى أنموذج ممّا سوَّد به صحائفه، وكلُّ صحيفةٍ منه عارٌ على الامَّة وعلى قومه أشدُّ شناراً.

لست أدري ما أكتب عن كتاب رجل نبذ كتاب الله وسنَّة نبيِّه وراءه ظهريّاً، فجاء يحكم وينقد، ويتحكّم ويُفنِّد، وينبر وينبز، ويعبث بكتاب الله ويفسِّره برأيه الضئيل؛ وعقليته السقيمة كيف شاء وأراد، فكأنّ القرآن قد نزل اليوم ولم يسبقه إلى معرفته أحدٌ، ولم يأت في آيه قولٌ، ولم يُدوَّن في تفسيره كتاب، ولم يرد في بيانه حديثٌ، وكأنَّ الرجل قد أتى بشرعٍ جديد، ورأيٍ حديث، ودين مخترعٍ، ومذهبٍ مبتدعٍ، لا يُساعده أيُّ مبدأ من مبادىء الإسلام، ولا شيءٌ من الكتاب أو السنَّة.

ما قيمة مغفَّل وكتابه وهو يرى الامَّة شريكةً لنبيِّها في كلِّ ما كان له، وفي كلِّ فضيلة وكمال تستوجبها الرِّسالة، وشريكة لنبيِّها في أخص خصائص النبوَّة، ويرى رسالة الامَّة متَّصلة بسورة رسالة النبيِّ من غير فصل، ويستدلُّ على رسالة الامَّة بقوله تعالى ﴿لَقَدْ جاءَكم رسولٌ من أنفسكم﴾.[1] وبقوله: ﴿محمَّدٌ رسول الله والذين معه أشدّاءُ على الكفّار رُحماءُ بينهم﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨.

(٢) سورة الفتح آية ٢٩.

والكلام معه في هذه الأساطير كلّها يستدعي فراغاً أوسع من هذا، ولعلّه يُتاح لنا في المستقبل الكشّاف إن شاء الله تعالى، وقد أغرق نـزعاً في تفنيـد أباطيله العلاّمة المبرور الشيخ مهدي الحجّار النجفي نزيل المعقل[1].

ولو لم يكن للرَّجل في طيِّ كتابه إلا أساطيره الراجعة إلى الامّـة لكفاه جهلاً وسوءة وإليك نماذج منها قال:

١ ـ الامّة معصومةٌ عصمة نبيِّهـا. معصومـةٌ في تحمّلها وحفـظها. وفي تبليغها وأدائها. حفظت كلَّ ما بلّغه النبيُّ مثل حفظ النبيِّ. وبلّغت كلَّ ما بلّغه النبيُّ مثل تبليغ النبيِّ. حفظت كلّيات الدين وجزئيّـات الدين أصـلاً وفرعـاً. وبلّغت كلّيات الدين وجزئيّات الدين أصلاً وفرعاً.

لم يضع من اصول الدين ومن فروع الدين شيءٌ ١] حفظه الله ٢] حفظه نبيّه محمّد، ٣] حفظته الامّة: كافّة عن كافّة، عصراً بعد عصر، ولا يمكن أن يوجد شيءٌ من الدين غفل عنه أو نسيته الأُمّة.

فالأُمّة بالقرآن والسنّة أعلم من جميع الأئمّة، وأقرب من اهتداء الأئمّة، وعلم الامّة بالقرآن وسنن النبيِّ اليوم أكثر وأكمل من علم عليٍّ ومن علوم كلِّ أولاد عليٍّ.

ومن عظيم فضل الله على نبيِّه، ثمَّ من عموم وعميم فضل الله على الامّة أن جعل في الامّة من أبناء الامّة كثيراً هم أعلم بكثير من الأئمّة ومن صحابة النبيِّ صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم. «لز».

وكلُّ حادثة إذا وقعت فالأُمّة لا تخلو من حكم حقٍّ وصواب وجواب يُريه الله الواحد من الامّة الّتي ورثت نبيَّها وصارت رشيدةً ببركة الرِّسالة وختمها أرشد إلى الهداية وإلى الحق من كلِّ إمام، والامّة مثل نبيِّها معصومةٌ ببركة الرِّسالة، وكتابها ومعصومةٌ بعقلها العاصم.

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته.

الامَّة بلغت وصارت رشيدةً لا تحتاج إلى الإمام، رشدها وعقلها يُغنيها عن كلِّ إمام. «لح» .

أنا لا أنكر على الشيعة عقيدتها أنّ الأئمّة معصومةٌ، وإنَّما أنكر عليها عقيدتها أنَّ أُمَّة محمَّد لم تزال قاصرةً تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة ، والأُمَّة أقرب إلى العصمة والإهتداء من كلِّ إمام معصوم ، لأنَّ عصمة الإمام دعوى ، أمّا عصمة الأُمَّة فبداهة وضرورة بشهادة القرآن . «لط» .

ليس يُمكن في العالم نازلة حادثة ليس لها جوابٌ عند الامَّة: وعقلنا لا يتصوَّر احتياج الامَّة إلى إمام معصومٍ ، وقد بلغت رشدها، ولها عقلها العاصم، وعندها كتابها المعصوم، وقد حازت بالعصوبة كلَّ مواريث نبيِّها، وفازت بكلِّ ما كان للنبيِّ بالنبوَّة.

الامَّة بعقلها وكمالها ورشدها بعد ختم النبوَّة أكرم وأعزّ وأرفع من أن تكون تحت وصاية وصيٍّ تبقى قاصرةً إلى الأبد. ما.

ج ـ هذه سلسلة أوهام، وحلقة خرافات تبعد عن ساحة أيِّ متعلّمٍ متفقّه فضلاً عمَّن يرى نفسه فقيهاً، فكأنَّ الرجل يتكلّم في الطيف في عالم الأضغاث والأحلام.

ألا مَن يُسائله عن أنَّ الأُمَّة إذا كانت معصومةً حافظةً لكلّيات الدين وجزئيّاته أصلاً وفرعاً، ومبلّغةً جميع ذلك عن كافَّة وعصراً بعد عصر، ولم يوجد هناك شيءٌ منسيٌّ أو مغفولٌ عنه، فما معنى أعلميَّتها من جميع الأئمَّة؟ وأقربيّة اهتدائها من اهتدائهم؟ أيراهم خارجين عن الامَّة غير حافظين ولا مهتدين، في جانب عن الدين الذي حفظته الامَّة، لا تشملهم عصمتها ولا حفظها ولا اهتداؤها ولا تبليغها؟ .

وعلى ما يهم الرَّجل يجب أن لا يوجد في الامَّة جاهلٌ، ولا يقع بينها خلافٌ في أمرٍ دينيّ أو حكم شرعيّ، وهؤلاء جهلاء الامَّة الذين سدّوا كلَّ فراغ بين المشرق والمغرب، وتشهد عليهم أعمالهم وأقوالهم بأنَّهم جاهلون ـ وفي

مقدَّمهم هو نفسه ـ وما شجر بين الأُمَّة من الخلاف منذ عهد الصحابة وإلى يومنا الحاضر ممّا لا يكاد يخفى على عاقل، وهل يُتصوَّر الخلاف إلّا بجهل أحد الفريقين بالحقيقة الناصعة؟ لأنَّها وحدانيَّةٌ لا تقبل التجزئة ، أيرى من الدين الذي حفظته الامَّة وبلّغته جهل عليٍّ وأولاده من بينهم بالقرآن والسنن؟ أم يراهم أنَّهم ليسوا من الامَّة؟ فيقول: إنَّ علم الامَّة بالقرآن وسنن النبيِّ اليوم أكثر وأكمل من علم عليّ ومن علوم كلِّ أولاد عليّ. ومتى أحاط هو بعلم عليّ وأولاده عليهم السَّلام وبعلم الامّة جمعاء؟ حتى يسعه هذا التحكّم البات والفتوى المجرَّدة.

والعجب أنَّه يرى أنَّ الامَّة إذا وقعت حادثةٌ يُري الله لواحد منها الحكم وصواب الجواب، وأنها ورثت نبيَّها، ورشدت ببركة الرِّسالة وبها وبكتابها ما تلت نبيّها في العصمة، وأنها معصومة بعقلها العاصم، فما بال الأئمَّة [عليٍّ وأولاد عليّ] لا يكون من اولئك الآحاد الذين يُريهم الله الحق والصواب؟! وما بالهم قصروا عن الوراثة المزعومة؟! وليس لهم شركة في علم الامَّة؟ ولم تشملهم بركة الرِّسالة وكتابها؟ ولا يُماثلون النبيَّ في العصمة؟ ولا يوجد عندهم عقلٌ عاصم؟ وأعجب من هذه كلّها هتافُ الله بعصمتهم في كتابه العزيز، ألا يعلم مَنْ خلق وهو اللطيف الخبير؟ أم على قلوب أقفالها؟.

ولعلّي يسعني أن أقول بأنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم كان أبصر وأعرف بأُمَّته من صاحب هذه الفتاوى المجرَّدة، وأعلم بمقادير علومهم وبصائرهم، فهو بعد ذلك كلّه خلّف لهداية امَّته من بعده الثقلين: كتاب الله وعترته [ويريد الأئمَّة منهم] وقال: ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي وإنَّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فحصر الهداية بالتمسّك بهما واقتصاص آثارهما إلى غاية الأمد، يُفيدنا أنَّ عندهما من العلوم والمعارف ما تقصر عنها الامَّة، وانَّه ليس في حيِّز الإمكان أن تبلغ الامَّة وهي غير معصومة من الخطأ ولم تكشف لها حجب الغيب مبلغاً يستغنى به عمَّن يرشدها في مواقف الحيرة. .

فأئمَّة العترة أعدال الكتاب في العلم والهداية بهذا النصِّ الأغرّ، وهم

مفسِّروه والواقفون على مغازيه ورموزه، ولو كانت الامَّة أو أنَّ فيها مَن يُضاهيهم في العلم والبصيرة فضلاً عن أن يكون أعلم بكثير منهم لكان هذا النصُّ الصريح مجازفة في القول.

لا سيّما وأنَّ الهتاف به كان له مشاهد ومواقف منها مشهد «يوم الغدير» وقد ألقاه صاحب الرِّسالة على مائة ألف أو يزيدون، وهو أكبر مجتمع للمسلمين على العهد النبويِّ، هنالك نعى نفسه وهو يرى امَّته [وحقّاً ما يرى] قاصرةً (ولم تزل قاصرةً) عن درك مغازي الشريعة فيجبره ذلك بتعيين الخليفة من بعده.

وهذا الحديث من الثابت المتواتر الذي لا يعترض صدوره أيّ ريب، وللعلّامة السمهودي كلامٌ حول هذا الحديث أسلفناه ص ١٠٩ وكان يرى صلّى الله عليه وآله وسلم مسيس حاجة امَّته إلى الخليفة من يوم بدء دعوته يوم أمر بإنذار عشيرته كما مرَّ حديثه ج ٢ ص ٣٢٣ وممّا يُماثل هذا النصّ حديث سفينة نوح حيث شبّه فيه نفسه وأهل بيته (ويريد الأئمَّة منهم) بسفينة نوح التي من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق، فحصر النجاة باتِّباعهم المستعار له ركوب السفينة، ولولا أنَّ لهم علوماً وافيةً بإرشاد الامَّة وأنَّها لا تهتدي إليها إلّا بالأخذ منهم لما استقام هذا التشبيه ولا اتَّسق ذلك الكلام.

ومثله حديث تشبيهه صلّى الله عليه وآله وسلم أهل بيته بالنجوم، فأهل بيته أعلامٌ وصوى للهداية يُهتدى بهم في ظلمات الغيِّ والخلاف، كما أنَّ النجوم يُهتدى بها في غياهب الليل البهم، ولولا أنَّهم أركان العلم والهداية لما يتمّ التمثيل.

ولو كان علم الامَّة اليوم بالقرآن والسنن أكثر وأكمل من علم عليٍّ ومن علوم كلِّ أولاد علي (كما زعمه المسكين) فكيف خفي ذلك على رسول الله فقال وكأنَّه لم يعرف امَّته: أعلم امّتي من بعدي عليُّ بن أبي طالب؟.

وكيف اتَّخذه وعاء علمه وبابه الَّذي يُؤتى منه؟

وكيف رآه باب علمه ومبيِّن امَّته بما أُرسل به من بعده؟

وكيف أخبر امَّته بأنَّه خازن علمه وعيبته؟.

وكيف خصَّه بين امَّته بالوصيَّة والوراثة لعلمه ؟ .

وكيف صحَّ عن أمير المؤمنين قوله: والله إنّي لأخوه ووليّه وابن عمِّه ووارث علمه، فمن أحقُّ به منّي؟.

وكيف حكم الحافظ النيسابوري بإجماع الامَّة على أنَّ عليّاً ورث العلم من النبيِّ دون الناس؟.

وعلى هذه كلّها فلازم كون الامَّة أعلم من عليٍّ كونها أعلم من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم لأنَّه ورث علمه كلّه.

ثمَّ كيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يرى أنَّ الله جعل الحكمة في أهل بيته وفي الامَّة مَن هو أعلم منهم؟ وقد صحّ عنه صلّى الله عليه وآله وسلم قوله: أنا دار الحكمة وعليٌّ بابها.

وكيف يأمر امَّته بالاقتداء بأهل بيته من بعده ويعرِّفهم بأنَّهم خُلقوا من طينتي ورُزقوا فهمي وعلمي؟.

وكيف يراهم أئمَّة امَّته ويقول: في كلِّ خلوف من امَّتي عدولٌ من أهل بيتي ينفون من هذا الدين تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ألا إنَّ أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا بمن توفدون[1].

والامَّة إن كانت غير قاصرة لا تحتاج إلى وصاية إمام معصوم إلى يوم القيامة كما زعمه المغفَّل ولا يتصوّر عقله احتياجها إلى إمام معصوم فلماذا أخَّرت الامَّة تجهيز نبيِّها صلّى الله عليه وآله وسلم ودفنه ثلاثة أيّام؟ وهذه كتب القوم تنص على أنّ ذلك إنّما كان لاشتغالهم بالواجب الأهم ألا وهو: أمر الخلافة وتعيين الخليفة.

---

(١) راجع في هذه الأحاديث المذكورة ص ١٠٩، ١١٠، ١٢٨، ١٣٥ - ١٦١ من هذا الجزء.

قال ابن حجر في الصواعق ص ٥: إعلم أنّ الصحابة رضوان الله عليهم أجمعوا على أنَّ نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوَّة واجبٌ، بل جعلوه أهمَّ الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور.

والباحث يجد نظير هذه الكلمة في غضون الكتب كثيراً، فكيف يتصوّر عندئذ عقل الرَّجل مسيس حاجة الامَّة يوم ذاك إلى إمام غير معصوم وهي لا تحتاج إلى إمام معصوم قطُّ إلى يوم القيامة؟؟.

٢ ـ بسط القول في المتعة ومُلخَّصه: إنَّها من بقايا الأنكحة الجاهليَّة، ولم تكن حكماً شرعيّاً، ولم تكن مُباحة في شرع الإسلام، ونسخها لم يكن نسخ حكم شرعيٍّ وإنّما كان نسخ أمر جاهليٍّ، ووقع الإجماع على تحريمها، ولم ينزل فيها قرآن، ولا يوجد في غير كتب الشيعة قولٌ لأحد أنَّ: فمااستمتعتم به مِنهنَّ فآتوهُنَّ أُجورَهُنَّ نزل فيها، ولا يقول به لا جاهلٌ يدّعي ولا يعي، وكتب الشيعة ترفع القول به إلى الباقر والصّادق وأحسن الاحتمالين أنَّ السند موضوعٌ وإلّا فالباقر والصّادق جاهلٌ ٣٢ ـ ١٦٦.

ج ـ هذه سلسلة جنايات على الإسلام وكتابه وحكمه، وتكذيبٌ على ما جاء به نبيّه وأقرَّ به السلف من الصحابة والتابعين والعلماء من فرق المسلمين بأسرهم. وقد فصَّلنا القول فيها في رسالة تحت: «نواحي خمس» نأخذ منها فهرستها ألا وهو:

١ ـ المتعة في القرآن:

﴿فَما استمتعتم به مِنهنَّ فآتوهنَّ أُجورهنَّ؛ ولا جُناحَ عَليكُمْ فيما تَراضَيتم بِهِ مِنْ بَعدِ الفَريضَة، إنَّ الله كان عليماً حكيماً﴾[سورة النساء آية ٢٤] ذُكر نزولها في المتعة في أوثق مصادر التفسير منها:

١ ـ صحيح البخاري ٢ ـ صحيح مسلم ٣ ـ مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٦، بإسنادهم عن عمران بن حصين. وتجده في تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠،

٢٠٢. وتفسير أبي حيان ج ٣ ص ٢١٨.

٤ ـ تفسير الطبري ج ٥ ص ٩ عن ابن عبّاس وأُبيٍّ بن كعب والحَكَم وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وشعبة وأبي ثابت.

٥ ـ أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٧٨ حكاه عن عدَّة.

٦ ـ سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٥ رواه عن ابن عبّاس.

٧ ـ تفسير البغوي ج ١ ص ٤٢٣ عن جمع، وحكى عن عامَّة أهل العلم أنّها منسوخةٌ.

٨ ـ تفسير الزمخشري ج ١ ص ٣٦٠.

٩ ـ أحكام القرآن للقاضي ج ١ ص ١٦٢ رواه عن جمع.

١٠ ـ تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠ قال: قال الجمهور: إنّها في المتعة.

١١ ـ تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ ذكر عن الصحيحين حديث عمران أنّها في المتعة.

١٢ ـ شرح صحيح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٨١ عن ابن مسعود.

١٣ ـ تفسير الخازن ج ١ ص ٣٥٧ عن قوم وقال: ذهب الجمهور أنّها منسوخةٌ.

١٤ ـ تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٦٩. يروم إثبات نسخها بالسنّة.

١٥ ـ تفسير أبي حيّان ج ٣ ص ٢١٨ عن جمع من الصحابة والتابعين.

١٦ ـ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٤ عن جمع من الصحابة والتابعين.

١٧ ـ تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠ رواه عن جمعٍ من الصحابة والتابعين بطريق الطبراني، وعبد الرزاق. والبيهقي، وابن جرير. وعبد بن حميد، وأبي داود، وابن الأنباري.

١٨ ـ تفسير أبي السعود ج ٣ ص ٢٥١.

قال الأميني: أليست [أيّها الباحث] هذه الكتب مراجع علم القرآن عند أهل السنّة؟ أم ليسوا هؤلاء أعلامهم وأئمّتهم في التفسير؟ فأين مقيل قول الرّجل: لم ينزل فيها قرآنٌ ولا يوجد في غير كتب الشيعة؟ وهل يسع الرَّجل أن يقول في هؤلاء الصحابة والتابعين والأئمّة بما قاله في الباقر والصّادق عليهما السّلام ويسلقهم بذلك اللسان البذيّ؟.

٢ ـ حدود المتعة في الإسلام.

أسلفنا في ص ٣٦٩ للمتعة حدوداً جاء بها الإسلام، ولم يكن قطُّ نكاحٌ في الجاهليّة معروفاً بتلك الحدود، ولم ير أحدٌ من السلف والخلف حتى اليوم أنّ المتعة من أنكحة الجاهليّة، ولا يمكن القول بذلك مع تلك الحدود، ولا قيمة لفتوى الرَّجل عندئذ، وهي مفصّلةٌ في كتب كثيرة منها:

١ ـ سنن الدارمي ج ٢ ص ١٤٠.

٢ ـ صحيح مسلم ج ١ في باب المتعة.

٣ ـ تفسير الطبري ج ٥ ص ٩ ذكر من حدودها: النكاح. الأجل. الفراق بعد انقضاء الأجل. الاستبراء. عدم الميراث.

٤ ـ أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٨ ذكر من حدودها: العقد. الأُجرة. الأجل. العدَّة. عدم الميراث.

٥ ـ سن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٠ أخرج أحاديث فيها بعض الحدود.

٦ ـ تفسير البغوي ج ١ ص ٤١٣ ذكر عدَّة من الحدود.

٧ ـ تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٢ ذكر عدَّة من الحدود.

٨ ـ تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠٠ ذكر عدَّة من الحدود.

٩ ـ شرح صحيح مسلم للنووي ج ٩ ص ١٨١، ادَّعى اتّفاق العلماء على الحدود.

١٠ - تفسير الخازن ج ١ ص ٢٥٧ ذكر الحدود الستّ.

١١ - تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧٤ ذكر الحدود الستّ.

١٢ - تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠ ذكر من حدودها خمسةً.

١٣ - الجامع الكبير للسيوطي ج ٨ ص ٢٩٥ ذكر من حدودها خمسةً وفي غير واحد من كتب المذاهب الأربعة في الفقه.

٣ - (أوّل من نهى عن المتعة):

وقفنا على خمسة وعشرين حديثاً في الصحّاح والمسانيد يدرسنا بأنَّ المتعة كانت مباحةً في شرع الإسلام، وكان الناس تعمل بها في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وردحاً من خلافة عمر، فنهى عنها عمر في آخر أيّامه وعرف بأنَّه أوَّل مَن نهى عنها فعلى الباحث أن يُراجع:

صحيح البخاري باب التمتّع. صحيح مسلم ج ١ ص ٣٩٥، ٣٩٦. مسند أحمد ج ٤ ص ٤٣٦. ج ٣ ص ٣٥٦. الموطَّأ لمالك ج ٢ ص ٣٠. سنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٦. تفسير الطبري ج ٥ ص ٩. أحكام القرآن للجصّاص ج ٢ ص ١٧٨. النهاية لابن الأثير ج ٢ ص ٢٤٩. الغريبين للهروي. الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣٣١. تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠. تاريخ إبن خلكان ج ١ ص ٣٥٩. المحاضرات للراغب ج ٢ ص ٩٤. تفسير الرازي ج ٣ ص ٢٠١، ٢٠٢ فتح الباري لابن حجر ج ٩ ص ١٤١. تفسير السيوطي ج ٢ ص ١٤٠. الجامع الكبير للسيوطي ج ٨ ص ٢٩٣. تاريخ الخلفاء له ص ٩٣. شرح التجريد للقوشجي في مبحث الإمامة.

٤ - (الصحابة والتابعون):

ذهب جمعٌ من الصحابة والتابعين إلى إباحة المتعة وعدم نسخها مع وقوفهم على نهي عمر عنها، ولهم لرأيهم شأنٌ في الامَّة، وفيهم مَن يجب عليها اتباعه.

١ ـ أمير المؤمنين عليّ عليه السَّلام
٢ ـ ابن عبّاس حبر الامَّة
٣ ـ عمران بن الحصين الخزاعي
٤ ـ جابر بن عبدالله الأنصاري
٥ ـ عبدالله بن مسعود الهذلي
٦ ـ عبدالله بن عمر العدوي
٧ ـ معاوية بن أبي سفيان
٨ ـ أبو سعيد الخدري الأنصاري
٩ ـ سلمة بن اميَّة الجمحي
١٠ ـ معبد بن اميَّة الجمحي
١١ ـ الزبير بن العوام القرشي
١٢ ـ الحكم
١٣ ـ خالد بن المهاجر المخزومي
١٤ ـ عمرو بن حُريث القرشي
١٥ ـ أُبيّ بن كعب الأنصاري
١٦ ـ ربيعة بن اميَّة الثقفي
١٧ ـ سعيد بن جبير
١٨ ـ طاووس اليماني
١٩ ـ عطاء أبو محمّد اليمانيّ
٢٠ ـ السديّ

قال ابن حزم بعد عدٍّ جمع من الصحابة القائلين بالمتعة: ومن التابعين طاوس وسعيد بن جبير وعطاء وسائر فقهاء مكّة.

قال أبو عمر: أصحاب ابن عباس من أهل مكّة واليمن كلّهم يرون المتعة حلالاً، قال القرطبي في تفسيره ج ٥ ص ١٣٢: أهل مكّة كانوا يستمتعونها كثيراً.

قال الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٢٠٠ في آية المتعة: اختلفوا في أنَّها هل نسخت أم لا؟ فذهب السواد الأعظم من الامَّة إلى أنَّها صارت منسوخة، وقال السواد منهم: إنَّها بقيت مُباحة كما كانت. قال أبو حيّان بعد نقل حديث إباحة المتعة: وعلى هذا جماعةٌ من أهل البيت والتابعين.

قال الأميني: فأين دعوى إجماع الامَّة على حرمة المتعة ونسخ آيتها؟ وأين عزو القول بإباحتها إلى الباقر والصّادق عليهما السَّلام فحسب؟ وهناك ناحيةٌ خامسةٌ فيها بيان أقوال أهل السنَّة في المتعة ونسخها وهي ٢٢ قولاً يُعرب هذا التضارب في الآراء عن فوائد جمَّة نُحيل الوقوف عليها إلى دراية الباحث[١].

ونحن لا يسعنا بسط المقال في طامّات هذا الكتاب إذ كلُّ صحيفة منه

(١) ولنا القول الفصل في البحث عن المتعة في الجزء السادس من كتابنا هذا.

أهلك من ترّهات البسابس، تُعرِب عن أنَّ مؤلِّفه بعيدٌ عن أدب الإسلام، بعيدٌ عن فقه القرآن والحديث، قصيرُ الباع عن كلِّ علم، قصيرُ الخُطا عن كلِّ ملكة فاضلة، بذيُّ اللسان لسّابة، وهو يعدُّ نفسه مع ذلك في كتابه من فقهاء الإسلام، فإن كان الإسلام هذا فقهه وهذا فقيهه، وهذا علمه وهذا عالمه، وهذا كتابه وهذا كاتبه، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

[هذه غاية البحث عن الكتب المزوَّرة].



الآن حصحص الحق

الآن حقٌّ علينا أن نُميط الستر عن خبيئة أسرارنا، ونُعرب عن غايتنا المتوخّاة من هذا البحث الضافي حول الكتب، الآن آن لنا أن ننوِّه بأنَّ ضالَّتنا المنشودة هي إيقاظ شعور الامَّة الإسلاميَّة إلى جانب مهمّ فيه الصالح العام والوئام والسَّلام والوحدة الاجتماعيَّة، وحفظ ثغور الإسلام عن تهجّم سيل الفساد الجارف.

يا قوم! إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكَّلتُ. أُنشدكم بالله أيّها المسلمون هل دعايةٌ أقوى من هذه الكتب إلى تفريق صفوف المسلمين؟ وتمزيق شملهم؟ وفساد نظام المجتمع؟ وذهاب ريح الوحدة العربيَّة؟ وفصم عرى الأُخوّة الإسلاميَّة؟ وإثارة الأحقاد الخامدة؟ وحشِّ نيران الضغائن في نفوس الشعب الإسلاميِّ؟ ونفخ جمرة البغضاء والعداء المحتدم بين فرق المسلمين؟.

يا قوم! اتّبعوني أهدكم سبيل الرَّشاد. هذه الكتب يُضادُّ صراخها نداء القرآن البليغ. هذه النعرات المشمرجة[1] تُشيع الفحشاء والمنكر في الملأ الدينيِّ. هذه الكلم الطائشة معاول هدّامة لأسِّ مكارم الأخلاق التي بُعث لتتميمها نبيُّ الإسلام صلّى الله عليه وآله وسلّم، هذه الألسنة السَّلاقة اللسّابة

(١) الشمراج: المخلط من الكلام بالكذب. والشمرج: الباطل.

البذّاءة مدرِّسات الامّة بفاحش القول، وسوء الأدب، وقبح العشرة، وضدِّ المداراة، وبالشراسة والقحَّة والشياص. هذه التعاليم الفاسدة فيها دَحْسٌ لنظام المجتمع، ودَحلٌ بين الفرق الإسلاميَّة، وهتكٌ لناموس الشرع المقدَّس وعبثٌ بسياسة البلاد، وصدعٌ لتوحيد العباد، هذه الأقلام المسمومة تمنع الأمَّة عن سعادتها ورُقيِّها، وتولد العراقيل في مسيرها ومسربها، وتمحو ما خطَّته يدُ الإصلاح في صحائف القلوب، وتحيي في النفوس ما عقمته داعية الدين.

﴿**يا أيّها النّاس قدْ جاءتكم موعظةٌ مِنْ رَبِّكم وشفاءٌ لِما فِي الصّدور**﴾[1].

إنَّ الآراء الدينيَّة الإسلاميَّة اجتماعيَّةٌ يشترك فيها كلُّ معتنق بالإسلام، إذ لا تمثِّل في الملأ إلّا باسم الدين الاجتماعيِّ، فيهمُّ كلَّ إسلاميّ يحمل بين جنبيه عاطفةً دينيَّةً أن يدافع عن شرف نحلته، وكيان ملّته، مهما وجد هناك زلَّةً في رأي، أو خطأً في فكرةٍ، ولا يسعه أن يُفرِّق بين باءةٍ وأُخرى، أو يخصَّ نفسه بحكومة دون غيرها [إن هي إلّا أسماءٌ سمَّيتموها أنتم وآباؤكم] بل الأرض كلّها بيئة المسلم الصّادق والإسلام حكومته، وهو يعيش تحت راية الحق، وتوحيد الكلمة ضالّته، وصدق الإخاء شعاره أينما كان وحيثما كان.

هذا شأن الأفراد وكيف بالحكومات العزيزة الإسلاميّة، التي هي شعبُ تلك الحكومة العالميَّة الكبرى، ومفرداتُ ذلك الجمع الصحيح، ومقطّعات حروف تلك الكلمة الواحدة، كلمة الصدق والعدل، كلمة الإخلاص والتوحيد، كلمة العزِّ والشرف، كلمة الرُقيِّ والتقدُّم.

فأنّى يسوغ لحكومة مصر العزيزة أن تُرخِّص لنشر هذه الكتب في بلادنا وتُشوِّه سمعتها في أرجاء الدنيا؟ وهي ثغر الإسلام المستحكم من أوَّل يومه، وهي مدرسة الشرق المؤسَّسة تحت راية الحقِّ بيد رجال العلم والدين.

أليس عاراً على مصر بعد ما مضت عليها قرونٌ متطاولةٌ بحسن السمعة أن تعرّف في العالم بأُناسٍ دجّالين، وكتّاب مستأجرين، وأقلامٍ مسمومةٍ، وأن

---

(١) سورة يونس : الآية : ٥٧ .

يُقال: إنَّ فقيهها موسى جار الله، وعالمها القصيميُّ، ومصلحها أحمد أمين، وعضو مؤتمرها محمّد رشيد رضا، ودكتورها طه حسين، ومؤرِّخها الخضري، واستاذ علوم اجتماعها محمّد ثابت، وشاعرها عبد الظاهر أبو السَّمح.

أليس عاراً على مصر أن يتملّج ويتلمَّظ بشرفها الدُّخلاء من ابن نجدٍ ودمشق فيؤلِّف أحدهم كتاباً في الرَّدِّ على الإماميَّة ويسميه [الصراع بين الإسلام والوثنيَّة] ويأتي آخر يُقرِّظه بشعره لا بشعوره ويُعرِّف الشيعة الإماميَّة بقوله:

ويحمل قلبهم بغضاً شنيعاً ... لخير الخلق ليس له دفاعُ

يقولون: الأمين حبا بوحي ... وخان. ومالهم عن ذا ارتداعُ

فهل في الأرض كفرٌ بعد هذا؟ ... ولمن يهوى متاعُ

فما للقوم دينٌ أو حياءٌ ... بحسبهم من الخزي [الصراعُ]

ألم يأنِ للَّذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ أيحسب امرؤ مصريّ أنَّ إشاعة هذه الكتب، وبثَّ هذه المخاريق والنسب المفتعلة، ونشر هذه التآليف التافهة حياةٌ للأُمَّة المصريَّة، وإيقاظٌ لشعور شعبها المثقَّف، وإبقاءٌ لكيان تلك الحكومة العربيَّة العزيزة، وتقدُّمٌ ورقيٌّ في حركاتها العلميَّة. الأدبيَّة. الأخلاقيَّة. الدينيَّة، الاجتماعيَّة؟.

أسفاً على أقلام مصر النزيهة، وأعلامها المحنّكين، ومؤلِّفيها المصلحين، وكُتّابها الصادقين، وعباقرتها البارعين، وأساتذتها المثقّفين، ورجالها الأمناء على ودائع العلم والدين.

أسفاً على مصر وعلمها المتدفِّق، وأدبها الجمِّ، وروحها الصحيحة، ورأيها الناضج، وعقلها السليم، وحياتها الدينيّة، وإسلامها القديم، وولائها الخالص، وتعاليمها القيّمة، ودروسها العالية، وخلائقها الكريمة، وملكاتها الفاضلة.

أسفاً على مصر وعلى تلكم الفضائل وهي راحت ضحيَّة تلك الكتب المزخرفة، ضحيَّة تلك الأقلام المستأجرة، ضحيَّة تلك النزعات الفاسدة،

ضحيَّة تلك الصحائف السوداء، ضحيَّة تلك النعرات الحمقاء، ضحيَّـة تلك المطابع المأسوف عليها، ضحيَّة أفكار أولئك المحدَثين المتسرِّعين الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، ﴿**وإذا قيل لهم لا تُفسدوا في الأرض قالوا إنَّما نحن مُصلحون، ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾. سورة البقرة: آية ١١ - ١٢.

أليست هذه الكتب بين يدي أعلام مصر ومشايخها المثقَّفين؟ أم لم يوجد هناك مَن يحمل عاطفةً دينيّة وشعوراً حيّاً، وفكرةً صالحة يُـدافع عن نـاموس مصره المحبوبة قبل ناموس الشرق كلّها؟.

والعجب كلُّ العجب أنَّ علاّمة مصر[1] يُري للمجتمع أنَّه الناقد البصير فيقرِّظ كتاباً[2] قيماً لعربيّ صميم عراقيٍّ يُعدُّ من أعلام العصر ومن عظماء العالم ويُناقش دون ما في طيِّه من الأغلاط المطبعيّة ممّا لا يترتَّب به على الامَّة ولا على فردٍ منها أي ضرر وخسارة بمثل قوله: كلّما. صوابه: كلّ ما. شرع. صوابه: شرح. شيخنا. صوابه: شيخا.

مـرحباً بهـذا الحـرص والاستكنـاه في الإصـلاح والتغـاضي عن تلكم الكوارث، مرحباً بكلاءة ناموس لغة العرب والصفح عن دينه وصـالح ملّتـه، مرحباً بهذه العاطفة المصلحة لتآليف مشايخ الشيعة، والتحامل عليهم بـذلك السباب المقذع، مرحباً مرحباً مرحباً.

لمَ لم يرق أمثال هذا النابه النيقد أن يأخذ بميزان القسط، ويُلفت مؤلِّف مصره وناموس النصفة، وشـرعة الحقّ، وواجب الخـدمة للمجتمـع، ويُلفت مؤلِّف مصره العزيزة إلى تلكم الهفوات المخزية في تلكم التـآليف التي هي سلسلة بلاء، وحلقات شقاء تنتهي إلى هلاك الامَّة ودمارها، وتجرُّ عليها كلّ سوءة، وتُسفّها إلى حضيض التَّعاسة؟.

---

(١) الاستاذ أحمد زكي.

(٢) أصل الشيعة واصولها. لشيخنا العلاّمة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء.

وإن تعجب فعجبٌ نشر هذه الكتب في العراق وهي تمسُّ بكرامة ناموسها بعد ناموس الإسلام المقدَّس ورجالها بعدُ أحياء، وشعبها بعدُ نابغ، وشعورها بعدُ حيٌّ، ودينها بعدُ مستقرّ، وغيرة العرب بعدُ هي هي، وشهامة الشبيبة بعدُ لم تهرم، وجلادة الشيوخ بعدُ لم تضعف، وأزمَّة حكومتها بعدُ بيد آل هاشم.

يعزُّ على امِّ العراق أن تسمع أُذنها واعية أنَّ في فنادق النجف وسيطٌ يعرض جمعاً من فتياتها إلى الوافد لينتقي منهنَّ وفتاتها تتزوّج مرّات في الليلة الواحدة[1].

كيف تسمع أُذن العراق نداء أنَّ النجفيِّين هم الدَّجالون والضّالّون المضلّون قد تزيّوا بزيِّ المسلمين وشاركوهم في كثير من الشعائر؟ ـ إلى آخر ما لا يصلح ذكره ـ وقبل هذه كلّها تلك الصرخة التي تمسُّ بكرامة رجالات البيت الهاشمي[2].

أيحسب عراقيٌّ حاسّ أنَّ في طيِّ هذه الكتب صلاحاً لمجتمع العراق؟ أو حياةً لروح أبنائها؟ أو درس أخلاق لأمَّتها؟ أو رقيّاً وتقدُّماً لشعبها؟ أو ثقافةً لرجالها؟ أو علماً لطلابها؟ أو أدباً لكتّابها؟ أو ديناً لمسلميها؟ أو مادَّة لمثريها؟ أو لها دخلٌ في سياسة حكومتها الإسلاميَّة المحبوبة؟.

فواجب المسلم الصّادق في دعواه الحافظ على شرفه وعزِّ نحلته، رفض أمثال هذه الكتب المبهرجة، ولفظها بلسان الحقيقة، والكفُّ عن اقتنائها وقراءتها، والتجنّب عن الاعتقاد والتصديق بما فيها، والبعد عن الأخذ والبخوع بما بين دفوفها، والإخبات إلى ما فيها قبل أن يعرضها إلى نظّارة التنقيب، وصيارفة النقد والإصلاح، أو النظر إليها بعين التنقيب وإردافها بالردِّ والمناقشة فيها إن كان من أهلها. ﴿**وإن فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً وأشدّ تثبيتاً**﴾. سورة النساء: آية ٦٦.

---

(١) راجع الجولة في ربوع الشرق الأدنى ص ١١٢.

(٢) راجع السنّة والشيعة ص ٤٨.

وواجب رجال الدعاية والنشر في الحكومات الإسلاميَّة عرض كلّ تأليفٍ مذهبيٍّ حول أيِّ فرقة من فرق الإسلام إلى اصولها ومبادئها الصحيحة المؤلّفة بيد رجالها ومشايخها، والمنع عمّا يُضادُّها ويُخالفها، إذ هم عيون الامَّة على ودائع العلم والدين، وحفظة ناموس الإسلام، وحرسة عُرى العروبة، إن عقلوا صالحهم، وعليهم قطع جذوم الفساد قبل أن يُؤجِّج المفسد نار الشحناء في الملأ ثمَّ يعتذر بعدم الاطِّلاع وقلّة المصادر عنده كما فعل أحمد أمين [بعد نشر كتابه فجر الإسلام] في ملأ من قومه، والإنسان على نفسه بصيرةٌ ولو ألقى معاذيره، ولا عذر لأيِّ أحد في القعود عن واجبه الدينيِّ الاجتماعيِّ. ﴿**وَلتكن مِنكم امَّةٌ يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هُمُ المفلحون**﴾. سورة آل عمران: آية ١٠٤.

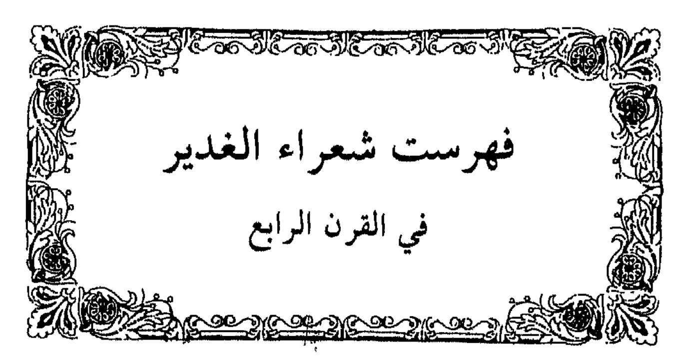
ونحن نُرحِّب بكتاب كلِّ مذهب وتأليف كلِّ ملّة أُلِّف بيد الصِّدق والأمانة، بيد الثقة والرزانة، بيد التحقيق والتنقيب، بيد العدل والإنصاف، بيد الحبِّ والإخاء بيد أدب العلم والدين.

﴿لِيَهلكَ مَنْ هلك عن بيِّنةٍ ويحيى مَنْ حَيَّ عَنْ بيِّنةٍ﴾(١)
﴿ذلكَ يوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤمنُ باللّه وَالْيوم الآخِر ذلِكمْ أزكى لكم وأطهر﴾(٢)

---

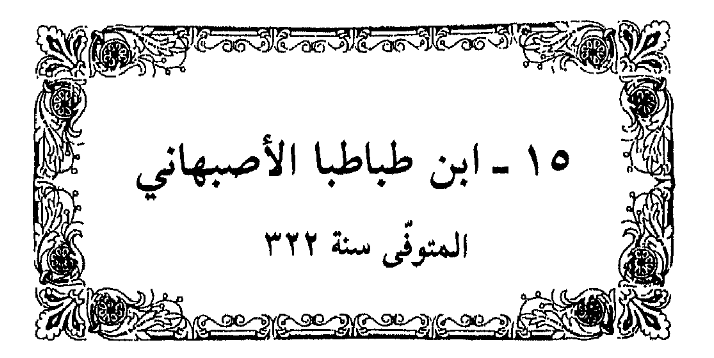
(١) سورة الأنفال؛ الآية: ٤٢.

(٢) سورة البقرة؛ الآية: ٢٣٢.



١	أبو الحسن ابن طباطبا الاصبهاني	المتوفى ٣٢٢
٢	أبو جعفر أحمد بن علوية الأصبهاني	المتوفى ٣٢٠
٣	أبو عبدالله محمَّد المفجع البصري	المتوفّى نيف و٣٢٧
٤	أبو القاسم أحمد بن محمَّد الصنوبري	المتوفّى ٣٣٤
٥	أبو القاسم علي بن محمَّد التنوخي	المتوفى ٣٤٢
٦	أبو القاسم علي بن إسحاق الزاهي	المتوفّى ٣٥٢
٧	أبو فراس أمير الشعراء الحمداني	المتوفّى ٣٥٧
٨	أبو الفتح محمود بن محمَّد كشاجم	المتوفّى ٣٦٠ - ٥٠
٩	أبو عبدالله الحسين البشنوي	المتوفّى بعد ٣٨٠
١٠	أبو القاسم الوزير الصاحب بن عباد	المتوفّى ٣٨٥
١١	أبو عبدالله بن الحجاج البغدادي	المتوفّى ٣٩١
١٢	أبو العباس الوزير أحمد الضبي	المتوفّى ٣٩٨
١٣	أبو حامد أحمد بن محمَّد الأنطاكي	المتوفى ٣٩٩
١٤	أبو النجيب شداد الظاهر الجزري	المتوفى ٤٠١
١٥	أبو محمَّد طلحة الغسَّاني العوني	
١٦	أبو العلاء محمَّد بن إبراهيم السروي	
١٧	أبو الحسن علي الجوهري الجرجاني	
١٨	أبو الحسن علي بن حماد العبدي	
١٩	أبو الفرج بن هندو الرازي	
٢٠	الناشي الصغير	





١٥ - ابن طباطبا الأصبهاني

المتوفّى سنة ٣٢٢

يا مَن يُسرُّ لي العداوة أبدهـا	وأعمد لمكروهي بجهدك أوذرِ
لله عنـدي عـادةٌ مشكـورةٌ	فيمن يعـاديني فـلا تتحيَّـرِ
أنا واثقٌ بدعاء جدي المصطفى	لأبي غداة «غدير خمّ» فاحذرِ
والله أسعـدنـا بـإرث دعـائـه	فيمن يُعادي أو يُوالي فاصبرِ[1]

الشاعر

أبـو الحسن محمَّد بن أحمـد بن إبراهيم طبـاطبا ابن إسمـاعيـل بن إبـراهيم بن الحسن ابن الإمـام الحسن ابن الإمـام عليٍّ بن أبي طـالب صلوات الله عليهم ، الشهير بابن طباطبا .

عالمٌ ضليعٌ ، وشاعرٌ مفلقٌ ، وشيخٌ من شيوخ الأدب ، ذكر المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٤٦٣ : إن له كتباً ألَّفها في الأشعار والآداب ، وذكر منها أصحاب المعاجم[2] :

١ - كتاب سنام المعالي .

٢ - كتاب عيار الشعر . وفي فهرست ابن النديم ص ٢٢١ : معاير الشعر .

---

(١) خاطب بها أبا علي الرستمي كما في «ثمار القلوب» للثعالبي ص ٥١١ .

(٢) راجع ثمار القلوب ص ٥٠٧ ، فهرست ابن النديم ص ١٩٦ ، معجم الادباء ج ١٧ ص ١٤٣ . عمدة الطالب ص ١٦٢ .

وقال الحموي في «معجم الأدباء» ج ٣ ص ٥٨: ألّف الآمدي الحسن بن بشر كتاباً في إصلاح ما فيه.

٣ ـ كتاب الشعر والشعراء.

٤ ـ كتاب نقد الشعر.

٥ ـ كتاب تهذيب الطبع.

٦ ـ كتاب العروض. قال الحموي: لم يسبق إلى مثله.

٧ ـ كتاب فرائد الدرّ. كتب إلى صديق له كان قد استعاره يسترجعه منه:

يا درّ ردّ فرائد الدرِّ   وارفق بعبد في الهوى حرِّ

٨ ـ كتاب المدخل في معرفة المعمّى من الشعر.

٩ ـ كتاب في تقريض الدفاتر.

١٠ ـ كتاب ديوان شعره.

١١ ـ كتاب اختياره ديوان شعره.

ذكره الحموي في «معجم الأدباء» وقال: إنّه كان مذكوراً بالذّكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحّة الذهن وجودة المقاصد، ذكر أبو عبدالله حمزة بن الحسن الإصبهاني قال: سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدّثون عن عبدالله بن المعتزّ: إنّه كان لهجاً بذكر أبي الحسن مقدِّماً له على سائر أهله ويقول: ما أشبهه في أوصافه إلّا محمّد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك، إلّا أنّ أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي، وليس في ولد الحسن من يشبهه بل يُقاربه عليٌّ بن محمّد الأفوه[1].

قال: وحدّثني أبو عبدالله بن عامر قال: كان أبو الحسن طول أيّامه مشتاقاً إلى عبدالله بن المعتزّ متمنّياً أن يلقاه أو يرى شعره، فأمّا لقاؤه فلم يتّفق له لأنّه

(١) هو الحماني أحد شعراء الغدير مرت ترجمته في هذا الجزء ص٨٣ ـ ٩٦.

لم يُفارق إصبهان قطُّ، وأمّـا ظفره بشعره فإنّه اتّفق له في آخر أيـامه ؛ وله في ذلك قصّةٌ عجيبةٌ، وذلك أنَّه دخل إلى دار معمر وقد حملت إليه من بغداد نسخة من شعر عبدالله بن المعتز فاستعارها فسوَّف بها فتمكّن عندهم من النظر فيها وخرج وعدل إليَّ كالاًّ معيياً كأنَّه ناهضٌ بحمل ثقيل؛ فطلب محبرة وكاغذاً فأخذ على ظهر قلبه مقطَّعات ورقات من الشعر فسألته لمن هي؟ فلم يُجبني حتّى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني، وأحصيتالأبيات فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفَّظها من شعر ابن المعتزّ في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها.

يوجد في معجم الحموي شطرٌ مهمٌّ من شعره منه قصيدة في ٣٩ بيتاً ليس فيها راء ولا كاف يمدح بها أبا الحسين محمَّدبنأحمد بنيحيى بن أبي البغل أوَّلها:

يـا سيِّـداً دانت لـه السّـاداتُ وتتـابعت في فعله الحسنـاتُ
وتواصلت نعماؤه عنـدي فلي منــه هبــاتٌ خلفهنَّ هبــاتُ
نعمٌ ثنت عنّي الزّمان وخـطبه من بعدها ما هيبت له غدواتُ

ويصف قصيدته بقوله:

ميـزانها عنـد الخليـل معـدَّل متفـاعـلٌ متفــاعـلٌ فعــلاتُ

وروى الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٥١٧ له قوله:

أقول وقد أُوقظت من سنة الهوى بعذلٍ يُحاكي لذعه لذعة الهجرِ
دعوني وحلم اللهو في ليلة المنى ولا توقظوني بالملام وبالزجـرِ
فقــالــوا لي: استيقظ فشيبــك لائـحٌ فقلت لهم: طيب الكـرى ساعـة الفجر

وذكر في ص ٤٣٥ له يصف ليلة ممتعة:

ولـيلةٌ أطـربـني صـبـحـهـا فخلتني في عـرس الزنـجِ[1]

(١) يضرب به المثل لاختصاص الزنج من بين الامم بشدة الطرب وحب الملاحي والأغاني، والمثل سائر بأطرابهم.

كـأنَّما الجـوزاء جنح الـدجى   طبَّـالـة تضـرب بـالصنـجِ
قـائمـةٌ قـد حـرّرت وصفهـا   مـائلة الـرأس من الـغنـجِ

وقال في ص ٢٢٩ : دخل يوماً أبو الحسن ابن طباطبا دار أبي علي ابن رستم فرأى على بابه عثمانيَّين أسودين قد لبسا عمامتين حمراوين، فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين، فلمّا تمكّن في مجلس ابن رستم دعا بالدَّواة والقرطاس وكتب:

أرى ببـاب الـدار أسـودينِ   ذوي عمـامتين حمـراوينِ
كجمـرتين فـوق فـحمـتيـنِ   قد غادرا الـرَّفض قرير العينِ
جـدّ كما عثمـان ذو النـورينِ   فمـا لـه أنسـل ظلمتيـنِ؟!
يـا قبح شين صـادر عن زينِ   حـدائـد تـطبـع من لجينِ
مـا أنـتـمـا إلاّ غـرابـيّـيـنِ   طيـرا فقـد وقعتما للحينِ
المظهرين الحبّ للشخصينِ   ذرا ذوي السنَّة في المصرينِ
وخلّيـا الشيعـة لـلسِّبـطيـنِ   لِلحسـن الـطيِّب والـحسـينِ
ستُعـطيـان في مـدى عـامينِ   صكّـاً بخفّيـن إلى حنيـنِ[1]

فاستظرفها ابن رستم وتحفَّظها الناس. وله قوله يهجو به أبا عليّ بن رستم يرميه بالدَّعوة والبرص:

أنت أُعطيت من دلائل رسل ا   لله آيـاً بهـا علوتَ الـرؤوسـا
جئت فـرداً بـلا أب وبيُمناك   بياضٌ فأنت عيسى وموسى

وله في أبي عليٍّ بن رستم لَمّا هدم سور إصبهان ليزيد به في داره وأشار فيه إلى كون إصبهان من بناء ذي القرنين:

وقد كان ذو القرنين يبني مدينة   فأصبح ذو القرنين يهدم سورها
على أنّه لو كان في صحن داره   بقرن له سيناء زعزع طـورها

وله في ابن رستم يذكر بناءه سور إصبهان:

يـا رستميٌّ استعمـل الجـدّا   وكـدنـا فـي حـظّنـا كـدّا

---

(١) توجد في معجم الادباء ج ١٧ ص ١٥٤ بتغيير يسير.

فـإنّـك المـأمـول والمـرتجى تهـوِّن الخـطـب إذا اشتـدّا
أحكمت من ذا السـور مـا لم تجـد والـلّه مـن أحـكـامـه بُـدّا
فخلفـه نـسـلٌ كثيـرٌ لمـن أصفت لأرزبـونهـا الـودّا[١]
وهم كيـأجـوج ومـأجـوج إن عـدَّدتهم لم تحصهـم عـدّا
وأنت ذو القـرنين في عصـره جـعلتـه مـا بينـهـم سـدّا

وقال يهجو أبا علي الرستمي :

كفـرا بعلمـك يـا بن رستم طـه وبما حفظت سوى الكتاب المنـزلِ
لـو كنت يـونس في دوائـر نحـوه أو كنت قطرب في الغريب المشكـلِ
وحـويتَ فقـه أبي حنيفـة كلّه ثمَّ انتهيتَ لـرستم لم تنبـلِ

وله قوله :

لا تنـكُـروا إهداءنـا لك منـطقاً منـك استفدنـا حسنه ونـظامه
فالله عزَّ وجلَّ يشكر فعـل مَن يتلو عليـه وحيـه وكـلامـه

ويُعاتب أبا عمرو بن جعفر بن شريك على منعه إياه شعر ديـك الجنِّ بقوله :

يـا جواداً يمسي ويصبـح فينا واحداً في النّدى بغير شريـكِ
أنت من أسمـع الأنـام لشعـر الـ ـناس ماذا اللجـاج في شعر ديـكِ؟!
يـا حليف السَّماح لـو أنَّ ديـك الـ ـجن من نسل ديك عرش المليك[٢]
لم يكن فيه طائلٌ بعد أن يـد خله الذكر في عـداد الديـوكِ

وله قوله :

---

(١) كنى بالارزبون عن غلامه.

(١) حديث ديك العرش رواه الجاحظ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال : إن مما خلق الله لـديكـا عـرفـه تحت العـرش ، وبـراثنـه تحت الأرض السفلى ، وجنـاحـه في الهواء ، فإذا مضى ثلثا الليل وبقي ثلثه ضرب بجناحه قائلاً : سبحان الملك القدوس ، سبوح قدوس ، رب الملائكة والروح ، فعند ذلك تضرب الديكة وتصيح .

بأبي الّذي نفسي عليه حبيسُ — مالي سواه من الأنام أنيسُ
ولا تنكروا أبداً مقاربتي له — قلبي حديدٌ وهو مغناطيسُ

وله:

يا طيب ليل خلوت فيه بمن — أقصر عن وصف كنه وجدي به
ليلٌ كبرد الشباب حالكه — نعمت في ظلّه وفي طيبه

وله:

أتاني قريضٌ كنظم جمانٍ — وروض الجنان وأمن الفؤاد
وعهد الصبا ونسيم الصبا — وبرد الفؤاد وطيب الرّقاد

وذكر المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٤٦٣ له يصف به القلم:

وله حسامٌ باترٌ في كفِّه — يمضي بنقض الأمر أو توكيدهِ
ومترجمٌ عمّا يجنُّ ضميره — يجري بحكمته لدى تسويدهِ
قلمٌ يدور بكفِّه فكأنّه — فلكٌ يدور بنحسه وسعودهِ

وروى له في «المعجم» أيضاً.

لا وأُنسي وفرحتي بكتاب — أتى منه في عيد أضحى وفطرِ
ما دجا ليل وحشتي قطُّ إلّا — كنت لي فيه طالعاً مثل بدرِ
بحديث يُقيم للأُنس شوقاً — وابتسام يكفّ لوعة صدري

وذكر له النويري في «نهاية الإرب» ج ٣ ص ٩٧:

إنَّ في نيل المنى وشك الرَّدى — وقياس القصد عند السرفِ
كسراجٍ دهنه قوتٌ له — فإذا غرَّقته فيه طفي

وقوله:

لقد قال أبو بكر — صواباً بعدما أنصت
فرحنا لم نصد شيئاً — وما كان لنا أفلت

وذكر ابن خلكان نقلاً عن ديوانه قوله:

بانوا وأبقوا في حشاي لبينهم ... وجداً إذا ظعن الخليط أقاما
لله أيّام السرور كأنّما ... كانت لسرعة مرِّها أحلاما
لو دام عيشٌ رحمةً لأخي هوى ... لأقام لي ذاك السرور وداما
يا عيشنا المفقود خذ من عمرنا ... عاماً وردّ من الصبا أيّاما

وله قوله:

يا من حكى الماء فرط رِقته ... وقلبه في قساوة الحجرِ
يا ليت حظّي كحظٍّ ثوبك من ... جسمك يا واحد البشرِ
لا تعجبوا من بلا غلالته ... قد زرَّ أزراره على القمرِ

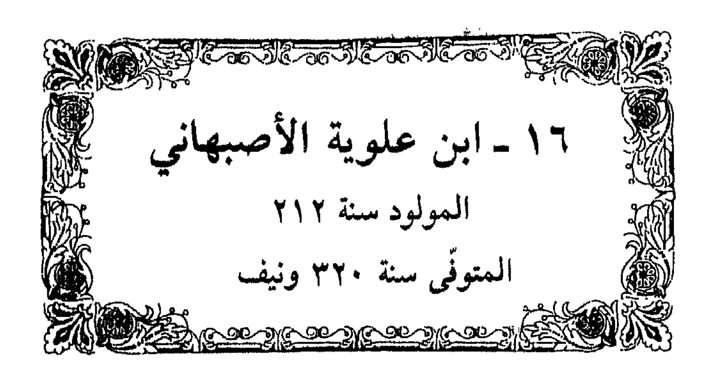
وُلد المترجم كما في «المجدي» باصبهان، وتوفّي بها سنة ٣٢٢ كما في «معاهد التنصيص» فما في «نسمة السحر» من أنّه ولد سنة ٣٢٢ نقلاً عن «المعاهد» اشتباهٌ نشأ عن فهم ما في «المعاهد» من كلامه قال: مولده بإصبهان وبها مات سنة ٣٢٢. فحسب التاريخ ظرف ولادته كما زعمه بعض المعاصرين وهو لا يُقارف الصواب لأنّ أبا علي الرستميّ الذي للمترجم فيه شعرٌ كثيرٌ من رجال عهد المقتدر بالله المقتول سنة ٣٢٠ وفي أيّامه أحدث الرستميّ ما أحدث في إصبهان في سورها وجامعها وهجاه المترجم. ولأنَّ المترجم كما مرَّ عن «معجم الادباء» كان يتمنّى لقاء عبدالله بن المعتز ويشتاق إليه وابن المعتز توفّي سنة ٢٩٦.

توجد ترجمته والثناء عليه في غاية الاختصار. نسمة السحر فيمن تشيَّع وشعر ج ٢. معاهد التنصيص ج ١ ص ١٧٩.

نقل ابن خلكان في تاريخه ج ١ ص ٤٢ في ذيل ترجمة أبي القاسم ابن طباطبا المتوفّى سنة ٣٤٥ عن ديوان المترجم الأبيات المذكورة فقال: ولا أدري مَن هذا أبو الحسن ولا وجه النسب بينه وبين أبي القاسم المذكور والله أعلم. اهـ.

واشتبه على سيِّدنا الأمين العاملي فهم كلام ابن خلكان هذا وذيله وأوقعه في خلط عظيم فعقد ترجمةً تحت عنوان (أبو الحسن الحسني المصريّ) في أعيان الشيعة في الجزء السادس ص ٣١٢ وجعله مصريّاً بلا مستند، وأخذ تاريخ وفاة أبي القاسم بن طباطبا وذكره لأبي الحسن، وختم ترجمته بقوله: ولا دليل لنا على تشيّعه غير إصالة التشيّع في العلويِّين والعجب أنَّه ذكر في الجزء التاسع ص ٣٠٥ أبا الحسن باسمه ونسبه وقال: هذا الذي قال ابن خلكان: لا أدري من هذا أبو الحسن. لا عصمة إلّا لله.

وللمترجم عقبٌ كثير باصبهان فيهم علماء ادباء أشراف نقباء، قال النسّابة العمري في «المجدي»: له ذيلٌ طويلٌ فيهم موجَّهون منهم: أبو الحسن أحمد الشاعر الإصبهاني، وأخوه أبو عبدالله الحسين ولي النقابة بها، ابنا عليّ بن محمَّد الشاعر الشهير. ومنهم: الشريف أبو الحسن محمَّد ببغداد يُقال له: ابن بنت خصبة.



١٦ ـ ابن علوية الأصبهاني

المولود سنة ٢١٢

المتوفّى سنة ٣٢٠ ونيف

مـا بـالُ عينـك ثـرَّة الأجفـان ... عبرى اللحاظ سقيمة الإنسانِ!؟

صلّى الإلَه على ابن عمٍّ محمَّد ... منـه صـلاة تغمّـد بحنـانِ

ولـه إذا ذُكرِ «الغـدير» فضيلةٌ ... لم نَنسهـا مـا دامت الملوانِ

قـام النبيُّ لـه بشـرح ولايـة ... نـزل الكتاب بهـا من الديّـانِ

إذ قال: بلّغ ما أُمرتَ به وثق ... منهم بعصمة كـالىءٍ حنّـانِ

فدعا الصَّـلاة جماعـة وأقامـه ... علمـاً بفضـل مقـالـة غـرّان

نادى: ألستُ وليّكم؟ قالوا: بلى ... حقّاً فقال: فـذا الوليُّ الثـاني

ودعـا له ولمن أجـاب بنصره ... ودعا الإلَه على ذوي الخذلانِ

نادى ولـم يك كـاذباً: بـخّ أبا ... حسن ربيـع الشيب والشبّـانِ

أصبحت مولى المؤمنين جماعةً ... مـولى إناثهمُ مـع الـذُّكـرانِ

لمن الخلافة والوزارة هل هما ... إلّا لـه وعليـه يتّفقـانِ؟!؟!

أوَ مـا هما فيمـا تلاه إلا هنـا ... في محكم الآيات مكتوبانِ؟!

أدلـوا بحجّتكم وقولـوا قولكم ... ودعـوا حديث فـلانـة وفـلانِ

هيهات ضلَّ ضلالكم أن تهتدوا ... أو تفهمـوا لمقـطع السلطان

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات من القصيدة (المحبّرة) لابن علويَّة قال الحموي في «معجم الادباء» ج ٤ ص ٧٦: لأحمد بن علويَّة قصيدةٌ على ألف قافية شيعيَّة، عُرضت

على أبي حاتم[١] السجستاني فقال: يا أهل البصرة غلبكم أهل إصفهان وأوّل القصيدة:

ما بال عينك ثرَّة الأجفان عبرى اللحاظ سقيمة الإنسان؟!

وفي «معالم العلماء» لابن شهر آشوب و«إيضاح الاشتباه» للعلاّمة الحلي: له النونيَّة المسمّاة بالألفيَّة والمحبَّرة وهي ثمانمائة ونيف وثلاثون بيتاً. إلى آخر ما ذكره الحموي. يوجد منها شطرٌ مهمٌّ في مناقب ابن شهر آشوب مبثوثاً في أبوابه جمعه العلاّمة السماوي في ديوان يحتوي على ٢١٣ بيتاً، وذكر منها سيِّدنا الحجَّة الأمين في «أعيان الشيعة» في الجزء التاسع ص ١١ - ٨٢ نقلاً عن المناقب ٢٢٤ بيتاً.

والقصيدة تتضمَّن غرر فضائل أمير المؤمنين المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وهي لسان الكتاب والسنَّة لا الصور الخياليَّة الشعريَّة المطَّردة، وفيها الحجاج والبرهنة الصادقة على إمامة وصيِّ النبيِّ الأمين، وأنَّ ما فهمه من لفظ المولى وهو ذلك الفذُّ من علماء العربيَّة، والناقد البصير من أئمَّة اللغة، والأوحد المفرد من رجال الأدب وصاغة الشعر، لهو الحجَّة القويَّة على ما ترتئيه الشيعة في دلالة هذا اللفظ، وإفادة الحديث بذلك الولاية المطلقة لمولى المؤمنين صلوات الله عليه.

الشاعر

أبو جعفر أحمد بن علويَّة[٢] الأصبهاني الكرماني الشهير بأبي الأسود، هو أحد مؤلِّفي الإماميّة المطّرد ذكرهم في المعاجم، وذكر النجاشي في فهرسته وابن شهر آشوب في «معالم العلماء» له كتاباً أسماه الأوَّل كتاب [الاعتقاد في

---

(١) سهل بن محمد الإمام في علوم القرآن واللغة والشعر قرأ على الأخفش، وروى عن أبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي وجمع آخرين، وعنه ابن دريد وغيره توفي سنة ٢٥٥ وقيل غيرها.

(٢) بفتحتين وتشديد الياء كما في إيضاح الاشتباه للساروي، واشتبه عليه كلام النجاشي وعرف المترجم بالرّحال وضبطه وهو لقب محمد بن أحمد الراوي عن المترجم لا لقبه.

الأدعية] والثاني [دعاء الاعتقاد] وفي «المعالم» أنّ لـه كتباً منهـا ذلك، وقـال الحموي في « معجم الادباء» له رسائل مختارة دوّنها أبو الحسن [أبو الحسين] أحمد بن سعد في كتابه المصنّف في الرّسائل، وله ثمانية كتب في الدعاء من إنشائه، ورسالةٌ في الشيب والخضاب، وذكر ابن النديم في فهرسته ص ٢٣٧ له ديواناً في خمسين ورقة.

المترجم من أئمّة الحديث، ومن صدور حملته، أخذ عنه مشايخ علماء الإماميّة واعتمدوا عليه

منهم: شيخ القمِّيين أبو جعفر محمّد بن الحسن بن الوليد القمي المتوفّى ٣٤٣، المعلوم حاله في الثقـة، والتحرُّز عن الـرِّواية عن غيـر الثّقة، وطعنـه وإخراجه مَن روى عن الضعفاء من قم، فقد روى عنه كتب إبراهيم بن محمّد الثقفي المعتمد عليه عند الأصحاب كما في مشيخة الفقيه، وفهرست شيخ الطائفـة الطوسي، وممّا رواه أبو جعفر القمي عن المتـرجَم له عن إبـراهيم بن محمّد الثقفي ما أخرجه شيخنا الصدوق في أماليه ٣٥٤، وما رواه أبو جعفر الطبري في (بشارة المصطفى) في أواخر الجزء الرابع باسناد المترجَم له عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: ألا أدلّكم على ما إن استدللتم به لم تهلكوا ولم تضلّوا؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: إنَّ إمامكم ووليّكم عليٌّ بن أبي طالب فوازروه وناصحوه وصدِّقوه فإنَّ جبرئيل أمرني بذلك.

ومنهم: فقيه الطائفـة وشيخها ووجههـا سعد بن عبـدالله بن أبي خلف الأشعري المتوفّى سنة ٢٩٩/ ١/٣٠٠ كما في المجلس العشرين من مجالس شيخنا الأكبر محمَّد بن محمَّد بن نعمان المفيد.

ومنهم: الحسين بن محمَّد بن عمران الأشعري القمي الثقة الذي أكثر النقل عنه ثقة الإسلام الكليني «في الكافي» وابن قولويه في «الكامل»، كما جاء في «كامل الزيارة» ورجال الشيخ الطوسي. ومن أحاديث الأشعري عن المترجَم ما رواه ابن قولويه بإسناده ص ١٨٦ رفعه إلى الصادق عليه السَّلام أنه كان يقول عند غسل الزيارة إذا فرغ: اللّهمَّ اجعله لي نوراً وطهوراً. إلخ.

ومنهم: عبدالله بن الحسين المؤدّب، أحد مشايخ الشيخ الصَّدوق ووالده المقدَّس كما في مشيخة الفقيه، وممّا رواه المؤدب عن المترجَم ما رواه شيخنا الصَّدوق في أماليه ص ٥٥ بإسناده عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله: إنَّ في عليٍّ خصالاً لو كانت واحدة منها في جميع النّاس لاكتفوا بها فضلاً. الحديث وص ٧٦ بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: يا عليُّ! أنت أخي ووصيّي ووارثي وخليفتي على امّتي في حياتي وبعد وفاتي، محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي، وعدوُّك عدوّي، ووليّك وليّي. وفي ص ٢١٧ بإسناده من طريق المترجم عن رسول الله انّه قال: إذا كان يوم القيامة يؤتى بك يا عليُّ على نجيب من نور على رأسك تاجٌ قد أضاء نوره وكاد يخطف أبصار أهل الموقف. الحديث. وفي ص ٣٥١ بإسناد المترجَم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: إنَّ حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فإذا دقّت الحلقة على الصفحة طنَّت وقالت: يا عليّ.

وتوجد أحاديث اخرى من طريق المؤدِّب عن المترجم في «الأمالي» ص ٩، ١٥٢، ٢٨٣، ٢٨٦، ٣٢٦، ٣٧٥، ٣٩٠.

ويروي عنه كتابه «الاعتقاد» في الأدعية محمّد بن أحمد الرّحال كما في فهرست النجاشي ص ٦٤. وأحمد بن يعقوب الإصبهاني كما في «تهذيب» الشيخ الطوسي ج ١ ص ١٤١ في باب الدعاء بين الرَّكعات. وذكر النجاشي إسناده إليه ص ٦٤ هكذا: عن ابن نوح عن محمَّد بن عليٍّ القمي عن محمَّد بن أحمد الرَّحال عنه.

وحسب المترجَم جلالةً أن تكون أخباره مبثوثةً في مثل الفقيه، والتهذيب، والكامل، وأمالي الصدوق، ومجالس المفيد، وأمثالها من عُمد كتب أصحابنا رضوان الله عليهم، وحَسبنا آيةً لثقته اعتماد القمِّيين عليه مع تسرّعهم في الوقيعة بأدنى غميزة في الرَّجل.

كان المترجم من علماء العربيَّة البارعين فيها بعد ما كان شيخاً في

الحديث، ولذلك ترجمه السيوطي في «بغية الوعاة» وعدّه الثعالبي من كتّاب إصبهان وشعرائها في «يتيمة الدهر» ج ٣ ص ٢٦٧، وقال الحموي في «معجم الادباء» ج ٢ ص ٣ (الطبعة الاولى): كان صاحب لغة يتعاطى التأديب ويقول الشعر الجيِّد. وعرَّفه شيخ الطائفة ومن يليه من أصحاب المعاجم حتّى اليوم بالكتابة.

وأمّا شاعريَّته فهي في الذروة والسنام من مراقي قرض الشعر، فقد فاق نظمه بجزالة المعنى، وفخامة اللفظ، وحسن الصياغة، وقوَّة التركيب، وبرع هو بفلج الحجَّة، وجودة الإفاضة، والحصول على البراهين الدامغة، والوصول إلى مغازي التعبيرات، فجاء شعره في أئمّة الدين عليهم السّلام كسيفٍ صارم لشبه أهل النصب، أو المعول الهدّام لبيوت عناكب التمويهات ضدَّ إمامة العترة الطاهرة، وقصيدته «المحبَّرة» التي اقتطفنا منها موضع الشاهد لكتابنا هذا لهي الشهيدة بكلِّ ما أنبأناك عنه، كماأنَّها الحجَّة القاطعة على عبقريَّته الشعريَّة كما شهد به أبو حاتم السجستاني فيما عرفت عنه.

وُلد المترجم سنة ٢١٢ وتوفِّي في نيف وعشرين وثلاثمائة، وأنشد سنة ٣١٠ وله ٩٨ عاماً من عمره قوله:

دنياً مغبَّة من أثرى بها عدمُ ... ولذَّةٌ تنقضي من بعدها ندمِ
وفي المنون لأهل اللبِّ معتبرٌ ... وفي تزوُّدهم منها التّقى غنمُ
والمرء يسعى لفضل الرِّزق مجتهداً ... وما له غير ما قد خطّه القلمُ
كم خاشع في عيون الناس منظره ... واللّه يعلم منه غير ما علموا

وقال بعد أن أتت عليه مائة سنة:

حنى الدَّهر من بعد استقامته ظهري ... وأفضى إلى ضحضاح غايته عمري
ودبَّ البلى في كلِّ عضو ومفصلٍ ... ومَن ذا الذي يبقى سليماً على الدَّهر

ومن شعره ما ذكره النويري في «نهاية الإرب في فنون الأدب» في الجزء العاشر ص ١٢٢ من قوله في وصف البقر:

يـا حبّـذا مخضهـا ورائبهـا وحبّـذا في الرِّجـال صاحبهـا
عجـولـةٌ[1] سمحـةٌ مباركـةٌ ميمـونـةٌ طُفَّـحٌ محـالبهـا
تقبـل للحلب كلّمـا دُعيت ورامهـا للحـلاب حـالبهـا
فـتيَّـةٌ سـنّـهـا مـهـذَّبـةٌ معنَّف في النـديِّ عـائبهـا
كـأنَّـهـا لـعـبـةٌ مـزيَّـنـةٌ يـطيـر عُجبـاً بهـا مـلاعبهـا
كـأنَّ ألبـانهـا جنى عسـل يلذّهـا في الإنـاء شـاربهـا
عـروس باقـورة[2] إذا بـرزت من بين أحبـالهـا تـرائبهـا
كـأنَّهـا هضبـةٌ إذا انتسبت أو بكـرةٌ قـد أنـاف غـاربهـا
تـزهي بـروقين كـاللُّجَين إذا مسّهمـا بـالبنـان طـالبهـا
لـو أنّهـا مُهـرةٌ لمـا عـدمت من أن يضمَّ السـرور راكبهـا

توجد ترجمة شاعرنا في فهرست النجاشي ٦٤. رجال شيخ الطائفة. معالم العلماء ص ١٩. معجم الأدباء ج ٢ ص ٣. إيضاح الاشتباه للعلاّمة. بغية الوعاء ١٤٦. جامع الأقوال إيضاح الاشتباه للساروي. جامع الرُّواة. جامع المقال للطريحي. هداية المحدِّثين المعروف بتمييز المشتركات. منتهى المقال. رجال الشيخ عبد اللطيف بن أبي جامع. الشيعة وفنون الإسلام ٩١ وفيه تاريخ وفاته المذكور. تنقيح المقال ج ١ ص ٦٨. أعيان الشيعة الجزء التاسع ص ٦٧. التعاليق على نهاية الإرب ج ١٠ ص ١٢٢.

---

(١) انثى العجول وهو: ولد البقرة.
(٢) الباقورة والباقور: جماعة البقر.



١٧ ـ المفجّع

المتوفّى سنة ٣٢٧

أيّهـا الـلاّئمي لحبّي عليّـاً   قم ذميماً إلى الجحيم خزيًّا

أبخير الأنام عـرَّضت؟ لا زلـ   ـت مـذوداً عن الهدى مزويّا

أشبـه الأنبياء كهـلًا وزولًا[1]   وفـطيمـاً وراضعـاً وغـذيًّـا

كـان فـي علمـه كـآدم عُـلِّم شـرح الأسمـاء والـمكـنيّـا

وكنوح نجا من الهلك مَن سـ   ـير في الفلك إذ علا الجوديّا

وعـلـيّ لـمّـا دعـاه أخـوه   سبق الحـاضـرين والبـدويّـا

وله من أبيه ذي الأيدي إسما   عيـل شبهٌ مـا كان عنّي خفيّـا

إنّه عاون الخليل على الكعبـ   ـة إذ شـاد ركنهـا المبـنيّـا

ولقد عاون الـوصيَّ حبيب الـ   ـله إذ يغسـلان منهـا الصفيّا

رام حمل النبيِّ كي يقلع الأصنـ   ـام عن سطحها المثول الجثيّا

فحنـاه ثـقـل النبـوَّة حتّـى   كـاد ينـآد تحتـه مثـنيّـا

فـارتقى منكـب النبـيِّ علـيٌّ   صنـوه مـا أجـلّ ذاك رُقيّـا

فأماط الأوثان عن ظاهر الكعبـ   ـة ينفي الأرجـاس عنـه نفيّـا

ولو انَّ الوصيَّ حاول مسَّ النجـ   ـم بـالكفِّ لم يجـده قصيّـا

أفهـل تعـرفـون غيـر عليٍّ   وابنه استرحـل النبيّ مطيّـا؟!

لم يكن أمره بدوحـات «خمّ»   مشكـلًا عـن سبيله مـلويّـا

---

(١) الزول: الغلام الظريف.

إنّ عهـد النبيِّ فـي ثقليـه حجّةٌ كنت عن سواها غنيّا
نصب المرتضى لهم في مقامٍ لم يكن خـاملاً هنـاك دنيّا
عَلمـاً قائمـاً كما صدع البد ر تمـامـاً دُجنَّـة أو دُجيّـا
قال: هذا مولىً لمن كنت مولا ه جهـاراً يقـولهـا جهـوريّـا
وال يـا ربِّ من يُواليـه وانصر ه وعـاد الذي يعـادي الوصيّا
إنَّ هـذا الـدُّعـا لمن يتعـدّى راعيـاً في الأنـام أم مـرعيّا
لا يُبـالي أمـات مـوت يهـود مَن قـلاهُ أو مـات نصـرانيّا
مَن رأى وجهـه كمن عبـدالله مـديم القـنـوت رهبـانـيّـا
كـان سؤل النبيَّ لمّـا تمنّى حين أهـدوه طـائـراً مشـويّـا
إذ دعـا الله أن يسـوق أحبّ الخلق طـرّاً إليه سـوقـاً وحيّا
فـإذا بالـوصيِّ قـد قـرع البا ب يـريـد السَّـلام ربّـانيّـا
فثنـاه عن الـدخـول مـراراً أنسٌ حين لم يكن خـزرجيّا
وذخيـراً لقـومـه وأبى الـرَّ حمـان إلّا إمـامنـا الـطالبيّـا
ورمى بـالبياض من صـدَّ عنه وحبـا الفضـل سيِّـداً أريحيّا

[القصيدة ١٦٠ بيتاً]

ما يتبع الشعر

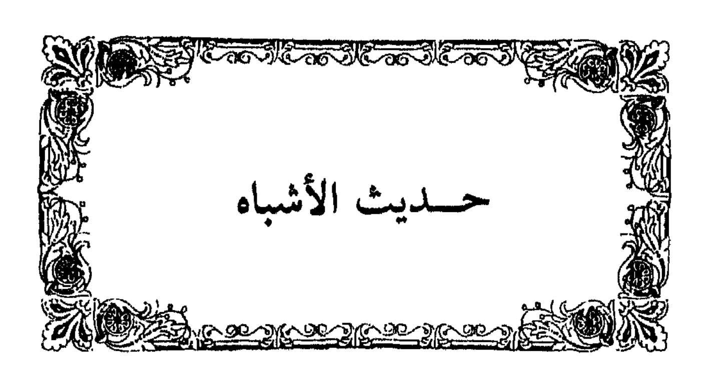
هذه القصيدة من غرر الشعر ونفيسه توجد مقطَّعةً في الكتب، نحن عثرنا عليهـا مشروحـةً بذكـر الأحاديث المتضمِّنـة لمفاد كـلِّ فضيلةٍ لأمير المؤمنين عليه السَّلام نظمها في بيت أو بيتين أو أكثر يبلغ عدد أبياتها ١٦٠ بيتاً؛ غير أنَّ فيها أبيات من الدخيل تنافي مذهب المفجَّع ومعتقده ألصقها بالقصيدة بعض أضداده، وأدخل شرحها الملائم لمعنى الأبيات في الشرح؛ كما يذكرها في سيِّد البطحا أبي طالب عليه السَّلام والد مولانا أمير المؤمنين عليه السَّلام، وفي أبي إبراهيم الخليل ممّا لا يقول به أحدٌ من الأصحاب، فكيف بالمفجَّع الذي

هو من رجالات الشيعة وعلمائها وشعرائها المتبصِّرين؟! وأظنُّ أنّ هذا الشرح أيضاً له، وأحسب أنَّ كلمة شيخ الطائفة الطوسي في «الفهرست» والمرزباني في «المؤتلف والمختلف» والحموي في «معجم الادباء» عند تعداد كتبه: (وكتاب قصيدته في أهل البيت) توعز إلى ذلك الشرح.

وهذه القصيدة تُسمّى بـ [الأشباه] قال الحموي في «معجم الادباء» ج١٧ ص١٩١ في أوّل ترجمة المترجم: إنَّ له قصيدةٌ يُسمّيها بالأشباه يمدح فيها عليّاً ثمَّ قال في ص٢٠٠: له قصيدته ذات الأشباه، وسُمِّيت بذات الأشباه لقصده فيها ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرَّزاق عن معمَّر عن الزهري عن سعيد بن المسيَّب عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ وهو في محفل من أصحابه: إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في فهمه. وإبراهيم في خُلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنّته[1]، ومحمّد في هديه وحلمه، فانظروا إلى هذا المُقبل، فتطاول الناس فإذا هو عليٌّ بن أبي طالب عليه السَّلام. فأورد المفجّع ذلك في قصيدته، وفيها مناقب كثيرة أوّلها. ثمَّ ذكر منها ١٨ بيتاً.

---

(١) في الأصل: في سنه.



حـديث الأشباه

هذا الحديث الذي رواه الحموي في معجمه نقلاً عن تاريخ ابن بشران قد أصفق على روايته الفريقان غير أن له ألفاظاً مختلفة وإليك نصوصها:

١ ـ أخرج إمام الحنابلة أحمد عن عبد الرّزاق بإسناده المذكور بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في خلقه، وإلى موسى في مناجاته، وإلى عيسى في سنّته، وإلى محمّد في تمامه وكماله، فلينظر إلى هذا الرجل المقبل. فتطاول الناس فإذا هم بعلي بن أبي طالب كأنّما ينقلع من صبب، وينحطُّ من جبل.

٢ ـ أخرج أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ في «فضائل الصحابة» بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته: فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

٣ ـ أخرج الحافظ أحمد بن محمّد العاصمي في كتابه [زين الفتى في شرح سورة هل أتى] بإسناده من طريق الحافظ عبيد الله بن موسى العبسي عن أبي الحمراء قال: قال رسول الله ﷺ: من أراد أن نيظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. وبإسناد آخر من طريق الحافظ العبسي أيضاً وزاد: وإلى يحيى بن زكريا في زهده. وأخرج بإسناد ثالث بلفظ أقصر من المذكور. ثمّ قال:

أمّا آدم عليه السَّلام فإنّه وقعت المشابهة بين المرتضى وبينه بعشرة أشياء: أوَّلها: بالخلق والطينة. والثاني: بالمكث والمدَّة. والثالث: بالصاحبة والزوجة. والرابع: بالتزويج والخلعة. والخامس: بالعلم والحكمة: والسادس: بالذهن والفطنة. والسابع: بالأمر والخلافة. والثامن: بالأعداء والمخالفة. والتاسع: بالوفاء والوصيّة. والعاشر: بالأولاد والعترة. ثمَّ بسط القول في وجه هذه كلّها فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين نوح بثمانية أشياء: أوَّلها: بالفهم. والثاني: بالدَّعوة. والثالث: بالإجابة. والرّابع: بالسفينة. والخامس: بالبركة. والسادس: بالسَّلام. والسابع: بالشكر. والثامن: بالإهلاك. ثمَّ بيَّن وجه الشبه في هذه كلّها إلى أن قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين إبراهيم الخليل بثمانية أشياء: أوَّلها: بالوفاء. والثاني: بالوقاية. والثالث: بمناظرته أباه وقومه. والرابع: بإهلاك الأصنام بيمينه. والخامس: ببشارة الله إيّاه بالولدين اللذين هما من اصول أنساب الأنبياء عليهم السَّلام. والسادس: باختلاف أحوال ذريَّته من بين مُحسن وظالم. والسابع: بابتلاء الله تعالى إيّاه بالنفس والولد والمال. والثامن: بتسمية الله إياه خليلاً حتّى لم يؤثر شيئاً عليه. ثم فصَّل وجه الشبه فيها إلى أن قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يوسف الصدّيق بثمانية أشياء: أوَّلها: بالعلم والحكمة في صغره. والثاني: بحسد الاخوة له. والثالث: بنكثهم العهود فيه. والرابع: بالجمع له بين العلم والملك في كبره. والخامس: بالوقوف على تأويل الأحاديث. والسادس: بالكرم والتجاوز عن إخوته. والسابع: بالعفو عنهم وقت القدرة عليهم. والثامن: بتحويل الديار. ثمَّ قال بعد بيان وجه الشبه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين موسى الكليم عليه السَّلام بثمانية أشياء: أوَّلها: الصلابة والشدَّة. والثاني: بالمحاجَّة والدَّعوة. والثالث: بالعصا

والقـوَّة. والرابـع: بشرح الصـدر والفسحة. والخـامس: بالأُخـوَّة والقـربـة. والسادس: بالودّ والمحبَّة. والسابع: بالأذى والمحنة. والثامن: بميراث الملك والإمرة. وبيّن وجه التشبيه فيها ثمَّ قال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين داود بثمانية أشياء: أوَّلها: بالعلم والحكمة. والثاني: بالتقوى على إخوانه في صغـر سنّه. والثالث: بالمبـارزة لقتـل جالـوت. والرابـع: بالقـدر معه من طـالوت إلى أن أورثـه الله ملكـه. والخامس: بإلانة الحديد له. والسادس: بتسبيح الجوامد معه. والسابع: بالولد الصالح. والثامن: بفصل الخطاب. وقال بعد بيان المشابهة فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين سليمان بثمانية أشياء: أوَّلها: بالفتنة والابتلاء في نفسه. والثاني: بتسليط الجسد على كرسّيه. والثالث: بتلقين الله إيّاه في صغره بما استحقَّ به الخلافة. والرابع: بردِّ الشمس لأجله بعد المغيب. والخامس: بتسخير الهوى والريح له. والسادس: بتسخير الجنِّ له. والسابع: بعلمه منطق الطير والجوامد وكلامه إياه. والثامن: بالمغفرة ورفع الحساب عنه. ثمَّ بيَّن وجه التشبيه فقال:

ووقعت المشابهة بين المرتضى عليه السَّلام وبين أيّوب بثمانية أشياء: أحدها: بالبلايا في بدنه. والثاني: بالبلايا في ولده. والثالث: بالبلايا في ماله. والرابع: بالصبر على الشدائد. والخامس: بخروج الجميع عليه. والسـادس: بشماتة الأعداء. والسابع: بالدُّعاء لله تعالى فيما بين ذلك وترك التواني فيها. والثامن: بالوفاء لِلنذر والاجتناب عن الحنث. وقال بعد بيـان وجه المشـابهة فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين يحيى بن زكريّا بثمانية أشياء: أوَّلها: بالحفظ والعصمة. والثاني: بالكتاب والحكمة. والثالث: بالتسليم والتحيَّـة. والـرابع: ببـرّ الوالـدين. والخامس: بـالقتل والشهـادة لأجل امـرأةٍ مُفسـدة. والسادس: بشدَّة الغضب والنقمة من الله تعالى على قتله. والسابع: بالخوف والمراقبة. والثامن بفقد السميِّ والنظر له في التسمية. ثمَّ قال بعد بسط الكلام

حول التشبيه فيها:

ووقعت المشابهة بين المرتضى وبين عيسى بثمانية أشياء: أوَّلها: بالإذعان لله الكبير المتعال. والثاني: بعلمه بالكتاب طفلاً ولم يبلغ مبلغ الرِّجال. والثالث: بعلمه بالكتابة والخطابة. والرابع: بهلاك الفريقين فيه من أهل الضَّلال. والخامس: بالزهد في الدنيا. والسادس: بالكرم والإفضال. والسابع: بالإخبار عن الكوائن في الاستقبال. والثامن: بالكفاءَة. ثمَّ بيّن وجه الشبه فيها.

وهذا الكتاب من أنفس كتُب العامَّة فيه آيات العلم وبيِّنات العبقريَّة، وقد شُغل القوم عن نشر مثل هذه النفائس بالتافهات المزخرفة.

٤ ـ أخرج أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفّى ٥٦٨ بإسناده في «المناقب» ص ٤٩ من طريق البيهقي عن أبي الحمراء بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

وأخرج في ص ٣٩ بإسناده من طريق ابن مردويه عن الحارث الأعور صاحب راية عليٍّ بن أبي طالب قال: بلغنا أَن النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلم كان في جمع من أصحابه فقال: أُريكم آدم في علمه، ونوحاً في فهمه، وإبراهيم في حكمته. فلم يكن بأسرع من أن طلع عليٌّ عليه السَّلام فقال أبو بكر: يا رسول الله! أقستَ رجلاً بثلاثة من الرُّسل؟! بخٍ بخٍ لهذا الرَّجل، مَن هو يا رسول الله؟ قال النبيُّ: أوَ لا تعرفه يا أبا بكر؟ قال: الله ورسوله أعلم. قال: هو أبو الحسن عليُّ بن أبي طالب. فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن! وأين مثلك يا أبا الحسن؟

وروى في ص ٢٤٥ بإسناده بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه. وإلى موسى في شدَّته. وإلى عيسى في زهده. فلينظر إلى هذا المقبل، فأقبل عليٌّ. وذكره:

٥ ـ أبو سالم كمال الدين محمَّد بن طلحة الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٢ رواه في «مطالب السئول» نقلاً عن كتاب «فضائل الصحابة» للبيهقي بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب عليه السَّلام. ثمَّ قال:

فقد أثبت النبيُّ ﷺ لعليّ بهذا الحديث علماً يشبه علم آدم، وتقوىً تشبه تقوى نوح، وحلماً يشبه حلم إبراهيم، وهيبةً تشبه هيبة موسى، وعبادةً تشبه عبادة عيسى، وفي هذا تصريحٌ لعليٍّ بعلمه وتقواه وحلمه وهيبته وعبادته، وتعلو هذه الصِّفات إلى أوج العلا حيث شبَّهها بهؤلاء الأنبياء المرسلين من الصفات المذكورة والمناقب المعدودة.

٦ ـ عزُّ الدين ابن أبي الحديد المتوفّى سنة ٦٥٥ قال في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ص ٢٣٦: روى المحدِّثون عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزَّته، وموسى في علمه، وعيسى في ورعه فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

ورواه في ج ٢ ص ٤٤٩ من طريق أحمد والبيهقي نقلاً عن مسند الأوَّل وصحيح الثاني بلفظ: من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه، وإلى آدم في علمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في فطنته، وإلى عيسى في زهده، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

٧ ـ الحافظ أبو عبدالله الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨، أخرجه في «كفاية الطالب» ص ٤٥ بإسناده عن ابن عبّاس قال: بينما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جالسٌ في جماعة من أصحابه إذ أقبل عليٌّ عليه السَّلام فلمّا بصر به رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: من أراد منكم أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في حكمته، وإلى إبراهيم في حلمه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. ثمَّ قال:

قلت: تشبيهه لعليٍّ بآدم في علمه لأنّ الله علّم آدم صفة كلّ شيء كما قال عزَّ وجلَّ: وعلّم آدم الأسماء كلّها. فما من شيء ولا حادثة إلاّ وعند عليٍّ فيها علمٌ وله في استنباط معناها فهمٌ.

وشبَّهه بنوح في حكمته. وفي رواية: في حكمه. وكأنَّه أصحُّ لأنَّ عليّاً كان شديداً على الكافرين رؤوفاً بالمؤمنين كما وصفه الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿**والذين معه أشدّاء على الكفّار رحماء بينهم**﴾. وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن شدَّة نوح على الكافرين بقوله: ﴿**ربِّ لا تَذر على الأرض من الكافرين ديّارا**﴾.

وشبَّهه في الحلم بإبراهيم خليل الرَّحمن كما وصفه عزَّ وجلَّ بقوله: إنّ إبراهيم لأوّاهٌ حليمٌ. فكان متخلّقاً بأخلاق الأنبياء متَّصفاً بصفات الأصفياء.

٨ ـ الحافظ أبو العبّاس محبُّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ رواه في «الرّياض النضرة» ج٢ ص ٢١٨ بلفظ: من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. قال: أخرجه القزويني الحاكمي.

وأخرج عن ابن عبّاس بلفظ: من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، وإلى نوح في حكمه، وإلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب. فقال: أخرجه الملاّ في سيرته.

٩ ـ شيخ الإسلام الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢، أخرجه في «فرائد السمطين» بعدَّة أسانيد من طرق الحاكم النيسابوري وأبي بكر البيهقي بلفظ محبِّ الدين الطبري المذكور وما يقرب منه.

١٠ ـ القاضي عضد الإيجي الشافعي المتوفّى سنة ٧٥٦؛ رواه في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦ بلفظ: مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب.

١١ - التفتازاني الشافعيّ المتوفّى سنة ٧٩٢ في «شرح المقاصد» ج ٢ ص ٢٩٩ بلفظ القاضي الإيجي المذكور.

١٢ - ابن الصبّاغ المالكي المتوفّى سنة ٨٥٥ روى في «الفصول المهمّة» ص ٢١ نقلاً عن [فضائل الصّحابة] للبيهقي باللفظ المذكور .

١٣ - السيّد محمود الآلوسي المتوفّى سنة ١٢٧٠ رواه في شرح عينيّة عبد الباقي العمري ص ٢٧ بلفظ البيهقي .

١٤ - الصفوري قال في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٠ : قال النبيُّ ﷺ مَن أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في زهده، وإلى محمَّد في بهائه، فلينظر إلى عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه. ذكره ابن الجوزي. وفي حديث آخر ذكره الرازي في تفسيره: مَن أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلقه، وموسى في قربه، وعيسى في صفوته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب.

١٥ - السيِّد أحمد القادين خاني في «هداية المرتاب» ص ١٤٦ بلفظ البيهقي .

الشاعر

أبو عبدالله محمَّد بن أحمد بن عبدالله[1] الكاتب النحويّ المصريّ الملقَّب بالمفجَّع . أوحديٌّ من رجالات العلم والحديث، وواسطه العقدبين أئمَّة اللغة والأدب، وبيت القصيد في صاغة القريض، ومن المعدودين من أصحابنا الإماميَّة، مدحوه بحسن العقيدة، وسلامة المذهب، وسداد الرأي، وكان كلُّ جنوحه إلى أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام، وقد أكثر في شعره من الثناء عليهم؛ والتفجّع لما انتابهم من المصائب والفوادح، فلم يزل على ذلك حتّى لقّبه مناوئوه المتنابزون بالألقاب بـ [المفجّع] وإليه يوعز بقوله :

---

(١) عبيدالله، في معجم الادباء.

إن يكن قيل لي: المفجَّع نبزاً فلعمري أنا المفجَّع همّا

ثمَّ صار لقباً له حتّى عند أوليائه لذلك السبب المذكور كما قاله النجاشي والعلاّمة. ولبيت قاله كما في «معجم الشعراء» للمرزباني ص ٤٦٤، وكأنّه يريد البيت المذكور.

ثمَّ إن المصرَّح به في معجمي الشعراء والادباء للمرزباني والحموي، والوافي بالوفيات للصفدي: انَّ المترجَم من المكثرين من الشعر، وذكر ابن النديم أنَّ شعره في مائة ورقة، ويؤكِّده ما قاله النجاشي والعلاّمة من أنَّ له شعراً كثيراً في أهل البيت عليهم السَّلام، وهو الذي يُعطيه وصفهم له من أنّه كان كاتباً شاعراً بصيراً بالغريب كمافي «مروج الذهب»، ومن أنّه من وجوه أهل اللغة والأدب، وقال أبو محمّد بن بشران[١]: كان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنَّفات وشعره مشهورٌ، وكان أبو عبدالله الأكفاني راويته، وكتب لي بخطِّه من مليح شعره شيئاً كثيراً، وشعره كثيرٌ حسنٌ، وله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاجٍ، وله قصيدةٌ في أبي عبدالله بن درستويه يرثيه فيها وهو حيٌّ يقول فيها ويلقِّبه بدهن الآجر.

مات دهن الآجر فاخضرَّت الأر ض وكادت جبالها لا تزولُ

ويصف أشياء كثيرة فيها، وكان يُكثر عند والدي ويطيل المقام عنده وكنت أراه عنده وأنا صبيّ بالأهواز، وله إليه مراسلات وله فيه مدحٌ كثيرٌ كنت جمعتها فضاعت أيّام دخول ابن أبي ليلى الأهواز ونهب [روزناماتها][٢] وكان منها قصيدةٌ بخطِّه عندي يقوله فيها:

لو قيل للجود: مَن مولاك؟ قال: نعم عبد المجيد المغيرة بن بشران

وأذكر له من قصيدة اخرى:

---

(١) حكاه الحموي في معجم الادباء عن تاريخه ونحن نذكره ملخصاً.

(٢) جمع «روزنامه» فارسية، يعني: الجريدة اليومية.

يـا مَن أطـال يـدي إذ هـاضني زمني وصرت في المصر مجفـوّاً ومـطّرحـا
أنقذتني من اناس عنـد دينهمُ قتل الأديب إذا ما علمه اتّضحا

لقي المفجّع ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره، وكان بينه وبين ابن دُريد مهاجاة كما في «فهرست» ابن النديم، و«الوافي بالوفيات» للصفدي، ويقوي القول ما في «مروج الذهب» من أنّه صاحب الباهليّ المصريّ الذي كان ينـاقض ابن دريد. غير أنَّ الثعالبي ذكر في «اليتيمة» أنّه صاحب ابن دريد، وقام مقامه في التأليف والإملاء. ولعلهما كانتا في وقتين من أمد تعاصرهما.

يروي عنه أبو عبدالله الحسين بن خالويه. وأبو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى وأبو بكر الدوري. وكان يُنادم ويُعاشـر مع أبي القـاسـم نصر بن أحمـد البصري الخبز أرزي الشاعر المجيد المتوفّى سنة ٣٢٧، وأبي الحسين محمّد بن محمّد المعروف بابن لنكك البصريِّ النحويِّ، وأبي عبدالله الأكفائي الشـاعر البصريِّ.

آثاره القيمة:

١ ـ كتاب المنقذ من الإيمان. قال الصفدي في «الوافي بالوفيات» ١٣٠: يشبه كتاب «الملاحن» لابن دريد وهو أجود منه. ينقل عنه السيوطي في شرح المعنى فوائد أدبيّة.

٢ ـ كتاب قصيدته في أهل البيت عليهم السّلام.

٣ ـ كتاب الترجمان في معاني الشعر. يحتوي على ثلاثة عشر حدّاً وهي: حدّ الإعراب. حدّ المديح. حدّ البخل. حدّ الحلم والرأي. حدّ الهجاء. حدّ اللغز. حدّ المال. حدّ الاغتراب. حدّ المطايا. حدّ الخطوب. حدّ النبات. حدّ الحيوان. حدّ الغزل. قال النجاشي: لم يعمل مثله في معناه.

٤ ـ كتاب الإعراب.

٥ ـ كتاب أشعار الجواري. لم يتم.

٦ ـ كتاب عرائس المجالس.

٧ ـ كتاب غريب شعر زيد الخليل الطائي.

٨ ـ كتاب أشعار أبي بكر الخوارزمي.

٩ ـ كتاب سعادة العرب.

ذكر المرزباني للمفجّع في مدح أبي الحسن محمّد بن عبد الوهاب الزينبيِّ الهاشمي من قصيدة قوله:

للزينبيِّ على جلالة قدره ... خلقٌ كطعم الماء غير مُزنَّدِ[١]

وشهامةٌ تقصي الليوث إذا سطا ... ونـدى يغرِّق كلَّ بحر مزبدِ

يحتلّ بيتاً في ذؤابة هاشم ... طالت دعائمه محلَّ الفرقدِ

حرٌّ يروح المستميح ويغتدي ... بمواهب منه تروح وتغتدي

فإذا تحيَّف ماله إعطاؤه ... في يومه نهك البقيَّة في غدِ[٢]

بضياء سنَّته المكارم تهتدي ... وبجود راحته السحائب تقتدي

مقدار ما بيني وما بين الغنى ... مقدار مابيني وبين المربدِ[٣]

وفي «معجم الادباء» نقلاً عن تاريخ أبي محمّد عبدالله بن بشران أنّه قال: دخل المفجّع يوماً إلى القاضي أبي القاسم عليِّ بن محمّد التنوخي فوجده يقرأ معاني على العبيسي فأنشد:

قد قدم العُجب على الرّويسِ ... وشارفَ الوهدُ أبا قبيسِ[٤]

وطاول البقل فروع الميسِ ... وهبَّت العنز لقرع التيسِ[٥]

---

(١) أي غير بخيل ولا ضيق الحال.

(٢) تحيف: تنقص. ونهك. أفنى.

(٣) المربد: فضاء وراء البيوت يرتفق به.

(٤) الرويس: تصغير روس. وهو السيّيء يقال: رجل روس. أي: رجل سوء. والتصغير للتحقير. الوهد: المنخفض من الأرض.

(٥) الميس: نوع من الكرم. وهبت: نشطت وأسرعت.

وادَّعت الـروم أبـاً في قيسِ ... واختلط الناس اختلاط الحيسِ [١]
إذ قرأ القاضي حليف الكيسِ ... معـانيَ الشعـر على العبيسي

وألقى ذلك إلى التنوخي وانصرف. قال: ومدح أبا القاسم التنوخي فرأى منه جفاءً فكتب إليه:

لو أعرض النـاس كلّهم وأبوا ... لم ينقصوا رزقيَ الذي قُسمـا
كـان ودادٌ فـزال وانصـرمـا ... وكـان عهـدٌ فبـان وانهـدمـا
وقد صحبنا في عصـرنا أُممـاً ... وقـد فقـدنـا من قبلهم امممـا
فما ملكنا هزلاً ولا ساخت الـ ... أرض ولم تقـطر السمـاء دمـا
في الله من كلِّ هالـك خلفٌ ... لا يرهب الدَّهر مَن به اعتصما
حـرٌّ ظننّـا بـه الجميـل فمـا ... حقّق ظنّـاً ولا رعى الـذِّممـا
فكـان مـا ذا مـا كـلّ معتمـد ... عليـه يرعى الـوفـاء والكـرمـا
غلطت والنّـاس يغلطون وهل ... تعرف خلقاً من غلطةٍ سلمـا؟
من ذا إذا أُعـطي السَّداد فلم ... يُعرف بذنبٍ ولم يزل قدمـا؟
شلّت يدي لِمْ جلست عن تفهٍ ... أكتب شجويَ وأمتطي القلمـا
يـا ليتني قبلهـا خـرست فلم ... أعمـل لسانـاً ولا فتحت فمـا
يـا زلَّـة مـا أقلت عـثرتهـا ... أبقت على القلب والحشا ألما
من راعـه بـالهـوان صـاحبـه ... فعـاد فيـه فـنفسـه ظلمـا

وله قوله:

لنا صديقٌ مليح الوجـد مقتبلٌ ... وليس في ودِّه نفـعٌ ولا بركـه
شبَّهتـه بنـار الصيف يـوسعنـا ... طولاً ويمنع منّا النوم والحركه

وللمفجَّع كما في شرح ابن أبي الحديد قوله:

إن كـنتُ خـنـتـكـم المـودَّة غـادراً ... أو حلتُ عن سنن المحبِّ الـوامـقِ
فمسحت في قبح ابن طلحة إنَّه ... ما دلَّ قطُّ على كمال الخالقِ

(١) الحيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن وربما جعل فيه سويق فيمتزج.

وله في «معجم الادباء» ما قاله حين دامت الأمطار وقطعت عن الحركة:

يـا خـالق الخلق أجمعينـا ... وواهـب المـال والبنينـا
ورافـع السَّبع فـوق سبـع ... لم يستعـن فيهمـا معينـا
ومَـن إذا قـال كـن لشـيءٍ ... لم تقـع النـون أو يكـونـا
لا تسقنـا العـام صـوب غيث ... أكثـر من ذا فقـد روينـا

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعةً وشعراً له يهنِّئه في مهرجان إلى بعض فقصَّر حتّى مضى المهرجان قوله:

إنَّ الكتـاب وإن تضمَّن طيّه ... كنه البلاغة كالفصيح الأخرسِ
فـإذا أعـانته عنـاية حـامـل ... فجـوابـه يـأتي بنجـح منفَّسِ
وإذا الرَّسول ونى وقصَّر عامداً ... كان الكتاب صحيفة المتلمّسِ
قـد فـات يـوم المهـرجـان فـذكـره ... في الشعـر أبـرد من سخـاء المفلسِ

فسئل عن سخاء المفلس فقال: يَعد في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه، ومن ملحه قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر والأُترنج والنارنج:

إنَّ شـيـطانـك فـي الـظر ... ف لـشـيـطانٌ مـريـدُ
فـلهـذا أنـت فـيـه ... تـبـتـدي ثـمَّ تـعـيـدُ
قـد أتـتـنـا تـحـفـةٌ مـنـ ... ـك عـلى الحسـن تـزيـدُ
طـبـقٌ فـيـه قـدودٌ ... ونـهـودٌ وخـدودُ[1]

وذكر له الوطواط في «غرر الخصائص» ص ٢٧٠ قوله يستنجز به:

أيّهـا السيِّـد عش في غبـطة ... مـا تغنّى طائـرُ الأيـك الغـردْ
لـيَ وعـدٌ منـك لا تُنكـره ... فـاقضـه أنجز حـر مـا وعـدْ
أنت أحييت بمبـذول النـدى ... سنن الجـود وقـد كـان همـدْ
فـإذا صـال زمـانٌ أوسـطا ... فعلى مـثلك مـثـلي يعـتمـدْ

---

(١) النهود جمع النهد: الثدي، وأراد بها الاترنج لاستدارته. وخدود: جمع خد. أراد بها النارنج.

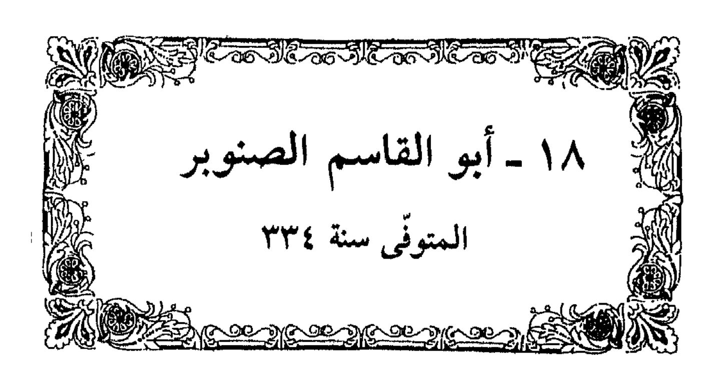
ذكر له النويري في «نهاية الإرب» ص ٧٧:

ظبيٌ إذا عقرب أصداغه رأيت ما لا يحسن العقربُ
تفّاح خدّيه له نضرةٌ كأنّه من دمعتي يشربُ

ولد المفجّع بالبصرة وتوفّي بها سنة ٣٢٧ كما في «معجم الادباء» نقلاً عن تاريخ معاصره أبي محمّد عبدالله بن بشران قال: كانت وفاته قبل وفاة والدي بأيّام يسيرة ومات والدي في يوم السبت لعشر خلون من شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثِمئة.

وقال المرزباني: إنّه مات في سنة قبل الثلاثين وثلاثمئة وأرّخه الصفدي في «الوافي بالوفيات»بسنة عشرين وثلاثمائة، وكذلك القاضي في «المجالس» والسيوطي في «البغية» وتبعهم آخرون. والمختار ما حكاه الحموي عن تأريخ أبي محمّد بن بشران.

تجد ترجمة المفجّع في فهرست ابن النديم ١٢٣. فهرست الشيخ ١٥٠. معجم الشعراء للمرزباني ٤٦٤. يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٣٤. فهرست النجاشي ٢٦٤، مروج الذهب ج ٢ ص ٥١٩، معجم الادباء ج ١٧ ص ١٩٠ - ٢٠٥، الوافي بالوفيات للصفدي ج ١ ص ١٢٩، خلاصة الأقوال للعلّامة، بغية الوعاة ١٣، مجالس المؤمنين ٢٣٤، جامع الرواة للأردبيلي، منهج المقال ٢٨٠، روضات الجنات ٥٥٤، الكنى والألقاب ج ٣ ص ١٦٣، الأعلام للزركلي ج ٣ ص ٨٤٥، آثار العجم ٣٧٧.



١٨ ـ أبو القاسم الصنوبر

المتوفّى سنة ٣٣٤

ما في المنازل حاجةٌ نقضيها ... إلّا السَّلام وأدمعٌ نذريها

وتفجّعٌ للعين فيها حيث لا ... عيشٌ أُوازيه بعيشي فيها

أبكي المنازل وهي لو تدري الذي ... بحث البكاء لكنت أستبكيها

بالله يا دمع السحائب سقنها ... ولئن بخلت فأدمعي تسقيها

يا مغرياً نفسي بوصف عزيزةٍ ... أغريت عاصيةً على مغريها

لا خير في وصف النساء فأعفني ... عمّا تكلفنيه من وصفيها

يا ربَّ قافيةٍ حلى إمضاؤها ... لم يحل ممضاها إلى ممضيها

لا تطمعنَّ النفس في إعطائها ... شيئاً فتطلب فوق ما تُعطيها

حبّ النبيِّ محمَّد ووصيِّه ... مع حبِّ فاطمة وحبِّ بنيها

أهل الكساء الخمسة الغرر التي ... يبني العلا بعلاهم بانيها

كم نعمةٍ أوليت يا مولاهمُ ... في حبِّهم فالحمد للموليها

إنَّ السفاه بشغل مدحي عنهمُ ... فيحقُّ لي أن لا أكون سفيها

هم صفوة الكرم الذي أصفاهمُ ... ودِّي وأصفيت الذي يصفيها

أرجو شفاعتهم فتلك شفاعة ... يلتذُّ برد رجائها راجيها

صلّوا على بنت النبيِّ محمَّد ... بعد الصَّلاة على النبيِّ أبيها

وابكوا دماء لو تشاهد سفكها ... في كربلاء لَما ونت تبكيها

تلك الدِّماء لو أنَّها توقى إذن ... كانت دماء العالمين تقيها

لو أنَّ منها قطرة تُفدى إذن ... كنّا بنا وبغيرنا نفديها

إنّ الـذين بغـوا اراقتهـا بغـوا ... مشؤومة العقبى على بـاغيهـا
قُتل ابن من أوصى إليه خير مَن ... أوصى الوصايا قطُّ أو يوصيها
رفـع النبيُّ يمينـه بيمينـه ... ليـرى ارتفـاع يمينـه رائيهـا
في موضع أضحي عليه منبِّهاً ... فيـه وفيـه يُبـدىء التنبيهـا
آخـاه في «خمّ» ونوَّه بـاسمـه ... لم يـأل في خيـر بـه تنـويهـا
هـو قـال: أفضلكم عليٌّ إنَّـه ... أمضى قضيَّتـه التي يمضيهـا
هو لي كهارون لمـوسى حبَّذا ... تشبيـه هـارون بـه تشبيهـا
يـومـاه يـومٌ للعـدى يـرويهمُ ... جـوراً ويـومٌ للقنى يـرويهـا
يسـع الأنـام مثـوبـة وعقـوبـة ... كلتـاهما تمضي لمـا يمضيها

[إلى آخر القصيدة ٤٢ بيتاً]

وله من قصيدة ذكرها صاحب «الدرِّ النظيم في الأئمَّة اللهاميم»:

هل أُضاخ كماعهدنا أضاخا(١) ؟ ... حبَّـذا ذلـك المنـاخ منـاخـا

يقول فيها:

ذكر يوم الحسين بالطفِّ أودى ... بصماخي فلم يدع لي صماخا
متبعـات نسـاؤه النـوح نـوحـاً ... رافعات إثر الصـراخ صراخـا
منعـوهُ مـاء الفـرات وظلّوا ... يتعـاطـونـه زلالاً نُقـاخـا(٢)
بـأبـي عتـرة الـنبـيِّ وامّـي ... سـدَّ عنهم معـانـدُ أصمـاخـا
خيـر ذا الخلق صبيةً وشبـابـاً ... وكهـولاً وخيـرهم أشيـاخـا
أخذوا صدر مفخر العزِّ مـذكا ... نـوا وخلّوا للعالمين المخـاخا
النقيّـون حيث كـانـوا جيـوبـاً ... حيث لا تأمن من الجيوب اتّساخا
يـألفون الـطوى إذا ألف النّا ... س اشتواءً من فيئهم واطِّباخا
خُلقـوا أسخيـاء لا مُتسـاخيـ ... ـن وليس السخيُّ من يتساخى

---

(١) اضاخ: جبل يذكر ويؤنث.
(٢) النقاخ: الماء البارد الصافي.

أهل فضل تناسخوا الفضل شيباً — وشباباً أكرم بذاك انتساخا
بهواهم يزهو ويشمخ من قد — كان في النّاس زاهياً شمّاخا
يا بن بنت النبيِّ أكرم به ابناً — وبأسناخ جدِّه أسناخا
وابن مَن وازر النبيَّ ووالا — ه وصافاه في «الغدير» وواخى
وابن مَن كان للكريهة ركّا — باً وفي وجه هولها رسّاخا
للطلى تحت قسطل الحرب ضرّا — باً وللهام في الوغى شدّاخا
ذو الدِّماء التي يُطيل مواليـ — ـيه اختضاباً بطيبها والتطاخا
ما عليكم أناخ كلكله الدهـ — ـر ولكن على الأنام أناخا

الشاعر

أبو القاسم وأبو بكر وأبو الفضل[١] أحمد بن محمّد بن الحسن بن مرّار الجزري الرقّي[٢] الضبيّ[٣] الحلبي الشهير بالصنوبري .

شاعرٌ شيعيٌّ مجيدٌ. جمع شعره بين طرفي الرقّة والقوّة، ونال من المتانة وجودة الاسلوب حظّه الأوفر، ومن البراعة والظرف نصيبه الأوفى، وتواتر في المعاجم وصفه بالإحسان تارةً[٤] وبه وبالإجادة اخرى[٥] وإنَّ شعره في الذروة العليا ثالثة[٦] وكان يُسمّى حبيباً الأصغر لجودة شعره[٧] وقال الثعالبي : تشبيهات ابن المعتز. وأوصاف كشاجم، وروضيّات الصنوبري، متى اجتمعت اجتمع الظرف والطرف، وسمع السامع من الإحسان العجب.

وله في وصف الرياض والأنوار تقدُّمٌ باهرٌ، وذكر ابن عساكر: أنَّ أكثر

(١) كناه به كشاجم زميله في شعره.
(٢) نسبة إلى الرقة : مدينة مشهورة بشط الفرات عمّرها هارون الرشيد.
(٣) نسبة إلى ضبة أبي قبيلة.
(٤) تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٥٦.
(٥) أنساب السمعاني.
(٦) شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٥.
(٧) عمدة ابن رشيق ج ١ ص ٨٣.

شعره فيه. وقال ابن النديم في فهرسته: إنَّ الصولي عمل شعر الصنوبري على الحروف في مِئتَي ورقة. فيكون المدوَّن على ما التزم به ابن النديم من تحديد كلِّ صفحة من الورقة بعشرين بيتاً ثمانية آلاف بيت، وسمع الحسن بن محمَّد الغسّاني من شعره مجلّداً[1].

وله في وصف حلب ومنتزهاتها قصيدةٌ تنتهي إلى مائة وأربعة أبيات توجد في «معجم البدان» للحموي ج ٣ ص ٣١٧ - ٣٢١، وقال البستاني في «دائرة المعارف» ج ٧ ص ١٣٧: هي أجود ما وصف به حلب؛ مُستهلّها:

إحبسا العيس احبساها وسلا الدار سلاها

وأمّا نسبته إلى الصنوبر فقد ذكر ابن عساكر عن عبدالله الحلبي الصفري أنه قال: سألت الصنوبريّ عن السبب الذي من أجله نسب جدّه إلى الصنوبر حتّى صار معروفاً به. فقال لي: كان جدّي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحدَّة مزاجه وقال له: إنَّك لصنوبريُّ الشكل. يريد بذلك الذكاء وحدَّة المزاج. اهـ. وذكر له النويري في «نهاية الأرب» ج ١١ ص٩٨ في نسبته هذه قوله:

وإذا عُزينا إلى الصنوبر لم	نعز إلى خامل من الخشبِ
لا بل إلى باسق الفروع علا	مناسباً في أرومة الحسبِ
مثل خيام الحرير تحملها	أعمدةٌ تحتها من الذهبِ
كأنَّ ما في ذراه من ثمر	طيرٌ وقوعٌ على ذرى القضبِ
باقٍ على الصيف والشتاء إذا	شابت رؤوس النبات لم يشبِ
محصَّن الحبّ في جواشن قد	أمِّن في لبسها من الحرب
حبٌّ حكى الحب صين في قرب الـ	أصداف حتّى بدا من القُربِ
ذو نشَّة ما يُنال من عنب	ما نيل من طيبها ولا رُطبِ
يا شجراً حبّه حداني أن	أفدي بأُمّي محبَّة وأبي

(١) أنساب السمعاني.

فـالـحـمـد لله إنَّ ذا لـقـبٌ   يـزيد في حسنـه على النسبِ

وأمّـا تشيّعه فهو الذي يطفح به شعره الرائق كما وقفت على شطرٍ منـه وستقف فيما يلي على شطرٍ آخر، ونصَّ بذلك اليماني في نسمة السحر، وعدَّ ابن شهر آشوب له من مادحي أهل البيت عليهم السَّلام يـؤذن بذلـك. وأمّـا دعوى صاحب النسمة أنَّه كان زيديّاً واستظهاره ذلك من شعره فأحسب أنّها فتوى مجرَّدة فإنّه لم يدعمها بدليل، وشعره الذي ذكره هو وغيره خالٍ من أيِّ ظهورٍ ادِّعاه، وإليك نبذاً ممّا وقفنا عليه في المذهب. قال في قصيدة يمدح بها عليّاً أمير المؤمنين عليه السَّلام:

واخي حبيبي حبيب الـلّه لا كـذب   وابناه للمصطفى المستخلص ابنـانِ
صـلّى إلى القبلتـين المقتـدى بهـما   والنّـاس عن ذاك في صمّ وعميـان
مـا مثل زوجتـه اخـرى يُقـاس بهـا   ولا يُقـاس عـلى سبـطيـه سبـطانِ
فمضـمـر الحبِّ في نـو ريخصُّ بـه   ومضمـر البغض مخصـوصٌ بنـيرانِ
هـذا غـداً مـالـكٌ في النّـار يملكـه   وذاك رضـوان يـلقـاهُ بـرضـوانِ
رُدَّت لـه الشمس في أفلاكهـا فقضى   صـلاتـه غـير مـاسـاهٍ ولا وانِ
أليس مَن حلَّ منه في اخـوَّته   محلَّ هارون من موسى بن عمرانِ؟!
وشافع الملَك الرّاجي شفاعته   إذ جـاءه ملَكٌ في خلق ثعبانِ
قال النبيُّ له: أشقى البريّة يا   عليُّ إذ ذُكـر الأشقى شقيّـانِ
هذا عصى صالحاً في عقر ناقته   وذاك فيـك سيلقاني بعصيـانِ
ليخضبن هذه مِن ذا أبا حسن   في حين يخضبها من أحمر قانِ

ويرثي فيها أمير المؤمنين وولده السبط الشهيد بقوله:

نعم الشهيدان ربّ العرش يشهد لي   والخلق أنّهمـا نعم الشهيدانِ
مَن ذا يُعزّي النبيَّ المصطفى بهما   من ذا يُعزّيه من قاصٍ ومن دانِ؟
مَن ذا لفـاطمة اللهفاء ينبئها   عن بعلها وابنها إنباءَ لهفانِ؟
من قـابض النفس في المحـراب منتصباً   وقـابض النفس في الهيجـاء عـطشـانِ؟
نجمان في الأرض بل بدران قد أفلا   نِعَم وشمسان إمّـا قلت شمسانِ

سيفان يغمد سيف الحرب إن برزا   وفي يمينيهما لِلحرب سيفان

وله يرثي الإمام السبط الشهيد عليه السَّلام[1] :

يا خير مَن لبس النبـ   ـوّة من جميع الأنبياءِ
وجدي على سبطيك وجـ   ـدٌ ليس يؤذن بانقضاءِ
هذا قتيل الأشقيا   ءِ وذا قتيل الأدعياءِ
يوم الحسين هرقت دمـ   ـع الأرض بل دمع السماءِ
يوم الحسين تركت با   ب العزّ مهجور الفناءِ
يا كربلاء خُلقتِ من   كربٍ عليَّ ومن بلاءِ
كم فيكِ من وجه تشرّ   ب ماؤه ماء البهاءِ
نفسي فداء المصطلي نار   الوغى أيَّ اصطلاءِ
حيث الأسنَّة في الجوا   شن كالكواكب في السّماءِ
فاختار درع الصبر حيـ   ـث الصبر من لبس السناءِ
وأبى إباء الاسد إنَّ   الاسد صادقةُ الإباءِ
وقضى كريماً إذ قضى   ظمآن في نَفَر ظماءِ
منعوه طعم الماء لا   وجدوا لماء طعم ماءِ
مَن ذا لمعفور الجوا   د ممال أعواد الخباءِ؟
مَن للطريح الشلو عر   ياناً مُخلّى بالعراءِ؟
مَن لِلمحنَّط بالترا   ب ولِلمغسَّل بالدماءِ؟
مَن لابن فاطمة المغيَّـ   ـب عن عيون الأولياء؟

ويؤكد ما ذكرنا للمترجم من المذهب شدة الصلة بينه وبين كشاجم المسلّم تشيّعه، ويؤكّد المؤاخاة بينهما كما ستقف عليه في ترجمة كشاجم، ويُعرب عن الولاء الخالص بينهما قول كشاجم في الثناء عليه:

لي من أبي بكر أخي ثقة   لم أسترب بإخائه قطْ
ما حال في قرب ولا بعدٍ   سيّان فيه الشوب والشطْ

---

(١) ج ٢ ص ٢٣٢ من مناقب ابن شهر آشوب.

جسمان والروحان واحدةٌ كالنقطتين حواهما خطْ
فإذا افتقرتُ فلي به جدةٌ وإذا اغتربتُ فلي به رهطْ
ذاكره أو حاوله مختبراً تر منه بحراً ما له شطْ
في نعمةٍ منه جلبت بها لا التشبيه يبلغها ولا القرطْ
وبذلة بيضاء ضافية مثل الملاءة حاكها القبطْ
متذلل سهل خلائقه وعلى عدوٍّ صديقه سلطْ
ونتاج مغناه متمّمةٌ ونتاج مغنى غيره سفطْ
وجنان آداب مثمرة ما شانها أثلٌ ولا خمطْ
وتواضع يزداد فيه علاً والحرُّ يعلو حين ينحطْ
وإذا امرؤٌ شيبت خلائقه غدراً فما في ودِّه خلطْ

وقصيدته الاخرى وقد كتبها إليه:

ألا أبلغ أبا بكر مقالاً من أخٍ برِّ
يُناديك بإخلاصٍ وإن ناداك من عقرِ
أظنُّ الدَّهر أعداكَ فأخلدت إلى الغدر
فما ترغب في وصلٍ ولا تعرض من هجرِ
ولا تخطرني منك على بال من الذِّكرِ
أتنسى زمناً كنّا به كالماء في الخمرِ؟!
أليفين حليفين على الايسار والعسرِ
مكبَّين على اللذّا ت في الصحو وفي السّكرِ
ترى في فَلَك الآدا ب كالشمس وكالبدرِ
كما ألّفت الحكمـ ـة بين العودِ والزمرِ
فألهتك بساتينك ذات النُور والزهرِ
وما شيَّدت للخلو ةمن دارٍ ومن قصرٍ

كان المترجم يسكن حلب دمشق وبها أنشد شعره ورواه عنه أبو الحسن محمَّد بن أحمد بن جميع الغسّاني كما في أنساب السمعاني، وتوفّي في سنة

٣٣٤ كما أرَّخه صاحب «شذرات الذهب» وغيره.

وعدَّه ابن كثير في تاريخه ج ١١ ص ١١٩ ممَّن توفّي في حدود الثلاثمئة، وهذا بعيدٌ عن الصحَّة جدّاً من وجوه، منها: أنَّه اجتمع[1] مع أبي الطيِّب المتنبِّي بعد ما نظم القريض وقد ولد بالكوفة سنة ٣٠٣. ومنها: مدحه سيف الدولة الحمداني وقد ولد سنة ٣٠٣.

أعقب المترجَم ولده أبا علي الحسين، حكى ابن الجنّي[2] قال: حدَّثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري قال: خرجت من حلب أُريد سيف الدولة فلمّا برزت من الصور إذا أنا بفارس مُتلثِّم قد أهوى نحوي برمح طويل، وسدَّده إلى صدري، فكدت أطرح نفسي عن الدابَّة فَرِقاً، فلمَّا قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه فإذا المتنبّي (الشاعر المعروف) وأنشدني:

نثرنا رؤوساً بالأُحيدب منهمُ   كما نُثرت فوق العروس الدراهمُ

ثمَّ قال: كيف ترى هذا القول؟ أحسن هو؟ فقلت له: ويحك قد قتلتني يا رجل! قال ابن جني: فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السّلام لأبي الطيِّب فعرفها وضحك لها.

وتوفيت للصنوبري بنت في حياته رثاها زميله [كشاجم] وعزّاه بقوله:

أتأسى يا أبا بكر   لموت الحرَّة البكرِ
وقد زوَّجتها قبراً   وما كالقبر من صهرِ
وعوِّضت بها الأجر   وما للأجر من مهرِ
زفافٌ أُهديت فيه   من الخدر إلى القبرِ
فتاةٌ أسبل الله   عليها أسبغ السترِ
ورده أشبه النعمـ   ـة في الموقع والقدرِ
وقد يختار في المكرو   ه للعبد وما يدري

(١) عمدة ابن رشيق ج ١ ص ٨٣.
(٢) كما في يتيمة الدهر ج ١ ص ٩٧.

فـقـابـل نـعـمـة الله الّـ ـتـي أولاك بـالـشـكـرِ
وعـزِّ الـنـفس مـمّـا فـا ت بـالـتسليم والـصـبـرِ

وكتب المترجم عني كلِّ جانبٍ من جوانب قبَّة قبرها الستَّة بيتين توجد الأبيات في تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٤٥٦، ٤٥٧.

حكاية:

حدَّث المترجَم له أبو بكر أحمد بن محمَّد الصنوبري قال: كان بالرُّها[١] ورّاقٌ يُقال له: سعد. وكان في دكّانه مجلس كلِّ أديب، وكان حسن الأدب والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وما كنّا نفارق دكّانه أنا وأبو بكر المعوج الشامي الشاعر وغيرنا من شعراء الشام وديار مصر، وكان لتاجر بالرُّها نصرانيّ من كبار تجّارها ابنٌ اسمه عيسى من أحسن الناس وجهاً، وأحلاهم قدّاً، وأظرفهم طبعاً ومنطقاً، وكان يجلس إلينا ويكتب عنّا أشعارنا وجميعنا يحبّه، ويميل إليه، وهو حينئذ صبيٌّ في الكتّاب فعشقه سعد الورّاق عشقاً مبرحاً وعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكّانه قوله:

إجعل فؤادي دواةً والمداددمي وهاك فابر عظامي موضع القلمِ
وصيِّر اللوح وجهي وامحه بيد فإنَّ ذلك بـرءٌ لي من السَّقمِ
تـرى المعلّم لا يـدري بمـن كلفـي وأنت أشهـر في الصبيـان من علَمِ

ثـمَّ شاع بعشق الغلام في الرُّها خبره، فلمّا كبر وشارف الائتلاف أحبَّ الرهبنة وخاطب أباه وامَّه في ذلك، وألحَّ عليهما حتّى أجاباه وخرجا بـه إلى «ديرزكّى» بنواحي الرقَّة[٢] وهو في نهاية حسنه فابتاعا له قلاية ودفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها فأقام الغلام فيها وضاقت على سعد الورّاق الـدنيـا بما رحبت، وأغلق دكّانه، وهجر إخوانه، ولزم الديـر مع الغـلام، وسعد في

---

(١) الرهاء بضم أوله والمد والقصر: مدينة بين الموصل والشام، استحدثها الرهاء بن البلندي فسمّيت باسمه.

(٢) الرقة كل أرض منبسط جانب الوادي يعلوها الماء وقت المد. ولا يظن أن الرقة البلد الذي على شاطىء الفرات فإن الرهابين الموصل والشام.

خلال ذلك يعمل فيه الأشعار، فممّا عمل فيه وهو في الدير والغلام قد عمل شماساً[١].

يا جِمَّةً قد علت غصناً من البانِ ... كأنَّ أطرافها أطراف ريحانِ

قدقايسواالشمس بالشّماس فاعترفوا ... بأنّها الشمس والشّماس سيّانِ

فقل لعيسى: بعيس كم هراق دماً ... إنسان عينك من عين لإنسانِ؟!

ثمَّ إنَّ الرهبان أنكروا على الغلام كثرة إلمام سعد به ونهوه عنه وحرموه إن أدخله وتوعدوه بإخراجه من الدير إن لم يفعل، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك، فلمّا رأى سعد امتناعه منه شقَّ عليه، وخضع للرّهبان ورفق بهم ولم يجيبوه وقالوا: في هذا علينا إثمٌ وعارٌ ونخاف السلطان، فكان إذا وافى الدير أغلقوا الباب في وجهه، ولم يدعوا الغلام يُكلّمه، فاشتدَّ وجده، وازداد عشقه، حتّى صار إلى الجنون فخرق ثيابه وانصرف إلى داره فضرب جميع ما فيها بالنار، ولزم صحراء الدير وهو عريانٌ يهيم، ويعمل الأشعار ويبكي.

قال أبو بكر الصنوبري: ثمَّ عبرت يوماً أنا والمعوج من بستان بتنا فيه فرأيناه جالساً في ظلِّ الدير وهو عريانٌ وقد طال شعره، وتغيَّرت خلقته، فسلّمنا عليه وعذلناه وعتبناه، فقال: دعاني من هذا الوسواس أترَيان ذلك الطائر على هيكل؟ وأومأ بيده إلى طائر هناك فقلنا: نعم. فقال: أنا وحقِّكما يا أخويَّ أُناشده منذ الغداة أن يسقط فأُحمِّله رسالةً إلى عيسى. ثمَّ التفت إليَّ وقال: يا صنوبريُّ معك ألواحك؟ قلت: نعم. قال: اكتب:

بدينك يا حمامة ديرزكّي ... وبالإنجيل عندك والصّليب

قفي وتحمّلي عنّي سلاماً ... إلى قمر على غصنٍ رطيب

حماه جماعة الرُّهبان عنّي ... فقلبي ما يقرُّ من الوجيبِ

عليه مسوحه[٢] وأضاء فيها ... وكان البدر في حُلل المغيبِ

وقالوا: رابنا إلمام سعد ... ولا والله ما أنا بالمريبِ

---

(١) الكلمة سريانية معناها: الخادم.

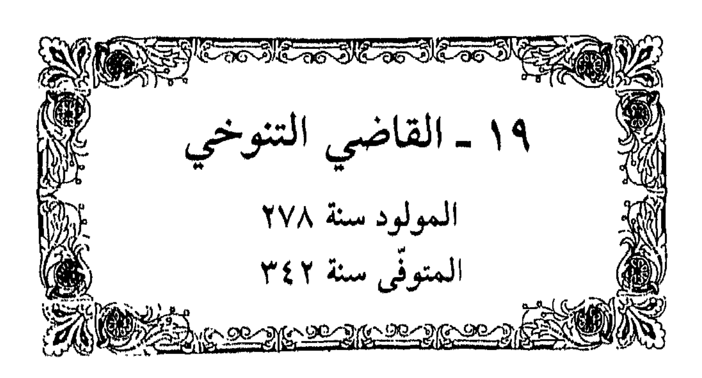
(٢) المسوح: ما يلبس من نسيج الشعر تقشعاً وقهراً للبدن جمع مسح بكسر الميم.

وقولي: سعدك المسكين يشكو لهيب جوىً أحرَّ من اللهيبِ
فصله بنظرةٍ لك من بعيدٍ إذا ما كنت تمنع من قريبِ
وإن أنا متُّ فاكتب حول قبري محبٌّ مات من هجر الحبيبِ
رقيبٌ واحدٌ تنغيص عيشٍ فكيف بمن له ألفا رقيبِ

ثمَّ تركنا وقام يعدو إلى باب الدير وهو مغلقٌ دونه، وانصرفنا عنه وما زال كذلك زماناً، ثمَّ وُجد في بعض الأيّام ميتاً إلى جانب الدير، وكان أمير البلد يومئذ العبّاس بن كيغلغ فلمّا اتَّصل ذلك به وبأهل الرُّها خرجوا إلى الدير، وقالوا ما قتله غير الرُّهبان. وقال لهم ابن كيغلغ: لا بدَّ من ضرب رقبة الغلام وإحراقه بالنّار، ولا بدَّ من تعزير جميع الرُّهبان بالسياط، وتعصَّب في ذلك فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم[1].

---

(١) توجد ملخصة في تزيين الأسواق ص ١٧٠.



١٩ ـ القاضي التنوخي

المولود سنة ٢٧٨

المتوفّى سنة ٣٤٢

مِن ابن رسـول اللّه وابن وصيِّـه ... إلى مدغل في عقبة الدين ناصبِ

نشـابين طُنبـور وزقٍّ ومـزهـر ... وفي حجر شادٍ أو على صدر ضاربِ

ومن ظهر سكران إلى بطن قينةٍ ... على شُبه في ملكها وشـوائبِ

يَعيب عليّاً خير من وطأ الحصى ... وأكرم سارٍ في الأنـام وساربِ

ويُزري على السبطين سبطي محمَّد ... فقل في حضيض رام نيل الكواكبِ

وينسب أفعال القراميط كـاذباً ... إلى عترة الهادي الكرام الأطايبِ

إلى معشرٍ لا يبرح الذمُّ بينهم ... ولا تزدري أعراضهم بالمعايبِ

إذا ما انتدوا كانوا شموس بيوتهم ... وإن ركبوا كانوا شموس المواكبِ

وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرَّدى ... وإن ضحكوا أبكوا عيون النَّوادبِ

نشوابين جبريل وبين «محمَّد» ... وبين «عليّ» خير ماشٍ وراكبِ

وزير النبيِّ المصطفى ووصيّه ... ومُشبهـه في شيمـةٍ وضـرائبِ

ومَن قال في يوم «الغدير» محمَّدٌ ... وقد خاف من غدر العداة النواصبِ

: أما إنَّني أولى بكم من نفوسكم ... فقالوا: بلى قول المريب الموارِبِ

فقال لهم: مَن كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي

أطيـعـوه طـرّاً فـهـو منّي بمـنـزلٍ ... كهـارون من مـوسى الكليم المخـاطبِ

[القصيدة ٨٣ بيتاً]

ما يتبع الشعر

كان عبدالله بن المعتزّ العبّاسي المتوفّى سنة ٢٩٦ ممَّن ينصب العداء للطالبيّين، ويتحرّى الوقيعة فيهم بما ينمُّ عن سوء سريرته، ويشفُّ عن خبث طينته، وكثيراً ما كان يفرغ ما ينفجر به بركان ضغائنه في قوالب شعريَّة، فجاءت من ذلك قصائد خلّدت له السوءة والعار، ولقد تصدّى غير واحد من الشعراء لنقض حججه الداحضة منهم: الأمير أبو فراس الآتي ذكره وترجمته، غير أنَّه أربى بنفسه الأبيَّة عن أن تقابل ذلك الرِّجس بالموافقة في البحر والقافية، فصاغ قصيدته الذهبيَّة الخالدة الميميَّة، ينصر فيها العلويِّين، وينال من مناوئيهم العبّاسيين، ويوعز إلى فضائحهم وطامّاتهم التي لا تُحصى.

ومنهم: تميم بن معد الفاطمي المولود ٣٣٧ والمتوفى سنة ٣٧٤، ردَّ على قصيدة ابن المعتزّ الرائيَّة أوّلها:

أيَّ ربــع لآل هــنــد ودارِ؟ . . . . .

وأوَّل قصيدة ابن معد:

يـا بني هـاشمٍ ولسنـا سـواء في صغـار من العلى وكبـارِ

ومنهم: ابن المنجِّم. وأبو محمّد المنصور بالله المتوفّى سنة ٦١٤ ـ الآتي ذكره في شعراء القرن السابع ـ ومنهم: صفيُّ الدين الحلي المتوفّى سنة ٧٥٢ فقد ردَّ عليه ببائيَّته الرنّانة المنشورة في ديوانه المذكورة في ترجمته الآتية في شعراء القرن الثامن.

ومنهم: القاضي التنوخي المترجَم له فقد نظم هذه القصيدة التي ذكرنا منها شطراً ردّاً عليه، وهي مذكورةٌ في كتاب «الحدائق الورديَّة» ٨٣ بيتاً، وأحسبها كما في غير واحد من المجاميع المخطوطة أنَّها تمام القصيدة، وذُكرت في «مطلع البدور» ٧٤ بيتاً، وذكر منها اليماني في «نسمة السحر» ٤٨ بيتاً؛ والحموي ١٤ بيتاً في «معجم الادباء» ج ١٤ ص ١٨١ وقال: كان عبدالله بن

المعتز قد قال قصيدةً يفتخر فيها ببني العبّاس على بني أبي طالب أوَّلها:

أبى الله إلّا ما ترون فما لكم غضاباً على الأقدار يا آل طالب؟!

فأجابه أبو القاسم التنوخي بقصيدة نحلها بعض العلويِّين وهي مثبتةٌ في ديوانه أوَّلها:

من ابن رسول الله وابن وصيِّه إلى مدغلٍ في عقدة الدين ناصبِ
نشابين طنبور ودفٍّ ومزهرٍ وفي حجر شادٍ أو على صدر ضاربِ
ومن ظهر سَكرانٍ إلى بطن قينةٍ على شُبه في ملكها وشوائبِ

يقول فيها:

وقلت: بنو حرب كسوكم عمائماً من الضرب في الهامات حمر الذوائب
صدقت منايانا السيوف وإنَّما تموتون فوق الفرش موت الكواعبِ
ونحن الأُولى لا يسرح الذمُّ بيننا ولا تدري أعراضنا بالمعايبِ
إذا ما انتدوا كانوا شموس نديِّهم وإن ركبوا كانوا بدور الركائبِ
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرَّدى وإن ضحكوا بكّوا عيون النوائبِ
وما للغواني والوغى فتعوَّدوا بقرع المثاني من قراع الكتائبِ
ويوم حنين قلت: حزنا فخاره ولو كان يدري عدَّها في المثالبِ
أبوه منادٍ والوصيُّ مضاربٌ[1] فقل في منادٍ صيِّتٍ ومضاربِ
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه فأبعد بمحجوب بحاجب حاجبِ
وقلتم: نهضنا ثائرين شعارنا بثارات زيد الخير عند التحاربِ
فهلّا بإبراهيم كان شعاركم فترجع دعواكم تعلّة[2] خائبِ

ورواها عماد الدين الطبري في الجزء العاشر من كتابه [بشارة المصطفى لشيعة المرتضى] وقال: حدَّثنا الحسين بن أبي القاسم التميمي، قال: أخبرنا أبو سعيد السجستاني، قال أنبأنا القاضي ابن القاضي أبو القاسم عليُّ بن

(١) يريد العباس وعلياً أمير المؤمنين عليه السلام.
(٢) أي تعلّل.

المحسن بن عليٍّ التنوخي ببغداد؛ قال: أنشدني أبي أبو عليّ المحسن؛ قال: أنشدني أبي أبو القاسم عليُّ بن محمَّد بن أبي الفهم التنوخي لنفسه من قصيدة:

ومن قال في يوم «الغدير» محمَّدٌ ... وقد خاف من غدر العداة النواصبِ
: أما أنا أولى منكمُ بنفوسكم ... فقالوا: بلى قول المريب الموارِبِ
فقال لهم: مَن كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه فيكم وصاحبي
أطيعوه طرّاً فهو منّي كمنزلٍ ... لهارونٍ من موسى الكليم المخاطبِ
فقولا له: إن كنت من آل هاشم ... فما كلُّ نجم في السَّماء بثاقبِ

وروى القصيدة وأنها في ردِّ عبدالله بن المعتزّ صاحب طبرستان ص ١٠٠ بهاء الدين محمَّد بن حسن وذكر منها خمسة عشر بيتاً ومنها:

فكم مثل زيد قد أبادت سيوفكم ... بلا سببٍ غير الظنون الكواذبِ
أما حمل المنصور من أرض يثربِ ... بدور هدىً تجلو ظلام الغياهبِ؟
وقطّعتمُ بالبغي يوم محمَّد ... قرائن أرحام له وقرائبِ
وفي أرض باخمرا مصابيح قد ثوت ... متربة الهامات حمر الترائبِ
وغادر هاديكم بفخ طوائفاً ... يُغاديهمُ بالقاع بقع النواعبِ
وهارونكم أودى بغير جريرةٍ ... نجوم تُقىً مثل النجوم الثواقب
ومأمونكم سمَّ الرِّضا بعد بيعةٍ ... تودّ ذرى شمِّ الجبال الرَّواسبِ
فهذا جوابٌ للذي قال: مالكم ... غضاباً على الأقدار يا آل طالبِ؟!

الشاعر

أبو القاسم التنوخي عليُّ بن محمّد بن أبي الفهم داود بن إبراهيم بن تميم ابن جابر بن هاني بن زيد بن عبيد بن مالك بن مريط بن سرح بن نزار بن عمرو بن الحرث بن صبح بن عمرو بن الحرث بن عمرو بن الحارث بن عمرو [ملك تنوخ] بن فهم بن تيم الله [وهو تنوخ] بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ملك بن حمير بن سبأ بن سحت بن يعرب بن

قحطان بن غابن بن شالح بن الشحد بن سام بن نوح النبيّ عليه السَّلام[١].

من أغزر عيالم العلم، ومُلتقى الفضائل، ومُجتمع الفنون المتنوِّعة، مشاركاً في علوم كثيرةٍ، مقدَّماً في الكلام، متضلّعاً في الفقه والفرائض، حافظاً في الحديث، قدوةً في الشعر والأدب، بصيراً بعلم النجوم والهيئة، خبيراً بالشروط والمحاضر والسجلات، استاذاً في المنطق، مُتبحِّراً في النحو، واقفاً على اللغة، معلّماً في القوافي، عبقرياً في العروض، وكما أنَّه من أعيان العلم فهو مفردٌ في الكرم وحسن الشيم، فذٌّ في الظرف والفكاهة، دمث الخلائق، لين الجانب.

ولادته ونشأته:

وُلد بانطاكيَّة يوم الأحد لأربع ليال بقين من ذي الحجَّة سنة ٢٧٨ ونشأ بها حتى غادرها في حداثته سنة ستٍّ وثلاثمائة إلى بغداد، وتفقَّه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث من الحسن بن أحمد بن حبيب الكرماني صاحب «مسدَّد». وأحمد بن خليل الحلبي صاحب أبي اليمان الحمصي. وأحمد بن محمَّد بن أبي موسى الأنطاكي. وأنس بن سالم الخولاني. والحسن بن أحمد بن إبراهيم بن فيل. والفضل بن محمّد العطار الأنطاكيّين. والحسين بن عبدالله القطّان الرقّي. وأحمد بن عبدالله بن زياد الجبلي. ومحمّد بن حصن بن خالد الألوسي الطرسوسي. والحسن بن الطيِّب الشجاعي. وعمر بن أبي غيلان الثقفي. وأبي بكر بن محمّد بن محمّد الباغندي. وحامد بن محمّد ابن صعيب البلخي. وأبي القاسم البغوي. وأبي بكر بن أبي داود. وقرأ في النجوم على البنّائي المنجّم صاحب الزيج.

يروي عنه أبو حفص بن الآجري البغداديّ، وأبو القاسم بن الثلّاج[٢]

---

(١) النسب ذكره الخطيب البغدادي في تاريخه نقلاً عن حفيد المترجم أبي القاسم ابن المحسن إلى قضاعة، وذكر بعده السمعاني في «الأنساب» وإلى قضاعة بين الكتابين اختلاف في بعض الأسماء.

(٢) الفلاح. في أنساب السمعاني.

البغدادي، وعمر بن أحمد بن محمّد المقري، وابنه أبو عليّ المحسن التنوخي.

وأوَّل مَن قلّده القضاء بعسكر مكرم وتُستر وجندي سابور في أيّام المقتدر بالله الخليفة الذي ولي الخلافة من سنة ٢٩٥ حتّى قتل سنة ٣٢٠ من قبل القاضي أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول التنوخي، وكتبه له أبو علي ابن مقلة وكان ذلك سنة ٣١٠ في السنة الثانية والثلاثين من عمره، ثمَّ تقلّد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة وسقي الفرات، وعدَّة نواح من الثغور الشاميَّة، وأرَّجان وكورة سابور مجتمعاً ومفترقاً، وتولّى قضاء أيذج وجند حمص من قِبل المطيع لله الذي ولي الخلافة سنة ٣٣٤، وكان المطيع لله قد عوَّل على أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إيّاه فأفسد ذلك بعض أعدائه، وكان ابن مقلة قلّده المظالم بالأهواز، واستخلفه أبو عبدالله البريدي بواسط على بعض امور النظر، وقال الثعالبي: كان يتقلّد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيف الدولة زائراً ومادحاً فأكرم مثواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتّى أُعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته؛ وكان المهلّبي الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جدّاً، ويتعصَّبون له ويعدّونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء، ويُعاشرون منه من تطيّب عشرته، وتكرُّم أخلاقه، وتحسّن أخباره.

حديث حفظه وذكائه:

كان المترجم آيةً في الحفظ والذكاء، قال ولده القاضي أبو علي المحسن في «نشوار المحاضرة» ص ١٧٦: حدَّثني أبي قال: سمعت أبي ينشد يوماً وسنّي إذ ذاك خمس عشرة سنة بعض قصيدة دعبل الطويلة التي يفتخر فيها باليمن ويعدِّد مناقبهم ويردُّ على الكميت مناقبه بنزار أوَّلها:

أفيقي من ملامك يا ظعينا   كفاني اللوم مرُّ الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيت فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخر اليمن وأهلي فقلت: يا سيِّدي تُخرجها إليَّ حتّى أحفظها، فدافعني فألححت عليه فقال: كأنّي

بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيت ثمَّ ترمي بالكتاب وتخلقه عليَّ. فقلت: ادفعها إليّ. فأخرجها وسلّمها إليَّ وقد كان كلامه أثر فيَّ فدخلت حجرةً كانت برسمي من داره فخلوت فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيءٍ غير حفظها فلمّا كان في السحر كنت قد فرغت من جميعها وأتقنتها فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلست بين يديه فقال: هي، كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها. فغضب وقد رآني قد كذبته وقال لي: هاتها؛ فأخرجت الدفتر من كمّي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أُنشد إلى أن مضيت في أكثر من مائة بيت فصفح منها عدَّة أوراق وقال: أنشد من هٰهنا. فأنشدت مقدار مائة بيت إلى آخرها، فها له ما رآه من حسن حفظي فضمَّني إليه وقبَّل رأسي وعيني وقال: بالله يا بُنيَّ لا تخبر بها أحداً فإنّي أخاف عليك من العين. وذكر ابن كثير هذه القصَّة ملخَّصةً في تاريخه ج ١١ ص ٢٢٧.

وقال أبو علي أيضاً: حفَّظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمام والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين والقدماء مائتي قصيدة قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: مَن حفظ للطائيِّين أربعين قصيدة ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ إنسان، فقلت الشعر وسنّي دون العشرين، وبدأت بعمل مقصورتي التي أوَّلها:

لولا التناهي لم أطع نهي النُهى أيّ مدى يطلب مَن حاز المدى

وقال أبو علي: كان أبي يحفظ للطائيِّين سبعمائة قصيدة ومقطوعة سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين والمخضرمين والجاهليِّين؛ ولقد رأيت له دفتراً بخطِّه هو عندي يحتوي على رؤس ما يحفظه من القصائد مائتين وثلاثين ورقة أثمان منصوري لطاف، وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك [إلى أن قال]: وكان مع ذلك يحفظ ويجيب فيما يفوق عشرين ألف حديث، وما رأيت أحداً أحفظ منه، ولولا أنَّ حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً.

تآليفه :

إنَّ تضلّع المترجم في العلوم الجمَّة، وشهرته الطائلة في جلِّ الفنون النقليَّة والعقليَّة والرياضيَّة، وتجوُّله في الأقطار والأمصار، تستدعي وجود تآليف له قيِّمة، كما قال ولده أبو علي: إنَّ له في علم العروض والفقه وغيرهما عدَّة كتب مصنَّفة، وقال الحموي: إنَّ له تصانيف في الأدب منها: كتابٌ في العروض، قال الخالع: ما عمل في العروض أجود منه. وكتاب علم القوافي. وذكر السَّمعاني واليافعي وابن حجر وصاحب الشذرات له ديوان شعر، واختار منه الثعالبي ما ذكر من شعره، وسمعت فيما يتبع شعره في «الغدير» نقل الحموي عن ديوانه بائيَّته كغيرها، وذكر المسعودي له قصيدته [المقصورة] التي عارض بها ابن دريد يمدح فيها تنوخ وقومه من قضاعة أوَّلها:

لولا انتهائي لم أطع نهي النُهى ... مدى الصبا نطلب مَن حاز المدى
إن كنت أقصرتُ فما أقصر قلـ ... ـبٌ دامياً ترميه ألحاظ الدمى
ومقلةٌ إن مقلت أهل الفضا ... أغضت وفي أجفانها جمر الغضا

وفيها يقول:

وكم ظباء رعيها ألحاظها ... أسرع في الأنفس من حدِّ الظبى
أسرع من حرف إلى جرٍّ ومن ... حبٍّ إلى حبَّةِ قلبٍ وحشى
قضاعةٌ من ملك بن حمير ... ما بعده للمرتقين مرتقا

وقال أبو علي في «نشوار المحاضرة»: إنَّ ما ضاع من شعره أكثر ممّا حُفظ اهـ. غير أنَّ هذه الكتب قد عصفت عليها عواصف الضياع كما أنَّ التصدِّي لمنصب القضاء عاقه عن الإكثار من التآليف على قدر غزارة علمه .

مذهبه :

من العويص جدّاً البحث والتنقيب عن مذهب مَن نشأ في مثل القرن الثالث والرابع عصر التحزُّب للآراء والنزعات، عصر تشتّت الاعتقادات، عصر تكثّر النحل، وتوفّر الدواعي على انتحال الرَّجل لِما يُخالف عقده القلبي،

وتظاهره بما لا يظهره سرُّ جنانه؛ وقد قضت الأيام، ومرَّت الأعوام على آثارهم، ونتائج أفكارهم ممّا كان يُمكننا منه استظهار المعتقدات، وحكم الدهر على منشور فلتات ألسن كانت تُعرب عن مكنون الضمائر، وتقرأ علينا دروس الحقيقة من جانب مذهب الغابرين.

واضطراب كلمات أرباب المعاجم حول مذهب شاعرنا التنوخي وولده أبي علي منذ عهدهم إلى اليوم ينمُّ عن أنَّهم كانوا يخفون مختارهم من المذهب، وكانوا يظهرون في كلِّ صقع وناحية نزلوا ما يلائم مذهب أهليها، فقال الخطيب البغدادي في تاريخه، والسمعاني في أنسابه، وابن كثير في تاريخه، وصاحب شذرات الذهب، والسيِّد العبّاسي في المعاهد، وشيخنا أبو الحسن الشريف في ضياء العالمين: إنَّ المترجم تفقَّه على مذهب أبي حنيفة. ونصَّ اليافعي في مرآة الجنان، والذهبي في ميزان الاعتدال، والسيوطي في البغية، وأبو الحسنات في الفوائد البهيَّة بأنَّه حنفيُّ المذهب. وقال الخطيب البغدادي في تاريخه، والسمعاني في أنسابه: إنّه كان يعرف الكلام في الاصول على مذهب المعتزلة، وفي كامل ابن الأثير: كان عالماً بأُصول المعتزلة. وفي لسان الميزان: إنَّه يُرمى بالاعتزال، وعدَّه سيِّدنا القاضي في مجالس المؤمنين من قضاة الشيعة، وبذلك نصَّ صاحب مطلع البدور، ونقل صاحب نسمة السحر عن المسوري اليمني: إنَّه كان معتزليَّ الاصول متشيِّعاً جدّاً حنفيَّ المذهب.

والذي يجمع بين هذه الشتات أنَّ الرجل كان معتزليَّ الاصول، وحنفيَّ الفروع، زيديَّ المذهب، ويؤكِّد مذهبه هذا ما ذكره معاصره المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٥١٩ من قوله: إنَّه في وقتنا هذا وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة بالبصرة في جملة الزيديِّين[١] وقصيدته البائيَّة الّتي ذكرنا شطراً منها ترجِّح كفَّة التشيّع في ميزانه، كما أنَّ غير واحد من قضايا ذكرها ولده أبو علي في كتابه [الفرج بعد الشدَّة] نقلاً عن المترجم يؤذن بذلك.

(١) في النسخة: اليزيديين. وهو تصحيف واضح.

وفاته:

توفّي في عصر يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر ربيع الأوّل سنة ٣٤٢ بالبصرة ودفن من الغد في تربة اشتريت له بشارع المربد، قال ولده أبو علي في «نشوار المحاضرة»: وفيما شاهدناه من صحّة أحكام النجوم كفاية، هذا أبي حوّل مولد نفسه في السّنة التي مات فيها وقال لنا: هذه سنةٌ قطع عليٌّ مذهب المنجّمين. وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن البهلول القاضي صهره ينعي نفسه ويوصيه؛ فلما اعتلَّ أدنى علّة وقبل أن تستحكم علّته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا حاضرٌ فبكى ثمَّ أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيّته التي مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاء أبو القاسم غلام زُحل المنجّم، فأخذ يطيب نفسه، ويورد عليه شكوكاً، فقال له: يا أبا القاسم! لستُ ممَّن تخفى عليه فأنسبك إلى غلط، ولا أنا ممّن يجوز عليه هذا فتستغفلني، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضرٌ فقال له: دعني من هذه. بيننا شكٌّ في أنَّه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبع بقين من الشهر فهو ساعة قطع عندهم فأمسك أبو القاسم غلام زُحل لأنَّه كان خادماً لأبي وبكى طويلاً وقال: يا غلام: طست. فجاؤوه به فغسل التحويل وقطّعه وودَّع أبا القاسم توديع مُفارق فلمّا كان في ذلك اليوم العصر مات كما قال.

أخذنا ترجمته من يتيمة الدهر ج ٢ ص ٣٠٩. نشوار المحاضرة. تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٢ ص ٧٧. تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٨. معجم الادباء ج ١٤ ص ١٦٢. أنساب السمعاني. فوات الوفيات ج ٢ ص ٦٨. كامل ابن الأثير ج ٨ ص ١٦٨. تارخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٢٧. مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٣٤. لسان الميزان ج ٤ ص ٢٥٦. معاهد التنصيص ج ١ ص ١٣٦. شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤٢. مجالس المؤمنين ص ٢٥٥. الفوائد البهيَّة في تراجم الحنفيَّة ص ١٣٧. مطلع البدور. الحدائق الورديَّة. نسمة السحر ٢. روضات الجنّات ٤٤٧، ٤٧٧. تنقيح المقال ج ٢ ص ٣٠٢.

قد يوجد الاشتباه في غير واحد من هذه المعاجم كمجالس المؤمنين،

ونسمة السحر، وتنقيح المقال بين ترجمة المترجم وبين ترجمة حفيده أبي القاسم عليٍّ بن المحسن للإتحاد في الإسم والكنية والشهرة بالتنوخي فوقع الخلط بين الترجمتين. يطّلع عليه الباحث بمعونة ما ذكرناه.

خلف المترجَم على علمه الجمِّ وفضائله الكثيرة ولده أبو علي المحسن ابن علي وهو كما قال الثعالبي: هلال ذلك القمر، وغصن هاتيك الشجر، والشاهد العدل. بمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته وفيه يقول أبو عبدالله ابن الحجّاج [الآتي ذكره]:

إذا ذُكر القُضاة وهم شيوخٌ تحيَّرت الشباب على الشّيوخ
ومَن لم يرض لم أصفعه إلاّ بحضرة سيِّدي القاضي التنوخي

له كتاب الفرج بعد الشدَّة. ونشوان المحاضرة. والمستجار من فعلات الأجواد. ديوان شعره، وهو أكبر من ديوان أبيه، سمع بالبصرة من مشايخها، ونزل بغداد وحدَّث بها وأوَّل سماعه بالحديث سنة ٣٣٣، وأوَّل ما تقلّد القضاء بالقصر وبابل وأرباضهما في سنة ٣٤٩، ثمَّ ولاّه المطيع لله بعسكر مكرم وايذج ورامهرمز وتقلّد غيرهما أعمالاً كثيرة في شتّى الجهات، وُلد ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأوَّل سنة ٣٢٧ بالبصرة. وتوفي ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرَّم سنة ٣٨٤ ببغداد وهو في المذهب شبيه أبيه لكن شواهد التشيّع فيه أكثر وأوضح من أبيه.

وأعقب أبو علي المحسن أبا القاسم عليّ خلف أبيه وجدِّه على علمهما الكثار، وأدبهما الغزير، كان يصحب الشريف المرتضى علم الهدى ويلازمه، وكان من خاصَّته، وصحب أبا العلاء المعرّي وأخذ عنه، وكانت بينه وبين الخطيب أبي زكريّا التبريزي صلة ومؤانسة، وتقلّد قضاء المدائن وأعمالها، ودرزنجان؛ والبردان، وقرميسين وغيرها.

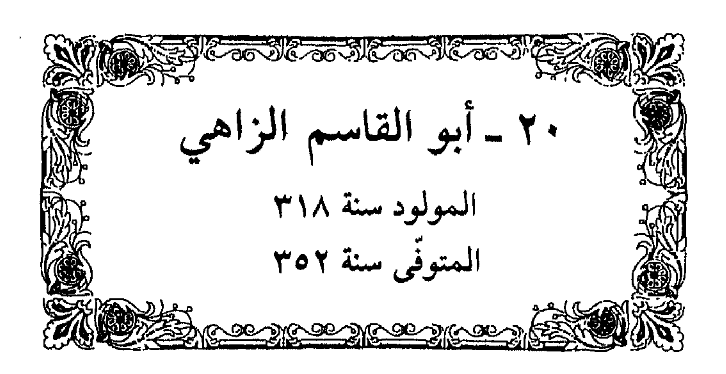
يروي عنه الخطيب البغدادي في تاريخه وترجمه وذكر مشايخه، ويروي عنه أبو الغنائم محمَّد بن عليٍّ بن الميمون النرسي، وهو يروي

عن أبي الحسن عليٍّ بن عيسى الرّماني كما في إجازة العلاّمة الحلي الكبيرة لبني زهرة وعن أبي عبدالله المرزباني المتوفّى سنة ٣٨٤، وأمره في المذهب أوضح من والده وجدِّه، وتشيّعه من المتسالم عليه عند أرباب المعاجم، وُلد في منتصف شعبان سنة ٣٧٠ بالبصرة، وتوفّي ليلة الإثنين ثاني المحرّم سنة ٤٤٧ ودفن بداره بدرب التلِّ.

حدَّث الحموي في «معجم الادباء» عن القاضي أبي عبدالله ابن الدامغاني قال: دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي (الصغير) قبل موته بقليل وقد علت سنّه فأخرج إليَّ ولده من جاريته فلمّا رآه بكى فقلت: تعيش إن شاء الله وتربِّيه ويقرُّ الله عينك به. فقال: هيهات والله ما يُتربّى إلاّ يتيماً وأنشد:

أرى ولد الفتى كلاًّ عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما
فإمّا أن يُخلّفه عدوّاً ... وإمّا أن يُربِّيه يتيما

ثمّ قال: أُريد أن تُزوِّجني من امِّه ـ فإنّني قد أعتقتها ـ على صداق عشرة دنانير. ففعلت، وكان كما قال تربّى يتيماً، وهو أبو الحسن محمَّد بن عليٍّ بن المحسن. قبل القاضي أبو عبدالله شهادته ثمَّ مات سنة أربع وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته، بسط القول في ترجمته الحموي في «معجم الادباء» ج ١٤ ص ١١٠ ـ ١٢٤.



٢٠ - أبو القاسم الزاهي

المولود سنة ٣١٨

المتوفّى سنة ٣٥٢

لا يهتدي إلى الرشاد مَن فَحص ... إلّا إذا والى علـيّـاً وخـلـصْ

ولا يـذوق شربـةً من حوضـه ... من غمس الولا عليه وغمصْ

ولا يشمُّ الـرَّوح من جنـانـه ... مَن قال فيه مَن عداه وانتقصْ

نفس النبيِّ المصطفى والصنو والـ ... ـخليفة الوارث للعلـم بنصّ

من قد أجاب سـابقاً دعـوته ... وهـو غـلامٌ وإلى الله شخصْ

ما عرف اللّات ولا العزّى ولا ... انثنى إليهمـا ولا حـبَّ ونص

مَن ارتقى متن النبيِّ صـاعداً ... وكسّر الأوثان في اولى الفرصْ

وطهَّـر الكعبـة مِن رجس بهـا ... ثمَّ هوى للأرض عنها وقمصْ

مَن قـد فـدا بنفسـه محمَّـداً ... ولم يكن بنفسـه عنـه حـرصْ

وبـات من فوق الفـراش دونه ... وجاد فيما قد غلا وما رخصْ

مَن كـان في بدرٍ ويـوم أُحـد ... قطُّ من الأعناق ما شاء وقصْ

فقـال جبريـل ونادى: لا فتى ... إلّا عليٌّ عمَّ في القول وخصْ

مَن قدَّ عمرو العـامريَّ سيفـه ... فخرّ كالفيل هوى ومـا فحصْ

وراء مـا صـاح: ألا مـبـارزٌ ... فالتوت الأعنـاق تشكو من وقصْ[1]

مـن أُعـطي الـرايـة يـوم خيـبر ... من بعـدما بهـا أخو الـدعوى نكصْ

وراحِ فيهـا مبصـراً مستبصـراً ... وكـان أرمـداً بعينيـه الـرمصْ

---

(١) وقص العنق. كسرها ودقها.

فـاقتلع البـاب ونـال فتحـه ... ودكَّ طود مرحبٍ لَمّا قعصْ[١]
مَن اكسح البصرة مَن نـاكثها ... وقصَّ رجل عسكر بمـا رقصْ
وفـرَّق المـال وقـال: خمسـةٌ ... لواحد. فساوت الجند الحصصْ
وقال في ذي اليوم يـأتي مددٌ ... وعـدَّه فلم يـزد ومـا نقصْ
ومَن بصفِّين نضـا حسـامـه ... ففلق الهام وفرَّق القصصْ[٢]
وصـدَّ عن عمرو وبُسر كرمـاً ... إذ لقيا بالسوأتين من شخصْ[٣]
ومَن أسـال النهروان بـالدمـا ... وقطَّع العرق الذي بها رهصْ
وكـذَّب القائـل أن قد عبـروا ... وعدَّ من يحصد منهم ويحصْ[٤]
ذاك الذي قد جمع القرآن في ... أحكـامه للواجبـات والرُّخص
ذاك الـذي آثـر في طعـامـه ... على صيـامه وجـاد بـالقُـرَصْ
فـأنـزل الله تعـالى هـل أتى ... وذَكر الجزاء في ذاك وقصْ[٥]
ذاك الذي استوحش منه أنسٌ ... أن يشهد الحقَّ فشاهد البرصْ[٦]
إذ قال: مَن يشهد بالغدير لي ... فبادَرَ السامـعُ وهو قـد نكصْ
فقال: أنسيت. فقال: كاذب ... سوف ترى ما لا تُواريه القمصْ
يا بن أبي طالب يا مَن هو مِن ... خاتم الأنبياء في الحكمة فُصْ
فضلك لا يُنكـر لكن الـولا ... قد ساغه بعضٌ وبعضٌ فيه غصْ
فـذكـره عنـد مـواليـك شفـا ... وذكـره عند معـاديـك غُصصْ
كالطير بعضٌ في رياض أزهرت ... وابتسم الوَرد وبعضٌ في قفسْ

وله في ذكر خلافة أمير المؤمنين عليه السَّلام وإنَّها له بنصّ حديث الغدير قوله:

---

(١) قعصه وأقعصه. قتله مكانه. أجهز عليه.
(٢) القص: الصدر أو عظمه.
(٣) مرت قصته عليه السلام مع عمرو وبسر في الجزء الثاني ص ١٨٦ - ١٩٤.
(٤) حص الشيء: قطع عنه.
(٥) أسلفنا نزول هل أتى في العترة الطاهرة وسيّدهم في هذا الجزء ص ١٤٢ - ١٤٦، ٩٧.
(٦) مر تفصيل قصة أنس في الجزء الأول ص ١٩١.

قدَّمتُ حيدر لي مولى بتأمير لَمّـا علمت بتنقيبي وتنقيـري
إنَّ الخلافة مِن بعـد النبيِّ له كانت بأمر من الرَّحمن مقدورِ
مَن قـال أحمد في يـوم «الغـديـر» لـه بـالنقـل في خـبرٍ بـالصِّـدق مـأثـور
: قم يـا عـليُّ فكن بعـدي لهم علماً واسعـد بمنقلبٍ في البعص محبـورِ
مولاهمُ أنت والموفي بأمرهمُ نصٌّ بوحي على الأفهام مسطورِ
وذاك أنَّ إلـه العرش قـال لـه : بلّغ وكن عند أمري خير مأمورِ
فـإن عصيت ولم تفعـل فـإنَّـك مـا بلّغت أمـري ولم تصـدع بتـذكـيري

وله قوله يمدح أمير المؤمنين عليه السَّلام ويذكـر فرض ولائه بحـديث الغدير:

دع الشنـاعات أيّهـا الخدعـه واركن إلى الحقِّ واغـدُ متَّبعه
مَـن وحَّـد الله أوَّلاً وأبـى إلاّ الـنبـيَّ الامـيَّ واتـبعـه
مَن قال فيه النبيُّ : كان مع ا لحقِّ عليٌّ والحقُّ كـان معـه
مَن سـلَّ سيف الإلـه بينهمُ سيفاً من النور ذو العُلى طبعه
مَن هزَّم الجيش يوم خيبـرهم وهـزَّ باب القمـوص فـاقتلعـه
مَن فرَّض المصطفى ولاه على الخلق بيوم «الغديـر» إذ رفعه
أشهـد أنَّ الـذي تقـول بـه يعلم بـطلانـه الـذي سمعـه

وقال يمدحه صلوات الله عليه:

أُقيم بخُمٍّ للخـلافـة حيـدرٌ ومِن قبلُ قال الطّهر ما ليس يُنكرُ
غداة دعاه المصطفى وهو مُزمعٌ لقصد تبوك وهو للسير مضمرُ
فقال: أقم عنّي بطيبةَ واعلمن بـأنّـك لِلفُجّـار بـالحقِّ تقهـرُ
ولَمّا مضى الطهر النبيُّ تظاهرت عليه رجالٌ بـالمقال واجهروا
فقالوا: عليٌّ قـد قلاه محمَّـدٌ وذاك مِن الأعداء إفكٌ ومنكـرُ
فـأتبعه دون المعـرَّس فـانثنى وقالوا: عليٌّ قد أتى فتأخـروا
ولَمّـا أبان القـول عمَّن يقولـه وأبدى له ما كان يبدي ويضمرُ
فقال: أما ترضى تكون خليفتي كهارون من موسى؟وشأنك أكبر
وعلّاه خير الخلق قدراً وقدرةً وذاك مـن الله العـليِّ مـقـدَّرُ

وقال رسول الله : هذا إمامكم لـه الله نـاجى أيّهـا المتحيِّرُ

الشاعر

أبو القاسم عليّ بن إسحاق بن خلف القطّان البغدادي النازل بالكرخ في قطيعة الرَّبيع[١] الشهير بالزاهي[٢] شاعرٌ عبقريٌّ تحيَّز في شعره إلى أهل بيت الوحي، ودان بمذهبهم، وأدَّى بمودَّتهم أجر الرسالة، فكان أكثر شعره الواقع في أربعة أجزاء فيهم مدحاً ورثـاءً بحيثُ عدَّ في «معـالم العلماء» في طبقـة المجاهدين من شعرائهم وصّافاً، فلم يزل فيه يُكافح عنهم ويُناطـح، ويُنازل ويُناضل، ولذلك لم يلف نُشوراً بين مَن كان يُناوئهم أو لا يقول بأمرهم،فحسبوه مقلاًّ من الشعر كما في «تاريخ بغداد» وغيـره، غير أنَّ جـزالة شعـره، وجودة تشبيهه، وحسن تصويره، لم يدع لأرباب المعاجم منتدحاً من إطرائه .

وفي فهم المعنى الذي لا يُبارح الخلافة والإمامة من لفظ المولى من مثل الزاهي العارف بمعاريض الكلام، والمتسالم على تضلّعه في اللغة والأدب العربيِّ، وبثّه في نظمه لَحجَّـةٌ قويَّـةٌ على الصَّواب الـذي ترتئيه الشيعـة في الإستدلال بحديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين عليه السَّلام.

وُلد [الزاهي] يوم الإثنين لعشر ليال بقين من صفر سنة ٣١٨ كما نصَّ به ابن خلّكان نقلاً عن «طبقات الشعراء» لعميد الدولة. وتُوفّي ببغداد يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الاولى سنة ٣٥٢ في رواية عميد الدولة ودفن في مقابر قريش. أو بعد سنة ٣٦٠ فيما قاله الخطيب نقلاً عن التنوخي. وأرَّخه السمعاني كذلك نقلاً عن الخطيب.

ولمّا لم يكن في المعاجم عنايةٌ بشعره المذهبيِّ الراقي فنحن نذكر منه

---

(١) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ووالد وزير الفضل بن الربيع.

(٢) نسبة إلى «زاه» قرية من قرى نيسابور يقال في النسبة إليها: زاهي . وأزاهي .

شطراً فمن ذلك قوله يمتدح به أمير المؤمنين عليه السَّلام:

يـا سادتي يـا آل يـاسين فقطْ ... عليكم الـوحي مـن الله هبطْ
لـولاكمُ لـم يقبل الفـرض ولا ... رحنا لبحر العفو من أكرم شطْ
أنتم وُلاة العهد في الذرِّ ومَن ... هـواهمُ الله علينـا قـد شـرطْ
مـا أحـدٌ قـايسكم بغيـركم ... وما زج السلسل بالشرب اللمطْ
إلّا كمن ضاهى الجبال بالحصا ... أو قايس الأبحر جهـلًا بالنُقطْ
صنـو النبيِّ المصطفى والكـاشف الـ ... ـغـمّاء عنـه والحسـام المختـرطْ
أوّل مَن صـام وصلّى سـابقـاً ... إلى المعالي وعلى السبق غُبطْ
مكلّم الشمس ومَن رُدَّت لـه ... ببـابل والغـرب منهـا قـد قبطْ
وراكض الأرض ومـن أنبـع لـلـ ... ـعسكر ماء العـين في الوادي القحطْ
بحـرٌ لديـه كـلُّ بحـر جـدول ... يغـرف من تيَّـاره إذا اغتمطْ
وليث غـابٍ كـلُّ ليثٍ عنـده ... ينـظره العقل صغيـراً إذ قلطْ
باسط علم الله في الأرض ومَن ... بحبِّـه الـرَّحمن لِلرِّزق بسطْ
سيفٌ لو أنَّ الطفل يلقى سيفه ... بكفّـه في يـوم حـرب لشمطْ
يخطو إلى الحرب بـه مدرَّعـاً ... فكم به قد قدَّ من رجسٍ وقطْ

قوله: مكلّم الشمس

أشار به إلى ما رُوي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّه قال لعليٍّ: يا أبا الحسن كلّم الشمس فإنَّها تُكلّمك. قال عليٌّ عليه السَّلام: السَّلام عليكَ أيّها العبد المطيع لله ورسوله. فقالت الشمس: وعليكَ السَّلام يـا أمير المؤمنين، وإمـام المتَّقين، وقائـد الغرِّ المحجَّلين،يـا عليُّ أنت وشيعتـك في الجنَّة، يا عليُّ أوَّل من تنشق عنه الأرض محمَّد ثمَّ أنت، وأوَّل من يُحيى محمَّد ثمَّ أنت، وأوَّل مَن يُكسى محمَّد ثمَّ أنت. فسجد عليّ عليه السَّلام لله تعالى وعيناه تذرفان بالدُّموع، فانكبَّ عليه النبيُّ فقال: يا أخي وحبيبي: ارفع رأسك فقد باهى الله بك أهل سبع سماوات.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّوئي في «فرائدالسمطين» ب ٣٨. والخوارزمي في «المناقب» ص ٦٨. والقندوزي في «الينابيع» ص ١٤٠.

(قوله: ومَن رُدّت له ببابل).

حديث ردِّ الشمس لعليٍّ عليه السَّلام ببابل أخرجه نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين ص ١٥٢ ط مصر بإسناده عن عبد خير[١] قال كنت مع عليٍّ أسير في أرض بابل وحضرت الصَّلاة صلاة العصر قال: فجعلنا لا نأتي مكاناً إلا رأيناه أفيح من الآخر. قال: حتّى أتينا على مكانٍ أحسن ما رأينا وقد كادت الشمس أن تغيب. قال: فنزل عليٌّ ونزلت معه قال: فدعا الله فرجعت الشَّمس كمقدارها من صلاة العصر قال: فصلّينا العصر ثمَّ غابت الشمس.

قوله: «ومَن أنبع للعسكر ماء العين».

أشار به إلى ما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفِّين ص ١٦٢ بإسناده عن أبي سعيد التيمي التابعيّ المعروف بعقيصا أنَّه قال: كنّا مع عليّ في مسيره إلى الشّام حتّى إذا كنّا بظهر الكوفة من جانب هذا السواد، عطش الناس واحتاجوا إلى الماء؛ فانطلق بنا عليٌّ حتّى أتى بنا على صخرة ضرس من الأرض كأنها ربضة عنز، فأمرنا فاقتلعناها، فخرج لنا ماءٌ، فشرب الناس منه وارتووا، قال: ثم أمرنا فأكفأناها عليه. قال وسار الناس حتّى إذا مضينا قليلاً قال عليٌّ: منكم أحد يعلم مكان هذا الماء الذي شربتم منه؟ قالوا: نعم يا أمير المؤمنين. قال: فانطلقوا إليه. قال فانطلق منّا رجال ركباناً ومشاةً فاقتصصنا الطريق حتّى انتهينا الى المكان الذي نرى أنَّه فيه، قال: فطلبناها[٢]. فلم نقدر على شيءٍ حتّى إذا عِيل علينا انطلقنا إلى دير قريب منّا فسألناهم: «أين الماء الذي هو عندكم؟ قالوا: ما قربنا ماءٌ، قالوا: بلى إنّا شربنا منه. قالوا: أنتم شربتم منه؟ قلنا: نعم. قال [صاحب الدير]: ما بني هذا الدير إلّا بذلك الماء، وما استخرجه إلّا نبيٌّ أو وصيُّ نبيّ. وأخرجه الخطيب في تاريخه جزء ١٢ ص ٣٠٥.

---

(١) مرت ترجمته وثقته في ج ١ ص ٩٥.

(٢) أي الصخرة.

ومن قصيدته الطائيَّة قوله:

وهـو لـكـلِّ الأوصيـاء آخـرٌ   بضبطه التوحيد في الخلق انضبطْ
بـاطن علم الغيب والـظاهـر في   كشف الإشارات وقطب المغتبطْ
أحيى بحـدِّ سيفـه الـدين كمـا   أمـات مـا أبـدع أربـاب اللغطْ
مفقِّـه الأُمَّـة والقـاضي الَّـذي   أحاط من علم الهدى مـا لم يُحطْ
والنَّبـأ الأعـظم والـحجَّـة والـ   ـمحنةوالمصباحفيالخطبالورطْ
حبـلٌ إلى الله وبـاب الحـطَّة الـ   ـفـاتح بـالرُّشـد مغاليق الخـططْ
والقـدم الصَدق الـذي سيط بـه   قلب امـرىءٍ بالخـطوات لم يسطْ
ونهـر طـالـوت وجنب اللّه والـ   ـعَينُ التي بنـورهـا العقـل خبطْ
والأُذن الـواعيـة الصمّـاء عن   كـلِّ خنـا يغـلط فيـه مـن غلطْ
حسن مآب عند ذي العـرش ومَن   لـولا أيـاديـه لـكنّـا نـختـبطْ

قوله: الأُذن الواعية:

إشارةٌ إلى ما أخرجه الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١ ص ٦٢ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنَّه قال: يا عليُّ: إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أُدنيك وأُعلّمك لتعي وأُنزلت هذه الآية: ﴿**وتعيها أُذُنٌ واعيةٌ**﴾. فأنت أُذنٌ واعيةٌ لعلمي. وأخرجه جمعٌ من الحفّاظ وقال القاضي عضد الأيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦: أكثر المفسِّرون (في قوله تعالى): ﴿**وتعيها أُذُنٌ واعيـةٌ**﴾ أنّه عليٌّ.

وله في مدح مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قوله:

وال عليّـاً واستضىء مقبـاسـهُ   تـدخل جنـاناً ولتسقي كـاسـهُ
فمن تـولّاه نجـا ومن عَـدا   مـا عرف الـدِّين ولا أسـاسـهُ
أوَّل مَن قـد وحّـد الله ومـا   ثنى إلى الأوثـان يـومـاً راسـهُ
فـدى النبيَّ المصطفى بنفسـه   إذ ضيَّقت أعـداؤه أنفـاسـهُ
بـات على فـرش النبيِّ آمنـاً   والليـل قد طـافت به أحـراسهُ
حتى إذا مـا هجم القوم على   مُستيقظٍ بـنصـله أشمـاسـهُ
ثـار إليهم فتـولّـوا مـزقـاً   يمنعهم عن قـربـه حمـاسـهُ

مُكسِّر الأصنام في البيت الذي أُزيح عن وجه الهدى غماسهُ
رقي على الكاهل من خير الورى والـدين مقـرونٌ بـه أنباسـهُ
ونكّس الـلاّت وألقى هبَـلاً مُهشّمـاً يقـلبـه انتكـاسـهُ
وقـام مولايَ على البيت وقـد طهَّـره إذ قـد رمى أرجـاسـهُ
واقتلع البـاب اقتلاعـاً معجزاً يسمـع في دويّـه ارتجـاسـهُ
كـأنّـه شـرارةٌ لـمـوقـد أخـرجهـا من نـاره مقبـاسـهُ
مَن قد ثنى عمرو بن ودٍّ ساجياً إذ جـزع الخنـدق ثمَّ جـاسـهُ
مَن هبط الجبّ ولم يخش الرَّدى والمـاء منحـلّ السقـا فجـاسـهُ
مَن أحرق الجنَّ برجم شهبه أشـواظـه يقـدمهـا نحـاسـهُ
حتّى انثنت لأمـره مـذعنـةً ومنهمُ بـالعـوذ احتـراسـهُ

«بيان»:

أشار بقوله: مَن هَبَط الجبَّ. إلى ما أخرجه الإمام أحمد في المناقب عن عليّ عليه السَّلام قال: لَمّـا كان ليلة بدر قال رسول الله صـلّى الله عـليـه وسلم: من يستقي لنا من الماء؟ فأحجم الناس عنه فقام عليّ فاعتصم بالقربة ثمَّ أتى بئراً بعيدة القعر مظلمة فانحـدر فيها فـأوحى الله إلى جبرائيـل وميكائيـل وإسرافيل: تأهَّبوا لنصر محمَّد وحزبه. فهبطوا من السَّماء لهم لفظٌ يـزعر من سمعه فلمّا مرّوا بالبئر سلّموا عليه من أوَّلهم إلى آخرهم إكراماً له وتبجيلاً. شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٥٠.

وله في مدحه صلوات الله عليه قوله:

هذا الَّذي أردى الوليد وعتبـة والعامريَّ وذا الخمار ومرحبـا
هذا الَّذي هشمت يداه فوارساً قسـراً ولم يك خـائفاً متـرقِّبـا
في كلِّ منبت شعرةٍ من جسمه أسدٌ يمدُّ إلى الفريسة مخلبـا

وله فيه سلام الله عليه قوله:

أبـا حسن جعلتـك لي مـلاذاً ألـوذ بـه ويشملني الـزِّمـامـا
فكن لي شافعاً في يوم حشري وتجعل دار قدسك لي مقامـا
لأنّـي لـم أكـن مِـن نـعـثـليٍّ ولا أهــوى عتيق ولا دمـامـا

وله مادحاً أهل البيت الطاهر قوله:

يا لائمي في الولا هل أنت تعتبرُ بمن يُوالي رسول الله أو يذرُ؟
قومٌ لو أنَّ البحار تنزف بالأ قلام مشقاً وأقلام الدُّنا شجرُ[١]
والإنس والجنُّ كُتّابٌ لفضلهمُ والصحف ما احتوت الآصال والبكرُ
لم يكتبوا العُشر بل لم يعد جهدهمُ في ذلك الفضل إلاّ وهو محتقرُ
أهل الفخار وأقطاب المدارِ وَمَنْ أضحت لأمرهمُ الأيّام تأتمرُ
هم آل أحمد والصيد الجحاجحة الز هر الغطارفة العلويَّة الغررُ
والبيض من هاشم والأكرمون اولوا الفضل الجيل ومن سادت بهم مضرُ.
فافطن بعقلك هل في القدر غيرهمُ قومٌ يكاد إليهم يرجع القدرُ
أُعطوا الصفا نهلاً أعطوا النبوَّة مِن قبل المزاج فلم يلحق بهم كدرُ
وتوّجوا شرفاً ما مثله شرفٌ وقلّدوا خطراً ما مثله خطرُ
حسبي بهم حججاً للّه واضحةً يجري الصَّلاة عليهم أينما ذكروا
هم دوحة المجد والأوراق شيعتهم والمصطفى الأصل والذريَّة الثمر[٢]

وله في رثاء أهل البيت قوله:-

يا آل أحمد ماذا كان جرمكمُ؟ فكلُّ أرواحكم بالسيف تُنتزعُ
تلفى جموعكمُ شتى مُفرَّقة بين العباد وشمل الناس مجتمعُ
وتستباحون أقماراً مُنكَّسةً تهوي وأرؤسها بالسُّمر تقترعُ
ألستمُ خير من قام الرَّشاد بكم وقوّضت سنن التضليل والبدعُ؟!
ووُحِّد الصمد الأعلى بهديكمُ إذ كنتمُ علماً للرُّشد ويُتَّبعُ؟
ما للحوادث لا تجري بظالمكم؟ ما للمصائب عنكم ليس ترتدعُ

(١) أشار إلى ما ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم من قوله: لو أن الأشجار أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإنس كتاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.
مناقب الخوارزمي ج ١: ص ٢٥٩. كفاية الطالب ص ١٢٣، تذكرة السبط ص ٨.

(٢) فيه إيعاز إلى ما مر في هذا الجزء ص ٢٥، ٢٦

منكم طريدٌ ومقتولٌ على ظمأٍ ومنكمُ دنفٌ بالسمر مُنصرعُ
وهاربٌ في أقاصي الغرب مغتربٌ ودارعٌ بدم اللبّاب مندرعُ
ومقصد من جدارٍ ظلّ مُنكدراً وآخر تحت ردمٍ فوقه يقعُ
ومن محرَّق جسم لا يُزار له قبرٌ ولا مشهدٌ يأتيه مرتدعُ
وإن نسيت فلا أنسى الحسين وقد مالت إليه جنود الشرك تقترعُ
فجسمه لحوامي الخيل مطَّرد ورأسه لسنان السّمر مرتفعُ

وله في رثائهم سلام الله عليهم قوله :

بنو المصطفى تفنون بالسيف عنوةً ويسلمني طيف الهجوع فاهجعُ!
ظلمتم وذُبّحتم وقسّم فيئكم وجار عليكم مَن لكم كان يخضعُ
فما بقعةٌ في الأرض شرقاً ومغرباً وإلاّ لكم فيه قتيلٌ ومصرعُ

وله في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السَّلام قوله :

أُعاتب عيني إذا أقصرتْ وأفني دموعي إذا ما جرتْ
لذكراكمُ يا بني المصطفى دموعي على الخطِّ قد سطَّرتْ
لكم وعليكم جفت غمضها جفوني عن النوم واستشعرتْ
أُمثِّل أجسادكم بالعراق وفيها الأسنَّة قد كسِّرتْ
أُمثلكم في عِراص الطفوف بدوراً تكسَّف إذ أقمرتْ
غدت أرض يثرب من جمعكم كخطِّ الصحيفة إذ أقفرتْ
وأضحى بكم كربلا مغرباً كزهر النجوم إذا غوَّرتْ
كأنّي بزينب حول الحسين ومنها الذوائب قد نُشِّرتْ
تمرِّغ في نحره وجهها وتُبدي من الوجدِ ما أضمرتْ
وفاطمةٌ لها طائرٌ إذ السوطَ في جنبها أبصرتْ
ولِلسبط فوق السرى جُثّةٌ بفيض دم النحر قد عُفِّرتْ
وفتيته فوق وجد الثرى كمثل الأضاحي إذا جُزِّرتْ
وأرؤسهم فوق سُمر قنا كمثل الغصون إذا أثمرتْ
ورأس الحسين أمام الرّفاق كغرَّة صُبح إذا أسفرتْ

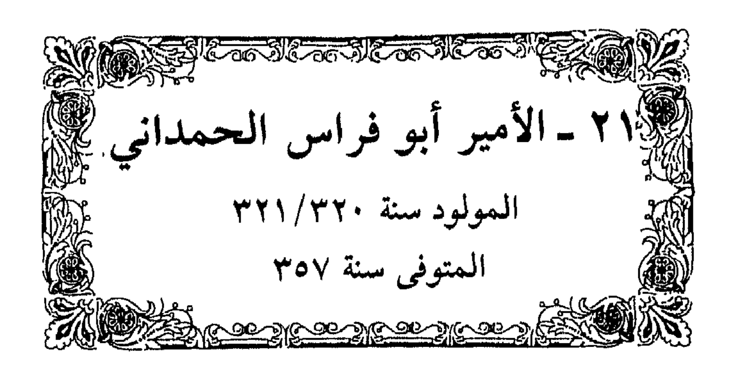
وله في رثائه صلوات الله عليه قوله:

ابكي يا عين ابكي آل رسول الله حتّى تُخدَّ منكِ الخدودُ
وتقلّب يا قلبُ في ضَرم الحزن فما في الشجا لهم تفنيدُ
فهمُ النخل باسقاتٌ كما قال سوامٌ لهنَّ طلعٌ نضيدُ
وهمُ في الكتاب زيتونة النور وفيها لكلِّ نارٍ وقودُ
وبأسمائهم إذا ذكر الله بأسمائه اقترانٌ أكيدُ
غادرتهم حوادث الدّهر صرعى كلُّ شهم بالنفس منه يجودُ
لست أنسى الحسين في كربلاء وهو ظامٍ بين الأعادي وحيدُ
ساجدٌ يلثم الثرى وعليه قضب الهند رُكّعٌ وسجودُ
يطلب الماء والفرات قريبٌ ويرى الماء وهو عنه بعيدُ
يا بني الغدر مَن قتلتم؟ لعمري قد قتلتم مَن قام فيه الوجودُ

وله في أهل البيت الطاهر سلام الله عليهم:

قومٌ سماؤهمُ السيوف وأرضهم أعداؤهم ودم النّحور بُحورها
يستمطرون من العجاج سحائباً صوب الحتوف على الزحوف مطيرها
وحَنادس الفتن التي إن أظلمت فشموسها آراؤهم وبُدورها
ملكوا الجنان بفضلهم فرياضها طرّاً لهم وخيامها وقُصورها
وإذا الذُّنوب تضاعفت فبحبِّهم يُعطي الأمان أخا الذنوب غفورها
تلك النجوم الزُّهر في أبراجها ومن السنين بهم تتمُّ شهورها

أخذنا ترجمة (الزاهي) من تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٥٠. يتيمة الدهر ج ١ ص ١٩٨. أنساب السمعاني. مناقب ابن شهرآشوب ومعالمه. تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٩٠. مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٤٩. مجالس المؤمنين ٤٥٩. بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٥٥ الكنى والألقاب ج ٢ ص ٢٥٧. دائرة المعارف للبستاني ج ٩ ص ١٦١. الأعلام للزركلي ج ٢ ص ٦٥٩.



٢١ ـ الأمير أبو فراس الحمداني

المولود سنة ٣٢٠/٣٢١

المتوفى سنة ٣٥٧

الحقُّ مُهتضَمٌ والدين مُخترمُ ... وفيء آل رسول الله مُقتسَمُ

والناس عندك لا ناسٌ فيحفظهم ... سوم الرُّعاة ولا شاءٌ ولا نعمُ

إنّي أبيت قليل النَّوم أرَّقني ... قلبٌ تَصارع فيه الهمُّ والهممُ

وعزمةٌ لا ينام الليل صاحبها ... إلّا على ظفر في طيِّه كرمُ

يُصان مُهري لأمرٍ لا أبوح به ... والدرع والرمح والصمصامة الخذمُ[1]

وكلّ مائرة الضبعين مسرحها ... رمث الجزيرة والخذراف والعنمُ[2]

وفتيةٌ قلبهم قلبٌ إذا ركبوا ... وليس رأيهمُ رأياً إذا عزموا

يا للرِّجال أما لله منتصرٌ ... من الطغاة؟ أما لله مُنتقمُ؟

بنو عليٍّ رعايا في ديارهمُ ... والأمر تملكه النسوان والخدمُ

محلّئون فأصفى شربهم وشَلٌ ... عند الورود وأوفى ودِّهم لممُ[3]

فالأرض إلّا على ملّاكها سعةٌ ... والمال إلّا على أربابهِ ديمُ

فما السعيد بها إلّا الذي ظُلموا ... وما الشقيُّ بها إلّا الذي ظلموا

لِلمتَّقين من الدنيا عواقبها ... وإن تعجَّل منها الظالم الأثمُ

---

(١) الحذم من السيوف بالحاء المهملة: القاطع.

(٢) مار: تحرك. الضبع: العضد. كناية عن السمن. الرمث بكسر المهملة: خشب يضم بعضه إلى بعض ويسمى: الطوف. الخذراف بكسر الخاء ثم الدال المعجمتين: نبات إذا أحس بالصيف يبس. العنم بفتح المهملة. نبات له ثمرة حمراء يشبه به البنان المخضوب.

(٣) حلاه عن الماء: طرده. الوشل الماء القليل. لمم: أي غب.

أَتفخـرون عليهم لا أبـاً لكمُ ... حتّى كأنَّ رسول الله جدُّكمُ؟!
ولا تـوازن فيما بينكم شـرفٌ ... ولا تساوت لكم في موطن قدمُ
ولا لكم مثلهـم في المجـد متصـلٌ ... ولا لجـدِّكُـم مـعـشار جـدِّهـمُ
ولا لعـرقكمُ من عرقهم شبـهٌ ... ولا نثيلتكم من أُمّهم أمـمُ[1]
قام النبيُّ بها «يوم الغدير» لهم ... والله يشهـد والأملاك والأُممُ
حتى إذا أصبحت في غيـر صاحبهـا ... بـاتت تُنازعهـا الـذُّؤبـان والـرخمُ
وصيَّروا أمرهم شـورى كأنَّهمُ ... لا يعــرفـون وُلاة الحقِّ أيّهمُ
تالله ما جهل الأقوام مـوضعها ... لكنَّهم ستروا وجه الّذي علموا
ثمّ ادَّعاها بنو العبّاس ملكهم ... ولا لهم قَـدَمٌ فيهـا ولا قِــدمُ
لا يذكرون إذا ما معشر ذكروا ... ولا يُحَكّم في أمر لهم حِكَـمُ
ولا رآهم أبـو بكـر وصـاحبـه ... أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا
فهل هُـم مدَّعوها غيـر واجبةٍ؟ ... أم هل أئمّتهم في أخذها ظلموا؟
أمّـا عليٌّ فـأدنى من قـرابتكم ... عند الولاية إن لـم تُكفر النعمُ
أينكـر الحبر عبـد الله نعمته؟ ... أبوكمُ أم عُبيد الله أم قثمُ؟!؟!
بئس الجــزاءُ جــزيتم في بني حسـن ... أبــاهـم الـعَـلَم الهــادي وأُمَّـهــمُ
لا بيعـة ردَّعتكم عن دمـائهمُ ... ولا يمين ولا قُــربى ولا ذَممُ
هـلّا صفحتم عن الأسرى بلا سبب ... لِلصّـافحين ببــدر عن أسيركمُ؟!
هلّا كففتم عن الديبـاج سوطكمُ[2] ... وعن بنـات رسول اللّه شتمكمُ؟[3]
ما نزّهت لـرسول الله مهجتـه ... عن السياط فهلّا نـزّه الحرمُ؟
مـا نال منهم بنـو حرب وإن عـظمت ... تـلك الجـرائـر إلّا دون نيــلكـمُ
كم غـدرةٍ لكم في الـدين واضحــةٍ ... وكـم دمٍ لــرســول اللّه عـنــدكمُ
أنتم له شيعةٌ فيمـا ترون وفي ... أظفاركم من بنيه الطاهرين دمُ

(١) نثيلة هي ام العباس بن عبد المطلب. الأمم: القرب.

(٢) الديباج هو محمد بن عبدالله العثماني أخو بني حسن لامّهم فاطمة بنت الحسين السبط ضربه المنصور مأتين وخمسين سوطاً.

(٣) لعله أشار إلى قول منصور لمحمد الديباج: يا بن اللخناء. فقال محمد: بأبي أُمهاتي تعيِّرني؟ أبفاطمة بنت الحسين؟ أم بفاطمة الزهراء؟ أم برقية؟.

هيهات لا قرَّبت قربى ولا رحمُ يوماً إذا أقصت الأخلاق والشيم
كانت مودة سلمانٍ له رحِماً ولم يكن بين نوح وابنه رحمُ
يـا جـاهـداً في مساويهم يُكتمها غدر الرشيد بيحيى كيف ينكتمُ؟(١)
ليس الرشيد كموسى في القياس ولا مأمونكم كالرضا لو أنصف الحكمُ
ذاق الزبيري غبَّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتُّهمُ(٢)
باؤا بقتل الرِّضا مِن بعد بيعته وأبصروا بعض يوم رُشدهم وعَموا
يا عصبة شقيت مِن بعدما سعدتْ ومعشراً هلكوا من بعدِ ما سلموا
لبئسما لقيت منهم وإن بليت بجانب الطفِّ تلك الأعظم الرِّممُ(٣)
لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ولا الهبيريّ نجّا الحلف والقسمُ(٤)
ولا الأمان لأهل الموصل اعتمدوا فيه الوفاء ولا عن غيِّهم حلموا(٥)
أبلغ لديك بني العبّاس مالكةً لا يدَّعوا ملكها ملاّكها العجمُ
أيّ المفاخر أمست في منازلكم وغيركم آمرٌ فيها ومحتكمُ؟
أنّى يزيدكمُ في مفخر عَلمٌ؟ وفي الخلاف عليكم يخفق العَلمُ
يَا باعة الخمر كفّوا عن مفاخركم لمعشر بيعهم يوم الهياج دمُ
خلّوا الفخار لعلاّمين إن سُئلوا يوم السؤال وعمّالين إن عملوا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ولا يضيعون حكم الله إن حكموا
تُنشي التلاوة في أبياتهم سحراً وفي بيوتكمُ الأوتار والنغمُ

---

(١) أشار إلى غدر الرشيد بيحيى بن عبدالله بن الحسن الخارج ببلاد الديلم سنة ١٧٦ فإنه أمنه ثم غدره وحبسه ومات في حبسه.

(٢) الزبيري هو عبدالله بن مصعب بن الزبير باهله يحيى بن عبدالله بن حسن فتفرقا فما وصل الزبيري إلى داره حتى جعل يصيح: بطني بطني. ومات.

(٣) أشار إلى ما فعله المتوكل بقبر الإمام الشهيد.

(٤) أبو مسلم هو الخراساني مؤسس دولة بني العباس قتله المنصور والهبيري: هو يزيد بن عمر بن هبيرة أحد ولاة بني امية حاربه بنو العباس أيام السفاح ثم أمنوه فخرج إلى المنصور بعد المواثيق والأيمان فغدروا به وقتلوه سنة ١٣٢ .

(٥) استعمل السفاح أخاه يحيى بن محمد على الموصل فأمنهم ونادى: من دخل الجامع فهو آمن. وأقام الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلاً ذريعاً قيل: إنه قتل فيه أحد عشر ألفاً ممن له خاتم، وخلقاً كثيراً ممن ليس له خاتم، وأمر بقتل النساء والصبيان ثلاثة أيام وذلك في سنة ١٣٢.

منكم عُلّية أمّ منهم؟ وكان لكم ... شيخ المغنِّين إبراهيم أم لهمُ؟(١)
إذا تلوا سورةً غنّى إمامكمُ ... قف بالطلول التي لم يعقها القِدمُ
مافي بيوتهمُ للخمر مُعتصرٌ ... ولا بيوتكمُ لِلسّوء مُعتصمُ
ولا تبيت لهم خنثى تنادمهم ... ولا يُرى لهمُ قردٌ ولا حشمُ(٢)
الركن والبيت والأستار منزلهم ... وزمزم والصّفا والحجر والحرمُ
وليس مِن قَسَمٍ في الذِّكر نعرفه ... إلاّ وهم غير شكٍّ ذلك القسمُ

(ما يتبع الشعر)

توجد هذه القصيدة كما رسمناها ٥٨ بيتاً في ديوانه المخطوط المشفوع بشرحه لابن خالويه النحوي المعاصر له المتوفّى بحلب في خدمة بني حمدان سنة ٣٧٠، وخمَّس منها العلاّمة الشيخ إبراهيم يحيى العاملي ٥٤ بيتاً، وذكر تخميسه في [منن الرَّحمان] ج ١ ص ١٤٣ مستهلّه:

يا للرِّجال لجرحٍ يلتئمُ ... عمر الزمان وداءٌ ليس ينحسمُ
حتّى متى أيّها الأقوام والأممُ ... الحقُّ مهتضمٌ والدين مخترم
أودى هدى الناس حتّى إنَّ أحفظهم ... للخير صار بقول السّوء ألفظهم
فكيف توقظهم إن كنت موقظهم ... والناس عندك لاناسٌ فيحفظهم

وهي التي شرحها أبو المكارم محمَّد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي المتوفّى ٥٦٥، وشرحها إبن أمير الحاجّ بشرحه المعروف المطبوع وتوجد بتمامها في «الحدائق الورديَّة» المخطوط، وذكرها القاضي في «مجالس المؤمنين» ص ٤١١ ، والسيِّد ميرزا حسن الزنوزي في «رياض الجنَّة» في الرَّوضة الخامسة ستِّين بيتاً ، وهي التي شطَّرها العلاّمة السيّد محسن الأمين العاملي . وإليك نصُّ البيتين الزائدين :

أمَّن تُشاد له الألحان سائرةً ... عليّهم ذو المعالي أم عليّكم؟(٣)

---

(١) علية: بنت المهدي بن المنصور كانت عوادة. وإبراهيم أخوها كان مغنياً وعواداً.
(٢) الخنثى : هو عبادة نديم المتوكل . والقرد كان لزبيدة .
(٣) بعد البيت الـ ٥٣ .

صلّى الإلـه عليهم كلّما سجعت ورقٌ فهم لِلورى كهفٌ ومعتصم[١]

وأسقط ناشر الديوان منها أبياتاً وذكرها ٥٣ بيتاً وأحسب أنَّه التقط أبياتاً ما كان يروقه مفادها ودونك الإشارة إليها:

١ - وكلّ مائرة الضبعين مسرحها
٢ - وفتيةٌ قلبهم قلبٌ إذا ركبوا
٣ - فما السعيد بها إلاّ الذي ظلموا
٤ - لِلمتَّقين من الدنيا عواقبها
٥ - ليس الرشيد كموسى في القياس ولا
٦ - يا باعة الخمر كفّوا عن مفاخركم
٧ - صلّى الإلّه عليهم كلّما سجعت

هذه القصيدة تعرف بـ «الشافية» وهي من القصائد الخالدة التي تصافقت المصادر على ذكرها أو ذكر بعضها[٢] أو الإيعاز إليها، مطَّردةٌ متداولةٌ بين الادباء، محفوظةٌ عند الشيعة وقسمائهم منذ عهد نظمها ناظمها أمير السيف والقلم وإلى الآن، وستبقى خالدةً مع الدهر، وذلك لِما عليها من مسحة البلاغة، ورونق الجزالة، وجودة السرد، وقوَّة الحجَّة، وفخامة المعنى، وسلاسة اللفظ، وَلمّا أنشد ناظمها (الأمير) أمر خمسمائة سيف وقيل أكثر يُشهر في المعسكر[٣] نظمها لَمّا وقف على قصيدة ابن سكرة العبّاسي التي أوّلها:

بني عليٍّ دعوا مقالتكم لا ينقص الدرّ وضع من وضعه

وللأمير أبي فراس هائيَّةٌ يمدح بها أهل البيت وفيها ذكر «الغدير» وهي:

يـومٌ بسفـح الـدار لا أنسـاهُ أرعى لـه دهـري الـذي أولاهُ
يـومٌ عمرت العمـر فيه بفتيـةٍ من نـورهم أخذ الـزمان بهـاهُ

(١) مختتم القصيدة.
(٢) ذكر سراج الدين السيد محمد الرفاعي المتوفّى سنة ٨٨٥ في «صحاح الأخبار» ص ٢٦ من القصيدة ثمانية أبيات وقال: القصيدة طويلة ليس هذا محل ذكرها.
(٣) كما ذكره الفتوني في كشكوله، وأبو علي في رجاله ص ٣٤٩.

فكأنّ أوجههم ضياء نهاره وكأنّ أوجههم نجوم دجاهُ
ومهفهف كالغصن حسن قوامه والظبي منه إذا رنا عيناهُ
نازعته كأساً كأنّ ضياءها لمّا تبدّت في الظلام ضياهُ
في ليلةٍ حسنت لنا بوصاله فكأنّما من حسنها إيّاهُ
وكأنّما فيها الثريّا إذ بدت كفٌّ يُشير إلى الذي يهواهُ
والبدر منتصف الضياء كأنّه مُتبسّمٌ بالكفّ يسترقاهُ
ظبيٌ لو أنّ الدرّ مرّ بخدّه من دون لحظة ناظر أدماهُ
إن لم أكن أهواه أو أهوى الرّدى في العالمين لكلّ ما يهواهُ
فحرمت قرب الوصل منه مثل ما حُرم الحسين الماء وهو يراهُ
إذ قال: اسقوني. فعوّض بالقنا من شرب عذب الماء ما أرواهُ
فاجتزّ رأساً طالما من حجره أدنته كفّا جدّه ويداهُ
يومٌ بعين الله كان وإنّما يُملي لظلم الظالمين اللهُ
وكذاك لو أردى عُداة نبيّه ذو العرش ما عرف النبيَّ عَداهُ
يومٌ عليه تغيّرت شمس الضحى وبكت دماً ممّا رأته سماهُ
لا عذر فيه لمهجةٍ لم تنفطر أو ذي بُكاء لم تفض عيناهُ
تبّاً لقوم تابعوا أهواءَهم فيما يسوؤهم غداً عقباهُ
أتراهمُ لم يسمعوا ما خصّه منه النبيُّ مِن المقال أباهُ ؟!
إذ قال يوم «غدير خمّ» معلناً : من كنت مولاه فذا مولاهُ
هذا وصيّته إليه فافهموا يا مَن يقول بأنّ ما أوصاهُ
أقروا من القرآن ما في فضله وتأمّلوه وافهموا فحواهُ
لو لم تُنزّل فيه إلاّ هل أتى من دون كلّ مُنزّل لكفاهُ
مَن كان أوّل مَن حوى القرآن من لفظ النبيِّ ونطقه وتلاهُ؟!
مَن كان صاحب فتح خيبر؟ من رمى بالكفّ منه بابه ودحاهُ؟!
مَن عاضد المختار من دون الورى؟ مَن آزر المختار مَن آخاهُ؟!
مَن بات فوق فراشه متنكّراً لمّا أطلّ فراشه أعداهُ؟
مَن ذا أراد إلهنا بمقاله : الصّادقون القانتون سواهُ ؟!

مَن خصَّه جبريل من ربِّ العُلى بتحيَّــةٍ من ربِّــه وحبــاهُ ؟!
أظـنـنـتـمُ أن تـقـتـلوا أولاده ويـظلّكم يوم المعـاد لواهُ ؟!
أو تشربـوا من حوضـه بيمينـه كأساً وقد شرب الحسين دماهُ؟!
طـوبى لمن ألقـاه يـوم أُوامـه فـاستـلَّ يـوم حيـاتـه وسقـاهُ
قد قال قبلي في قريض قائلٌ : ويـلٌ لمن شفعاؤه خصماهُ
أنسيتمُ يــوم الـكســاء وإنَّــه ممَّن حواه مع النبيِّ كساهُ ؟!
يــا ربّ إنّي مُهتــدٍ بهــداهمُ لا أهتـدي يوم الهـدى بسواهُ
أهوى الذي يهـوى النبيَّ وآله أبــداً وأشنـأ كــلَّ من يشنـاهُ
وأقــول قــولاً يُستــدلُّ بـأنَّــه مُستبصــرٌ مـن قــالــه ورواهُ
شعـراً يودّ السـامعون لـو أنّـه لا ينقضي طول الزَّمـان هداه
يُغري الرُّواة إذا روتـه بحفظه ويــروق حسن رويِّــه معنــاهُ

الشاعر

أبـو فراس الحـارث بن أبي العلاء سعيـد بن حمـدان بن حمـدون بن الحـارث بن لقمـان بن راشـد بن المثّنى بن رافـع بن الحـارث بن عـطيف بن محربة بن حارثة بن مـالك بن عُبيـد بن عدي بن اسـامة بن مـالك بن بكـر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب الحمداني التغلبي .

ربما يرتج القول في المترجَم وأمثاله، فلا يـدري القائـل ماذا يصف، أيُطريه عـنـد صياغة القول؟ أو يصفه عند قيادة العسكر؟ وهل هو عند ذلك أبـرع؟ أم عنـد هذا أشجـع؟ وهل هـو لجمل القـوافي أسبك؟ أم لازمَّـة الجيـوش أملك؟

والـخـلاصة أنَّ الرَّجل بارعُ في الصفتين، ومتقدِّمٌ في المقامين، جمع بين هيبة الملوك، وظروف الادباء، وضمَّ إلى جلالة الامراء لطف مفاكهة الشعراء، وجمع له بين السيف والقلم، فهو حين ما ينطق بفم كما هو عند ثباته على قَدم، فلا الحرب تروعه، ولا القافية تعصيه، ولا الرَّوع يهزمه، ولا روعة البيان تعدوه، فلقد كان المقدَّم بين شعراء عصره، كما أنَّه كان المتقدِّم على امرائه، وقد تُرجم بعض أشعاره إلى اللغة الألمانيَّة كما في دائرة المعارف الإسلاميَّة .

قال الثعالبي في يتيمة الدهر ج ١ ص ٢٧ : كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ونبلاً، ومجداً وبلاغة وبراعةً، وفروسيَّة وشجاعةً، وشعره مشهورٌ سائرٌ بين الحسن والجودة، والسهولة والجزالة، والعذوبة والفخامة، والحلاوة والمتانة، ومعه رواء الطبع، وسمة الظرف، وعزّة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلّا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يُعدُّ أشعر منه عند أهل الصنعة، ونقدة الكلام، وكان الصاحب يقول: (بُدیء الشعر بملك وختم بملك) يعني امرأ القيس وأبا فراس، وكان المتنبي يشهد له بالتقدُّم والتبريز، ويتحامى جانبه، فلا ينبري لمباراته، ولا يجترىء على مجاراته، وإنَّما لم يمدحه ومدح مَن دونه من آل حمدان تهيّباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً ، وكان سيف الدَّولة يعجب جِدّاً بمحاسن أبي فراس ، ويميِّزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدرَّ الثمين في مكاتباته إيّاه ، ويوافيه حقَّ سؤدده ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته . اهـ .

وتبعه في إطرائه والثناء عليه إبن عساكر في تاريخه ج ٢ ص ٤٤٠ . وإبن شهر اشوب في معالم العلماء . إبن الأثير في الكامل ج ٨ ص ١٩٤ . إبن خلكان في تاريخه ج ١ ص ١٣٨ . أبو الفدا في تاريخه ج٢ ص ١١٤ . اليافعي في مرآة الجنان ج ٢ ص ٣٦٩. ومؤلِّفي شدرات الذهب ج ٣ ص ٢٤. مجالس المؤمنين ص ٤١١ . رياض العلماء. أمل الآمل ص ٢٦٦. منتهى المقال ص ٣٤٩. رياض الجنَّة في الروضة الخامسة. دائرة المعارف للبستاني ج ٢ ص ٣٠٠. دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٧ ص ١٥٠. روضات الجنات ص ٢٠٦ . قاموس الأعلام للزركلي ج ١ ص ٢٠٢. كشف الظنون ج ١ ص ٥٠٢. تاريخ آداب اللغة ج ٢ ص ٢٤١. الشيعة وفنون الإسلام ١٠٧. معجم المطبوعات. دائرة المعارف الإسلاميَّة ج ١ ص ٣٨٧. وجمع شتات ترجمته وأوعى سيّدنا المحسن الأمين في ٢٦٠ صحيفة في أعيان الشيعة في الجزء الثامن عشر ص ٢٩ - ٢٩٨ .

كان المترجَم يسكن منبج ، وينتقل في بلاد الشام في دولة ابن عمِّه أبي

الحسن سيف الدولة، واشتهر في عدَّة معارك معه، حارب بها الروم، أُسر مرَّتين فالمرَّة الأولى بـ (مغارة الكحل) سنة ٣٤٨ وما تعدّوا به «خرشنة» وهي قلعةٌ ببلاد الروم والفرات يجري من تحتها، وفيها يقال: إنَّه ركب فرسه وركضه برجله فأهوى به من أعلى الحصن إلى الفرات والله أعلم.

والمرَّة الثانية: أسرته الروم على منبج، وكان متقلِّداً بها في شوّال سنة ٣٥١، أُسر وهو جريحٌ وقد أصابه سهمٌ بقي نصله في فخذه وحصل مثخناً بخرشنة ثمَّ بقسطنطينة وأقام في الأسر أربع سنين، لتعذّر المفاداة واستفكَّه من الأسر سيف الدولة سنة ٣٥٥، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض، واستزادة سيف الدولة وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبّائه والتبرّم بحاله ومكانه، عن صدر حرجٍ؛ وقلبٍ شجٍ، تزداد رقَّةً ولطافةً، تُبكي سامعها، وتعلق بالحفظ لسلاستها، تُسمّى بالرُّوميات.

قال ابن خالويه: قال أبو فراس: لمّا حَلَلْتُ بالقسطنطينة أكرمني ملك الروم إكراماً لم يكرمه أسيراً قبلي، وذلك أنَّ من رسومهم أن لا يركب أسيرٌ في مدينة ملكهم دابةً قبل لقاء الملك، وأن يمشي في ملعب لهم يعرف بالبطوم مكشوف الرأس ويسجد فيه ثلاث سجدات أو نحوها، ويدوس الملك رقبته في مجمع لهم يعرف بالتوري، فأعفاني من جميع ذلك ونقلني لوقتي إلى دار وجعل لي [برطسان] يخدمني، وأمر بإكرامي ونقل مَن أردته من أسارى المسلمين إليَّ، وبذل لي المفاداة مفرداً، وأبيت بعدما وهب الله لي من الكرامة ورُزقته من العافية والجاه أن أختار نفسي على المسلمين، وشرعت مع ملك الروم بالفداء ولم يكن الأمير سيف الدولة يستبقي أسارى الروم، فكان في أيديهم فضل ثلاثة آلاف أسير ممَّن أُخذ من الأعمال والعساكر فابتعتهم بمئتي ألف دينار روميَّة على أن يوقع الفداء وأشتري هذه الفضيلة وضمنت المال والمسلمين وخرجتُ بهم من القسطنطينة وتقدَّمتُ بوجوههم إلى «خرشنة» ولم يعقد قطُّ فداء مع أسير ولا هدنة فقلت في ذلك شعراً:

ولِله عنـدي في الأسار وغيـره مواهب لم يخصص بها أحدُ قبلي

حللت عقوداً أعجز الناس حلّها   وما زال عقدي لا يذمُّ ولا حلّي
إذا عاينتني الرّوم كبّر صيدهـا   كأنَّهمُ أسرى لديَّ وفي كبلي
وأوسـع أيّـامـاً حللت كـرامـةً   كأنيَ من أهلي نقلت إلى أهلي
فقل لبني عمّي وأبلغ بني أبي :   بأنّيَ في نعماء يشكـرها مثلي
ومـا شـاء ربّي غـير نشر محـاسني   وأن يعرفوا مـا قد عـرفتم من الفضل

وقال يفتخر وقد بلغه أنَّ الروم قالت: ما أسرنا أحداً لم نسلب ثيابه غير أبي فراس.

أراك عصيَّ الدَّمع شيمتك الصبرُ   أما للهوى نهيٌ لديك ولا أمرُ ؟
بلى أنا مشتـاق وعنديَ لوعـةٌ   ولكنَّ مثلي لا يُـذاع لـه سـرُّ
إذا الليل أضواني بسـطت يد الهـوى   وأذللت دمعـاً من خـلائقـه الكـبرُ
تكاد تُضيء النار بين جوانحي   إذا هي أذكتها الصبابة والفكرُ

ويقول فيها :

أُسرت وما صحبي بعزلٍ لدى الوغى   ولا فـرسي مهـرٌ ولا ربّـه غـمـرُ
ولكن إذا حمَّ القضـاء على امـرىءٍ   فـليس لـه بـرٌّ يـقـيـه ولا بـحـرُ
وقـال أُصيحابي : الفـرار أو الـردى   فقلت : هما أمران أحـلاهما المـرُّ
ولكنَّـني أمـضي لـمـا لا يعـيبـني   وحسبك من أمرين خيـرهما الأسـرُ
يقولون لي : بعت السّـلامة بـالرَّدى   فقلتُ لهم : واللّه مـا نـالني خسـرُ
هو الموت فـاختر مـا علا لـك ذكره   ولم يمت الإنسـان مـاحيِّـه الـذِّكـرُ
ولا خيـر في ردِّ الـرَّدى بمـذلَّـة   كمـا ردَّه يـومـاً بسـوءتـه عمـرو
يـمنّـون أن خـلّوا ثيـابـي وإنَّمـا   عـلَيّ ثيـابٌ مـن دمـائهـمُ حمـرُ
وقـائـم سيـفي فيهـمُ دقّ نـصلـه   وأعقاب رمحي منهمُ حُطّم الصَّـدرُ
سيـذكـرني قـومي إذا جـدَّ جـدّهم   وفي الليلة الـظلمـاء يفتقـد البـدرُ
فإن عشت فالـطعن الذي يعـرفونـه   وتلك القنا والبيض والضمر الشقـرُ
وإن متُّ فـالإنسـان لا بـدَّ ميِّتٌ   وإن طـالت الأيّـام وانفسـح العمـرُ
ولو سدَّ غيري ما سـددت اكتفوا بـه   ومـا كان يغلو التِّبـر لـو نفق الصفـرُ

ونحن أُنــاس لا تــوسّط عنــدنــا لنـا الصـدر دون العـالمين أو القبـرُ
تهـون علينـا في المعـالي نفـوسنـا ومن خطب الحسناء لم يغلها المهرُ
أعـزّ بني الدنيـا وأعـلا ذوي العـلا وأكـرم من فـوق التـراب ولا فخـرُ

وقال لمّا أُسر:

مـا لـلعبـيـد مِن الّـذي يـقـضـي بـه الله امـتـنـاعُ
ذدتُ الأُسـود عـن الـفـرا ئس ثمَّ تفـرسـني الـضبـاعُ

وقال:

قـد عذب المـوت بـأفـواهنـا والموت خيرٌ من مقام الذليلْ
إنّـا إلـى الله لـمـا نـابـنـا وفي سبيـل الله خيـر السبيـلْ

وقال لما ورد أسيراً بخرشنة:

إن زرت خـرشـنـة أسيـراً فـلكم حـللت بهـا مـغيـرا
ولـقـد رأيت الـسبي يجـلـ ب نـحـونـا حـوّاً وحـورا
ولـقـد رأيت الـنّـار تـنـ ـتهب المـنـازل والـقصـورا
مـن كـان مـثـلي لـم يـبـت إلّا أمـيـراً أو أسـيـرا
لـيـست تـحـلُّ سـراتـنـا إلّا الـصـدور أو الـقـبـورا

ولَمّا ثقل الجراح وآيس من نفسه وهو أسير كتب إلى والدته يُعزِّيها بنفسه:

مصـابي جليلٌ والعـزاء جميلُ وعلمي بـأنّ الله سوف يُـديلُ
وإنّي لفي هذا الصباح لصالحُ ولي كلّما جنَّ الظلام غليـلُ
ومانال منّي الأسـر ما تـريانـه ولكنّني دامي الجـراح عليـلُ
جـراحٌ تتحلماه الأُسـاة مخـافة وسقمـان بـادٍ منهمـا ودخيـلُ
وأسـرٌ أُقـاسيـه وليـل نجـومـه أرى كـلّ شيءٍ غيرهنَّ يـزولُ
تطول بي الساعات وهي قصيرةٌ وفي كـلِّ دهر لا يسـرّك طـولُ
تناساني الأصحاب إلّا عصابةٌ ستلحق بالأُخرى غداً وتحولُ
وإنَّ الذي يبقى على العهد منهمُ وإن كثـرت دعـواهمُ لقليـلُ

أُقلّب طرفي لا أرى غير صاحب ... يميل مع النعماء كيف تميلُ
وصرنا نرى أنَّ المُتارِك محسنٌ ... وإنّ خليلاً لا يضرُّ وَصولُ
وليس زماني وحده بيَ غادرٌ ... ولا صاحبي دون الرِّجال ملولُ
وما أثري يوم اللقاء مذمّمٌ ... ولا موقفي عند الأسار ذليلُ
تصفَّحت أقوال الرجال فلم يكن ... إلى غير شاك للزمان وصولُ
أكلُّ خليلٍ هكذا غير مُنصفٍ ... وكلُّ زمان بالكرام بخيلُ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً ... أجاب إليها عالمٌ وجهولُ
وقبلي كان الغدر في الناس شيمةً ... وذُمّ زمانٌ واستلام خليلُ
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه ... وخلّى أمير المؤمنين عقيلُ
فيا حسرتي من لي بخلٍّ موافقٍ ... يقول بشجوي مرَّة وأقولُ
وإنَّ وراء الستر أُمّاً بكاؤها ... عليَّ وإن طال الزمان طويلُ
فيا أُمَّنا لا تعدمي الصبر إنَّه ... إلى الخير والنجح القريب رسولُ
ويا أُمَّنا لا تحبطي الأجر إنّه ... على قدر الصبر الجميل جزيلُ
ويا أُمَّنا صبراً فكلُّ ملمَّة ... تجلّي على علاّتها وتزولُ
أمالك في ذات النطاقين أُسوةٌ[1] ... بمكّة والحرب العَوان تجولُ
أراد ابنها أخذ الأمان فلم يُجب ... وتعلم علماً إنّه لقتيلُ
تأسّي كفاك الله ما تحذرينه ... فقد غال هذا الناس قبلكِ غولُ
وكوني كما كانت بأُحدٍ صفيَّةٌ ... ولم يشف منها بالبكاء غليلُ
فما ردَّ يوماً حمزة الخير حزنها ... إذا ما علتها زفرةٌ وعويلُ
لقيتُ نجوم الافق وهي صوارمُ ... وخُضت ظلام الليل وهو خيولُ
ولم أرع للنفس الكريمة خلّة ... عشيَّة لم يعطف عليَّ خليلُ
ولكن لقيت الموت حتّى تركته ... وفيه وفي حدِّ الحسام فلولُ
ومن لم يق الرَّحمن فهو ممزَّق ... ومن لم يُعز الله فهو ذليلُ
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه ... فليس لمخلوق إليه سبيلُ
وإن هو لم يدلُلك في كلِّ مسلك ... ضللت ولو أنَّ السماك دليلُ

(١) ذات النطاقين هي أسماء بنت أبي بكر.

إذا ما وقاك الله أمراً تخافه ... فما لك ممّا تتّقيه مُقيلُ
وإن هو لم ينصرك لم تلق ناصراً ... وإن جلَّ أنصارٌ وعزَّ قبيلُ
وما دام سيف الدولة الملك باقياً ... فظلّك فيّاحُ الجناب ظليلُ

قال إبن خالويه: وقال يصف أيّامه ومنازله بمنبج وكان ولايته وأقطاعه وداره بها، ويعرِّض بقوم بلغه شماتتهم فيه وهو في أسر الرّوم:

قف في رسوم المستجاب ... وناد أكناف المصَلاّ
فالجوسق الميمون فا ... لسقياء فالنَّهر المُعلاّ
أوطنتها زمن الصِّبا ... وجعلت منبج لي مَحلاّ
حرم الوقوف بها عليَّ ... وكان قبل اليوم حِلاّ
حيث التفتُّ وجدت ماءً ... سائحاً وسكنت ظلاّ
تزداد وادٍ غير قا ... صٍ منزلاً رحباً مُطلاّ
وتحل بالجسر الجنا ... ن وتسكن الحصن المعلّى
تجلو عرائسه لنا ... بالبشر جنب العيش سهلا
والماء يفصل بين زهـ ... ـر الروض في الشطّين فصلا
كبساط وشيٍ جرَّدت ... أيدي القيون عليه نصلا
من كان سُرّ بما عرا ... ني فليمت ضرّاً وهزلا
لم أخلُ فيما نابني ... من أن أُعزّ وأن أُحلاّ
مثلي إذا لقي الأسا ... ر فلن يُضام ولن يذّلا
رعت القلوب مهابةً ... وملأتها نُبلاً وفضلا
ما غضَّ منّي حادثٌ ... والقرم قرمٌ حيث حلاّ
أنّى حللت فإنّما ... يدعوني السيف المحَلاّ
فلئن خلصتُ فإنّني ... غيظ العدى طفلاً وكهلا
ما كنت إلاّ السيف زا ... د على صروف الدَّهر صقلا
ولئن قُتلتُ فإنّما ... موت الكرام الصيد قتلا
لا يشمتنَّ بموتنا ... إلاّ فتىً يفنى ويبلى

يغتــرُّ بــالــدنيــا الجهــو ل وليس في الــدنيــا ممــلّا

قال إبن خالويه: تأخرت كتب سيف الدولة عن أبي فراس في أيّام أسره، فذلك أنَّه بلغه أنَّ بعض الأُسراء قال: إن ثقل هذا المال على الأمير كاتبنا فيه صاحب خراسان وغيره من الملوك وخففت علينا الأسر، وذكر أنّهم قرَّروا مع الروم إطلاق أُسراء المسلمين بما يحملونه، فاتَّهم سيف الدولة أبا فراس بهذا القول، لضمانه المال للروم وقال: من أين تعرفه أهل خراسان؟ فقال أبو فراس هذه القصيدة وأنفذها إلى سيف الدولة.

قال الثعالبي: كتب أبو فراس إلى سيف الدولة: مفاداتي إن تعذَّرتْ عليك فأْذن لي في مكاتبة أهل خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري. فأجابه سيف الدولة: من يعرفك بخراسان؟ فكتب إليه أبو فراس:

أسيف الهدى وقريع العرب ... إلام الجفاءُ وفيم الغضبْ؟
وما بال كُتبك قد أصبحت ... تُنكبني مع هذي النكبْ؟
وأنت الكريم وأنت الحليم ... وأنت العطوف وأنت الحدب[1]
ومــا زلتَ تسبقني بالجميـ ... ـل وتنزلني بالمكان الخصبْ
وانّكَ للجبل المشمخرُّ ... إليَّ بل لِقومك بل لِلعربْ
وتدفع عن حوزتي الخطوب ... وتكشف عن ناظريَّ الكربْ
عُلاً يستفاد وعافٍ يُعاد ... وعزٌّ يشاد ونعمى تربْ
وما غضَّ منِّي هذا الأسار ... ولكن خلصت خلوص الذهبْ
ففيم يُعرّضني بالخمولِ ... مولى به نلت أعلى الرتبْ
وكان عتيداً لديَّ الجواب ... ولكن لهيبته لم أُجبْ
أتنكرانِّي شكوت الزَّمان ... وأنّي عتبتك فيمن عتبْ؟!
وإلّا رجعت فاعتبتني ... وصَيِّرت لي ولقومي الغلبْ
فلا تنسبنَّ إليّ الخمول ... أقمت عليك فلم أغتربْ
وأصبحت منك فإن كان فضل ... وإن كان نقصٌ فأنت السببْ

---

(١) الحدب من حدب وتحدب عليه: تعطف..

وإنَّ خراسان إن أنكرت ... عُلاي فقد عرفتها حلبْ
ومن أين ينكرني الأبعدون ... أمِن نقص جدٍّ أمِن نقص أبْ؟!؟!
ألست وإيّاك من أسرةٍ ... وبيني وبينك عرق النسبْ ؟!
ودارٌ تناسب فيها الكرام ... وتربيةٌ ومحلٌّ أشبْ
ونفسٌ تكبَّر إلاّ عليك ... وترغب إلاّك عمَّن رغِبْ
فلا تعدلنَّ فداك ابن عمِّك ... لا بل غلامك عمّا يجبْ
وأنصف فتاك فإنصافه ... من الفضل والشرف المكتسبْ
أكنت الحبيب وكنت القريب ... ليالي أدعوك من عن كثبْ ؟!
فلمّا بعدت بدت جفوةٌ ... ولاح من الأمر مالا أُحبْ
فلو لم أكن بكَ ذا خبرةٍ ... لقلت صديقك مَن لم يغبْ

وكتب إليه أيضاً:

زماني كلّه غضبٌ وعتبُ ... وأنت عليَّ والأيّام إلبُ
وعيش العالمين لديك سهلٌ ... وعيشي وحده بفناك صعبُ

[القصيدة ١٨ بيتاً].

وبلغ إليه نعي أُمِّه وهو في الحبس فقال يرثيها:

أيا أُمَّ الأسير بمن أُنادي؟ ... وقدَّمت الأيادي والشعورُ
إذا ابنكِ سار في برٍّ وبحر ... فمن يدعو له أو يستجير؟!؟!
حرامٌ أن يبيت قرير عين ... ولومٌ أن يلمَّ به السرورُ
وقد ذقتِ المنايا والرَّزايا ... ولا ولدٌ لديكِ ولا عشيرُ
وغاب حبيب قلبكِ عن مكانٍ ... ملائكة السَّماء به حضورُ
ليبككِ كلُّ يوم صمتِ فيه ... مصابرةً وقد حمي الهجيرُ
ليبككِ كلُّ ليل قمتِ فيه ... إلى أن يبتدي الفجر المنيرُ
ليبككِ كلُّ مُضطهدٍ مخوفٍ ... أجرتيه وقد قلَّ المجيرُ
ليبككِ كلُّ مسكينٍ فقيرٍ ... أعنتيه ومافي العظم ريرُ[1]

---

(١) مخ رار ورير. ذائب فاسد من الهزال.

أيـا أُمّـاه كم هـول طـويـل ... مضى بكِ لم يكن منه نصيـرُ
أيـا أمّـاه كم سـرّ مصـون ... بقلبـك مـات ليس لـه ظهـورُ
إلى مَن أشتكي وبمن أُنـاجي ... إذا ضاقت بما فيها الصدورُ؟!
بـأيٍّ دعـاء داعـيـةٍ أُوقّـي ... بأيِّ ضياء وجه أستنيرُ ؟! ؟!
بمن يُستـدفع القـدر المرجّى ... بمن يُستفتح الأمر العسيرُ ؟! ؟!
تسلّي عنـكِ إنّـا عن قليـل ... إلى ما صرت في الاخرى نصيرُ

ميلاده، ومقتله:

ولد المترجم سنة ٣٢٠ وقيل ٣٢١ ويعيّن الأوّل ما حكاه ابن خالويه عن أبي فراس أنه قال له: إنَّ في سنة ٣٣٩ كان سنّي ١٩ سنة، وقتل يوم الأربعاء لثمان من ربيع الآخر(١) وعن الصّابي في تاريخه(٢) يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الاولى سنة ٣٥٧(٣) وذلك أنّه لمّا مات سيف الدولة عزم أبو فراس على التغلُّب على حمص وتطلّع إليها وكان مقيماً بها فاتّصل خبره إلى ابن أُخته أبي المعالي إبن سيف الدّولة وغلام أبيه قرعويه(٤)وجرت بذلك بين أبي فراس وبين أبي المعالي وحشة، فطلبه أبو المعالي فانحاز أبو فراس إلى [صدد] وهي قريةٌ في طريق البريَّة عند حمص، فجمع أبو المعالي الأعراب من بني كلاب وغيرهم وسيَّرهم في طلبه مع قرعويه، فأدركه بـ[صدد] فكبسوه فاستأمن أصحابه واختلط هو بمن استأمن معهم، فقال قرعويه لغلام له: اقتله. فقتله وأخذ رأسه وتركت جثته في البريَّة حتّى دفنها بعض الأعراب.

قال الثعالبي: دلَّت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصّابي في مرثية أبي فراس على أنَّه قُتل في وقعةٍ كانت بينه وبين موالي أُسرته.

وقال إبن خالويه: بلغني أنَّ أبا فراس أصبح يوم مقتله حزيناً كئيباً وكان قد

---

(١) كامل ابن الأثير. تاريخ أبي الفدا .
(٢) حكاه عنه ابن خلكان في تاريخه، وصاحب شذرات الذهب.
(٣) أرّخه ابن عساكر في تاريخه بسنة خمسين وثلاثمائة وهو ليس في محله .
(٤) في كامل ابن الأثير: قرغويه. وفي الشذرات: فرغويه: وفي تاريخ ابن عساكر: أبو قرعونه.

قلق في تلك الليلة قلقاً عظيماً فرأته ابنته امرأة أبي العشائر كذلك فأحزنها حزناً شديداً ثم بكت وهو على تلك فأنشأ يقول كالذي ينعي نفسه وإن لم يقصد، وهذا آخر ما قاله من الشعر:

أبُنيَّتي لا تحزني ... كلُّ الأنام إلى ذهابِ
أبُنيَّتي صبراً جميلاً ... للجليل من المصابِ
نوحي عليَّ بحسرةٍ ... من خلف سترِكِ والحجابِ
قولي إذا ناديتني ... فعييت عن ردِّ الجوابِ
: زين الشباب أبو فرا ... س ما تمتَّع بالشباب

وفي غير واحد من المعاجم: أنَّه لَمّا بلغ أُخته أُمّ أبي المعالي وفاته قلعت عينها، وقيل: بل لطمت وجهها فقلعت عينها، وقيل: قتله غلام سيف الدولة ولم يعلم أبو المعالي فلمّا بلغه الخبر شقَّ عليه. ومن شعره في المذهب:

لست أرجو النجاة من كلِّ ما ... أخشاه إلّا بأحمد وعليٍّ
وببنت الرَّسول فاطمة الطّهر ... وسبطيه والإمام عليٍّ
والتقيِّ النقيِّ باقر علم الله ... فينا محمَّد بن عليٍّ
وأبي جعفر وموسى ومولاي ... عليّ أكرم به من عليٍّ
وابنه العسكريّ والقائم ... المظهر حقّي محمَّد وعليٍّ
بهمُ أرتجي بلوغ الأماني ... يوم عرضي على الإله العليِّ

وله في المعنى:

شافعي أحمد النبيُّ ومولاي ... عليٌّ والبنت والسبطانِ
وعليٌّ وباقر العلم والصّا ... دق ثمَّ الأمين بالتبيانِ
وعليٌّ ومحمَّد بن عليٍّ ... وعليٌّ والعسكريُّ الداني
والإمام المهديُّ في يوم لا ... ينفع إلّا غفران ذي الغفرانِ

ومن شعره في الحكمة والموعظة:

غنى النفس لمن يعقـ ... ـل خيرٌ من غنى المالِ

وفـضـــل النـــاس فـي الأنـفـ ـس ليس الفضـل في الحـال

وقال:

المرء نصب مصائب لا تنقضي حتّى يُوارى جسمه في رمسِهِ
فمؤجَّـل يلفي الرَّدى في أهله ومعجَّل يلقى الرَّدى في نفسِهِ

وله:

أنفق من الصبر الجميل فـإنَّه لم يخش فقراً منفقٌ من صبرِهِ
والمرء ليس ببالـغٍ في أرضه كالصقر ليس بصائدٍ في وكرِهِ

﴿لَقَدْ كان في قَصَصِهِمْ عِبرةٌ لأولي الألبابْ﴾.

سورة يوسف: الآية ١١١.

انتهى الجزء الثالث من كتاب الغدير

ويتلوه الرابع ولله الحمد أولاً وآخراً.



الفهرس

الموضوع الصفحة

الفصل لابن حزم

الملل والنحل

منهاج السنة

البداية والنهاية

